الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة1

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة والحضارة الإسلامية

نيابة العمادة لما بعد التدرج

والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي
بين الامتداد والانحسار
- دراسةسننية -

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الإسلامية

تخصص: اللغة والحضارة الإسلامية

إعداد الباحثة:

مليكة سعدودي

إشراف الأستاذ الدكتور:

حسين شرفه

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
مسعود فلوسي	أستاذ	جامعة باتنة –1–	رئيسا
حسين شرفه	أستاذ	جامعة باتنة –1–	مقررا
محمَّد زرمان	أستاذ	جامعة باتنة –1–	عضوا
عمر حيدوسي	أستاذ	جامعة باتنة –1–	عضوا
كمال بن مارس	أستاذ	جامعة قالمة	عضوا
رابح أولاد ضياف	أستاذ	جامعة قالمة	عضوا

السنة الجامعية:1440-1441هـ/2020- 2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح والدي

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

إلى من أعطت وضحت ولم تسأل

أمي الغالية حفظها الله

إلى من يشاركني في السراء والضراء

زوجي العزيز

إلى إخوتي وأخواتي

حفظهم الله

إلى أعز صديقاتي

نزيهة، راضية، فايزة، سامية

إليهم جميعا أهدي هذه الرسالة

شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشكره على مزيد نعمه التي لا تحصى ولا تعد، فالحمد لله رب العالمين.

إن التأدب بأدب رسول اللهﷺ في قوله: « **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** » والطمع في مزيد فضل الله والنعمة التي وعدنا بها في قوله عز وجل ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم:07].

والاعتراف بالفضل لأهله وواجب الوفاء ...كل ذلك يوجب علي أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان للأستاذ الدكتور: حسين شرفه

على ما حباني به طوال رحلة البحث من حسن الرعاية وخالص النصح وسداد التوجيه. فأسأل الله أن يفيض عليه من علمه الواسع وأن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يديم عليه نعمة الصحة والعافية، وأن يختم له ولنا بحسن الخاتمة أجمعين، إنه سميع قريب مجيب.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة – حفظهم الله جميعا – وأسأل الله لهم التوفيق، وجزاهم الله تعالى خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الوالدة الكريمة – حفظها الله ورعاها –، وأخي وقرة عيني عبد القادر الذي كان سندا لي طوال مشواري الدراسي فلم يبخل بشيء فجزاه الله خيرا وأسأل الله أن يبارك له في أهله وأبنائه.

كما أتقدم بالشكر لعائلة هبة جمال بجمهورية مصر على احتضانهم لنا وتقديمهم يد العون، فأسأل الله تعالى أن يجعل كل أعمالهم في ميزان حسناتهم، وأن يجزيهم خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر إلى زوجي الفاضل ـ إسماعيل ـ حفظه الله ورعاه.

كما أتقدم بالشكر لكل من أعانني من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة

فجزاهم الله عني كل خير.

مقدمة

مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن مُحَمَّدا عبده ورسوله.

أما بعد:

أولا: التعريف بالموضوع

فقد أرسل الله جل شأنه رسوله ﷺ بشيرا ونذيرا ورحمة للعالمين، فكانت أيامه أعظم فترة عرفتها البشرية في تاريخها، إذ استطاع أن يجمع أبناء الجزيرة العربية على دين واحد أساسه عقيدة التوحيد الخالصة، وقد شُرّع له الجهاد بعد هجرته ﷺ، وذلك لإعلاء كلمة الحق ونشر الدين الذي جاء به، وإزالة الحواجز والعقبات المانعة من سماع دين الفطرة، فغزا ﷺ ثماني وعشرين غزوة، بدأت بغزوة بدر الكبرى وانتهت بغزوة تبوك، ولم يلحقﷺ بالرفيق الأعلى حتى أقام دولة قوية مهابة الجانب، ممهدا بذلك الطريق لمن يأتي بعده لنشر هذا الدين، وذلك ما قام به الخلفاء الراشدون، إذ كان من أولى مهامهم استكمال مسار الدعوة إلى الله عبر الفتوحات الإسلامية.

وقد كان ظهور الإسلام وانتشاره حدثا تاريخيا مميزا؛ إذ استطاع قادة الفتح الإسلامي في زمن وجيز تخليص كثير من المجتمعات من الجاهلية، ومنحها القيم العليا في جميع جوانب الحياة، كل ذلك بأسلوب دعوي يجمع بين الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، إذ لا إكراه في الدين، ومقاومة كل من يحول بين تلك الدعوة وبلوغها إلى الناس، وذلك جوهر الجهاد كما شرعه الله عز وجل في كتابه الكريم، وطبقه النبي ﷺ في غزواته.

من هذا المنطلق كانت الفتوحات الإسلامية التي أرسى أسسها جيل الصحابة في عهد الخلافة الراشدة، إذ شهدت تلك الفترة المباركة حركة فتوحية واسعة غيرت موازين القوى العالمية، واستطاعت أن تكسر شوكة الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، وبوأت المسلمين مقام السيادة، وقد كان لتلك الانتصارات آثارها الإيجابية حين نشرت الإسلام في أقاليم كثيرة، ولكنها أثارت في المقابل حفيظة الأعداء، فراحوا يدبرون المكائد ويحيكون المؤامرات لإيقاف ذلك المد الإسلامي، وهو ما ظهرت بوادره في النصف الثاني من الخلافة الراشدة، فكان من نتائجه انحسار الفتوحات وتوقفها بسبب الفتن الداخلية التي شغل بها المسلمون.

وتأتي هذه الدراسة لترصد حركة الفتح الإسلامي في عهد الخلافة الراشدة، وتبحث عن عوامل توسعها وأسباب انحسارها، وذلك في إطار التفسير السنني للأحداث التاريخية، وقد عنونتها بـ:

« الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي بين الامتداد والانحسار – دراسة سننية –».

ثانيا: إشكالية البحث

لقد حققت الفتوحات الإسلامية نجاحا كبيرا في العهد الراشدي، الذي مثل أفضل العصور في تاريخنا بعد عصر النبوة، إذ تولى الحكم كبار الصحابة المقربين من النبي ﷺ، فمثلوا النخبة القيادية في جميع مجالات الحياة، ولعل أهم ما ميَّز تلك الفترة المباركة حركة الفتح، خاصة في عهد عمر بن الخطاب والفترة الأولى من حكم عثمان بن عفان– رضي الله عنهما–، حيث توسعت الفتوحات لتشمل مناطق شاسعة، ولكن هذه الفتوحات عرفت بعد ذلك ركودا وانحسارا بدءا من النصف الثاني من خلافة عثمان إلى نهاية حكم علي بن أبي طالب– رضي الله عنهما–.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا عرفت تلك الفتوحات امتدادا وتوسعا ثم أعقبها ركود وانحسار؟ وهل كان ذلك حتمية تاريخية أم أن هناك سنن وقوانين حكمتها؟

هذا ما يجعلنا نفكر في عوامل امتداد الفتوحات الإسلامية وأسباب انحسارها، ومعرفة السنن والقوانين التي حكمت كلتا الظاهرتين، لأن معرفة هذه السنن من شأنها أن تستبدل التصور الغربي للأحداث التاريخية على أنها حتميات، بتصور جديد يُفعِّل التصور السنني للتاريخ.

وعليه فإن إشكالية هذا البحث تتمحور حول تتبع حركة الفتح الإسلامي، ومحاولة الكشف عن القوانين والسنن المتحكمة في امتداد الفتوحات وتوسعها ثم انحسارها، وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات منها:

01- هل الامتداد والانحسار شيء طبيعي في ذاته أم له أسباب؟

02- ما السنن المتحكمة في توسع حركة الفتح وامتدادها وتوقفها وانحسارها؟

ثالثا: أهمية الموضوع

تتجلى أهمية الموضوع الذي يتناوله هذا البحث في أن الفتوحات الإسلامية كان لها أثر كبير في انتشار الإسلام وتوسيع رقعته، خاصة في العهد الراشدي باعتباره أنموذجا في تبليغ الدعوة؛ لذا يجدر بنا البحث عن أسباب هذه الفتوحات ومعرفة السنن المتحكمة في توسعها وتوقفها للسير وفقها، خاصة وأن تاريخنا كمسلمين يتميز بكونه انعكاسا صادقا لقدرة الإسلام على صياغة حياة فذة، وقيادتها بأرفع مستوى، لأنه في حقيقته تاريخ عقيدة ونظام حياة وليس تاريخا ـ كما يتصوره البعض ـ لا يزيد عن دول تقوم وأخرى تسقط، أو حروب تقام ومعاهدات تُبرم وتُمضَى؛ إنه قبل كل شيء خبرة عملية ورصيد حضاري، ومشروع للتعامل مع الإنسان، بناء ودفاعا، ومعمل لاختبار قدرة العقائد والرسالات على إمكانية التوسع والتجذر في الزمان والمكان، وتأكيد واقعية الدعوات، ومصداقيتها في الآفاق والأنفس.

ولأن دراسة التاريخ هي محاولة للبحث عن الذات، ووضع اليد على فترات التألق والشهود الحضاري؛ من أجل استعادة الثقة بالنفس، وبيان القدرة الإسلامية على تحقيق التفوق في الصراع الحضاري الراهن، وإمكانية تجديد النتائج ذاتها بمجرد أن تتهيأ لها الأسباب التي شكلتها أول مرة، ولأن التاريخ يحوي الحضارة ولا تحويه؛ ولأنه يتميز بالوحدة لا التشتت، فيجمع المتفرق ليوصلنا إلى المبتغى، فبفقهنا للتاريخ يتكون وعينا التام بما قبله وما بعده، فلا نعود القهقرى، ولا نقفز إلى المجهول، بل نتفاعل وننتج.

ولذلك فإن فترة التألق والفاعلية المؤثرة لدعوة الإسلام تكمن بعد عصر النبوة، في عصر الخلفاء الراشدين لذا يجدر بنا دراستها والاستفادة منها.

رابعا: أهداف البحث

- إن الباحث في حقل التاريخ بحاجة ماسة لمعرفة ما قام به الخلفاء الراشدون من دور بارز في نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، والعوامل التي ساعدتهم على ذلك.

- محاولة الاستفادة من السنن التي سار وفقها الصحابة رضوان الله عليهم وجعلتهم يتفوقون على أعظم امبراطوريتين في ذلك الوقت.

- يهدف هذا البحث إلى محاولة استلهام الخبرة التاريخية النافعة،في فترة النهوض لتكون هي نفسها معالم هادية إلى طريق التمكين؛ فتقتبس فاعليتها من جيل التأسيس والبناء الصحيح والتكوين الدقيق، وتنقله إلى جيل التمكين القوي والاقتداء الصريح، للنهوض بالحضارة الإسلامية من جديد.

- بيان السنن الإلهية في نهوض الأمم وسقوطها، وذلك بالتأكيد عليها من خلال دراستها في الفتوحات الإسلامية.

- تثمين جهد جيل الخلافة الراشدة والاعتراف بفضلهم في انتشار الإسلام وتوسعه عبر الفتوحات الإسلامية.

خامسا: أسباب اختيار الموضوع

أ. الأسباب الموضوعية

- حاجة المسلمين لمثل هذه الموضوعات التي تُسهم في إلقاء الضوء على كيفية تعامل الصحابة رضوان الله عليهم مع مختلف المواقف، واستثمارهم للسنن الإلهية، ومحاولة تطبيقها في عصرنا الحالي من خلال الاستفادة من هذا النموذج الناجح، لأن اكتشاف السنن والتعامل معها عملية ضرورية لنجاح الاستخلاف في الأرض وعمارتها.

- محاولة الإسهام في مجال البحث العلمي بخدمة موضوع معين خاصة الجانب السنني.

ب. الأسباب الذاتية

ـ الرغبة في دراسة سير وتاريخ الخلفاء الراشدين وتحديدا ـ الفتوحات الإسلامية ـ دراسة متأنية واستخراج الفوائد من كتب المغازي والسير والتاريخ الإسلامي وإبرازها ولفت الانتباه إليها.

ـ الرغبة الشخصية في الكشف عن السنن التي تحكمت في انتشار وتوسع حركة الفتح، وكذا السنن التي تحكمت في تراجع وانحسار تلك الحركة.

سادسا: الدراسات السابقة والإضافة العلمية

بعد البحث والاطلاع على المؤلفات والدراسات في حقل الفتوحات الإسلامي؛ فإني لم أقف على رسائل علمية ودراسات أكاديمية سابقة لها علاقة مباشرة بموضوع الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي بين الامتداد والانحسار دراسة سننية؛ إلّا أنني وقفت على بعض الدراسات حول «الخلافة الراشدة، الفتوحات الإسلامية وتوسعها وانكماشها» وهي تعنى بالجانب التاريخي، أي أنها لم تتسم بطرحه بشموليته، ولم تذكره في الإطار السنني كما ترومه دراستي، ومن بين أهم تلك الدراسات أذكر:

01: افتراءات المستشرقين على الخلافة الراشدة والفتوحات من خلال دائرة المعارف الإسلامية ـ عرض، تحليل،ونقد ـ رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، للباحث السيد حسين عبد الباري سليمان، إشراف: د/ علي يونس السبكي، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة، 2009. وملخصها حول الافتراءات التي حاول المستشرقون من خلالها تشويه العهد الراشدي عموما والفتوحات خصوصا، إلا أنها مختصرة لأنه اعتمد فقط على الافتراءات المذكورة في دائرة المعارف، وحاول قدر المستطاع دفع الشبهات حول الفتوحات والتأكيد على أن الفتح عملية دعوية وليست عملية استعمارية وغيرها من الشبهات، ويمكن الاستفادة منها في بعض الردود وبعض الجزئيات.

2: **دور القبائل الحجازية في الفتوحات الإسلامية لبلاد العراق والشام ومصر وأثرها في انتشار الحضارة الإسلامية في القرن الأول الهجري**،أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأداب، فرع التاريخ الإسلامي، كلية الأداب، قسم التاريخ، جامعة أسيوط، 1984م. إعداد الباحث: مُحَمَّد عبد الباسط عبد الهادي مُحَمَّد حسن، إشراف: د/ عصام الدين عبد الرؤوف. تناول فيها الباحث الدور البارز الذي قام به أهل الحجاز في الفتوحات بداية من العهد الراشدي، وانتهى إلى أن جميع القادة الذين ساهموا في الفتح الإسلامي كانوا ينتمون إلى بطون قريش، ومعنى ذلك أن القيادات العليا في ميادين القتال كانت في يد القبائل الحجازية، ويؤكد على أن اعتماد الخلافة على القيادات الحجازية وبالضبط على مضر أكثر من ربيعة، لم يكن تعصبا منهم لهم، إنما بسبب ما نالته من شرف منذ عصر ما قبل الإسلام، وكثرة عددها، وانتشارها في الحجاز وغلبتهم على كثير من المواضع، كما أن رياسة الحرم انتهت إليهم...وغيرها من الدوافع. وعليه فإن هذه

الرسالة اهتمت بدور القبائل الحجازية في الفتح الإسلامي، ويبدو الفرق بينها وبين موضوع دراستي واضحا،إذ كان قصدي رصد حركة الفتح في إطارها السني، دون التركيز على قياداتها وقبائلهم.

03:الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، دراسة موضوعية لتاريخ الدعوة في عصر الراشدين والامويين والعباسيين والعثمانيين، خليفة حسين العسال، مكتبة الايمان، القاهرة، ط1 ،1437 هـ-2016م.

04:منهج الخلفاء الراشدين في إدارة الدولة الإسلامية، عبد الملك ناظم عبد الله، دار السلام، القاهرة، ط1، 2016م.

05:الفتوح الإسلامية كيف غير انتشار الإسلام العالم الذي نعيش فيه، هيو كينيدي، ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، ط1، 1434هـ،2013م.

06: الفتوح الإسلامية عبر العصور، عبد العزيز بن إبراهيم العمري، ط3، دار اشبيليا، الرياض،2011 م.

07:الجهاد في سبيل الله بين الاستمرار والتوقف كما يوضحه القرآن الكريم ، اسماعيل اسماعيل، رسالة ماجستير، اشراف ابراهيم عبد الحميد سلامة و شكري ثقيف الأخضر، جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية، بطنطا، مصر، قسم التفسير وعلوم القران الكريم، 1413هـ، 1992م.

وبناء على ذلك، فإن دراستي اهتمت بما يلي:

1- دراسة الفتوحات الإسلامية التي كانت في عهد الخلفاء الأربعة، دراسة مفصلة تبين مدى انتشار الإسلام بفضل هذا العهد الرشيد.

2- تتبع عوامل وأسباب انتشار الإسلام وانحساره في هذه الفترة تتبعا دقيقا.

3- محاولة فهم حقيقة انتشار الإسلام في فترة وجيزة على أيدي الخلفاء الراشدين، وحقيقة تراجعه وانكماشه في نهاية العهد الراشدي.

4- محاولةالكشف عن السنن الإلهية الفاعلة في سير الفتوحات الإسلامية في طور امتدادها، والسنن الإلهية التي تم إغفالها ما جعل الفتوحات تنحسر لفترة معينة.

سابعا: منهج البحث

أما عن منهج البحث فإن الإطار المنهجي العام له يقتضي بحث وتحليل ما كتبه المؤرخون فيما يتصل بالفتوحات الإسلامية وبخاصة فيما يتعلق بالعهد الراشدي، فكان المنهج العام المتبع هو**المنهج التاريخي** القائم على تجميع الأحداث التاريخية من المصادر والسجلات والمدونات عن الفترة الزمنية محل الدراسة، والعمل على ترتيبها وتصنيفها، ثم عرضها في صورة حقائق موثقة، باستعمال آلية التحليل والنقد،كما اعتمدت **المنهج الوصفي** الذي يعتمد آليتي الاستقراء والاستنباط؛ استقراء الأحداث والمواقف التاريخية، واستنباط السنن الإلهية المتبعة في حركة الفتح توسعا وانحسارا.

ثامنا: منهجية كتابة البحث

اعتمدت تقنيات بحثية موحدة في سائر البحث وتمثلت في:

ـ قسمتُ البحث إلى فصول ومباحث ومطالب وفروع.

ـ وثَّقتُ جميع المعلومات المنقولة بدء بذكر عنوان الكتاب أو المقال، ثم اسم المؤلف، مع ذكر المعلومات الكاملة في أول موضع يذكر فيه المصدر أو المرجع، وهي: الناشر، الطبعة، رقهما، السنة، الصفحة.

ـ عزوت الآيات الواردة في البحث إلى مواطنها في المصحف الشريف، بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

ـ خرَّجتُ الأحاديث من كتب الحديث المتخصصة.

ـ وثَّقتُ المعلومات المنقولة من مصادرها الأصلية، فما نقلته بنصّه؛ جعلته بين علامتي تنصيص «...»، وعزوته لمصدره في الهامش مباشرة، وما نقلته بتصرف، أو بمعناه؛ أشرت إليه في الهامش، مصدّراً بكلمة: " ينظر".

ـ عرَّفتُ بالأعلام عدا بعض المشاهير تعريفاً موجزاً، وكذلك الأماكن.

ـ شرحتُ بعض الألفاظ الحربية، وذلك من المعاجم اللغوية الشهيرة.

ـ رتبتُ فهرس الأعلام والأماكن والمصطلحات وفهرس المصادر والمراجع ترتيبا أبجديا.

تاسعا: أهم المصادر والمراجع

اعتمدت في هذه الدراسة على الكثير من المصادر والمراجع التي تتعلق بالموضوع، سيأتي ذكرها مفصلا في الفهرس المخصص لذلك، ويهمني في هذه المقدمة ذكر ما اعتمدته كثيرا،أذكر أهمها:

القرآن الكريم وكتب السنة النبوية.

1- كتب اللغة: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت: 395هـ)، لسان العرب لابن منظور (ت: 711هـ)، القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ت: 817هـ)،...وغيرها.

2- كتب التاريخ: فتوح الشام للواقدي (ت: 207هـ)،فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (ت: 214هـ). تاريخ الخليفة بن خياط(ت: 240هـ)، أنساب الأشراف، وفتوح البلدان، للبلاذري(ت: 279هـ)، تاريخ الرسل والملوك،للطبري(ت: 310هـ)، الفتوح لابن الأعثم(ت: 314هـ)،مروج الذهب، للمسعودي(ت: 346هـ)، الكامل في التاريخ، لابن الأثير(ت: 630هـ)،تاريخ الإسلام، للذهبي(ت: 748هـ)، البداية والنهاية، لابن كثير(ت: 774هـ)، المقدمة لابن خلدون(ت: 808هـ)...

3-كتب التراجم والسير: الطبقات الكبرى ابن سعد (ت 230هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر(ت463هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير(ت: 630هـ).وفيات الأعيان لابن

خلكان(ت681هـ)،سير أعلام النبلاء للذهبي(ت: 748هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، (ت: 852هـ) ...وغيرها.

4-كتب الفرق: الفرق بين الفرق عبد القادر البغدادي (ت: 429هـ)، الملل والنحل للشهرستاني (ت: 548هـ).

5- التفاسير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري(ت: 310هـ)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت: 671هـ)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت: 774هـ) ... وغيرها.

أما فيما يخص الدراسات الحديثة ـ المراجع ـ فقد تنوعت تبعا لأحداث الدراسة وتنوع مواضيعها، بداية بالكتب التي تناولت موضوع الفتوحات الإسلامية، أما في الجانب السنني ورغم أن البحث في هذا الموضوع يعد مدخلا جديدا؛ إلا أن هناك من تحدث عن السنن وعلاقتها بالجهاد والغزوات، وسيأتي ذكر هذه الدراسات في قائمة المراجع.

عاشرا: خطة البحث

مقدمة: وقد ذكرت فيها العناصر المنهجية وتمثلت في: إشكالية الموضوع، أهمية البحث، أهداف البحث، أسباب اختيار الموضوع، منهج البحث وطريقة كتابته، الدراسات السابقة والإضافة العلمية، أهم المصادر والمراجع، وأخيرا الخطة المتبعة في هذا البحث.

مبحث تمهيدي: وتضمن مفاهيم البحث، وتناولت ذلك في أربعة مباحث؛ الأول: مفهوم الفتوحات، الثاني: المنظومة المصطلحية للفتح، الثالث: مفهوم العهد الراشدي، الرابع: مفهوم الامتداد والانحسار.

الفصل الأول: سنن طلائع الامتداد للفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي، وتضمن ثلاثة مباحث:

الأول: فقه السنن الإلهية في إنفاذ جيش أسامة؛ الثاني: فقه السنن الإلهية في حروب الردة، أما الثالث: فقه السنن الإلهية في طلائع فتوحات العراق والشام.

الفصل الثاني: سنن توسع وامتداد الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وتضمن خمسة مباحث:

الأول: السنن الربانية؛ وعود الله بنصر المؤمنين، والثاني: السنن المتعلقة بالاستقرار الاجتماعي والسياسي، أما الثالث: السنن المتعلقة بالولاة وقادة الجيش والجنود، والرابع: السنن المتعلقة بالإعداد وتجهيز القوة والكفاءة العسكرية، أما الخامس:السنن المتعلقة بالتخطيط والتنظيم الاستراتيجي وفقه المرحلية.

الفصل الثالث: السنن الإلهية في انحسار الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي، وتضمن ثلاثة مباحث:

الأول: السنن الإلهية في التغيير، والثاني: السنن الإلهية في التدافع، أما الثالث: السنن الإلهية في الاختلاف والتفرق.

الخاتمة: وقد ضمَّنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، ثم أردفتها بذكر بعض التوصيات.

وذيلت بحثي بعدة فهارس هي:

1: فهرس الآيات القرآنية.

2: فهرس الأحاديث النبوية.

3: فهرس الأعلام.

4: فهرس الأماكن.

5: فهرس المصطلحات

5: فهرس المصادر والمراجع.

6:فهرس الموضوعات

وأخيرا ... فهذا جهد المقلِّ وهو عرضة للخطأ والصواب، فإن كنت قد وفقت فمن الله عز وجل وحده، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان، وحسبي أني بذلت قصارى جهدي، وعذري أني بشر يخطئ ويصيب.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والحمد لله في البدء والختام، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد خير الأنام.

الفصل التمهيدي:
مفاهيم ومصطلحات البحث

المبحث الأوّل:

مفهوم الفتح

المبحث الثاني:

المنظومة المصطلحية للفتح

المبحث الثالث:

مفهوم العهد الراشدي

المبحث الرابع:

مفهوم الامتداد والانحسار

تمهيد

يتناول الفصل التمهيدي المفاهيم، التي يُعنى بها عنوان البحث، والتي تحتاج إلى شرح من الناحية اللغوية والاصطلاحية حتى يتوضح المعنى المقصود، ممّا يمنع اللبس والغموض. وقد تحريت أن يكون لكل كلمة معناها اللغوي والاصطلاحي؛ لأنّ المعاني الجزئية لها أثر كبير في توجيه المعنى الكلي العام، وبعدها وضعت لِكل مُصطلح مَفهومًا جَامعًا كمركب إضافي.

المبحث الأول: مفهوم الفتوحات في الدلالة اللغوية والاصطلاحية

تمثل التعريفات المفاتيح التي يَلج بها القارئ إلى الموضوع المطروح، فيدرك أهميته، لذلك كانت أول الخطوات في البحث الوقوف عند معاني ودلالات مصطلح الفتوحات الإسلامية، فكان لِزاماً التطرق بداية إلى تعريفها اللغوي والقرآني والاصطلاحي، للخروج بتعريف يحدد دلاله (الفتح) كما تطرحه هذه الدراسة، وهذا التعريف يكون اطارًا مرجعيًا في هذا البحث. وللوصول إلى ذلك فقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين.

المطلب الأول: مفهوم الفتح لغة

المطلب الثاني: مفهوم الفتح اصطلاحا

المطلب الأول: مفهوم الفتح لغة

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس في مادة (ف ت ح) ما يلي:

«الفاء والتاء والحاء، أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق، يقال: فتحت الباب وغيره فتحا. والفتح: الحكم والله تعالى فاتح، أي الحاكم. والفتح النصر والإظفار، وباب فتح أي واسع مفتوح»[1]. ومعنى ذلك أن الأصل في الفتح هو عكس الإغلاق، ويعني النصر.

وقال صاحب لسان العرب: « الفتح نقيض الإغلاق؛ فتحه يفتحه فتحا، وافتتحه وفتحه فانفتح وتفتح. والفتح: افتتاح دار الحرب، وجمعه فتوح، والفتح: النصر»[2].

وجاء في كتاب العين:« والفتح: أن تفتح على من يستقرئك، والفتح أن تحكم بين قوم يختصمون إليك. واستفتحت الله على فلان، أي: سألته النصر عليه نحو ذلك»[3].

وجاء في القاموس المحيط:«فتح:كمنع ضد أغلق كفتح، وافتتح والفتح الماء الجاري والنصر كالفتاحة»[4]. بهذا يعني الفتح كل ما هو نصر والظفر وافتتاح دار الحرب.

الفتح:« توسعة الضيق حسا ومعنى»[5].الفتح: ضد الإغلاق، والنصر، والحكم بين خصمين[6].

الفتح: النصر[7].

نجد أن الفتح يحمل دلالات متنوعة فهو تارة بمعنى التوسع، وتارة أخرى بمعنى الفصل، ويأتي بمعنى النصر كذلك.

فتح بين خصمين . فَتْحاً: قضى، وأيضا بمعنى هداه وأرشده، ويقال فتح على القارئ: لقَّنه ما نسيه فقرأه. . وهيأ له سبل الخير، وفتح الطريق هيَّأه وأَذَنَ بالمرور فيه[8].

([1])**معجم مقاييس اللغة**، لابي الحسن احمد بن فارس بن زكريا، تح:عبد السلام مُحَّد هارون، بيروت، دار الجيل، ط1، 1991، 4/469-470.

([2])**لسان العرب المحيط**، ابن منظور، بيروت، دار الجيل، 4/1044-1045.

([3]) **كتاب العين**، لابي عبد الرحمن الخليل احمد الفراهيدي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط1، 2001،ص ص: 727-728.

([4])**القاموس المحيط**، للفيروز ابادي، دمشق، مكتبة النواري، د.ط.ت، 1/239..

([5])**التوقيف على مهمات التعاريف**، معجم لغوي مصطلحي، مُحَّد عبد الرؤوف المناوي ، تح: مُحَّد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1990، ص:549-550.

([6])**الكليات، معجم في المصطلحات في الفروق اللغوي**، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحُسيني الكفوي، لبنان-بيروت، مؤسسة الرسالة،ط2 1413هـ- 1993م، ص: 693.

([7])**الصحاح في اللغة والعلوم**، **تجديد صحاح** إسماعيل بن حماد الجوهري، لبنان، بيروت، دار الحضارة العربية، ص:221.

([8]) **ينظر**:**المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات واحياء التراث، إشراف شوقي ضيف، مصر،مكتبة الشروق الدولية، ط1425،4هـ، 2004م، ص:701.

هذا أهم ما ذكرته المعاجم والقواميس اللغوية في مادة (ف ت ح)، فهي تدور حول معاني: النصر والظفر، والحكم والتوسع، وكذا وافتتاح دار الحرب، وهي معانٍ متكاملة تؤول إلى معنى النصر كما أصَّله ابن فارس.

وهي معانٍ قريبة من الاستعمال المتداول لمصطلح الفتوحات الإسلامية التي نحن بصدد البحث عن المعنى الحقيقي لها، لذلك لا بد أن نستدعي الاستعمالات الاصطلاحية لهذه اللفظة ونتتبع استعمالاتها وسياقاتها المعرفية، لاستقراء مدلولها، فما هي استعمالات لفظة الفتح ودلالاتها في الحقل الاصطلاحي؟

المطلب الثاني: الفتح في الاستعمال الاصطلاحي

إنَّ الوعي بالمفاهيم يُعد مدخلاً رئيسا لتضييق دائرة الخلاف أو إزالته، إذْ تجد جذور الخلاف عائدة في كثير من الأحوال إلى اختلاف المفاهيم، أو ربما الجهل بحقائق الأمور، وهذا أمر متفق عليه بين الأمم. يقول في هذا الصدد ابن تيمية:« إن كثيرا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة، ومعان مشتبهة»[1].

وبمَا أنّ دراستنا هذه تتمحور حول فترة الخلفاء الراشدين؛ فسنتعرض لتعريف مصطلح الفتح في هذه الفترة بالتحديد ونكشف أهدافهم وغايتهم؛ لأنّ لها علاقة جوهرية بمفهوم الفتح في ذلك العصر، أما بعد عصر الخلفاء فقد يكون لفظ الفتح بقيّ على حاله ولكن الأهداف تغيرت، لهذا جاء هذا التداخل أي هل الفتوحات كانت غزوا أم فتحا !!!.

جاء في القرآن الكريم لفظة الفتح بمعنى النصر مثال ذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[**البقرة:٨٩**]

وجاء في تفسير الطبري في هذه الآية الاستفتاح: الاستنصار يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل مبعثه أي من قبل أن يبعث محمّد ﷺ[2].

أي أنهم كانوا ينتظرون بعثته ويطلبون أن ينصرهم الله به على من عداهم. فارتقبوا أنّ ينتصروا به على من سواهم[3].فالفتح رمزا للنصر والظفر والتفوق على الغير.

---

(1) **مجموع الفتاوى**، تقي الدين ابن تيمية، تح: عبد الرحمن بن مُحَّد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1995م، 114/12.

(2) **ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تفسير الطبري**، أبي جعفر مُحَّد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر الحرستاني، تصحيح: علي عاشور، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط1، د.ت، 472/1.

(3) **ينظر: مجموع الفتاوى**، ابن تيمية،1/ 79 .89.

وقيل: « بمعنى يستنصرون الله ببعثه مُحَمَّد ﷺ، الاستفتاح طلب الفتح»[1]، يستفتحون: يستنصرون به، الاستفتاح الانتصار؛ أي كانوا من قبل يطلبون من الله النصر على أعدائهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان، الذي يجدون صفته عندهم في التوراة وقيل الاستفتاح بمعنى الفتح، أي يخبرونهم بأنه سيبعث ويلزمونهم بذلك[2].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾**[الفتح: ١]**جاءت بمعنى نصرنا، يقول الفراء: «بأنّه كان فتح وفيه قتال مراعاة بالحجارة، فالفتح قد يكون صفحا، ويكون أخذ الشيء عنوة، ويكون قتال، أريد به يوم الحديبية»[3].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٩ ﴾**[الأنفال: ١٩]**

أي يقول الله تعالى للكفار: أي تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين، فقد جاءكم ما سألتم[4]. وعليه الفتح بمعنى النصر.

إذا جاز لنا أن نستعمل لفظ (الفتح) فإنما يتم ذلك بمفهوم واحد هو: إزالة القوة التي تقف أمام أمانة عموم الرسالة التي ورثها المسلمون عن الرسول ﷺ، وكانت في تقديرهم مهمة حياتهم، يهبون لها أرواحهم، ويستشهدن من أجلها.

ويعرف المفكر أنور الجندي الفتح على أنه :«كسر الحواجز المادية التي يحاول أن يقيمها الحكام والأباطرة الأمراء وأصحاب السلطة، في الأقطار التي ينفذ إليها الإسلام رغبة في تحقيق اللقاء بين الإسلام وبين هذه الشعوب المغلوبة على أمرها، الغارقة في الظلم الاجتماعي والوثنية»[5].

وجاء في قول إبراهيم السامرائي في المعنى القرآني للفتح:« الفتح يعني انتشار الإسلام بعد الانتصار في الجهاد والإخلاص في الدعوة إلى الله، هذا معناه في الدنيا، أما في الأخرة فهو النجاة من العذاب ودخول الجنة»[6].

([1])**مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، تح:صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط3، 2002م، ص: مادة " ف.ت.ح".

([2]) **ينظر**:**فتح البيان في مقاصد القرآن**، صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، قطر، دار إحياء التراث الإسلامي، "د.ط" 1410هـ، 1989م، 221/18.

([3])**معاني القرآن**، أبو زكرياء يحي بن زياد الفراء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ،2002م، 64/3.

([4]) **ينظر**: **تفسير القرآن العظيم**، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تح: مصطفى السيد مُحَمَّد وأخرون، الجيزة القاهرة، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط1412،1هـ، 2000م، 43/7.

([5])**الإسلام وحركة التاريخ رؤية جديدة في فلسفة تاريخ الإسلام**، أنور الجندي القاهرة ، دار الكتاب المصري، ط1، 1980م ص:71.

([6]) **في المصطلح الإسلامي**، ابراهيم السامرائي، بيروت- لبنان، دار الحداثة، ط1، 1990م، ص:27.

ويقول أحمد علوش:« ولم يكن الفتح الإسلامي إلا لإفساح الطريق للكلمة، وتحقيق الحرية في الحركة، وتمكين الضعفاء من الاستماع والاختيار»[1].

هذا التعريف يؤكد على مبدأ الحرية الذي جاء به الإسلام وكان تطبيقه في الفتوحات؛ فالفتح هو إعطاء المجال للدعوة إلى الله عز وجل، ومنها لتحرير الناس من عبادة العبادة إلى عبادة رب العباد دون إكراه إنما داخل إطار الحرية الكاملة في الاختيار.

فهي تعني ما قام به المسلمون من جهاد وفتح للبلدان وتمهيدا لدعوة الله وتبليغ دين الإسلام إلى خلق الله وتحطيم قوى الشر التي كانت تمنع المسلمين من ذلك في البلاد المختلفة[2].

فهو دفاع ورد للعدوان الذي يحاول أن يقف في طريق دعوة الله عز وجل.

خلاصة المبحث:

نستطيع القول إنّ مصطلح الفتح يعني فك الإغلاق من الجانبين الحسي والمعنوي؛ ويحتوي على أمرين الأول في الأمور الدنيوية والثاني فتح المستعصي من العلوم، وبذلك تكون الفتوحات الإسلامية هي محاولة لإزاحة كل الجوانب المظلمة سواء الحسية أو المعنوية كالكفر والظلم والاستبداد عن البلاد المفتوحة، ويتحقق بذلك النصر والظفر والتوسع للفاتحين.

فلا يقتصر مفهوم الفتح على الانتصار العسكري فقط، بل يتعداه إلى الانتصار في مختلف الميادين العسكرية والأدبية والأخلاقية؛ وهذا ما يضفي على الفتوحات المعنى الشمولي تتضمن جميع جوانب الحياة.

وعليه، فقد أشارت جل استعمالات كلمة (الفتح) أو(الفتوحات) الواردة في السياق اللغوي والاصطلاحي، إلى معاني متعددة، تتقارب فيما بينها نوعا ما، من حيث الدلالة، فتكاد تجتمع في كونها على أنّها: كل المحاولات التي قام بها المسلمون، في نشر الدين الإسلامي في أرض الله عز وجل وإيصاله إلى النّاس كافة، وإزالة كل الحواجز التي تمنع ذلك فيتحقق النصر.

وفي نهاية هذا المبحث لا بد من الإشارة إلى اللفظة المضافة للفتوحات وهي (الإسلامية)لأنها كانت بقلوب وعقول وسواعد إسلامية.

وبهذا لا نزعم أن تعريف الفتح تم من كل الجوانب، وذلك لأن مصطلح الفتح له علاقة بالكثير من الألفاظ والتي أطلقنا عليها اسم المنظومة المصطلحية للفتح، فما هي الألفاظ التي تدخل ضمن ذلك؟ هذا ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي.

([1]) **نظام الإسلام في الدعوة إلى الله تعالى،** أحمد علوش، مصر القاهرة. مكتبة الإيمان، ط1، 1439هـ، 2017م، ص:98.

([2])**ينظر:الفتوح الإسلامية عبر العصور،** عبد العزيز بن إبراهيم العمري، الرياض،دار اشبيليا، ط3، 2011م ، ص ص:15-16.

المبحث الثاني: المصطلحات ذات الصلة بالفتح

بعدما تطرقنا إلى مفهوم الفتح وعلى اعتبار أنه مصطلح يخص الغزوات التي قام بها المسلمون، وبذلك لا نجد عبر استقراء التاريخ أنّ مُصطلح الفتح استعمل قبل الإسلام.

فجاء هذا المبحث لتّبْيان كل مصطلح وعلاقته أو تداخله مع مصطلح الفتح؛ لأنّ هناك من يعتبر أن الفتح والغزو مصطلحين لهما نفس القصد والغاية، في حين ذهب بعض المؤرخين على عكس ذلك بالتفريق الواضح والحاد بين اللفظين. وهناك من يعتبر أن القتال والفتح لهما نفس المفهوم، وهناك من يعتبر أن الفتح يعني الحرب إلى غير ذلك.

وهذا في أربعة مطالب؛ حيث خُصّص المطلب الأوّل في مفهوم الجهاد اللغوي والاصطلاحي، فتضمن فرعين؛ الفرع الأوّل: الاستعمال اللغوي للجهاد، الفرع الثاني: الاستعمال الاصطلاحي للجهاد.

وخُصّص المطلب الثاني لمفهوم القتال اللغوي والاصطلاحي، فتضمن فرعين؛ الفرع الأوّل: الاستعمال اللغوي للقتال، الفرع الثاني: الاستعمال الاصطلاحي للقتال.

وخُصّص المطلب الثالث لمفهوم الغزو اللغوي والاصطلاحي، فتضمن ثلاثة فروع؛ الفرع الأوّل: الاستعمال اللغوي للغزو، الفرع الثاني: الاستعمال الاصطلاحي للغزو.

وخُصّص المطلب الرابع والأخير لمفهوم الحرب اللغوي والاصطلاحي، فتضمن فرعين؛ الفرع الأوّل: الاستعمال اللغوي للحرب، الفرع الثاني: الاستعمال الاصطلاحي للحرب.

المطلب الأول: مفهوم الجهاد لغة واصطلاحا

لتناول مفهوم الجهاد ينبغي أن نتطرق إلى معناه في كل من الجانب اللغوي والاصطلاحي ويتم ذلك في فرعين:

الفرع الأول: مفهوم الجهاد لغة

جاء في مقاييس اللغة:« جهد: الجيم والهاء والدال أصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه، يقال: جَهَدتُ نفسي، وأَجْهَدتُ، والجُهد الطّاقة، ومما يقارب الباب الجَهَادُ، وهي الأرض الصلبة»(1). بمعنى التعب والارهاق والجهد.

وعرف ابن منظور الجهاد بقوله: «جَهَدَ: الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقة، تقول: اجْهَد جَهْدك، وقيل: الجَهْدُ المشقة والجُهْدُ الطاقة... والجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب، أو اللسان، أو ما أطاق من شيء»(2).

(1) **مقاييس اللغة**، ابن فارس، ص: 227.

(2) **لسان العرب**، ابن منظور ،3/133-135.

جاء الجهد في هذا التعريف بأنه كل ما يبلغ أو يتخطى الحد في الشيء يسمى الجهد.
والجِهَادُ بكسر الجيم مصدر جاهدت العدو مجاهدة وجهاداً، وأصله جيهاد، كقيتال؛ فخُفف بحذف الياء، وهو مشتق من الجَهد بفتح الجيم، وهو التعب والمشقة، لِمَا فيه من ارتكابها، أو من الجُهد بالضم؛ وهو الطاقة؛ لأن كل واحد منهما يبذل طاقته في دفع صاحبه[1].

لذا أطلق الجهاد على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؛ لِما فيها من مشقة وتعب إزاء الكفار والمشركين، فمن الصعب تقبلهم لهذا الدين.

الجهاد: هو الدُّعاء إلى الدِّين الحق[2]. ومن ثمة الدعوة إلى الله عز وجل.

هذا أهم ما ذكرته المعاجم والقواميس اللغوية في مادة (ج. هـ. د)، فهي تدور حول معاني: المشقة، الطاقة، وأيضا الأرض الصلبة، وكذلك استفراغ الطاقة في الأمر، وهي معانٍ متكاملة تؤول إلى معنى ضد الراحة كما أصَّله ابن فارس

الفرع الثاني: مفهوم الجهاد في الاصطلاح

إن مصطلح الجهاد يحمل في طياته هدفًا واحدا وهو اعلاء كلمة الله واحقاق الحق في الكون المنظور، وذلك باتباع ما جاء في الكون المسطور.

فالجهاد لفظ إسلامي لم يعرف في الجاهلية، وهو القتال الخاص بالمسلمين، وجاهدت العدو إذا استفرغت قوتك في دفعه[3].

وجاء معنى الجهاد في الاصطلاح على أنه: « قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله تعالى»[4].

الجهاد في الشرع هو قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى والمعاونة على ذلك؛ كما فسره الرسول ﷺفي الحديث الذي رواه حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيع عن النبي ﷺقال له: «أسلم تسلم، قال: وما الإسلام؟ قال: أن يسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك وبدنك حتى قال الجهاد، قال: وما الجهاد؟ قال: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم»[5].

([1]) **ينظر: ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري،** القسطلاني، بولاق مصر المحمية،المطبعة الكبرى الأميرية، (د،ط) 1304م، 31/5.

([2])**ينظر: معجم التعريفات،** علي بن مُحَّد السيد الشريف الجرجاني، تح: مُحَّد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة، ط1، د.س.ن، ص:72.

([3]) **ينظر: الوجوه والنظائر،** أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، تح: مُحَّد عثمان ، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1328هـ،2007م، ص:165.

([4]) **ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري،** القسطلاني، 31/5.

([5]) **مسند الإمام أحمد بن حنبل،** تح: مُحَّد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2008م، 4-114.

فنجد هذا الحديث يؤكد على أهمية وضرورة الجهاد الذي هو مقاتلة الكفار والعدوان لظلمهم أو لعدم السماح بقول كلمة الحق وانتشارها في أرض الله.

والغالب في إطلاق لفظ الجهاد أن ينصرف إلى قتال الكفار لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله[1]. وذلك لأنّ المعنى العام الذي يُفهم من لفظة الجهاد مقاومة الكفار بكل الوسائل التي من شأنها أن تحقق إعلاء كلمة الله تعالى في إطار مبادئ الحرب في الإسلام وذلك بعدم التعدي، فيكون ردا للظلم والعدوان والتعدي.

كما أن المنافقين داخلون في مفهوم المجاهدة، فهم والكفار يجاهَدون بالقلب واللسان والمال والنفس، إلاّ أنّ جهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللّسان[2].

لانكشاف حال الكفار وتميّزهم، وخفاء حال المنافقين ولبسهم عباءة الإسلام تستّراً؛ ولذلك فقد أخذوا حكم الإسلام ظاهرا، ولا يقاتلون إلا إذا بغوا على المسلمين[3].

والجهاد إذا أطلق لا يقع إلا على مجاهدة الكفار بالسيف، وإنما يقاتل الكفار على الدين ليخرجوا من الكفر إلى الإسلام ، فينبغي للمجاهد أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ابتغاء الثواب لله، فإذا عقد نيته على هذا فلا يضره- إن شاء الله- الخطرات التي تقع على الأرض.

الجهاد هو: « بالاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الايمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان، فهو بذل الوسع -وهو القدرة- في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق»[4].

ويعرفه بعض العلماء بمعناه الأخص والدقيق، وهو القتال لأجل الدعوة إلى الدين الحق؛ إعلاء لكلمة الله عز وجل.

يقول العيني الجهاد شرعا: « هو الدعاء إلى الدين الحق والقتال مع من لا يقبله»[5]. وأيضا هو« قتال مسلم كافر غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله عز وجل»[6].

---

(1) **ينظر:النظم القرآني في آيات الجهاد**، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الحنين ، الرياض، مكتبة التوبة ،ط1، 1416هـ-1996م،ص:21.

(2) **ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد**، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن القيم الجوزية، تح: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، دمشق، مؤسسة الرسالة، ط27، 1994م، 4/3.

(3) **ينظر:المصدر السابق**، ص:21

(4) **المستدرك على مجموع الفتاوى**، أحمد ابن تيمية، جمع وضبط: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط1، 1418هـ، 231/3.

(5) **البناية في شرح الهداية**، أبي محمد محمود بن أحمد العيني، المؤلوى محمد عمر لشهير بناصر الإسلام الرامفوري، لبنان،بيروت، دار الفكر، ط2، 1990،1411هـ، 490/6 .494.

(6)**بلغة السالك لأقرب المسالك على الشرح الصغير للقطب سيد أحمد الدردير**، أحمد الصاومي، ضبط: محمد عبد السلام شاهين، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ، 1995م، 267/2.

يقول وهبة الزحيلي في تعريفه للجهاد:« هو بذل الجهد والكفاح بالوسائل السليمة أولا، ثم عند اقتضاء الأمر للمحافظة على الدعاة وتحصين البلاد يلجأ إلى القتال؛ لتحقيق السعادة الشاملة للبشرية في دنياهم وأخراهم كما ارتضاها الإله الحكيم، وكل جهد يبذل في هذا المضمار فهو في سبيل الله وحده ولإرضائه فقط»[1].

ويرى أنه فرض على المسلمين لنصرة الإسلام بعد وجود مقتضياته من قبل العدو بخلاف الحرب فقد تكون للعدوان ولهذا فضل الإسلام كلمة "الجهاد" عن كلمة" حرب" فالجهاد كلمة إسلامية.

وقد كان الجهاد بالقتال محرمًا في بدء أمر الإسلام، ثم مأذونا به، ثم مأموراً به لمن بدأ المسلمين بالقتال، ثم مأمورا به لجميع المشركين؛ إما فرض عين على أحد القولين، أو فرض كفاية على المشهور[2].

يقول ابن القيم: «والتحقق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد؛ فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع»[3].

وينقسم الجهاد إلى قسمين:

1: جهاد قلبي وهو مجاهدة النفس والشيطان.

2: جهاد الكفار بالقتال لإعلاء كلمة الله تعالى وهو الجهاد الأكبر، أما تزكية النفس والتزود من الطاعات فلا ريب أن جهاد الكفار مقدم عليه[4].

بمعنى أن هناك جهاد قلبي يخص النفس أو الانسان بعينه، وكل انسان مسؤول على نفسه في ذلك بمحاربة الشياطين والذنوب ...الخ. وهناك جهاد خاص بمجاهدة الغير المتمثل في الكفار الذين يقفون في وجه دعوة الله عز وجل.

والجهاد على سبيل مقاتلة العدة يتعين في ثلاثة مواضع:

أولا: إذا التقى الزّحفان وتقابل الصّفّان؛ فإنه يحرم على من حضر الانصراف وتعيّن عليه المقام قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦ ﴾[الأنفال: ١٥ – ١٦]

([1]) **أثار الحرب في الفقه الإسلامي**، وهبة الزحيلي، دمشق، دار مكتبي، ط1، 2000م، ص:23-24.

([2]) **ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن القيم الجوزي ، 71/3.

([3])**المصدر نفسه**،72/3.

([4])**ينظر: (الجهاد في سبيل الله بين الاستمرار والتوقف كما يوضحه القرآن الكريم)** ، اسماعيل اسماعيل، (رسالة ماجستير، اشراف ابراهيم عبد الحميد سلامة و شكري ثقيف الأخضر، مصر، قسم التفسير وعلوم القران الكريم،جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية، بطنطا، 1413هـ، 1992م).ص:4.

ثانيا: إذا نزل الكفار ببلد تعيّن على أهله قتالهم ودفعهم؛ وذلك لعموم قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣ ﴾[التوبة: ١٢٣]

ثالثا: إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ ﴾التوبة: ٣٨

يمكن حصر مشروعية القتال في ثلاثة أسباب:

أولا: رد الظلم ودفع العدوان عن المؤمنين بالتوحيد الخالص لله.

ثانيا: منع الفتنة وافراد الله تعالى وحده بالعبودية لقوله عز وجل: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ ﴾[الأنفال: ٣٩]

ثالثا: نشر الدين في كل مكان يستطيع المسلمون الوصول إليه للدفاع عن الدين ضد من يناوئه.

إنّ الجهاد في الإسلام شرع نشرا للإسلام، ونصرة للحق ودفعا للظلم، وإقرارا للعدل والسلام والأمن، وتمكينا للرحمة التي أرسلت محمد ﷺ بها للعالمين؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور.[1]

«لقد ذهب البعض إلى عرض مفهوم الجهاد في الإسلام عرضا غير منصف، محاولا أن يجعله عملاً حربيا هجوميا عدوانيا، بينما لم يكن الجهاد جهاد حرب أو قتال أو عدوان، بل كان عملا بنّاءً للشخصية الإنسانية أساساً، وللمجتمع وللدفاع عن الإسلام، ونشر لوائه، فهو دعوة خالصة وسيلتها الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى، فإذا فرض العدو المعركة ووقف في طريق الدعوة كانت الحرب هي في مفهومها تقوم على أساس غاية في الرحمة والعدل»[2].

فالجهاد له مصلحة ربانية لأنه قتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ولا يكون إلا عند الضرورة ولأسباب شرعية، منزهة عن المصالح المادية، والأغراض الدنيوية[3].

([1]) **ينظر: (الارهاب والغلو دراسة في المصطلحات والمفاهيم)**،(عبد الرحمن بن معلا اللويحق، السعودية، الرياض، جامعة محمد بن سعود الاسلامية،كلية الشريعة،)، ص:27-28.

([2]) **الإسلام وحركة التاريخ رؤيا جديدة في فلسفة تاريخ الإسلام**، أنور الجندي، لبنان، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1980م،ص:74.

([3]) **(استخدام القوة المفرطة في الحرب دراسة فقهية مقارنة)**، فاتنة إسماعيل الشويكي، (اشراف: ماهر أحمد راتب السوسي، بحث مقدم استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير، كلية الشريعة والقانون، قسم الفقه المقارن، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين،2011م)،ص:16.

ولذا « فإن الجهاد والحرب في الإسلام يعتبران فوق المصالح المادية، فهما من مصالح الدعوة إلى الله عز وجل، ولا تميز فيه لتحقيق مصلحة لأمة دون أمة، أو للنهوض بشعب دون شعب، أو الاستلاء على ثروات الآخرين وأراضيهم»[1].

وخلاصة القول في ذلك أن من قوانين الجهاد الذي جاء به الإسلام أنّ يكون ضد العدوان والفساد، وجاء بمبدأ السلام، فالله سبحانه وتعالى لم يفرضه للعبث في الأرض، ولم يفرضه لإزهاق الأرواح، ولم يفرضه لمنع حرية الناس، بل كانت الغاية الأسمى من فرضه اصلاح الأرض واعمارها وفق مبدأ طاعة الله عز وجل، فنشر الإسلام عن طريق الجهاد يكون إما ردا للظلم أو دفعا للفتنة.

هذا بالنسبة لمفهوم الجهاد، ولأن المنظومة المصطلحية للفتح تحتوي على مصطلحات أخرى، لا بد أن ننتقل إلى البحث عن لفظة أخرى لها علاقة مباشرة بالجهاد والفتح وهي لفظة القتال، فما هو المعنى اللغوي والاصطلاحي للقتال؟

المطلب الثاني: مفهوم القتال لغة واصطلاحا

للوقوف على معنى القتال وحقيقته يحسن بنا أن نُلم بمعناه اللغوي والاصطلاحي، وجاء هذا في فرعين:

الفرع الأول: مفهوم القتال لغة

بالرجوع إلى القواميس والمعاجم اللغوية في مادة (ق ت ل) نجدها تشير في جملتها إلى عدة معاني نذكر منها:

جاء في مقاييس اللغة: أصل مادة (ق ت ل)، يدل على إذلال وإماتة، ويقال: قتله قتلاً، وأقتلت فلانا؛ أي عرضته للقتل[2]. وعليه القتل هو الموت.

القتال من فعل قتل، يقال: قتله أي أماته، وقَاتَلَه قِتَالاً ومُقَاتلَةَ وقيتالا، وقاتله: حاربه ودافعه، والمِقاتلةُ: القتال(الحرب) .والقتل معروف وبابه نَصرُ[3].

جاء في المعجم الوسيط: « قتله قَتْلاً، أماته ويقال: قتل الله فلانًا: دفع شرَّهُ، وقَتَلَ جوعَهُ أو عَطَشهُ: أزال ألمه بطعام أو شراب، وقَتَلَ غَليلَهُ: شفاه.وقَاتَلهُ، مُقَاتلةً، وقِتَالاً: حاربه»[4].

([1])**المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام**، محمود إبراهيم الديك، بيروت، دار الفكر،ط2، 1997م، ص: 13.

([2]) **ينظر**:**مقاييس اللغة**، مادة (ق. ت. ل).

([3]) **ينظر**: **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، ص:1352.**مختار الصحاح**، الرازي، ص:521، وينظر: **لسان العرب**، ابن منظور، 3527/5.

([4])**المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، ص: 745.

يقال المقاتلة: « القتالُ وقد قاتلته قتالاً وقيتالا، وهو من كلام العرب، والمقاتِلة بكسر التاء: القوم الذين يصلحون للقتال، والقتل بالكسر: العَدُّو. قتل: القَتْلُ معروف. وقَتَلَهُ قَتْلاً وتَقْتالاً. وقَتَلَهُ قِتْلَةَ سَوْءٍ. وقتلتُ الشراب: مزجته بالماء، والقِتْلُ: العَدُوُّ»[1]. جاء في هذا التعريف بمعنى أخر وهو العدو.

هذا مجمل ما ذكرته أهم القواميس اللغة العربية ومعاجمها في مادة (ق ت ل) فهي تؤكد على معاني الاذلال والاماتة وزهوق الروح.

الفرع الثاني: مفهوم القتال اصطلاحا

لم تختلف التعريفات الاصطلاحية للقتل عن المعاني اللغوية التي ذكرت آنفا، فهي تدور في مجملها حول ازهاق الروح والاماتة، وهي كالاتي:

ويقول الراغب الأصفهاني: أصل القتل: « إزالة الروح عن الجسد كالموت، والمقاتلة، المحاربة، تحرى القتل»[2].وعليه فمعنى القتل هو ازهاق الروح وإماتتها.

وجاء في التعريفات: « القتل: هو فعل يحصل به زُهُوق الرّوح»[3].

ويعرف القتال في الإسلام على أنه حل مؤقت لردع الظالمين للبشر والمعتدين على قانون الله السماوي المعصوم من الزلل والخطأ، الراعي لمصالح العباد في الحال والمآل، المخلص لهم من عبودية البشر والظلم والاستبداد[4].

والقتال هي كلمة تعبر عن استعداد كل من الفريقين لمواجهة الآخر ومنازلته عسكريا وقد وردت في آيات كثيرة منها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[البقرة: ٢١٦]

وقوله تعالى :﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾[آل عمران: ١٢١][5].

إلا أن الدكتور (عدنان بكيرة) له رأي آخر وهو أن القتل أخذ معنى مخالف لمعناه الحقيقي ففي اللغة العربية يأخذ الفعل الرباعي فاعل معنى تبادل الفعل بين الطرفين مثل ضارب: أي تبادل فعل الضرب، فكيف

([1])**الصحاح، تاج اللغة و صحاح العربية،** أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: مُحَّد مُحَّد تامر ، القاهرة، دار الحديث، 1430هـ،2009م، ص: 215،216.

([2])**معجم مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الاصفهاني، مادة " ق.ت.ل".

([3]) **معجم التعريفات**، الجرجاني، ص:144.

([4]) **القتل والقتال في القرآن الكريم**، شفيق العرج، مجلة البيان، العدد 357، 1441هـ، www.albayan.co.uk

([5]) **ينظر: أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية**، عبد اللطيف عامر، (د،ب)، دار الكتاب الإسلامي، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1986م ص:49.

سيكون معنى قاتل إن كان يعني معنى إزهاق الحياة... هل يعني أن الطرفين يتبادلون معنى ازهاق الحياة لكل منهما؟

وبذلك يؤكد أن القتال لا علاقة له بإزهاق الأرواح إنما هو صراع بين طرفين يبدأ بالرفض القلبي للطرف الآخر، وقد يصل إلى معارك مميتة. ووصل إلى أن المقتول يعني المهزوم أو المغلوب وهذا ما يؤكد معنى الصراع وليس فقط المعنى المتطرف من الصراع ازهاق الأرواح.

ويخلص بذلك إلى معنى القتال اصطلاحا أنه : صراع بين طرفين يأخذ معنى الموت أو إزهاق الحياة بالمعارك العسكرية بأحد معانيه وهو المعنى المتطرف للكلمة... ولكنه يأخذ أيضا معنى الصراع بالكلمة والفكرة والاقتصاد والسياسة والإغاثة وكل أشكال العمل المدني...

والتخطيط والتنظيم والتنسيق ... والله تعالى يحبنا أن نقاتل في سبيله كالبنيان المرصوص **قَالَ تَعَالَى**:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤ ﴾[الصف: ٤] [1]

قبل التطرق لمفهوم الغزو نطرح السؤال التالي: هل امتداد الإسلام في العهد الراشدي شرقا وغربا يعتبر فتحا أو غزوا؟ وهل الشعوب التي توسعت في أراضي غيرها اعتبرت فعلها هذا غزوا أو فتحًا؟ لفك هذا الإشكال يجب تعريف لفظ الغزو للتفريق بينه وبين الفتح، فالأشياء تعرف بأضدادها كما يقال. فما هو مفهوم الغزو؟

المطلب الثالث: مفهوم الغزو لغة واصطلاحا

للوقوف على معنى الغزو وحقيقته يحسن بنا أن نُلم بمعناه اللغوي والاصطلاحي، وسنختصر حتى لا يتشعب الموضوع، إذا الأهم في هذا المطلب هو تبيان الفرق بين الغزو والفتح.

الفرع الأول: مفهوم الغزو لغة

جاء في كتاب القاموس المحيط:« غزاهُ: غزوا أراده وطلبه وقصده كاغتزاهُ والعدو سار على قتالهم وانتهابهم غزوا وغزوانا وغزاوة وهو غاز ج غزىّ كدليّ والغزىُ كغنى اسم جمع وأغزاه حمله عليه كغزاهُ وأمهله وأخر ماله عليه من الدين»[2].

وقال ابن منظور: «السير إلى قتال العدو، وانتهابه في دياره»[3].

وجاء في الصحاح: « **غزا:** غزوت العدو غزوا، والاسم الغزاة، والنسبة إلى الغزو غزويٌ، ورجل غاز والجمع غُزاة وغزى، وغزٍى، وغزًا. وأغزيتُ فلانا، أي جهزته للغزوِ»[4].

---

(1) **عن القتل والقتال في القرآن الكريم**، عدنان بكيرة،08/08/ 2005م، news/ www.zamanalwsl/net/article/40225

(2) **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، 369/4.

(3) **لسان العرب**، ابن منظور، 3253/5.

(4) **الصحاح في اللغة والعلوم**، **تجديد صحاح** الجوهري، 198/2.

الغَزو: « بالفتح وسكون الزاء المعجمية لغة قصد القتال مع العدو»[1].

(وغزاه) يغزوه غزوا أراده وطلبه، وغزا العدو: حاربه في دياره، وغزاه واغزاه بعثه إلى العدو[2].

هذا مجمل ما ذكرته القواميس والمعاجم اللغوية للفظة غزى وهي تدور كلها حول معنى واحد وهو قصد القتال.

الفرع الثاني: مفهوم الغزو اصطلاحا

جاء في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون: هو الجيش القاصد لقتال الكفار الذي كان ﷺ فيه. وأما الجيش الذي لم يكن فيه النبي ﷺ؛ فيُسمى سرية وبعثا هكذا في ترجمة صحيح البخاري[3].

في هذا التعريف ارتبط مفهوم الغزوة بحضور الرسول ﷺ فيها. فجاء بتعريف أخص من هذا وهو:

تعريف الغزوة في الإسلام:« فهي قصد النبي ﷺ الكفار بنفسه أو بجيش من قبله، وقصدهم أعم من أنّ يكون إلى بلادهم أو إلى الأماكن التي حلوها حتى دخل مثل أحد والخندق»[4].

فهنا نشير إلى أن غزوات النبي ﷺ لم تكن تقصد المكان بعينه، إنما قصدها محاربة الكفار وغاية ذلك دعوتهم لله عزو جل، وسبب غزوتهم أنهم أعرضوا عن هذه الدعوة أو وقفوا في طريقها.

وجاء تعريف الغزو في القانون الدولي على أنه: «دخول قوات الدولة المحاربة في إقليم العدو، وهو لا يتضمن إتمام السيطرة على هذا الاقليم»[5].

أمّا تعريف الغزو سياسيا فهو:« عملية دخول منظم إلى أرض تخص جماعة أخرى دون إرادة أهلها، وبهدف الاستيلاء عليها واحتلالها ظلما وعدوانا. وهناك أمثلة عديدة في التاريخ الحديث على الغزو العسكري في الحروب، أما أشهر أمثلة الغزو الاستيطاني فهو الغزو الصهيوني لفلسطين بواسطة الهجرة المنظمة والحماية الامبريالية والعنف والتهجير والاحتلال المسلح»[6].

فالتعريف السياسي للغزو هو دخول منظم لأرض الغير هدفه الاستلاء المادي. وهنا تظهر الشبهة التي أوردها المستشرقون قديما وتثار من آن لأخر حديثا تتلخص في أن الإسلام انتشر بحد السيف لا بالاقتناع، وللرد على هذه الشبهة العالقة بأذهان المستشرقين نقول:

([1]) **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، مُحَّد علي التهانوي، تح: علي دحروج، لبنان، بيروت، مكتبة لبنان، ط1996،1م، 1253/2

([2]) **ينظر: دائرة معارف القرن العشرين**، مُحَّد فريد وجدي، بيروت،دار المعرفة، ط1،د.ت، 68/7. 69.

([3]) **ينظر:موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، مُحَّد علي التهانوي، 1253/2.

([4]) **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترميذي**، مباركفوري، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، 1924م، ص: 321.**ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري**، 313/7.

([5]) **آثار الحرب في الفقه الإسلامي**، وهبة الزحيلي، ص:35.

([6]) **موسوعة السياسة**، عبد الوهاب الكيلاني، لبنان،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ط3، 1995.ص:352.

أولا: الإسلام من حيث أنه اعتقاد بالقلب لم ينتشر بالسيف قَالَ تَعَالَى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ذلك لأن القلب بيد الله وحده يقلبه كيف ما يشاء ولا سلطان عليه من البشر يقول سيد قطب في تفسيره« إنّ قضية العقيدة .كما جاء بها هذا الدين . قضية اقتناع بعد البيان والإدراك، وليست قضية غصب وإجبار»[1].

ويقول ابن كثير في تفسيره﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ۝٢٥٦ ﴾[البقرة: ٢٥٦]. « أي لا تُكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام؛ فإنّه بَيّن واضح جلي، ودلائله وبراهينه لا تحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه»[2].

يقول (سيد قطب):« جاء الإسلام ليكون إعلانا عاما لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد، وذلك بإعلان الوهبة لله وحده وربوبيته للعالمين ولا بد لتحقيق هذا الهدف من أمرين:

أولا: دفع الأذى والفتنة عمن يعتنقون هذا الدين، ويُعلنون تحررهم من حاكمية الإنسان ويرجعون بعبوديتهم لله عز وجل.

ثانيا: تحطيم كل قوة في الأرض تقوم على أساس عبودية البشر للبشر»[3]، إن الذي يعنيه هذا النص« هو إزالة الحواجز المادية المتمثلة في سلطان الطواغيث وفي الأوضاع القاهرة للأفراد، فلا يكون هناك- حينئذ- سلطان في الأرض لغير لله ولا يدين العباد يومئذ لسلطان قاهر؛ إلّا لسلطان الله تعالى»[4].

يؤكد هنا سيد قطب على الغاية الرفيعة التي جاء من آجلها القرآن الكريم وهي رد العدوان والظلم، وابعاد الفساد عن الأرض والبشر، واحقاق العبادة لله عز وجل.

ويكمل سيد قطب فيقول:« فإذا أزيلت هذه الحواجز المادية ترك الناس أفرادا يختارون عقيدتهم أحرارا من كل ضغط، على أنّ لا تتمثل العقيدة المخالفة للإسلام في تجمع له قوة مادية يضغط بها عل الآخرين، ويحول بها دون اهتداء من يرغبون في الهدى.

ولن تنال البشرية الكرامة التي وهبها لها الله عز وجل، ولن يتحرر الإنسان في الأرض إلّا حين يكون الدين كله لله سبحانه وتعالى.

ولهذه الغاية الكبرى تقاتل العصبة المؤمنة»[5].

([1]) **في ضلال القرآن**، سيد قطب، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط3، 1961م، 354/2.

([2]) **عُمدة التفسير مختصر تفسير القرآن العظيم**، الحافظ ابن كثير، تح: أحمد شاكر، مصر، دار الوفاء، المنصورة، ط2، 2005م،313/1.

([3]) **في ضلال القرآن**، سيد قطب، 1508/6 . 1509.

([4]) **المصدر نفسه**، 1508/6 . 1509.

([5]) **المصدر نفسه** ، 1508/9-1509.

في قوله عز وجل:﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾[الأنفال: ٣٩]
فتحرر الانسان مرتبط بعبادة الله والابتعاد عن عبادة العباد والرضوخ لهم.

فمجمل هذه التعريفات ترُد الغزو إلى معنى واحد هو: قتال العَدُو، وإنّ كان في مصطلح المسلمين فهو: قتال الكفار دفاعا عن الإسلام والمسلمين لا ظلمًا وتعدي.

وبعد ما تطرقنا إلى مفهوم الجهاد والقتال والغزو كمنظومة مصطلحية للفتح، فهذه المنظومة لا تكتمل إلاّ بمفهوم الحرب وسياقاته، لذا لا بد لنا أن نعرف ما هو مفهوم الحرب.

المطلب الرابع: مفهوم الحرب لغة واصطلاحا

للوصول إلى معنى مصطلح (الحرب) الذي يُعنى به هذا البحث؛ يجدر بينا بيان مفهومه لغة وقرآناً واصطلاحا؛ لهذا قسمت هذا المطلب إلى فرعين:

الفرع الأول: مفهوم الحرب لغة

يقول ابن منظور:« الحرب بفتح الحاء وسكون الراء هي نقيض (السَّلم) ولفظها مؤنث، وقد تُذَكَّر نادراً»[1].

وجاء في المعجم الوجيز: إن الحرب معروف والحرب مشتقة المعنى من الحرب وقد حرب فهو حريب أي سليب، والتحريب إثارة الحرب، ورجل حرب كأنه آلة في الحرب[2].

وجاء في تاج العروس: « أن الحرب هو الترامي بالسهام، ثم المطاعنة بالرماح، ثم المجالدة بالسيوف، ثم المعانقة، والمصارعة إذا تزاحموا»[3].

وجاء في دائرة المعارف: «حاربه أي قاتله، وتحاربوا واحتربوا :حارب بعضهم بعضا، والحرب: الهلاك»[4].

فالحرب في معاجم اللغة تأتي بمعنى القتال والصراع وهو ضد السّلم.

الفرع الثاني: مفهوم الحرب اصطلاحا

لم تختلف التعريفات الاصطلاحية للحرب عن المعاني اللغوية التي ذُكرت أنفا، فهي تدور في مجملها حول القتال والصراع.

فقد عرف الراغب الأصفهاني الحرب بقوله: «الحرب يعني القتال بين فئتين»[5].

---

(1) **لسان العرب**، ابن منظور، 302/1.

(2) **ينظر**: **المعجم الوجيز**، **مجمع اللغة العربية**، مصر، وزارة التربية والتعليم، 1994م، ص: 142.

(3) **تاج العروس**، الزبيدي، 249/2.

(4) **دائرة معارف القرن العشرين**، محمّد فريد وجدي، لبنان، بيروت، دار المعرفة، ط3، 1996م، 389/3.

(5) **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الاصفهاني، مادة (ق.ت.ل).

وحروب النبي ﷺ تتم عن طريق الغزوات، وهي التي شارك فيها النبي عليه الصلاة والسلام بنفسه، أو السرايا وهي التي بعثها ﷺ دون أن يشارك في القتال فيها.

ونجد أنّ علماء الشريعة لم يستخدموا عند بحثهم لأحكام القتال لفظ الحرب، وإنّما استخدموا لفظًا آخر يتفق والدعوة التي جاء بها الإسلام وهو لفظ (الجهاد) فهو أوسع دلالة وأشمل وأدق في المعنى من لفظ الحرب(1).

وإذا نظرنا إلى القانون الدولي العام فنجده يعرفه على أنّه :« صراع مسلح بين الدول لتحقيق غرض سياسي، أو للدفاع عن المصالح الوطنية»(2).

ويقول الرائد (علي الشهري) تعليقا على التعريف الذي جاء في القانون الدولي:« وما اسهل ادعاء الدول أنها تدافع على مصالحها، وما أسهل أن تختلق لذلك الأسباب الواهية، يحدوها حب السيطرة وبسط النفوذ والاستعلاء، ولذلك قال بعض القانونيين: لا يزال تعريف الحرب مائعا يحوطه الغموض»(3).

وجاءت الحرب في القانون الدولي بمعنى:« نضال بين القوات المسلحة لكل من الفريقين المتنازعين، يرمي كل منهما إلى صيانة حقوقه ومصالحه، في مواجهة الطرف الآخر، ولا تكون إلا بين الدول»(4).

وهي أيضا: صراع عن طريق استخدام القوة بين الدول، بهدف التغلب على بعضها البعض(5).

إجمالا ومن خلال التعريفات الواردة للفظة (الحرب) في السياق اللغوي والاصطلاحي فقد حملت معنى القتال والكفر وهي نقيض السلم وله هدف معين وهو التغلب واكراه الخصم باستخدام القوة المشروعة او غير المشروعة.

فالحرب مطلق القتال، الاختياري منه والإجباري، وهو بديل حتمي عن الجهاد الذي هو دعوة. بعد أن يدرك عدم الجدوى من الدعوة، وهنا يكون القتال فعلاً قاسيا ظاهراً، إلاّ أنه موظف بما ينسجم مع الكون؛ لأننا نستخدمه كما أمرنا الله سبحانه وتعالى للقضاء على الفتنة وعبودية غير الله، وهو باب لا يفتح الإسلام بابه ولا يهيج ناره، إلاّ أنّ يجد واقعا لا مفر منه من أصحاب الكفر والشرك والأهواء والبغي والظلم

---

(1) **ينظر :آداب الحرب في الفقه الإسلامي والقانون الدولي**، الطيار علي بن عبد الرحمن، الرياض، ط1، 1424هـ، ص:56.

(2) **القانون الدولي العام**، عبد العزيز سرحان، ص : 530.

(3) **أخلاق الحرب الإسلامية في ضوء القرآن الكريم**، علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشهري، ملتقى بعنوان: العسكرية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، المصاحب لجائزة الأمير سلطان الدولية الرابعة في حفظ القرآن الكريم للعسكريين، السعودية،1428هـ)، ص:8.

(4) **القانون الدولي المعاصر**، علي صادق أبو هيف، منشأة المعارف، ط12، د.ت، ص: 779.

(5) **ينظر: نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي العام**، ضو مفتاح غمق، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 1426هـ، ص: 62. 63.

والعدوان والافساد في الأرض، فلا بد هنا من الحرب لردع المعتدي وكف الظلم ونصرة المظلوم وإظهار الحق، وهنا تكون الحرب فضيلة ومن أسمى الفضائل.

خلاصة المبحث:

بعد هذه التعريفات الشاملة لكل لفظ لغة واصطلاحا نجد أن:

الجهاد يحمل معنى محاربة الأعداء بالقول أي البرهان، وبالفعل أي القتال، أمّا القتال فيحمل معنى الاذلال والاماتة وزهوق الروح، أمّا الغزو فهو يحمل معنى: قصد القتال، أمّا فيما يخص الحرب: فيحمل معنى القتال.

وإن كان في مصطلح المسلمين فهو:

جاءت لفظة (الجهاد) متعددة المعنى والطرق ومن بينها معنى القتال في سبيل الله. جاءت لفظة القتال بمعنى إماتة الكفار دفاعا عن الإسلام والمسلمين لا ظلما وتعدي. وجاءت لفظة الغزو بمعنى قصد قتال الكفار دفاعا أو ردا لظلم العدو. وجاءت لفظة الحرب بمعنى قتال أعداء الله عز وجل.

وباعتبار أن الاطلاقات القرآنية هي على مستوى اصطلاحي دقيق، نقول أن كل لفظة جهاد، قتال، غزو، حرب . لها معنى معين لأنه لو كانت هذه الاصطلاحات متوافقة من حيث المعنى والدلالة لما أطلقت جميعها وإنما يكتفي بلفظ واحد.

نخلص إلى أنّ لفظة الجهاد التي عبر عنها الإسلام بما يتلاءم مع الدعوة الى الله؛ تحمل دلالات ومعاني متعددة، فتعدد وجوه هذه الكلمة فيه محاربة الأعداء بالقتال والبرهان، هذا يؤكد على تنوع طرق الجهاد ولم يحصره في القتال فقط. وعليه فكل قتال في سبيل الله جهاد، وليس كل جهاد في سبيل الله قتال.

إنّ كلمة الجهاد لا تجد لها ترجمة حقيقة في اللغتين الإنجليزية والفرنسية، الأمر الذي أدى بالكُتاب المنصفين إلى أن يستخدموا الكلمة العربية ذاتها مكتوبة بالحروف اللاتينية. فبالعودة إلى أصل لفظة الجهاد نجده إطلاق قرآني بحت يتميز عن القتال، بتعدد صوره وأنّه في سبيل الله، فلا يمكن أن نطلق لفظة الجهاد على العدوان والتعدي والظلم، في حين يمكن أن يحمل القتال معنى الظلم.

وعليه من خلال القراءة العام لمعنى الجهاد والقتال نخلص إلى أن الجهاد له طرق متعددة؛ ومن بينها القتال ويصبح بذلك هذا الأخير وسيلة من وسائل الجهاد وجزء منه، بمعنى أن القتال في سبيل الله هو جهاد؛ وإذا فقد هذا السبب يفقد مضمونه، إذا ينطلق هدف القتال من طبيعة الإسلام وهدفه العام، وأبرز هدف للقتال تحرير الانسان من عبودية الانسان وتعبيده لله وحده.

ونجد أنّ الجهاد يتضمن الغزوات والحروب ضد الكفار وقتالهم، فالمعيار الذي يحدد مصداقية هذه الألفاظ الثلاثة هو الغاية من ذلك، فإنّ ارتبط بالدفاع عن الإسلام نطلق عليه اسم الجهاد.

ذكرنا في بداية هذا المبحث أن الغاية منه الكشف عن العلاقة بين هذه المصطلحات ومصطلح الفتح، فما هي هذه العلاقة؟

ومنه نستنتج أنه بالعودة إلى المصدر الأصلي للفظ الفتح وهو القرآن الكريم أي أنه إطلاق قرآني بحت. فالقتال والغزو والحرب من وسائل الجهاد في سبيل الله، والفتح هو نتيجة من نتائج الجهاد الإيجابية بمعنى النصر، وهو إمّا فتح العقول أو فتح الأراضي، فالصلح فتح ونصر، وتقبل الإسلام فتح ونصر، والقتال ودخول الأراضي فتح ونصر. وهذا هو هدف الجهاد في سبيل الله.

هذا ما يؤكده طاهر بن عاشور:« يطلق النصر على دخول الغازي بلاد عدوه؛ لأن أرض كل قوم وبلادهم مواقع عنها، فاقتحام الغازي إياها بعد الحرب تشبه إزالة الغلق عن البيت أو الخزانة؛ ولذلك كثر إطلاق الفتح على النصر المقترن بدخول أرض المغلوب أو بلدة، ولم يطلق على انتصار كانت نهايته غنيمة، أو أسر دون اقتحام أرض، فيقال فتح خيبر، وفتح مكة، ولا يقال فتح بدر وفتح أحد»[1].

هذا فيما يخص الفتوحات الإسلامية والمنظومة المتعلقة بمصطلح الفتح، وبما أن عنوان البحث يحمل ألفاظا أخرى، يجدر بنا تعريفها تعريفا دقيقا يتناسب مع مفهوم هذه الدراسة، وجب علينا أن نتطرق إلى مفهوم أخر وهو مركب إضافي يتمثل في ـ العهد الراشدي ـ فما هو المقصود بالعهد؟ وما هو المقصود بالراشدي، وأخيرا ما هو مفهوم العهد الراشدي في هذا المبحث؟.

(1) **تفسير التحرير والتنوير، محمَّد الطاهر بن عاشور**، دار سحنون، تونس" د.ط" "د.ت" 143/25.

المبحث الثالث: مفهوم العهد الراشدي

يتألف هذا المركب الإضافي من مصطلحين: العهد والراشد، ولكل واحد منهما معناه اللغوي والقرآني والاصطلاحي، لهذا يجب تفكيك هذا المركب لفهمه، ثم نعرفه كوحدة متكاملة (العهد الراشدي) وسأتناول ذلك وفق الخطة الآتية:

خُصّص المطلب الأول لمفهوم العهد، وتضمن فرعين؛ الأوّل: مفهوم العهد لغة، الثاني: مفهوم العهد اصطلاحا.

وخُصّص المطلب الثاني لمفهوم الراشد، وتضمن كذلك فرعين؛ الأوّل: مفهوم الرشد لغة والثاني: مفهوم الرشد اصطلاحا

وفي خلاصة المبحث نُعرف المفهوم كمركب إضافي أي : العهد الراشدي.

المطلب الأول: مفهوم العهد لغة واصطلاحا

للوصول إلى معنى مصطلح العهد الذي يعنى به هذا البحث؛ يجدر بنا بيان مفهومه لغة واصطلاحا؛ لهذا قسمت هذا المطلب إلى فرعين:

الفرع الأول: مفهوم العهد لغة

جاء في معجم مقاييس اللغة في معنى عهد: «العين، الهاء، والدال، أصل هذا الباب عندنا دال على معنى واحد قد أومأ إليه الخليل، قال: أصله الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به، ومنه اشتقاق العهد الذي يكتب للولاة من الوصية. والعهد: الموثق، ومن الباب العهد الذي معناه الالتقاء والإلمام»(1).

يطلق العهد على كل من احتفظ بالشيء ورعاه ويدل على الوصية لأن من مدلولاتها الحفاظ عليها.

العهد: « الوصية والتقدم إلى صاحبك بشيء، وقد عهد إليه يعهد عهدا. والعهد: المنزل الذي لا يكاد القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه»(2).

بمعنى الرابط، فإذا ما تعود الانسان على بيت ما أو شيء ما يصعب فراقه، ويكون الحنين والاشتياق له فيعود هذا ما يسمى العهد.

وجاء في لسان العرب العهد:« كل ما عوهد الله عليه وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد. ويقال: عهد إليّ كذا أي أوصاني. وقيل: ولي العهد لأنه ولي الميثاق الذي يؤخذ على من بايع الخليفة، والعهد أيضا: الوفاء، والعهد: الإيمان، والعهد: الزمان وقرية عهيدة أي قديمة أتى عليها عهد طويل»(3).

(1) **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، ، 4/167-168.

(2)**كتاب العين**، الفراهيدي، ص:691.

(3)**لسان العرب**، ابن منظور، 4/914-915.

في هذا التعريف أعطى ابن منظور مصطلحا آخر للعهد وهو الزمان، وهذا ما يتلاءم مع الدراسة التي نحن بصدد البحث عنها حيث ترتبط بفترة أو بزمان الخلفاء الراشدين ﷺ.

وعرفه كذلك بقوله:« العهد كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد ن المواثيق، فهو عهدٌ، والعهد: الوصية، والأمر ... والعهد : الوفاء، والأمان، والمحافظة، والرعاية»[1]

العهد: «الوصية والتقدم إلى المرء في الشيء والموثق واليمين وقد عاهده، والذي يُكتب للولاة من عهد إليه أوصاه الحفاظ ورعاية الحرمة والأمان والذمة والالتقاء والمعرفة»[2]. بمعنى كل ما له علاقة بالحفظ والأمانة هو مرتبط بالعهد.

ومنه فإن لفظة العهد تدور حول المعاني التالية وهي: الميثاق والوصية والحفاظ على الشيء، والزمان؛ فهي معاني متقاربة تدل على الكمال والوفاء والالتزام بالأمر الموكل إليك.

الفرع الثاني: مفهوم العهد اصطلاحا

العهد: « تحفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال، وسمي الموثقُ الذي يلزم مراعاته عهدا»[3]. قال سبحانه وتعالى:﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤ ﴾[الإسراء: ٣٤].

قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾[البقرة: ١٢٤]

وجاء في تعريف الجرجاني لمصطلح العهد على أنه الحفاظ على الشيء وهو الأصل[4].والعهد هو « الزمن المقدر لوجود الشيء من مبدئه إلى منتهاه»[5].

فالعهد يعني السير بمقتضى الحفاظ على الأمر المعهود به، وهو يعني الفترة الزمنية التي حافظت على الأمانة، وقد استعملنا هذا المصطلح بدلا عن العصر لما يحمله من معاني سامية حملتها هذه الفترة.

المطلب الثاني: مفهوم الرشد لغة واصطلاحا

في هذا المطلب سنتطرق لمفهوم الراشد، في المعنى اللغوي والاصطلاحي، وتبيان بعد ذلك سبب تسمية عهد الخلفاء بالعهد الراشدي من خلال المفهوم اللغوي والقرآني والاصطلاحي وذلك في فرعين:

(1)**لسان العرب**، ابن منظور، 311/3، 313.

(2) **القاموس المحيط**، الفيروز الابادي، 320/1.

(3)**مفردات ألفاظ القران**، الراغب الأصفهاني، ص:592. وينظر: **التعريفات**، الجرجاني، ص: 159.

(4)**التعريفات**، الجرجاني، ص: 159.

(5)(**اختيار الخلفاء في العهد الراشدي . دراسة تحليلية نقدية للروايات التاريخية .**)، علي غنام، (أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الطور الثالث (ل.م.د)، تخصص: اللغة العربية والحضارة الإسلامية، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة . 1 ، 2019م)، ص: 35.

الفرع الأول: مفهوم الرشد في اللغة

يقول ابن فارس في تعريفه للفظة الرشد: رشد: الراء والشين والدال أصل واحد يدل على استقامة الطريق، فالمراشد: مقاصد الطرق[1].

جاء في الصحاح: « الرشاد: خلاف الغيَ، وقد رشد يرشد رُشدًا ورشيد بالكسر يرشد رَشَدًا لغة فيه وأرشده الله»[2].

« ورشد يرشدُ رشدًا وهو نقيض الضلال. والرشدةُ: نقيض الغيةُ، وتقول: ولد لرَشدة ولم يهد الى رشدة. ورشد فلان إذا اصاب وجه الامر والطريق. والإرشاد: الدلالة والهداية»[3].بمعنى الطريق المستقيم.

رشد:« في أسماء الله تعالى الرشيد: هو الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم. وأرشده الله. ورشده هداه، والإرشاد الهداية، والمراشد المقاصد»[4].

رشد: كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا اهتدى كاسترشد واسترشد طلبه وأرشده الله والرُشد الاستقامة على طريق الحق. والرشيد في صفات الله تعالى الهادي إلى سواء الصراط[5].

من خلال المعاني اللغوية نجد أن لفظة الرشد تعني: الاستقامة والهداية والطريق الصحيح، وهي ضد الغى والضلال.

الفرع الثاني: مفهوم الرشد اصطلاحا

جاء في مفردات ألفاظ القران: « الرُشد: خلاف الغيَ يستعمل استعمال الهداية،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة: ١٨٦].

وقال بعضهم الرَشد أخص من الرُشد، فان الرُشد يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والرَّشد يقال في الأمور الأخروية لا غير، والراشد والرشيد، يقال فيهما جميعا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ ﴾[الحجرات: ٧][6].

وجاء الرشد بمعنى كل وصف لقول أو فعل يحقق للإنسان العزة والكرامة والفاعلية، والقدرة على النظر العقلي إلى جانب القدرة على ضبط العواطف، فهو ذو بعد قيمي روحي؛ فالرشد اسم فاعل يدل على

([1]) **معجم مقاييس اللغة** ، ابن فارس، 398/2.

([2]) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ابي اسماعيل بن حماد الجوهري، تح: اميل بديع يعقوب، ومحمد نبيل طريفي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1999، 57/2.

([3]) **كتاب العين**، الفراهيدي ص: 350.

([4])**لسان العرب**، ابن منظور ، 487/1.

([5])**القاموس المحيط**، لفيروز ابادي، 294/1.

([6])**مفردات ألفاظ القران**، الراغب الاصفهاني، ص:354-355.

رجحان العقل والاهتداء إلى الصواب في الحكم على الأشياء، ومنه سن الرشد؛ أي بلوغ مرحلة النضوج العقلي والنفسي[1].

وقد أطلق اسم الخلفاء الراشدون في التاريخ الإسلامي على أربعة خلفاء تولوا قيادة الدولة الإسلامية من بعد وفاة رسول الله ﷺمباشرة وهم: أبو بكر الصديق[2]. 13هـ/634م، عمر بن الخطاب[3]. 23هـ/643م، وعثمان بن عفان[4]. 35هـ/655م، وعلي بن أبي طالب[5]. 40هـ/661م رضي الله عنهم.

(1) ينظر: **الرشد السياسي وأسسه المعيارية من الحكم الراشد إلى الحوكمة الرشيدة، بحث في جدلية القيم والمؤسسات والسياسات**، لؤي صافي، الشبكة العربية للأبحاث ، بيروت، ط1، 2015م، ص: 15 .16.

(2) **أبو بكر الصديق**: هو عبد الله بن أبي قحافة بن عامر بن كعب التيمي القرشي، ولد بمكة، كان عالما بأنساب القبائل، أول من أمن برسول الله ﷺ من الرجال، شهد الحروب معه وتعرض للأذى في سبيل نشر دعوة الله عز وجل ومساندة رسوله ﷺ، ولقبه بالصديق، وهو أول خليفة لرسول الله ﷺ، وكان ذلك سنة 11هـ، وتوفي سنة 13. **ينظر: سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م13/7، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تح: علي محمد عوض، عادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، 310/3،309، **والاستيعاب في معرفة الأصحاب**، عبد الله ابن عبد البر القرطبي النمري، صححه: عادل مرشد، دار الأعلام، الأردن،ط1، 2002ص: 373.

(3) **عمر بن الخطاب**: هو بن نفيل القرشي العدوي، كان من أشراف قريش،أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وهو أحد العمرين الذين كان رسول الله ﷺ يدعو ربه أن يعز بأحدهما، لقبه رسول الله ﷺ بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء بعد الصديق رضي الله عنه سنة 13هـ، واضع التاريخ الهجري، أول من دون الدواوين، فتح الشام والعراق، **ينظر: أسد الغابة** ، ابن الأثير ، 137/4، **ينظر: الطبقات الكبرى**، ابن سعد أبو عبد الله الهاشمي، تح: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م، 3/ 201 .257، **ينظر: سير أعلام النبلاء**، الذهبي، 71 .119، **ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر أبو الفضل العسقلاني، تح: عادل أحمد، علي محمد عوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1995م،484/4 .486.

(4) **عثمان بن عفان** بن أبي العاص بن أمية، كان يدعى في الجاهلية أبا عمرو، ولما ولد له عبد الله اكتنى أبا عبد الله، ولد بمكة وأسلم بعد البعثة، جهز نصف جيش العسرة، ثالث الخلفاء الراشدين سنة 23هـ، من أعماله في خلافته: أتم جمع القرآن، أول من زاد في المسجد الحرام ومسجد الرسولﷺ، قدم الخطبة في العيد على الصلاة. فيما يخص الفتوحات تم فتح أرمينية خرسان وافريقية إضافة إلى الفتوحات البحرية، **ينظر: أنساب الاشراف، البلاذري**، تح: احسان عباس، بيروت، دار فرانتس شتاينز بقيسبادن، 1979م، 481/1. **ينظر: الطبقات**، ابن سعد، 39/3 .50، **سير أعلام النبلاء**، الذهبي،154، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ابن عبد البر، 1054/3. **أسد الغابة**، ابن الأثير،578/3.

(5) **علي بن أبي طالب** بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ابن عم النبيﷺ، الناس إسلاما من الصبيان ، وأحد العشرة المبشرّين، شهد المشاهد كلها مع النبيﷺ بدر وأحد والخندق إلا تبوك، فكان له شأن عظيم، قال فيه رسول الله ﷺ: « أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بابه» أخرجه الترميذي، السنن، (كتاب المناقب)، 3723. 5/ 596. وقال فيه رسول اللهﷺ :« أقضى أمتي عليا» استخلف أمير المؤمنين سنة 35هـ، قتله عبد الرحمن بن ملجم سنة 40 هـ **ينظر: أسد الغابة**، ابن الأثير، 87/4 .113.

وتعتبر دولتهم امتداد لدولة رسول ﷺوهم من المهاجرين الأوائل، يذهب البعض إلى أن أصل تسميتهم بالراشدين مأخوذ مما عرف عنهم من الهداية والاستقامة، وقد اختيروا من بين العشرة المبشرين بالجنة الذين كانوا بمثابة حكومة الرسول ﷺ[1].

يرى الكواكبي أن العهد الراشدي تمثل في أن الخلفاء الأربعة فهموا معنى ومغزى القرآن. بما في ذلك السياق السني. وعملوا به فهذا الطراز السامي من الرياسة هو الطراز النبوي المحمدي لم يخلفه فيه حقا غير أبي بكر وعمر ﵄ ثم اخذ بالتناقص، منذ مقتل عثمان ﵁، وصارت الأمة تطلبه وتبكيه إلى الآن، وسيستمر بكاؤها إلى يوم الدين إذا لم تنتبه لاستعواضه بطراز شوري؛ ذلك الطراز الذي اهتدت إليه بعض أمم الغرب؛ تلك الأمم التي لربما صح أن نقول: قد استفادت من الإسلام أكثر مما استفاده المسلمون[2].

أما (مالك بن نبي) فيعتبر أن العهد الراشدي هو بقاء الخلافة على منهاج النبوة؛ حيث سيادة وسلطة الروح على العقل والغرائز بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى موقعة الصفين[3].

إذا وبعد التطرق إلى مصطلح الرشد لغة واصطلاحا يتبين لنا أن هذه اللفظة تحمل دلالة الاستقامة على الطريق الصحيح، وهو مخالف لكل ما هو بعيد عن الهداية والصلاح والصواب، وإذا ربطنا هذا المفهوم بالمصطلح المتداول للقب الخلفاء الأربعة ﵃، بمعنى. الخلفاء الراشدون. فهذا راجع إلى أن الفترة التي جاءت بعد وفاة الرسول ﷺ، اتسمت بالإيمان بالله والعمل الصالح، وبالوعي والهداية بصفة عامة، لهذا أطلق عليه العهد الراشدي.

خلاصة المبحث:

وخلاصة القول في هذا المبحث والمتمثل في لفظتين هما: العهد والراشدي، ومن خلال بحثنا في القواميس اللغوية والاصطلاحية لكل لفظة وجدنا أن:

العهد هو كل ماله علاقة بالميثاق والوصية والحفاظ، والزمان؛ وهي معاني تفضي إلى الالتزام، ولها معنى أخر وهو الذي نحن بصدد البحث عنه في هذه الدراسة وهو الزمان بمعنى فترة ما، هذا من الناحية اللغوية،أما بالنسبة للاصطلاح فهو السير بمقتضى الحفاظ على الأمر الموكل إليه. هذا بالنسبة للفظة العهد، أما بشأن

([1]) **ينظر:موسوعة التاريخ الإسلامي**، أحمد شاكر، 561/1. 566، وينظر: **القاموس الإسلامي**، عطية الله، 471/2، وينظر: **مُعجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مصطفى عبد الكريم الخطيب، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1992م، ص: 202.

([2]) **ينظر:طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، عبد الرحمن الكواكبي، مصر، كلمات عربية ، ط1(د،ت)، ص:26.

([3]) **ينظر: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، مالك بن نبي، تقديم: عمر مسقاوي ، بيروت، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط1، 1988م، ص: 41.

الراشدي فوجدنا أنها: في اللغة تحمل معنى الاستقامة والهداية والطريق الصحيح، وفي المعنى القرآني تعني: الهداية، الصواب، التوفيق، العقل، إصلاح المال. وفي المعنى الاصطلاحي نجدها تعني: خلاف الغيَ يستعمل استعمال الهداية.

أما المصطلح كمركب إضافي(العهد الراشدي) نجده بهذا المعنى وهو:

الفترة الزمنية التي جاءت عقب وفاة رسول الله ﷺ، وكانت هذه الفترة حولي ثلاثين سنة، حكم خلالها أربعة خلفاء وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، على منهج رسول الله ﷺ، في كل جوانب الحياة فكانت الاستقامة على طريق الحق والتمسك به في تدبير الأمور الدنيوية والدينية، فقد تميز هذا العهد بالهداية والتوفيق والإصلاح، وعليه فقد ارتبط هذا اللفظ بتلك الفترة دون سواها لما حملته من ميثاق ورعاية للرسالة والدعوة الإسلامية.

إذا وبعد الوصول إلى المفهوم الذي نحن بصدد البحث عنه في مصطلح . العهد الراشدي . بقي لنا مفهوماً آخراً يتعلق بمصطلحات البحث وهو مفهوم الامتداد والانحسار، وعليه ما هو مفهوم الامتداد لغة واصطلاحا؟ وما هو مفهوم الانحسار لغة واصطلاحا؟ وما علاقة كل لفظة بالفتوحات الإسلامية؟

المبحث الرابع: مفهوم الامتداد والانحسار

سنتطرق في هذا المبحث إلى تبيان مفهوم الامتداد في المعنى اللغوي والاصطلاحي؛ لربطه بمدى توسع الفتوحات الإسلامية، وكذا مفهوم الانحسار، ليتوضح لنّا ما معنى أن الفتوحات توقفت عن مدّها؛ وبذلك نفهم الأسباب والعوامل، لهذا قسمت هذا المبحث إلى مطلبين:

خُصص المطلب الأوّل لمفهوم الامتداد لغة واصطلاحا، وتضمن فرعين؛ الأوّل: مفهوم الامتداد لغة، والثاني: مفهوم الامتداد اصطلاحا

وخُصّص المطلب الثاني لمفهوم الانحسار، وتضمن فرعين أيضا؛ الأوّل: مفهوم الانحسار لغة، والثاني: مفهوم الانحسار اصطلاحا.

المطلب الأول: مفهوم الامتداد لغة واصطلاحا

ليتضح معنى مصطلح الامتداد ينبغي تناوله في اللغة أولا، ثم في الاصطلاح.

الفرع الأول: مفهوم الامتداد لغة

يقول ابن فارس في بيان أصل ومعنى مد: « الميم والدال أصل واحد يدل على جر شيء في طول، واتصال شيء بشيء في استطالة، تقول مددّت الشيء أمدهُ مدا، ومدَ النهر ومده نهر أخر، أي زاد فيه وواصله فأطال مُدته»(1). كل زيادة في الشيء يطلق عليها المد والامتداد.

مد: المد الجذب والمد كثرة الماء أيام المدود، ومد النهر وامتد الحبل. والمددُ: ما أمددت به قوما في الحرب وغيره من الطعام والأعوان، والامتداد في الطول، وامتد بهم السير أي طال، وسبحان الله مداد كلماته من المدّ لا من المداد الذي يكتب به، ولكن معناه على قدر كثرتها وعددها(2).

جاء في لِسان العرب: « المدُ: الجذب والمطل، مدَه يمده مدا ومَد به فامتد ومدده فتمدد، وتمددناه بيننا: مددناه، وفلان يماد فلانا أي يماطله ويجاذبه، ويقال: مددت الأرض مدا إذ زدت فيها ترابا ليكون أعمر لها وأكثر ريعا لزرعها. والشيء إذا مد الشيء فكان زيادة فيه، فهو يمده. وامتد بهم السير: طال ومدَ في السير: أي مضى»(3).

المد:« السيل وارتفاع النهار والاستمداد من الدواة وكثرة الماء والبسط، وطموح البصر إلي الشيء، والإمهال كالإمداد والجذب»(4).

---

(1) **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، 269/5.

(2) **ينظر**: **كتاب العين**، أحمد خليل الفراهيدي، ص: 900-901.

(3) **لسان العرب**، ابن منظور، 452/3-453.

(4) **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، 336/1.

هذا أهم ما ذكرته المعاجم والقواميس اللغوية في أصل مادة " مد" ومنه فان المفهوم اللغوي للمد ارتبط بمعنى واحد وهو التوسع والكثرة، والزيادة.

الفرع الثاني: مفهوم الامتداد اصطلاحا

أصل المد إتباع بعض الشيء بعضا، ومنه مددت الجيش ومد الحبل ومدة الشيء وأمده الجرح، كأنه اتبع فسادا بفساد، ومنه مادة الشيء، وهو ما يتشعب منه[1].

مد: أصل المد: « الجر ومنه المدة للوقت الممتد، ومد النهر، وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه».[2] لقوله تعالى:﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[الطور: ٢٢] وقال تعالى:﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[نوح: ١٢]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٢٥]

وفي المكروه، قال تعالى:﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ ﴾[مريم: ٧٩]، وكذلك قوله تعالى:﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[البقرة: ١٥].

نخلص إلى أن الامتداد في المعنى الاصطلاحي تتبع الشيء بعضه البعض أي تواصله، هو التشعب والطول كطول المدة، بمعنى التوسع.

وقد اخترنا هذا المصطلح ليعبر عن توسع الفتوحات وانتشارها، ووجدنا أنا الامتداد المصطلح المناسب لظاهرة الفتوحات حيث كان توسعها متتابع لبعضه البعض أي أنه ممتد.

المطلب الثاني: مفهوم الانحسار لغة واصطلاحا

سنتناول فيه تعريف الانحسار من الجانب اللغوي والقرآني والاصطلاحي، ليتبين المقصود منه في البحث وجاء في ثلاثة فروع:

الفرع الأول: المفهوم الانحسار لغة

ورد عند ابن فارس: « حسر: (الحاء والسين و الراء)، أصل واحد وهو من كشف الشيء، يقال: حسرت عن الذراع أي كشفته، ومن باب الحسرة التلهف على الشيء الفائت، ويقال: حسرت عليه حسرا وحسرة، ذلك انكشاف أمره في جزعه وقلة صبره وحسر البصر إذا كلَ، وهو حسير وذلك انكشاف حالة في قلة بصره وضعفه»[3].

([1]) **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، مقاتل بن سلمان البلخي، ص: 442.

([2]) **مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، ص:763.

([3]) **ينظر: معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، 62/2.

الحسر: « كشطك الشيء عن الشيء، وانحسر الشيء إذا طاوع. والحسر والحسور: الاعياء تقول: حسرت الدابة وحسرها بعد السير فهي حسير. ويقال: حسر البحر عن القرار وعن الساحل إذا نضب عنه الماء، ولا يقال: انحسر»[1]. بمعنى توقف عنه الماء.

والحَسرُ والحَسَرُ والحسور: الإعياء والتعب.

جاء في لسان العرب قوله: «وفي الحديث: الحسير لا يعقر، أي لا يجوز للغازي اذا حسرت دابته واعيت أن يعقرها، مخافة أن يأخذها العدو ولكن يسبها»[2]. فالانحسار هنا بمعنى الاعياء والتعب.

حسر:« يحسُرُهُ ويحسره حسرا كشفه، والشيء حُسورا انكشف، والبصر يحسر حسورا كلَّ وانقطع من طول مدى وهو حسير ومحسور»[3].

ومن خلال التعريفات اللغوية نجد أن معنى الحسر كله يدور حول، مفهوم: الكشف والإعياء والتراجع.

الفرع الثاني: مفهوم الانحسار اصطلاحا

حسر: «كشف الملبس عما عليه، والحاسر: المعيا لانكشاف قواه، ويقال: للمعيا حاسر ومحسور، أما الحاسر فتصوروا انه قد حسر بنفسه قواه. والحسرة: الغم على ما فاته والندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه أو انحسر قواه من غم، أو أدركه إعياء من تدارك ما فرط منه»[4].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ ﴾[آل عمران: ١٥٦].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ﴾[الحاقة: ٥٠]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ ﴾[يس: ٣٠]

وعليه نخلص إلى أنّ لفظ الحسر يعني الانكشاف والإعياء والانقطاع.

([1]) **كتاب العين**، الفراهيدي، ص188-189.

([2]) **لسان العرب**، ابن منظور، 632/1-633.

([3]) **القاموس المحيط**، الفيروز ابادي،8/2.

([4]) **مفردات ألفاظ القران**، الراغب الأصفهاني، ص:235.

خلاصة المبحث:

وخلاصة القول في هذا المبحث والمتمثل في لفظتين هما: (الامتداد والانحسار)، ومن خلال بحثنا في القاموس اللغوي والمصطلحي لكل لفظة وجدنا أن:

المعنى اللغوي للامتداد هو التوسع والكثرة، وفي القرآن الكريم يعني التعمير والبسط والدوام، وفي الاصطلاح تعني تتبع الشيء بعضه بعضا.

ونجد عند ربط لفظة الامتداد بالفتوحات الإسلامية أنها تدل على عمارة الأرض؛ فالله عز وجل خلق الأنسان ليعمر ويستخلف في الأرض، وكانت رمزا للعطاء وبسط الخير في المعمورة، لذا جاء مصطلح الامتداد مناسبا لهذه المرحلة من الفتوحات الإسلامية أي التوسع فيها بما فيه خير وصلاح للكون المنظور، هذا فيما يخص امتداد الفتوحات في بداية العهد الراشدي.

أما تراجع الفتوحات فقد عبرنا عنه بمصطلح الانحسار، وهو لغة يعني؛ التراجع، وفي المعنى القرآني تمثل في: الحسرة والندم والانقطاع، أمّا اصطلاحا يعني: الانكشاف والاعياء.

وفي بحثنا هذا أردنا بهذا المصطلح تراجع وانقطاع الفتوحات الإسلامية وفتورها على عهد الخلافة الراشدة، والتوقف عن السير فيها. سواء أكان ذلك بسبب داخلي أو خارجي، لما في ذلك من حسرة وندم؛ وهذه المعاني كلها نجدها في مصطلح الانحسار.

الدراسة السننية:

لابد لنا بداية التعريف بالمنظور السني ولعل أهم من عرف ذلك هو الدكتور (طيب برغوث) حيث يقول: «إن السنن تعني الأنظمة والنواميس والقوانين الثابتة، التي أودعها الله تعالى في كل مفردة كونية لكي تؤدي وظيفتها الذاتية والكونية بانتظام، وليس هناك مفردة كونية لا تخضع لنظام سنني ذاتي وكوني. فالكون كله محكوم ومنظوم بشبكة من العلاقات السننية المترابطة، التي يخدم بعضها بعضا بشكل مطرد لا يتغير ولا يتبدل كما جاء بيان ذلك في مواطن عديدة في القرآن الكريم مثل قَالَ تَعَالَى:﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾[فاطر: ٤٣] »[1].

وعليه فإننا نقصد بالدراسة السننية استنباط القواعد أو المبادئ أو الأسس، أو القوانين التي تحكم حركة الفتوحات في امتدادها وانحسارها، والبحث عن تجليات هذه الرؤية السننية فيها، وعليه فالهدف من هذه الدراسة محاولة تتبع وتحليل وتفسير وقائع الفتوحات الإسلامية من المنظور السنني واستنباط العوامل من خلال رؤية سننية كلية متكاملة لرصد عوامل التوسع وكذا الكشف عن الأسباب التي حدت من انتشارها او توقفها لفترة معينة.

([1]) **(مقدمة في المنظور السنني لدراسة السيرة النبوية)**، طيب برغوث، (المؤتمر العالمي الأول للباحثين في السيرة النبوية في موضوع جهود الأمة في خدمة السيرة النبوية)، ص:861.

الفصل الأول

سنن طلائع الامتداد للفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي

المبحث الأول:

فقه السنن الإلهية في إنفاذ جيش أسامة

المبحث الثاني:

فقه السنن الإلهية في حروب الردة

المبحث الثالث:

فقه السنن الإلهية في طلائع الفتوحات بالعراق والشام

تمهيد

من المسلَّم به أن النظم التي تسير بموجبها الأمم صعودًا وهبوطاً، قوةً وضعفًا، حضارةً وتخلفًا، وجودًا وذهابًا، ليست لعبًا ولهوًا، ولا عبثًا وصدفًا، إنها تمضي بنظامٍ يمكن التعرف عليه، والاستفادة منه وتسخيره، وهذا النظام يتمثل في السنن الإلهية، وهي مجموعة القوانين التي يسير وفقها الكون، والتي يستفيد منها الكائن الإنساني بما يؤهله، فيسخرها ويستفيد منها.

لهذا نجد في سيرة رسول الله ﷺالتطبيق العملي لسنن الله وتوجيهاته الربانية، فكان يوظفها، ويحسن التعامل معها في الدعوة والتبليغ والتدافع بين الحق والباطل، ومواقفه في الحرب والسلم والتربية والقيادة، وفي تعامله مع المسلم وغير المسلم دليل على خبرته وفقهه بسنن الله تعالى بكل أنواعها، فكانت سيرته عليه الصلاة السلام النموذج الذي يحتذى به في الأخذ والعمل بالسنن الإلهية، ومِنْ ثَمَّ كان الخلفاء الراشدون أول من سلك هذه الطريق في الاهتداء بسنن الله وهداياته الكونية والتشريعية والدعوية، تصورًا وسلوكًا وتبليغًا، بمعنى التطبيق العملي للسنن الإلهية.

وفي دراستنا هذه نسعى إلى تتبع التطبيق العملي للسنن الإلهية في عهد الخلفاء الراشدين، فيما يخص الفتوحات الإسلامية؛ لأن القرآن الكريم بيَّن للناس أن مشيئة الله تعالى في خلقه إنما تنفذ على سُنَنٍ حكيمة وطرائق قويمة، فمَنْ سار على سننه في الحرب ظفر بمشيئة الله وإن كان كافرًا، ومن تنكبها خسر ولو كان مؤمنًا، فهل كان للخلفاء تصورٌ واضح، وفقهٌ واسع، وتطبيقٌ عملي لهذا الفقه في نشر الدعوة والجهاد في سبيل الله؟ وإن كان هذا بالفعل فما هي أهم هذه السنن؟ وكيف كانت نتائجها واستثمارها في الفتح الإسلامي؟

قبل التطرق إلى الجواب عن هذه التساؤلات لابد من الإشارة إلى المصادر التي استنبط منها الخلفاء الراشدون السنن الإلهية، فقد كان الجيل الرائد القائد الذي نشر الدين، وفتح البلاد، وهدى العباد إلى الله تعالى، على وعيٍ لافتٍ للنظر، ويقظةٍ مثيرةٍ للانتباه بهذه السنن الثابتة، يقول الأستاذ الإمام **محمد عبده**: «وإنني لا أشك في أن الصحابة ﷺ كانوا مهتدين بهذه السنن، وعالمين بمراد الله من ذكرها، يعني أنهم بما لهم من معرفةٍ بأحوال القبائل العربية، والشعوب القريبة منهم، ومن التجارب والأخبار في الحرب وغيرها، وبما مُنِحوا من الذكاء والحذق وقوة الاستنباط، كانوا يفهمون المراد من سنن الله ـ تعالى ـ ويهتدون بها في حروبهم وفتوحاتهم وسياستهم للأمم التي استولوا عليها، وما كانوا عليه من العلم والتجربة والعمل أنفع من العلم النظري المحض»[1]، فمن أهم الأسباب التي جعلت الخلفاء الراشدين – ﷺ – يفهمون الوعي السنني:

([1])**تفسير القرآن الحكيم**، تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، مصر، القاهرة، دار المنار، ط2، 1322هـ – 1947م،4/139.

أولًا: اتباعهم لسنة النبي ﷺ ووراثتهم اللغة العربية:

تعتبر وراثة الصحابة - رضي الله عنهم - للغة القرآن وطاعتهم للنبي ﷺ عاملًا من عوامل إدراكهم لسنن الله عز وجل، يقول **مُحَّد عبده**: « إن علماء الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين وأئمة الامصار الذين ورثوا لغة القرآن بالسليقة ولغة النبي ﷺ وبيانه بالاتباع كانوا يفهمون هذه السنن الإلهية في الخلق ويهتدون بها، وإن لم يصنعوا لها قواعد علمية وقتية لتفقيه مَنْ بعدهم فيها، ثم زالت سليقة اللغة من علماء المولدين فصاروا يفسرون القرآن بقواعد الفنون التي وضعوها للغة وللدين بقدر معارفهم الممزوجة بما ورثوا وما اكتسبوا من الشعوب التي اهتدت بالإسلام، ولم يكن علم الاجتماع مما دوَّنه أحد؛ فلهذا لا نرى في تفاسيرهم شيئًا من هذه السنن الخاصة بسياسة الأمم، بل تنكبوا هداية القرآن فيها، فكانت عاقبة أمرهم ما تشكو منه، وتحاول تلافيه »[1].

ففي هذا النص تأكيد على أن اللغة العربية لها دور كبير في فهم القرآن الكريم، واستنباط السنن بالشكل الصحيح، ولأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا على درايةٍ وفقهٍ باللغة العربية، فكان من السهل عليهم فهم واستخراج السنن، وما يرسخ ذلك تتبعهم للنبي عليه الصلاة والسلام والاهتداء والامتثال لأوامره، ولما تخلوا عن اللغة العربية فقدت الكثير من المواضيع مضامينها ومفاهيمها المستنبطة من القرآن الكريم.

ثانيًا: علمهم بأحوال الناس وطبائعهم وأخلاقهم:

إن من أهم الأسباب التي جعلت الصحابة - رضي الله عنهم - يدركون ويتفقهون في علم السنن الإلهية تطبيقًا عمليًّا لا نظريًّا، معرفتهم بحال الناس وأنسابهم واستعداداتهم وأخلاقهم، وليوضح مدى علم الصحابة - رضي الله عنهم - في الأخلاق وعلم الاجتماع ذكر قصة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حينما قال للمرأة التي صرحت لزوجها بأنها لا تحبه: « إذا كانت إحداكن لا تحب الرجل منا فلا تخبره بذلك، فإن أقل البيوت ما يُبنَى على المحبة، وإنما الناس يتعاشرون بالحسب والإسلام »[2].

فهذه الكلمة لا تخرج بالبداهة هكذا إلا من فمٍ حكيم قد انطوى في نفسه علم الأخلاق وعلم الاجتماع ووقف مع ذلك على أحوال الناس، واختبرهم أتم الاختبار[3]، وهكذا ندرك أن علم الصحابة - رضي الله عنهم - خاصةً الخلفاء الراشدون بأحوال الناس، أو ما يُعرَف بعلم الاجتماع من طبائع وأخلاق، ساعدهم على فهم طبيعة السنن الإلهية، وكيفية التعامل معها، واستثمارها في حياتهم العملية.

ثالثًا: عِلْم الصحابة - رضي الله عنهم - بالبلاد وأحوالها:

يرى (**مُحَّد عبده**) أن من أسباب إدراك الصحابة - رضي الله عنهم - للسنن، ومعرفة كيفية استثمارها، العلم بأحوال البلدان تاريخيًّا وجغرافيًّا، يقول: « كان الصحابة - رضي الله عنهم - أعلم أهل زمانهم بالتاريخ،

([1])**تفسير القرآن الحكيم**، تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، 1993م: 37/4.

([2])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، تح: مُحَّد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ط2، 1969م، 4 / 214

([3])**ينظر**:**تفسير القران الحكيم**، تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، 41/4، 42.

وما يسمى الآن بتقويم البلدان وبالجغرافيا، ولذلك أقدموا على الفتوح ومحاربة الأمم فانتصروا عليهم بالعلم لا بالجهل، فلو كانوا يجهلون مسالك بلادهم وطرقها ومواقع المياه، وما يصلح للقتال فيها لهلكوا، وكان الجهل أول أسباب هلاكهم، ومن قرأ ما حُفِظَ من خطبهم وكتبهم التي كانوا يتراسلون بها ومحاوراتهم في تدبير الأعمال يظهر له ذلك بأجلى بيان»[1].

ومِنْ ثَمَّ ينبه الإمام على ضرورة علم التاريخ لمعرفة الفساد في الأخلاق والعقائد والعادات، وبالتالي معرفة كيفية توجيه الدعوة إليهم، وأيضًا علم تقويم البلدان لمعرفة الطرق والمسالك، وهذا ما ساعد الخلفاء الراشدين – رضوان الله عليهم – على التفقه في السنن الإلهية.

رابعًا: عِلْم الصحابة – ﷺ –بأحوال النفوس:

يرى (**مُحَّد عبده**) أن علم النفس كان سببًا من أسباب وعي الصحابة – ﷺ –بالسنن الإلهية، وقد كان الصحابة – رضوان الله عليهم – على حظٍّ عظيم من هذا العلم، فإنهم بسلامة فطرتهم، وذكاء قريحتهم، وبما هداهم القرآن بآياته، والرسول ببيانه وسيرته كانوا على بصيرةٍ مستنيرة ووعي كبير، وإن لم يتدارسوه بطريقةٍ صناعية، فقد كان علمهم به كعلم الواضعين له من الحكماء أو أرسخ، كما يدل عليه ما يُؤثَر عنهم من الحكم، وما نجحوا به في الدعوة، وظهر في مواطن الحجة، يقول مُحَّد عبده: «ولا تظنوا أن الصحابة – ﷺ – لم يكن عندهم شيء من هذا العلم، إذ لم يكونوا يتدارسونه في الكتب، ويتلقونه عن المعلمين، فإنكم إذا قرأتم التاريخ وعرفتم كيف كانوا يتجالدون في الحرب، ويتجادلون في مواقع الخطب بمجرد الفطرة التي بعدنا عنها أمكنكم أن تعرفوا مكانهم منه»[2].

فالإمام (**مُحَّد عبده**)يشير هنا إلى ضرورة الرجوع إلى سيرة الخلفاء وقراءة خُطَبِهم، ليتبين لنا فقههم للسنن وعملهم بها، ومنه يمكننا القول إن الخلفاء الراشدين كانوا على علمٍ تامٍّ بالسنن الإلهية، كيف لا وهم الجيل الذي أسس بنيانه النبي عليه الصلاة والسلام، خيرُ مَنْ وظَّفَ السنن وتعامل معها، فكان من بين أهم الأسباب التي أعانتهم على فهمها اتباعهم لسنة النبي ﷺوعلمهم بلغة القرآن،مما ساعدهم على فهم معانيه بصورةٍ دقيقة، ومعرفة أحوال الناس، وادراكهم للتاريخ وتقويم البلدان، إضافةً إلى علم النفس ... وغيرها.

لذا وبعد التأكيد على أن الخلفاء الراشدين على درايةٍ واضحة وعلمٍ واسع بالسنن الإلهية، يظهر هنا أنه بقدر إحراز أية أمة لفهمٍ أكبر لتسخير (السنن الاجتماعية)، والاستفادة منها، وتطبيقٍ أدق لها تتبوأ مكانتها على الأرض[3]، فقد كان الصحابة – رضوان الله عليهم – طبقًا للتوجيهات القرآنية والإرشادات النبوية على

(1)**تفسير القرآن الكريم**، تفسير المنار، 40/4.

(2)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 41/4.

(3)**ينظر: على مشارف القرن الخامس عشر الهجري، دراسة للسنن والمسلم المعاصر**، لإبراهيم بن علي الوزير، القاهرة،دار الشروق، ط4، 1409 هـ – 1989م، ص: 7، 8 .

معرفةٍ واسعة بسنن الله تعالى في الحياة الإنسانية، والانتفاع بها في حياتهم وفتوحاتهم، وقد كانت معرفتهم بسنن الله والتزامهم بها من أهم أسباب نجاحهم في حياتهم، وما أكرمهم الله به من الرخاء المادي، والسعادة النفسية، والترابط الاجتماعي، والانتصارات العسكرية، ونشر دين الله عز وجل في الأرض، ولو أنهم تنكبوا سنن الله في الحياة، وخالفوها، لما تحقق لهم كلُّ ذلك التقدير والسعادة والرخاء في مدةٍ قصيرة[1].

إن الصحابة – رضوان الله عليهم – قد تمثلوا منهاج رسول الله ﷺفي التدبر السنني، فانعكس ذلك على حياتهم وفتوحاتهم ودعوتهم، فكان ذلك أهم أسباب نجاحهم، وما أكرمهم الله به من نصرٍ وتمكينٍ واستخلافٍ في الأرض... والذي ميَّز هذه المرحلة هو الاهتداء العملي والتأسي برسول الله ﷺفي التدبر السنني والتطبيق العملي لهذه السنن في واقع الحياة[2]، بمعنى أن أيَّ انتصارٍ وتمكينٍ في الأرض، يكون نتيجةً لتحقيق وتسخير السنن والعمل بها، وهذا ما أردنا تبيانه من خلال دراسة السنن التي تحققت في عهد الخلفاء الراشدين، ومدى فقههم لهذه السنن، والعمل بها على أرض الواقع؛ كي لا تكون حجةً للذين لا يسعون لمعرفة هذه السنن وتطبيقها، فهناك خيرُ مثالٍ يمكن الاقتداء به في هذا، وهم صحابة رسول الله، الذين حققوا المنهج الإسلامي تمامًا، وهو ما سنتطرق له في هذا الفصل، بمعنى تتبع سنن طلائع امتداد الفتوحات الإسلامية، والذي نجده متحققًا في خلافة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –، وعليه سنحاول رصد كل ما يتعلق بفترة حكمه، وتحديدًا في الفتوحات الإسلامية،بمعنىمعرفة مدى فهم وعمل وفقه أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – للسنن الإلهية، ودورها في التأسيس الفتوحات الإسلامية.

([1])**ينظر: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك**،لشريف الخطيب، الأردن، مكتبة دار الرشد، الدار العثمانية، ط 1، 2004م، ص: 2.

([2])**ينظر: تدبر السنن الإلهية عند السلف الصالح**، لأبي اليسر رشيد كهوس، المغرب، دار الكتاب المغربي، ط1، 2015م، ص: 34، 35 .

المبحث الأول:

فقه السنن الإلهية في إنفاذ جيش أسامة

سنتناول في هذا المبحث ثلاثة مطالب، الأول بعنوان: الثقة في نصر الله، والثاني تحت عنوان: الالتزام الكامل بالأوامر النبوية، أما الثالث فجاء بعنوان: إظهار القوة.

المطلب الأول: الثقة في نصر الله

إن اعتقاد المسلم بأن الله تعالى هو القائم على أمر هذا الكون بكل ما فيه، يعني أنه ليس من شيءٍ إلا بإذنه ومشيئته، ويدخل في ذلك أيضًا النصر والهزيمة في القتال، وهذا هو مقتضى الإيمان باسم الله القيوم الذي يعني الدينونة له بقيوميته على أمر الكون جميعًا، فهو المدبر لكلّ شيء، ولا يجري شيءٌ إلا بمشيئته، ولابد من أن يكون هذا الاعتقاد يقينًا راسخًا في نفوس المقاتلين يستحضرونه في كلِّ لحظةٍ مع وجوب التوكل وضرورة الأخذ بالأسباب.

وعليه فإن النصر لا يكون إلا من عند الله تعالى وبإذنه، وهو ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾[آل عمران: ١٢٦]، وحتى يتنزل نصر الله تعالى لابد له من حيثيات، منها الإيمان الصادق بالله تعالى، فقد تعهد الله تعالى بنصر المؤمنين،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[الصف: ١٣]، ومع الإيمان بالله، لابد من العمل على إنفاذ شرعه الله تعالى والعمل به، وهذا معنى قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الروم: ٤٧]، فالانتصار له تعالى يكون بنصرة دينه، وإعزازه، وإقامة شرائعه؛ لتكون كلمة الله هي العليا،وهي النافذة لا غيرها(1)، وعلى هذا الأساس فإن الله عز وجل نسب إلى نفسه الفعل (رمى)، فقال سبحانه وتعالى:﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنفال: ١٧ - ١٨].

ومن المبشرات في القرآن الكريم معية الله للمؤمنين، ووعده بإنجائهم، ونصرهم، والدفاع عنهم، فمن كان مع الله فمَنْ عليه، لذا فالإيمانمن أعظم أسباب النصر، وهو وراء اجتلاب العون والتمكين، من الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾[محمد: ٧]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الروم: ٤٧]

---

(1) **(أخلاقيات الحرب ومبادؤها في القرآن والتوراة)**،(يسرى حازم صالح، دراسة مقارنة، عمان، الأردن، دار غيداء، ط1، 1436هـ - 2015م)، ص: 112، 113.

وهذا ما تحقق في إنفاذ جيش أسامة[1]، فلولا قوة الإيمان بالله عز وجل في قلب الخليفة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - والثقة في نصره لما أمر بإنفاذه، قال تعالى:﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[الأنفال: ١٩]، حيث إن أول ما أمر به الصديق - رضي الله عنه - بعد توليه الخلافة إنفاذ جيش أسامة فقال: « ليتم بعث جيش أسامة، ألا لا يبقين بالمدينة أحدٌ من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف»[2]، وقال الناس لأبي بكر- رضي الله عنه -:«إن هؤلاء - يعنون جيش أسامة-جند المسلمين، والعرب على ما ترى قد انفضت بك فلا ينبغي أن تفرق جماعة المسلمين عنك»[3]، وفي روايةٍ أخرى قال الصحابة - رضي الله عنهم - من المهاجرين والأنصار:«أمسِكْ أسامة وبَعْثَه فإنا نخشى أن تميل علينا العرب إذا سمعوا بوفاة رسول الله،فلما خرج الجيش إلى معسكرهم بالجرف وتكاملوا، أرسل أسامة عمر بن الخطاب إلى أبي بكر رضي الله عنهما يستأذنه أن يرجع بالناس، وقال: إن معي وجوه الناس وجلتهم، ولا آمن على خليفة رسول الله وحرم رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون، وقال من مع أسامة من الأنصار لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إن أبا بكر خليفة رسول الله، ألا فامضِ فأبلغه عنا، واطلب إليه أن يولي أمرنا أقدم سِنًّا من أسامة»[4]، فرد أبو بكر أنه لا يرد قضاءً قضى به رسول الله عليه الصلاة والسلام[5]، حتى وإن تطلب الأمر أن يواجههم بنفسه ولو واجهته كلُّ الصعاب، فقد ترجم بفعله هذا موقفه من التوحيد الذي هو المبدأ الأساسي في الرؤية الإسلامية الكونية، فهو الإجابة الكونية الفطرية السوية للبعد الروحي للإنسان في فهم الكون والحياة.

ويتبين من هذا الموقف أن في تصميم أبي بكر - رضي الله عنه - على إنفاذ جيش أسامة دليل على إيمانه الراسخ، وإنه لَمُصمِّمٌ على أن يحمل - حتى الموت-الالتزامات كافة، التي يفرضها هذا الإيمان، وهو على يقين أن الإيمان يحمل معه بصيرته التي تهدي إلى الحق والصواب، وفي موقف أسامة بالذات تجلى صدق هذا

([1])**أسامة بن زيد بن حارثة** بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن كلب بن وبرة الكلبي، أمه أم أيمن حاضنة رسول الله، وهو مولى رسول الله من أبويه، وكان يسمى حِبَّ رسول الله، وقال رسول الله عنه: " إن أسامة بن زيد لأحبُّ الناس إليَّ، أو من أحب الناس إليَّ، وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم، فاستوصوا به خيرًا "، أخرجه أحمد: 96/2، وقد استعمله رسول الله، وهو ابن ثماني عشرة سنة، توفي سنة أربع وخمسين، ينظر: أسد الغابة، لابن الأثير: 195/1 - 196.

([2])**تاريخ الرسل والملوك**،الطبري، 223/3.

([3])**المصدر نفسه**، 225/3.

([4])**الكامل في التاريخ**،لابن الأثير، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، لبنان، بيروت، دار الكتب، العلمية، ط1، 1987م، 199/2، 200.

([5])**تاريخ الرسل والملوك**،الطبري ،225/3

.

اليقين(1)، ولا يخفى على صاحب رسول الله أن الله سبحانه وتعالى أوجب على نفسه نصر المؤمنين، وجعله لهم حقًّا، وأكده لهم في هذه الصيغة الجازمة، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧].

ويرى مُحَّد عبده ـ رحمه الله ـ أن القرآن الكريم يعلم الصحابة – ﷺ – السنن والقوانين الربانية التي لا تتغير ولا تتبدل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[آل عمران: ١٣٩]، أي: إن كنتم مؤمنين بصدق وعد الله بنَصْر مَنْ ينصره، وجَعْل العاقبة للمتقين المتبعين لسننه في نظام الاجتماع، بحيث صار هذا الإيمان وصفًا ثابتًا لكم، حاكمًا في ضمائركم وأعمالكم، فأنتم الأعلون وإن أصابكم ما أصابكم، وإن كان الأمر كذلك فلا تهنوا ولا تحزنوا فإن ما أصابكم يعدكم للتقوى فتستحقون تلك العاقبة، وهي علو السيادة عليهم.

وقيل:﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾متعلق بالنهي، وجملة﴿ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾حال معترضة، أي: فلا تضعفوا ولا تحزنوا إن كنتم مؤمنين؛ لأن من مقتضى الإيمان والصبر والثبات والرغبة في إحدى الحسنيين ـ الظفر أو الشهادة على أن مجموع الأمة موعود بالحسنيين معًا، وإنما يطلب إحداهما الأفراد(2).

وعليه فإن العامل الأول والأعظم في الحث على إنفاذ جيش أسامة، هو ذلك الإيمان العميق بالله، والثقة في نصره، فكان مصدر النصر الحقيقي، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج: ٤٠ – ٤١].

ويؤكد هذا **سيد قطب** بقوله:«وما حدث قطُّ في تاريخ البشرية أن استقامت جماعة على هدًى إلا منحها الله القوة والمنعة والسيادة في نهاية المطاف، بعد إعدادها لحمل هذه الأمانة، أمانة الخلافة في الأرض وتصريف الحياة، وإن الكثيرين ليشفقون من أتباع شريعة الله، والسير على هداه، يشفقون من عداوة أعداء الله ومكرهم، ويشفقون من تألب الخصوم عليهم، ويشفقون من المضايقات الاقتصادية وغير الاقتصادية، وإن هي إلا أوهام كأوهام قريش يوم قالت لرسول الله – ﷺ –:إن نتبع الهدى معك نُتخطَّف من أرضنا، فلما اتبعت هدى الله سيطرت على مشارق الغرب ومغاربها في ربع قرن أو أقل من الزمان»(3).

---

(1)**ينظر:خلفاء الرسول**ﷺلخالد مُحَّد خالد، القاهرة، دار المقطم، ط 1، 1424هـ – 2003م، ص:54-55.

(2)**ينظر: تفسير القران الحكيم**، تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا: 145/4.

(3)**في ظلال القرآن**،لسيد قطب، القاهرة، دار الشروق، ط 32، 1407هـ – 2003م، ص: 1704/4.

لذا يمكن القول إن نصر الله مرتبط بمدى طاعة المسلمين له، ومدى تحقق الإيمان ورسوخه في قلوبهم، ولهذا حرص أبو بكر – ﷺ – على نصرة دين الله بكل ما يملك من عزمٍ وإصرار، وتحققت في عهده سنة الله في نصرته لمن ينصره؛ لأن الله ضمن لمن استقام على شرعه أن ينصره على أعدائه بعزته وقوته، فنصر الله مشروط بنصر المؤمنين لله في نفوسهم؛ وإذا جاء النصر، واستمر أهله على إيمانهم بعد تحقيق النصر حماهم الله من الزيغ والانحراف والترف، ومكَّنَ لهم في الأرض(1).

وبالفعل حين استمروا في إيمانهم أيدهم الله في أصعب الأوقات، وهذا ما نجده في جيش أسامة، فحيث ما يكون الإيمان يتحقق النصر بإذن الله تعالى، وهذه سنة من سننه لا يطرأ عليها تبديل ولا تغيير، فإيمان الصديق – ﷺ – كان وراء إنفاذه لجيش أسامة، فقد كان هذا الفعل بحاجةٍ لأقوى إيمانٍ يمكن أن يصل إليه الإنسان، فالإيمان يمنح صاحبه الشجاعة والحزم والقوة لفعل ما يراه صائبًا حتى ولو خالفه أهل الدنيا كلهم، والإيمان بالله قوة دافعة دافقة تجمع جوانب الكينونة البشرية كلها، وتتجه بها إلى جهةٍ واحدة، وتطلقها تستمد من قوة الله وتعمل لتحقيق مشيئته في خلافة الأرض وعمارتها وفي دفع الفساد والفتنة عنها.

وخلاصة القول:

أن سنة الثقة في نصر الله عز وجل ثبتت في هذا الموقف العظيم، حيث تأكد أن بين الصِّديق وبين الله عهدًا وموثقًا يتمثلان في إيمانه الراسخ الصامد، فنصرهم الله وأيدهم، وحقَّقَ التمكين في ذلك على أيديهم، فقوة العقيدة التي كان يحملها الجيل الراشد مكنتهم من المخاطرة بأرواحهم، فانتصار المسلمين انتصار لعقيدتهم التي حملوها في صدورهم فتمثلوها في أفعالهم قادةً وجنودًا.

المطلب الثاني: الالتزام الكامل بالأوامر النبوية

إن الإيمان بالله عز وجل يلزم الإيمان برسوله ونبيه محمدﷺوالإيمان بالنبي يتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره ألبتة(2)

لقوله عليه الصلاة والسلام:«**ذاق طعم الإيمان مَنْ رَضِيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا**»(3)، ومِنْ ثَمَّة فقد أعلن أبو بكر الصديق – ﷺ – عن طاعته وتنفيذه لأوامر النبي ﷺ في

---

(1) **ينظر:التاريخ الإسلامي**، مفاهيم حول الحكم، لمحمود شاكر، لبنان، بيروت، المكتب الإسلامي، ط4، 1421هـ - 2000م: 159/9.

(2) **ينظر:معلمة السنن الإلهية في القرآن الكريم**، مجموعة من الباحثين، إعداد: رشيد كهوس، مقالة بعنوان: سنة الله في الرخاء، الأمين قريوار،مصر، القاهرة ، دار الكلمة، د،ط، 1437هـ - 2016م، ص: 228.

(3) **أخرجه مسلم** ،كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا، فهو مؤمن حتى وان ارتكب الكبائر، رقم الحديث(34)، 39/1.

أول خطبةٍ له بعد بيعته فقال:«أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم»[1]، أي أن المصدر الوحيد الملزم للطاعة هو كتاب الله وسنه رسوله، وتمثل في إنفاذه لجيش أسامة كما تركه النبي ﷺوفي الوقت الذي أراده عليه الصلاة والسلام، وبالقائد الذي عيَّنه، وبنفس الخطة التي رسمها، رغم بروز تيار يضم الأكثرية من كبار الصحابة – ﷺ – طالب بإيقاف إرسال جيش أسامة، أو تغيير القائد على الأقل، وإن كان لا بد من التنفيذ فليبق القادة الكبار ويعاد تشكيل الجيش، يقول تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١ ﴾[الأنفال: ١].

إن في طاعة الله ورسوله لتحقيقًا لسنةٍ من سنن النصر، فطاعة الله عز وجل، والسير على هدى النبيﷺمرهون بالتوفيق من الله، وتمكينه لعباده المؤمنين الطائعين، لذلك رفض الصديق – ﷺ – كلَّ مطالب هذا التيار الذي يريد وَقْفَ إنفاذ الجيش، وجاء في تصريحهم تحذيرهم بصعوبة الموقف فقالوا:« أمسك أسامة وبَعْثَه فإنا نخشى أن تميل علينا العربُ إذا سمعوا بوفاة رسول الله »[2]، وفي روايةٍ أخرى: «إن العرب قد انتقضت عليك، وإنك لا تصنع بتفريق الناس عنك شيئًا »[3]، فرد الصديق – ﷺ –:«هل منكم أحد يريد أن يقول شيئًا، قالوا: لا، قد سمعت مقالتنا، قال: والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السباع تأكلني بالمدينة لأنفذت هذا البعث، ولا بدأت بأول منه، ورسول الله –ﷺينزل عليه الوحي من السماء يقول: أنفذوا جيش أسامة»[4].

إنها الثقة في اختيارات رسول اللهﷺثم قمة ما يمكن الوصول إليه من طاعة لأمره، وفي إصرار أبي بكر – ﷺ – على إنفاذ جيش أسامة حكمة بالغة هي شدة امتثاله لأمر رسول الله، ودليل على بُعْدِ نظره وسَعَة أفقه؛ وإلا كان موقفه التردد والخوف في خوض هذه التجربة، خاصة أنها جاءت في وقتٍ مضطرب عقب وفاة رسول اللهﷺوما كان لشخصٍ أن يُقدِمَ على هذا الفعل لولا فقهه لسنن الله؛ وأن الله سينصرهم ويمكنهم من أعدائهم، فقد واجه ثلاثة مواقف، هيإصراره على إنفاذ جيش أسامة، وإصراره على بقاء القائد، رغم محاولة كبار الصحابة – ﷺ – أن يولي عليهم من هو أكبر سنًّا، وعدم تغييره لخطة النبيﷺفهذا هو التطبيق الحرفي والعملي لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[النساء: ٥٩]، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾[آل عمران: ١٣٢].

([1]) **السيرة النبوية**، لابن هشام، تعليق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 3، 1990م: 312/4.

([2]) **سير أعلام النبلاء، الخلفاء الراشدون**، لشمس الدين الذهبي، تح: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، (د،ط)، 1996م ، ص: 33.

([3]) **تاريخ خليفة بن خياط**، تح: أكرم ضياء العمري، الرياض، دار طيبة، ط 2، 1985م، ص: 100.

([4])**البداية والنهاية**، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (د،ب)، دار هجر، ط 1، 1998م: 422/9، وينظر: **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير: 199/2.

ويرجع الدكتور (**حسين شرفة**) سر هذا الإصرار والعزم والطاعة والتنفيذ الحرفي إلى صِدّيقيَّة الصديق - ﷺ - فيقول: « إنها الصديقية التي تستمد منطقها من الاتباع الكامل، وكلُّ قضيةٍ عند الصديق - ﷺ - تتسع للاجتهاد إلا قضيةً أبرم الله فيها حكمًا، أو أصدر الرسول فيها أمرًا, لقد أمر الرسول قُبَيْلَ وفاته أن ينفذ بعث أسامة، وليكن ما أمر الرسول به مهما تكن مستحدثات الظروف، ومهما تكن الأخطار التي تهدد المدينة»[1]، فعلى الرغم محاولة الصحابة - ﷺ - تغيير القائد وإيجاد الأعذار بأنه أصغرهم سنًّا، وفي ذلك خطر كبير في قيادته للجيش تحت هذه الظروف إلا أن الصديق - ﷺ - «رأى أن لا يجيبهم إلى طلبهم، وأن يمحو من نفوسهم كلَّ آثرٍ من آثار الكبرياء والتفاضل إلا بالتقوى وصالح العمل، وأن يُنوِّه بقدر (**أسامة بن زيد**) حتى يكون للقوم بخليفتهم أسوة حسنة، ولو أنه أطاع القوم لَسَنَّ للناس مخالفة أمر رسول الله، ولأطمعهم في أن يطلبوا ما ليس لهم بحق، وفي ذلك من المضرة مالا يُجهَل»[2].

فالتساهل في بداية الأمر يؤدي إلى الهلاك، وفعلًا لو سمح أبو بكر الصديق - ﷺ - بالتنازل وتغيير القائد لفتح لهم المجال لطلب أكثر من ذلك، ويكون بذلك وضع سُنةً لمخالفة سنة رسول اللهﷺثم أقبل أبو بكر - ﷺ - على (أسامة بن زيد)، وهو معسكر خارج المدينة، فقال له: « امضِ- رحمك الله - لوجهك الذي أمرك به النبيُّ ﷺولا تقصر في أمورك، وإذا رأيت أن تأذن لـ عمر بن الخطاب بالمقام عندي، فإني أستأنس به، وأستعين برأيه، قال أسامة: قد فعلت»[3].

ففي هذا الموقف نجد أن الخليفة أطاع رسول الله، وتقيَّدَ هو بالالتزام بطاعة القائد الذي عيَّنه، حيث أخذ الإذن منه لترك عمر بن الخطاب - ﷺ - ليستعين به، إنها القيادة الواعية، والالتزام بالأمر من الخليفة، ليبرهن للناس على أن طاعة القائد واجبة على الجميع، إنه التدريب لجيل الصحابة - ﷺ - عمومًا، ولجيش المسلمين خاصة، على احترام القيادات، وتنفيذ أوامرها، فلا ينظر إلى النسب، ولا إلى السن، إنما يُحترَم القائد ويُطاع، مهما كان ذلك القائد،إنها سنة من سنن الله عز وجل في نصر عباده.

ولو لم يفعل الصديق - ﷺ - ذلك لأمكن الانقضاض على القائد أسامة، ولَقُضِيَ على البعث كله، أمام الناس يستأذن خليفة رسول الله قائده أسامة أن يأذن له ببقاء عمر - ﷺ - بجواره

([1]) (**مظاهر الصديقية في إنجازات أبي بكر الصديق في خلافته**)، حسين شرفة، (ندوة بعنوان: أبو بكر الصديق - ﷺ -: معالم هادية وآثار سامية، مركز عقبة بن نافع الفهري للدراسات والأبحاث حول الصحابة والتابعين، طنجة)، ص: 56.

([2])**الخلفاء الراشدون**،لعبد الوهاب النجار، القاهرة، مكتبة دار التراث، (د،ط،ت)، (د،م،ن)، ص:38.

([3])**كتاب الردة مع نبذة عن فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني**، الواقدي مُحَّد بن عمر بن واقد، رواية أحمد بن مُحَّد بن أعثم الكوفي، تح: يحيي الجبوري، لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1410هـ - 1990م، ص: 54.

ففعل[1]، ثم قال لأسامة:«اصنع ما أمرك به نبيُّ الله، ابدأ ببلاد قُضاعة، ثم إيت آبل، ولا تقصر تقصر في شيءٍ من أمر رسول الله ﷺ ولا تعجلن لما خلفت من عهده»[2]، فهي إشارة منه - رضي الله عنه - في تتبع أوامر الرسول من الخليفة ومن الرعية، تتبعًا حرفيًّا لا يخالف شيئًا من كلام وخطط النبي عليه الصلاة والسلام.

وهذا ما لمحناه في فعله هذا«ثم خرج حتى أتاهم فأشخصهم وشيَّعَهم، وهو ماشٍ وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبنَّ أو لأنزلَنَّ. فقال: والله لا تنزل،ووالله لا أركب، وما عليَّ أن أغبر قدميَّ ساعةً في سبيل الله»[3]، وعليه فقد كان إنفاذ جيش أسامة «العنوان الأول لسياسةٍ عامة هي في ذلك الحين خير السياسات، كان قوامها طاعة ما أمر به رسول الله، وكانت الطاعة - جد الطاعة - مناطَ السلامة، وعصمة المعتصمين من الخطأ الأكبر في ذلك الحين، وحيث يكون التمرد هو الخطأ الأكبر، فالطاعة - بل الطاعة الصارمة - هي العصمة التي ليس من ورائها اعتصام، وقد كان التمرد هو الخطر الأكبر في ذلك الحين لا مراء »[4].

وكما ذكرنا سابقا أن مصطلح (**الفتح**)في الإسلام مرتبطٌ بعدم الظلم، فيكون ردًّا للعدوان أو دفاعًا عن الإسلام، فهل تحقق ذلك في إنفاذ جيش أسامة؟

لقد أكد أبو بكر - رضي الله عنه - في أول خطبةٍ له على مفهوم العدل الذي جاء به الإسلام، وأعلن أنه سيحميه من الانتقاص والعدوان، العدل بمفهومه الشامل الواسع، ابتداءً من مسألة الطعام والشراب، وانتهاءً بموقف الإنسان في العالم... سيقف خليفة رسول الله بكلِّ ما يحمل من قوة؛ لكي يحفظ التوازن المطلوب، فلا أقوياءَ يرفعون أيديهم بأكثر مما يجب، ولا ضعفاءَ يرتجفون خوفًا وجوعًا، إنه سيجعل القوي يرتجف إذا ما حدثته نفسه بظلم، ويأمن عنده الجوعى والخائفون[5].

وهذا ما تحقق بالفعل، ليس في المجتمع الإسلامي فحسب، بل حتى مع الأعداء، ويظهر ذلك من خلال وصيته الخالدة لجيش أسامة، حيثنجد لدى الخليفة الأول فقهًا واسعًا بسنن الله عز وجل، قال: «قفوا أيها الناس، أوصيكم بعشرٍ فاحفظوها عني، لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلًا ولا شيخًا كبيرًا، ولا امرأةً، ولا تعقروا نخلًا وتحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوامٍ قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له، وسوف تُقدِمون على قومٍ

([1]) **ينظر**: **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 3 / 226.

([2])**تاريخ الرسل والملوك**، 227/3.

([3])**تاريخ الرسل والملوك** الطبري، 226/3.

([4])**عبقرية الصديق**، لعباس محمود العقاد، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، (د،ط،ت)، 99/98 .

([5])**ينظر**: **حول القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي**، لعماد الدين خليل، مصر الجديدة، مكتبة النور، ط1، 1405هـ-1985م، ص:17.

يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئًا فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقوامًا قد فحصوا أوساط رؤوسهم، وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقًا، اندفعوا باسم الله»[1].

فيبدو من هذه الوصية مدى سبق الإسلام وتفوقه على أرقى النظم الحديثة في نظم الحرب ودساتير الأمم في الجهاد والقتال، وفوق ذلك كله كان الإسلام لا يرغب في الحرب من أجل الحرب، ولا رغبةً في القتل والدمار، ولكن كان قائد جيش المسلمين يخاطب الكفار ويخيرهم بين ثلاثة أمور هي: الإسلام، أو الجزية، أو القتال[2]، فلم يكن خروج أسامة ظلمًا أو عدوانًا،بل تحقيقًا لأمر رسول الله ﷺ في إعلاء كلمة الله عز وجل، وفي هذا عدل في ذاته. فأكد بهذا على أنه لا يجوز أن يقاتل المسلم رغبةً في القهر والتدمير واستعباد الناس وإذلالهم، وهذا ما يحقق العدل حتى في القتال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[النور: ٥٥]، أي: وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله، وأطاعوا الله ورسوله فيما أمره ونهاه، لَيُورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها[3]، فالاستخلاف رهين الإيمان والعمل الصالح، والعدل، وعدم العدوان، والابتعاد عن الظلم.

وعليه فإن فيعزم أبي بكر - رضي الله عنه - على إنفاذ بعث أسامة لم يُفِئ عليه مثوبة الطاعة فحسب، بل أفاء عليه الرشد والمنهج الصواب، ومن سنن الله تعالى أن ينصر عباده المؤمنين، فأبو بكر - رضي الله عنه - في طاعته لأوامر الرسول طاعة لله عز وجل؛ لهذا نصره الله رغم الظروف التي توحي كلها بعدم قدرة جيش أسامة على الانتصار، إلا أن التأييد الرباني كان واضحًا، وهذا من فقه أبي بكر لسنن الله عز وجل، وبعد عزمه وتحديه قال الصديق - رضي الله عنه - لأسامة:«امْضِ يا أسامة في جيشك للوجه الذي أُمِرتَ به، ثم اغزُ حيث أمرك رسول الله ﷺمن ناحية فلسطين، وعلى أهل مؤتة، فإن الله سيكفي ما تركتَ»[4].

ويظهر التأييد الرباني في تسخير الضباب للنصر ليبين الله عز وجل أن إنفاذ جيش أسامة كان رأيًا سديدًا، وأن في طاعة رسول الله نصرًا أكيدًا. وكان هذا بسبب حزم أبي بكر - رضي الله عنه- وثباته، وقوة ثقته في

(1)**الكامل في التاريخ**،لابن الأثير: 2/199-200.

(2)**ينظر**: **(السياسة المالية لدولة الخلفاء الراشدين)**، للسيد يوسف أحمد شادي، إشراف: أحمد علي طه ريان، (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العالمية، قسم السياسة الشرعية مصر، جامعة الأزهر، كلية الشريعة والقانون، 1984م)، ص: 95.

(3)**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لابن جرير الطبري، تعليق: محمود شاكر الحرستاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، د، ت، 18/441 .

(4)**سير أعلام النبلاء، الخلفاء الراشدون**، لشمس الدين الذهبي، ص:33.

الله عز وجل، والعمل بأوامره سبحانه وتعالى، « فلما دنوا من الشام أصابتهم ضبابة شديدة فسترتهم حتى أغاروا، وأصابوا حاجتهم، قال: فقَدِم بنعي رسول الله على هرقل، وإغارة أسامة في ناحية أرضه خبرًا واحدًا، فقالت الروم: ما بال هؤلاء يموت صاحبهم، وأغاروا على أرضنا؟قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢، ٣]»[1].

ونستخلص من إنفاذ جيش أسامة رغم المصاعب التي أحاطت بالخليفة الأول – ﷺ – أن ثقته في أن الله سينصرهم، وتطبيقه لأوامر الرسول، جعلته يصر على رأيه رغم المعارضة، فسهَّلَ الله لهم النصر، وأيدهم في ذلك، ومِنْ ثَمَّ فإن الامتثال لأوامر الرسولﷺسنة من سنن الله عز وجل في النصر والفتح.

المطلب الثالث: إظهار القوة

ويُقصَد بسنة **(إظهار القوة)** الحرب النفسية، وقد تمثلت في إرعاب العدو وإخافته، وتُعرَّف بأنها الاستخدام المدبر لفعالياتٍ معينة، مُعدَّة للتأثير على آراء وعواطف وسلوك مجموعة من البشر وقت الحرب، وذلك لإضعاف معنوياتهم، وتغيير منهج تفكيرهم، بشكلٍ يحقق مصالح العدو في القضايا التي يجري الصراع من أجلها[2]، وقد عرف الإسلام هذا السلاح الفتاك من أول ظهوره، فمن يقرأ السور المكية يجد أن القرآن كان يسير في اتجاهين:

اتجاه داخلي: وهو بناء العقيدة والتربية الروحية والتأكيد على رفع المعنويات، حتى وصل بالصف الإسلامي إلى أعلى مراتب الثبات المعنوي.

واتجاه خارجي: وهو تحطيم معنويات الخصم، إذ اتجه القرآن الكريم إلى تسفيه أحلام المشركين، والهجوم على معتقداتهم حتى أوصلهم إلى مرحلة الشك، بل أوصل بعضهم إلى اليقين ببطلان تلك المعتقدات، وأضعف معنوياتهم في الدفاع عنها، وإلى جانب ما كان يشنه من الهجوم المباشر على تلك المعتقدات كان يضرب الأمثلة المتتالية التي كانت تُذكِّر بمصير مَنْ يحملون معتقداتٍ مشابهة لمعتقداتهم، فكان يذكر القصص التي تشير إلى هلاك الأمم الذين كذبوا بالرسل.

فلما انتقل الرسول ﷺإلى المدينة المنورة، ونزل الإذن بالقتال في قوله تعالى:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾[الحج: ٣٩]، »واجتمع المسلمون بـ (مر الظهران)، ولم تسمع قريش، ولم يأتهم خبر بمسير بأمر رسول اللهﷺإليهم، فلما نزل المسلمون مرَّ الظهران عشاءً، أمر الرسولﷺأصحابه

([1])**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لابن جرير الطبري،441/18.

([2])**ينظر: علم النفس في الميزان العسكري**، لكامل الزبيدي، (د،ب)، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1988م، ص:7.

أن يوقدوا النيران، فأوقدوا عشرة آلاف نار »[1]، وكان من الممكن الاكتفاء بألف نار يتدفأ كلُّ عشرة على واحدة أو يتجمعون عليها، ولكنها الحرب المعنوية المقصود منها إرعاب مكة، بحيث تلقي أيديها مستسلمةً أمام هذه النيران الهائلة المهاجمة لها[2]، وبالفعل تفاجأ العدو من هذا العدد، وظنَّ أن كلَّ شعوب الأرض قد جاءت لمحاربتهم.

وقد كانت نتائج إظهار القوة في فتح مكة خير معين على هزيمة إرادة القتال في نفوس المشركين[3]، حين أمر رسول الله العباس باحتجاز أبي سفيان عند مضيق الوادي ليرى قوة المسلمين عن قرب، وقد فَعَلَ ذلك فَعْلَه في نفس (أبي سفيان) حتى صاح في العباس قائلًا: « لقد أصبح مُلْكُ ابنِ أخيك اليوم عظيمًا، فقال العباس: إنها النبوة، فقال نعم إذن، فانطلق يصرخ في مكة: يا معشر قريش، هذا محمدٌ جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم»[4]، فكانت هذه الخطة كفيلةً بتوقيع أبي سفيان وثيقة الاستسلام دون أيِّ عقدٍ ولا عهدٍ إلا الأمان للناس، وعلى هذا فإن استخدام الحرب النفسية ثابت ودائم كاستراتيجية في كل المعارك، وكان القرآن ينزل ليضيف، أو يعدل، أو يؤيد ذلك الأسلوب المستخدم[5]، لذا فالمثل الأعلى في هذه الحرب المعنوية هو القائد الأول رسول الله ﷺ،وفي هذه الحادثة نموذج من نماذج الحرب النفسية.

وهذه سنة من سنن الله عز وجل في فقه الحروب، وكيفية التعامل معها، فليست القوة وحدها تكفل النصر، وإنما الحرب المعنوية كذلك لها وقع كبير في نفوس العدو، فهل اتبع الخليفة أبو بكر هذه الخطة واعتمدها خلال فتوحاته؟ وكيف كان التعامل معها كسُنَّةٍ إلهية؟

والجواب أن القادة المسلمين مارسوا في إنفاذ جيش أسامة أساليب الحرب النفسية، فخليفة رسول الله، أصر على إنفاذه مخادعةً للعدو وإرهابًا له، فالغرض من ذلك كان محاولةً لخفض قوة العدو بكسر روحه المعنوية، ودفعه إلى الشك في التغلب على جيش المسلمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ

([1])**السيرة النبوية**، لابن هشام، تعليق: عمر عبد السلام تدمري، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3 1410هـ =1990م: 43/4،40 .

([2])**ينظر: التربية الجماعية، المنهج التربوي للسيرة النبوية**، لمنير محمد الغضبان، دار الوفاء بالمنصورة، 2005م، ص:534/1.

([3])**ينظر: أخلاق وآداب الحرب في عصر رسول الله ﷺ**، لحامد محمد الخليفة، الأردن، دار عمار، ط 1، 2009م: 113.

([4])**زاد المعاد**، لابن القيم: 320/3.

([5])**ينظر: (فقه الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال)**،لأحمد قطران، (مجلة الكلية العليا للقرآن الكريم، عدد (3)، 2005م)، ص: 182.

صَـٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[التوبة: ١٢٠]، ولعل في هذه الآية الكريمة حثًّا على الجهاد في سبيل الله بكل الطرق والوسائل التي من شأنها تدمير العدو وإضعافه، وبالتالي تحقيق النصر للمسلمين ماديًّا ومعنويًّا، قال رسول الله ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»(1)، وهذا الحديث يدل على وجوب استعمال كل الوسائل والطرق التي تُضْعِفُ العدو، فهي سلاحٌ فعَّال في المعارك، وهي أقوى تأثيرًا من الحرب المادية، وتنبع أهميتها من كونها أمضى سلاحٍ مستخدم، تعلقًا بما في النفس الإنسانية من ثباتٍ وطمأنينةٍ ووَهَن، فالمعنويات المنهارة لا تستطيع الثبات وإن امتلكت أحدث الأسلحة، أو كانت أكثر عددًا وعُدَّةً ممن يواجهها، فهي أهم وسيلة تدعم وسائل الحرب الأخرى في استجلاب النجاح والنصر.

ويمكن الإشارة إلى الآيات التي يتجلى فيها مفهوم الحرب النفسية بصورةٍ واضحة، وهي قوله تعالى:﴿ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الأنفال: ٥٧ - ٦٠].

جاء في تفسير القرطبي:« أنه إذا وجدتهم في حال المحاربة، بحيث لا يكون لهم عهد ولا ميثاق، وأظفرك الله عليهم، وأمكنك منهم، وكانت الغلبة لك، فشرِّد بهم مَنْ خلفهم، أي: نكِّل بهم، وقال ابن عباس والحسن البصري وغيرهم: ومعناه: غلِّظ عقوبتهم، وأثخنهم قتلًا؛ ليخاف مَنْ سواهم من العدى عربهم وعجمهم، وليصيروا بذلك عبرةً لمن خلفهم، لعلهم يتذكرون»(2).

ويعرف (أحمد بدر) الحرب النفسية فيقول: «هي حربٌ هجومية يخوضها جيش بأسلحة فكرية وعاطفية، من أجل تحطيم قوة المقاومة المعنوية في جيش العدو، وبين السكان المدنيين، وتُخاض هذه الحرب للتقليل من نفوذ العدو في أعين الدول المحايدة، فهي الكلمات والأفعال التي تُوهِنُ من تصميم العدو على القتال بإضعاف روحه المعنوية»(3)، وبمعنى آخر هي«استخدام أية وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية،وعلى سلوك أية جماعةٍ لغرضٍ عسكريّ معين، فهي تهدف إلى شلِّ إرادة الخصم، وتحطيم رغبته في القتال بإيصاله إلى وضعٍ لا يرى فيه أملًا للنصر»(4).

---

(1)**رواه أبو داود في سننه**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تح: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، كتاب (الجهاد)، باب (كراهية ترك الغزو)، حديث رقم (2504)، بيروت،صيدا، المكتبة العصرية، 3/10.

(2)**الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، 31/8، 32.

(3)**الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية**، لأحمد بدر، الكويت، دار القلم، ط1، 1974، ص:207.

(4) **الاستخبارات العسكرية في الإسلام**، لعبد الله علي السلامة مُحَمَّد مناصرة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1412هـ - 1991م، ص:109.

وعليه فإن من أبجديات الحروب والتفقه فيها إظهار القوة للعدو مهما كان، فالحرب بالدرجة الأولى هي حربٌ معنوية لها أثرها النفسي أكثر من الأثر المادي، بمعنى عدد الجيش والعتا، إلى غير ذلك، ولذا كان أبو بكر - رضي الله عنه - يَفْقَهُ ذلك جيدًا، ويعلم مدى أثره على العدو، وهو في الموقف الذي لا يُحسَد عليه، وهو وفاة النبيﷺوهو بذلك قد فَقَدَ قائده وصاحبه، وتكالبت عليه المحن والفتن من كل الجوانب، فلابد له من إنفاذ جيش أسامة، ولا بد له كذلك من محاربة المرتدين بجميع أصنافهم حفاظًا على الدعوة الإسلامية والدولة الإسلامية، فما كان منه إلا أن سارع في إنفاذ جيش أسامة، وذلك لأنلا يعتقد العدو أنه بوفاة الرسول ﷺانتهت الدولة الإسلامية، وبالتالي يُرهِب العدو بإظهار شوكة المسلمين، وأنها لا تزال قائمة، ومستعدون لمواجهة الروم وغيرهم.

وبالرجوع إلى بداية تنفيذ هذه الغزوة في حياة الرسول ﷺنجد أن الغرض الأساسي لهذه البعثة منذ أن فكَّرَ فيها الرسول، ومنذ أن صمم عليها أبو بكر - رضي الله عنه - يتمثل في الحرب النفسية قبل كلِّ شيء، فلقد أراد الرسول الكريمكما أراد خليفته من بعده، أن يُلقِيَ الرعبَ في نفوس الموالين للروم، وفي نفوس القبائل العربية، التي لم تزل ترى لها من القوة والمنعة، ما يجعلها تتربص الدوائر بهذا الدين الجديد، وتعلو بنفسها عن الخضوع لأحكامه[1]، يقول (عبد الوهاب النجار) تعليقًا على إنفاذ جيش أسامة: «إن إنفاذه إمضاءٌ لأمر رسول الله، وتصويرٌ المسلمين في النفوس بصورة القوي الجرىء، الذي لم يختلج قلبه خوفًا، ولم يستشعر الوجل»[2]، فكان في إنفاذ بَعْثِ أسامة قوة معنوية كبيرة للمسلمين، وحذرٌ وهيبة للمشركين، وغَرْسٌ لله الذعر في قلوب المرتدين في أكثر مناطق الجزيرة العربية، إلى درجة أن الكثيرين منهم استسلموا للمسلمين دون قتال، ومنهم بنو عامر بن صعصعة[3].

وفعلًا تم إرعاب الروم بخروج جيش أسامة حيث قالوا: « ما بال هؤلاء يموت صاحبهم، ويُغِيرون على أرضنا »[4]، ف « فَعَلَ بسمعته مالم يفعله بقوته وعدده، فأحجم من المرتدين مَنْ أقدم، وتفرَّقَ مَنْ اجتمع، وهادن المسلمين مَنْ أوشك أن ينقلبَ عليهم، وصنعتِ الهيبة صنيعها قبل أن يصنع الرجال، وقبل أن يصنع السلاح »[5]، أجل، كانت بعثة أسامة بعثةً تأديبية قُصِدَ بها ردع القبائل، التي مر بها في الطريق من الحجاز إلى الشام، كما قُصِد بها تأمين هذا الطريق، وتوطيد هيبة الإسلام، وكان هذا كله من أبي بكر إعلامًا للقبائل

([1]) ينظر: **الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، دراسة موضوعية لتاريخ الدعوة في عصر الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين**، لخليفة حسين العسَّال، القاهرة، مكتبة الإيمان، ط1 ،1437هـ - 2016م، ص:50 .

([2])**الخلفاء الراشدون**، لعبد الوهاب النجار،ص:39.

([3])**ينظر:الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، 210/2، **وموسوعة التاريخ الإسلامي، عصر الخلفاء الراشدين**،لعبد الحكيم الكعبي، عمان، الأردن، دار أسامة، ط1، 2009م،ص:31.

([4])**الطبقات الكبير**، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري، تح: علي محمَّد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، 2001م: 4 / 62.

([5])**عبقرية الصديق**، لعباس محمود العقاد، ص: 109.

العربية أن هناك دولةً قوية، أعدت للأمر عدته، وفي استطاعتها أن تؤدب المرتدين، وأن توقف العبث بالدين، وأن تقضي على هذا الخطر في أول بداياته(1)، فلو لم يتم بَعْثُ جيش أسامة لظن الناس أن قوة الإسلام انتهت بوفاة رسول الله، فإظهار القوة في أصعب الأوقات استراتيجية نابعة عن فقهٍ ووعيٍ تام بالسنن الإلهية، فحكمة الصديق – رضي الله عنه – ورأيه القويم جعل الأعداء يُعِيدون حساباتهم في نظرتهم للمسلمين، وأن مواجهتهم ليست أمرًا هينًا، فهذا الفعل الصديقي إن صح التعبير . إشارة قوية لتأسيس مرحلة جديدة للدولة الإسلامية، تُظهر قوتها وحزمها ومواجهتها لأيِّ خطرٍ يهدد استقرارها، ونشر دينها.

خلاصة المبحث:

وخلاصة هذا المبحث أن السنن التي تحققت في بداية خلافة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وتحديدًا في إنفاذ جيش أسامة هي أنه لولا الثقة بالله والإيمان به، وأن الله سينصر ويثبت أقدام المؤمنين، لما أصرَّ الصديق – رضي الله عنه – على التنفيذ، وأنه لولا طاعة الله ورسوله والسير على منهجه عمليًّا، لما استطاع الخليفة الأول أن يقاوم أولًا كبار الصحابة – رضي الله عنهم – ومعارضتهم لشدة الموقف، وثانيًا محاربة الروم مع الأزمة الحاصلة في نفس الوقت، إضافةً إلى ذلك فإن في سَيْرِ جيش أسامة لوجهته التي رُسِمَت له من قبل النبي ﷺقبل وفاته، أظهر المسلمين كقوةٍ أرعبت العدو، وجعلت الكثير من القبائل تراجع نفسها في أمر الردة، وأنه لا مجال لها لمحاربة الصديق – رضي الله عنه – وجيشه، وعليه فإن السنن الإلهية المستخلصة من إنفاذ جيش أسامة تتمثل في الثقة بالله والإيمان به عز وجل، وطاعة الرسول الكريم، والسنة الثالثة تدخل ضمن فقه (استراتيجيات الحرب)، وهي الحرب المعنوية بإظهار القوة.

(1) **ينظر:الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، دراسة موضوعية لتاريخ الدعوة في عصر الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين**،لخليفة حسين العسَّال، ص:50.

المبحث الثاني

فقه السنن الإلهية في حروب الردة

بدأت الردة على عهد النبيﷺ-مما يعني أن المنافقين كثر، وأن الذين بدلوا دينهم في عهد أبي بكر -رضي الله عنه -لم يكن بالأمر الجديد، فكان على الخليفة مواجهتهم ومحاربتهم، فكيف كان تطبيق أبي بكر - رضي الله عنه - وفهمه لسنن الله عز وجل في حروب الردة؟ هذا ما سنبينه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: العلم بحال مَنْ تُوجَّه إليهم الدعوة

هبت في بداية خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - رياح حروب الردة، فارتد أكثر الناس عن الإسلام بأشكالٍ مختلفة؛ حيث إن كثيرًا من الأعراب كانوا حين وفاة رسول اللهﷺيتفق لهم من صحبته ما يصفي جواهر نفوسهم مما مازجها من شوائب الشرك، ولم ينفذ إلى بصائرهم نور الحكم الباهرة في أوامر الإسلام ونواهيه، فزاغت بصائرهم عن الزكاة وعدوها إتاوةً يسامون أداءها كما يسوم الجبابرةُ من الملوك رعاياهم أداء الإتاوات وحمل المغارم، فتناجوا بالإثم والعدوان في منع الزكاة، وآخرون فشت فيهم فاشية سوء، وهم الذين قام فيهم متنبئون يُضلونهم بغير علم، كطليحة الأسدي، والأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، وسجاح التميمية(1)، يقول ابن الأثير:« لما مات النبيُّ ﷺوسَيَّرَ أبو بكر جيش أسامة، ارتدت العرب، وارتدت كلُّ قبيلةٍ عامة أو خاصة إلا قريشًا وثقيفًا، واستغلظ أمر مسيلمة وطليحة، واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد»(2).

وارتدت غطفان تبعًا لعيينة بن حصن فإنه قال:« نبيٌّ من الحليفين - أسد وغطفان- أحبُّ إلينا من نبيٍّ من قريش»(3)، فتبعته غطفان، فأخبروا أبا بكر بخبر مسيلمة وطليحة فقال: «لا تبرحوا حتى تجئ رسل أمرائكم وغيرهم بأدهى مما وصفتم، فكان كذلك، وقَدِمت كتبُ أمراء النبيﷺ من كلِّ مكانٍ بانتفاض العرب عامةً وخاصة، وتسلطهم على المسلمين، فحاربهم أبو بكر بما كان رسول اللهﷺيحاربهم بالرسل، فرد رسلهم بأمره، وأتبع رسلهم رسلًا، وانتظر بمصادمتهم قدوم جيش أسامة»(4).

إن العلم بحال مَنْ تُوجَّه لهم الدعوة في شؤونهم، واستعدادهم، وطبائع بلادهم وأخلاقهم؛ أو ما يُعبَّر عنه في عُرْف العصر بحالهم الاجتماعية، أمر واجب لتسهيل المهمة، فكان أبو بكر - رضي الله عنه - عالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش(5)، فقد كان حافظًا للأنساب والطبائع

(1) **ينظر: الخلفاء الراشدون**، عبد الوهاب النجار، ص:36، 37.

(2) **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، 206/2،**وينظر: تاريخ الرسل والملوك**،الطبري، 242/3 **والبداية والنهاية**،لابن كثير، 437/9.

(3)**تاريخ الرسل والملوك**،الطبري، 242/3 **وينظر: البداية والنهاية**،لابن كثير، 437/9.

(4) **ينظر: الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، 206/2.

(5)**ينظر: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، لخير الدين الزركلي، لبنان، بيروت ، دار العلم للملايين، ط15، 1415هـ = 2002م: 102.

لكل القبائل آنذاك،وقد رُوِيَ أن من أسباب ارتضاء الصحابة – رضي الله عنهم – بخلافة أبي بكر كونه أنسب العرب، وليس معنى كونه أعلم بالأنساب أنه كان عنده كتاب (بحر الأنساب) يراجع فيه، وإنما معناه أنه كان أعلمهم بأحوال قبائل العرب وبطونها، وتاريخ كلِّ قبيلةٍ وسابق أيامها وأخلاقها، كالشجاعة والجبن والأمانة والخيانة، ومكانها من الضعف والقوة والغنى والفقر[1]، أي أن الخليفة أبا بكر – رضي الله عنه – يعلم مَنْ هم المرتدون وسبب ردتهم، فساعده ذلك على اتخاذ قراره في محاربتهم في تلك الظروف القاسية، ومِنْ ثمة فَقِهَ أبو بكر ضرورة حروب الردة، يقول مُحَّد عبده مؤكدًا هذا المعنى:«وما كان إقدامه ـ مع لينةٍ وسهولة خلقٍ يعرفها له كلُّ أحد حتى الإفرنج ـ على حرب أهل الردة إلا لهذا العلم الذي كان به على بصيرة، فلم يَهَبْ ولم يخف، وقد خاف عمر – رضي الله عنه – وأحجم، على شدته المعروفة على الكافرين والمنافقين، أي خاف أن تضعف بمحاربتهم شوكة الإسلام»[2]،حتى قال أبو بكر – رضي الله عنه –: « واللهِ لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها»[3]، فهذه قوة العلم لا قوة الجهل، وأقول إن العلم الخالص بحال مَنْ تُوجَّه إليهم الدعوة من هذه الوجوه لا بد أن يكون فرعًا للعلم بهذه العلوم في نفسها[4].

ويجب أن ننوه هنا على أمرٍ مهم، وهو أن كثيرًا من الناس يجهل الحكمة وراء اشتعال نار الردة بعد وفاة رسول الله ﷺمباشرةً، حتى شُكِّكَ بعد هذه الحادثة في الإسلام وقدرته على الثبات والبقاء بعد وفاة قائده، إلا أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك حكمةً بالغة، وهي تصفية الطيب من الخبيث والمؤمن من الكافر، وليظهر الحق على الباطل؛ ليكونوا بذلك قادرين على مواجهة أعدائهم، فالإسلام لا يحتاج إلى مسلمين، إنما يحتاج إلى مؤمنين إيمانًا حقًا يدافعون عنه بالنفس والمال، إلى قومٍ يحبون الموت كما يحب الكافرون الحياة، فظهور حروب الردة يمكن تسميتها بسنة إظهار المعارض لإحقاق الحق، أي أن الله سبحانه وتعالى أظهر المرتدين ليظهر بذلك دين الحق، ويظهر بذلك المنافق من المؤمن، فمن السنن الإلهية أنه تبارك وتعالى يقيم في كلِّ زمانٍ ومكان مَنْ يحارب دينه، فيُظهِرُ دينه على أعدائه، يقول ابن تيمية:« ومن سنة الله أنه إذا أراد إظهار دينه أقام مَنْ يعارضه فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق»[5].

إن اختيار الكريم المنان للعصبة المؤمنة ـ المتمثلة في جيل الخلفاء الراشدين، وعلى قائمتهم الصديق رضي الله عنه ـ لتكون أداة القدر الإلهي في إقرار دين الله في الأرض،وتمكين سلطانه في حياة البشر، وتحكيم منهجه، وتنفيذ شريعته، وتحقيق الصلاح والخير والطهارة، بهذا الأمر فضل عظيم من الله، فمن شاء أن يرفض هذا

([1])**ينظر: تفسير القرآن الحكيم،** لمحمد رشيد رضا، 39/4.

([2])**المصدر السابق،** 39/4.

([3]) **البداية والنهاية،**لابن كثير، 438/9، 439.

([4])**ينظر:المصدر السابق،**39/4.

([5]) **مجموع الفتاوى،** لابن تيمية، 57/28.

الفضل، وأن يحرم نفسه هذه المنة فهو وذاك، والله غنيٌّ عنه وعن العالمين، والله يختار من عباده مَنْ يعلم أنه أهل لذلك الفضل العظيم والعطاء الواسع[1]، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾[محمد: ٣٨]، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:« يقول تعالى مخبرًا عن قدرته العظيمة: إنه من تولى عن نصرة دينه، وإقامة شريعته فإن الله سيستبدل به مَنْ هو خير لها منه، وأشد منعةً وأقوم سبيلًا»[2].

فخلال هذه المحنة الصاهرة التي ألمت بالإسلام، تكشفت كلُّ جوانب الضعف في البناء البشري، وهبَّ الرجل الحكيم القوي من فوره فرأب الصدع، وكانت حظوظ الإسلام وافية، ومقاديره سعيدة، إذ جاءته هذه المحنة وأبو بكر حامل الراية، وقائد الأمة، وبفضلٍ من الله ورحمة، تفوّق الخليفة المؤمن على أخطارٍ كانت حَرِيَّةً بتداعي بناء إمبراطوريةٍ شامخةٍ راسية، فما البال بدينٍ ناشئٍ غضٍّ جديد؟ إنه الإسلام العظيم المتجسد في شخص الصديق – رضي الله عنه – العظيم[3].

كان أبو بكر – رضي الله عنه – على درايةٍ بضرورة حروب الردة، فهي المنطلق الأساسي لبدء الفتوحات التي ستنطلق إلى خارج الجزيرة العربية، فكان أحرى به أن يبدأ بالقضاء على الحروب الداخلية أولًا، لتسهيل الحروب الخارجية، فلا يجعل نفسه في موقفٍ يقاتل من الداخل والخارج؛ لذا كان على الخليفة أن يفهم عقلية العرب في الجاهلية، وكيف يفكرون، فهذا يساعده في اتخاذ القرارات بناءً على معرفته وحنكته، لهذا غالبًا ما يشترط في المتكفل بشؤون منطقةٍ ما، أن يكون من أهلها، وعلى رأي العرب القدماء: أهل مكة أدرى بشعابها،وكلما كان الانسان المسؤول يعلم خبايا وأسرار وعادات ونمط تفكير الرعية، يسهل عليه الأمر في الحكم، وأبو بكر خليفة رسول الله ﷺ يظهر لنا كنموذج،ولولا معرفته بأهل مكة والعرب عامة، لما استطاع أن يواجههم في ظروفٍ أقل ما يمكن أن يقال عنهم فيها:إنهم كانوا كالغنم في ليلةٍ ماطرة، ولنتصور الموقف !!

فكان الخليفة يعلم أن من بين أسباب ارتداد القبائل العربية العصبية القبلية الجاهلية؛ لذا كان رأيه سديدًا في محاربتهم، فمعرفة تشخيص المرض يُسهّل معرفة طريقة العلاج، وليس غريبًا أن تحمل العصبية العربَ على ركوب هذا الأمر الصعب، والارتداد عن دين الله من أجل حرمانهم من الخلافة، فالعصبية من أهم العوامل وأبعدها أثرًا في القبائل التي أسلمت أو حاربت الإسلام في عهد الرسول ﷺ، فالأوس والخزرج قبلوا الإسلام؛

([1])**ينظر:مبشرات النصر والتمكين**، لسيد بن حسين العفاني، تقديم: محمد صفوت نور الدين، مصر، القاهرة، مكتبة (معاذ بن جبل)، ط2، 1422هـ = 2002م، ص:80.

([2])**عمدة التفسير عن الحافظ**،لابن كثير، تح: أحمد محمد شاكر، د.م.ن، 70/2.

([3])ينظر: **مبشرات النصر والتمكين**، لسيد بن حسين العفاني، ص: 156.

لأنهم سيعتزون به، ويستنصرونه على اليهود الذين كانوا يدلون عليهم بدينهم وكتبهم ويتهددونهم بقتلهم، بل لقد دفعت هذه العصبية بعض القبائل إلى انتحال النبوة[1].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أنه من الضروري أن يكون القائد على درايةٍ واسعة بحال مَنْ يحكمهم وعلى معرفةٍ علميةٍ اجتماعيةٍ ونفسية؛ كي يتسنى له التعامل معهم في الحرب والسلم، ويستطيع أن يتبع المنهج الذي يتلاءم مع الموقف، وها هو خير مثال لذلك أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -؛ لعلمه بالأنساب وأحوال العرب وطبائعهم وأخلاقهم، فحاربهم بكلِّ ثقة، فتظهر سنة من سنن الله عز وجل في النصر طبقها الصديق - رضي الله عنه - وهي العلم بأحوال العدو مهما كان ليتسنى له مواجهته.

المطلب الثاني: الدعوة إلى الله قبل القتال

بالرجوع إلى المعنى الحقيقي والغاية الكبرى من الجهاد، نجدها تتمثل في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في إطار السلم إلا لمن أبى فسيكون مصيره إما دفع الجزية مع تأمين الحماية، وإما القتال والحرب، وعليه نجد أن أبا بكر - رضي الله عنه - قبل البدء في حروب الردة عَمِلَ بسنة من سنن الله عز وجل، وهي التحذير والإنذار؛ وذلك من خلال توجيه الدعوة إلى الله عز وجل، فيُزال بهذا كلُّ أسباب الظلم والتعدي في الفتوحات الإسلامية.

وتعتبر الدعوة إلى الله عز وجل قبل القتال سمة من أهم السمات التي ركز عليها الخلفاء الراشدون عمومًا والخليفة الأول خصوصًا، وذلك تأسيًا برسول الله ﷺفعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: « أن رسول الله ﷺبعث بكتابه إلى كسرى، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، ويدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه كسرى حرقه، فدعا عليهم النبيُّ ﷺأن يُمزَّقوا كلَّ ممزَّق»[2].

وعليه فقد كانت الكتب إلى القبائل المرتدة كتابًا واحدًا؛ لتنذر المرتدين وتحذرهم، وترشدهم للرجوع إلى الإسلام فلا بد من توجيه الدعوة قبل الحرب، فكان هذا محتواه من القائد الخليفة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -: «وقد بلغني رجوع مَنْ رجع منكم عن دينه، بعد أن أقر بالإسلام وعمل به؛ اغترارًا بالله وجهالةً بأمره، وإجابةً للشيطان، **قال تعالى:**﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠]، **وقال تعالى:**﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦] »[3].

([1]) **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، لحسن إبراهيم حسن، القاهرة، مكتبة النهضة، ط14، 1412هـ -1992م،284/1.

([2])**أخرجه البخاري** ، البخاري: مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: أبو عبد الله عبد السلام علوش،كتاب (الجهاد والسير)، باب (دعوة اليهودي والنصراني، وعلى ما يُقاتلون عليه، وما كتب النبيُّ إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال)، حديث رقم (2938)، السعودية، مكتبة الرشد ناشرون، ط 2، 2006، ص: 396.

([3])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 249/3-251.

ويُكمِل كتابه بالتنبيه على أنه أرسل رسلًا يدعوهم أولًا قبل القتال فيقول: «وإني بعثتُ إليكم فلانًا في جيشٍ من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألا يقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمَنِ استجاب له وأقرَّ وكفَّ وعمل صالحًا قَبِلَ منه وأعانه عليه، ومَنْ أبى أمرته أن يقاتله على ذلك، ثم لا يُبقِي على أحدٍ منهم قَدَرَ عليه، وأن يحرقهم بالنار، ويقتلهم كلَّ قتلة، وأن يسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحدٍ إلا الإسلام؛ فمَنْ تَبِعَه فهو خير له، ومَنْ تركه فلن يعجز الله، وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كلِّ مجمعٍ لكم،والداعية الأذان؛ فإذا أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم؛ وإن أذنوا اسألوهم ما عليهم؛ فإن أبوا عاجلوهم وإن أقروا قَبِلَ منهم، وحملهم على ما ينبغي لهم»(1).

ومن خلال هذه الوصية نلاحظ أن هناك نظرةً بعيدة المدى شاملةً جامعةً لكل جوانب الحياة الدنيوية والأخروية، وإنما يدل هذا على عبقرية الصديق – ﷺ – وفطنته وحنكته في اختيار الكلام الصائب والحكيم الذي يمكن اتخاذه كوصية أو كمنهج ليسير عليه في كافة الحروب التي واجهت وستواجه الدولة الإسلامية، فيمكن أن نستخلص من هذه الوصية الملامح أو الخطوط العريضة لتوجيه الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى قبل بدء الحرب، وذلك أن أبا بكر يطلب من المسلمين والمرتدين معًا التحول إلى الإيمان الحق الذي يتطلب التصديق بما جاء به النبيُّ ﷺ، وعليه فالمنهجية التي تخص المرتدين هي التحول من سيء الكفر إلى حسن الإيمان.

وقد تفطَّنَ أبو بكر – ﷺ – إلى أن من بين أسباب حركة الردة، عدم تصديق وتقبل موت الرسول ﷺفبيَّنَ أن النبيَّ ﷺبشر، وتسري عليه القوانين الخاصة بالبشر، ومن هذه القوانين الموت، مستدلًّا بعددٍ من الآيات، منها قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣﴾[الإسراء: ٩٠ – ٩٣]،ثم قال:« فمن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظٌ لأمره، منتقمٌ من عدوه»(2).

وكذلك فقه أساليب الدعوة الإسلامية، فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود، وخرجت الأمراء ومعهم العهود وفيه:

1- أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سرًّا وعلانية، وأمره بالجد في أمر الله.

2- مجاهدة مَنْ تولى ورجع عن الإسلام بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام.

3- مَنْ كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، قُتِلَ وقُوتِلَ حيثُ كان.

(1)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 249/3-251.

(2)**المصدر نفسه**،255/3. .

4- لا يُقبَل من أحدٍ شيئًا أعطاه إلا الإسلام، فمَنْ أجابه وأقرَّ قُبِلَ منه وعلمه، ومَنْ أبى قاتله؛ فإن أظهره الله عليه قُتِلَ فيهم كلَّ قِتْلةٍ بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه، إلا الخمس فإنه يبلغناه.

5- أن يمنع أصحابه العجلة والفساد، ولا يدخل فيهم حشوًا حتى يعرفهم ويعلم ما هم، لا يكونوا عيونًا، ولئلا يُؤتَى المسلمون من قِبَلِهم.

6- أن يقتصد بالمسلمين، ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم، ولا يعجل بعضهم على بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول[1]،«فلم يَبْقَ مع خالد بن الوليد[2] رجل من بني أسد يُعرَف بالصلاح إلا كتب إلى قومه، يحذرهم مقدم خالد بن الوليد عليهم، ويعذلهم على ارتدادهم عن دين الإسلام، وآخر مَنْ كتب إليهم جعونة بن مرثد الأسدي»[3].

نستخلص مما سبق أن من أصول الحرب التنبيه والإنذار، فأبو بكر - رضي الله عنه - قبل الشروع في مقاتلة المرتدين أعطى لهم الخيارات، وأنه لا يقبل إلا الإسلام منهم، فدعاهم إلى ذلك بكتبه، حيث إن أمر الردة ليس بالهين، وعرف أن المرتدين أكثر خطرًا من المشركين أنفسهم فعزم على مقاتلتهم بالنفس والنفيس، وإذًا فتوجيه الدعوة قبل القتال وإقامة الحجة، سنة من سنن الله عز وجل، فَقِهَها وعَمِلَ بها أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -.

المطلب الثالث: سُنَن الأخذ بالأسباب

إن التمكين قد يحصل لأيِّ عبدٍ من عباد الله تعالى إذا أخذ بالأسباب، ثم وافق ذلك مشيئة الله جل ثناؤه، ولكن سنة الله الثابتة أن بقاء التمكين له مقومات وشروط[4]،قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١]، وأبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يعلم أن معرفة الأسباب والأخذ بها أمر مطلوب شرعًا؛ لأن الله جل وعلا جعل الأخذ بالأسباب سنةً كونيةً لعباده. قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢٢]، فنزول الماء من السماء كان سببًا لإنبات النبات.

([1])**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 253/3.

([2])**خالد بن الوليد بن المغيرة** بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، القرشي المخزومي، أمه لبابة الصغرى، وهي أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺوهو أحد أشراف قريش في الجاهلية، فكان المقدم على خيول قريش في الحرب، وقال عنه رسول الله ﷺ" نِعْمَ عبد الله خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله "، وذلك بعد غزوة مؤتة، واستعمله أبو بكر - رضي الله عنه - في جيش المرتدين وتمكن منهم، وكان له الفضل في قتال الفرس والروم وفتح الشام، توفي سنة إحدى وعشرين للهجرة، **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير: 140/2 - 143.

([3]) **كتاب الفتوح**، لأحمد بن أعثم، تح: علي الشيري، دار الأضواء، لبنان، بيروت، ط1، 1411هـ - 1991م، 9/1.

([4])**ينظر: (السنن الكونية وأثرها في نهضة الأمة الإسلامية)**، لإسماعيل مُحَّد حنفي الحاج، (مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الثالث، القاهرة، 1424هـ - 2004م)، ص:15.

إن من أبجديات الحرب الاستعداد وأخذ الحيطة والحذر، وإلا كانت الهزيمة، لهذا تفطن أبو بكر - رضي الله عنه - لذلك، ولما أنفذ الصديق - رضي الله عنه - جيش أسامة فقلَّ الجند عنده، فطمعت كثير من الأعراب في المدينة، وراموا أن يهجموا عليها، فجعل الصديق - رضي الله عنه - على أنقاب المدينة حُرَّاسًا يبيتون بالجيوش حولها، فمن أمراء الحرس علي بن أبي طالب، الزبير بن العوام[1]، وطلحة بن عبد الله[2]، وسعد بن أبي وقاص[3]، وعبد الرحمن بن عوف[4]، وعبد الله بن مسعود، وجعلت وفود العرب تقدم المدينة، يقرون بالصلاة، ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق - رضي الله عنه - وذُكِرَ أن منهم مَنِ احتج بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣]، قالوا: «فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى مَنْ صلاته سكن لنا»[5]، فكان رده - رضي الله عنه -: «والله لا أدع أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويوفى لنا عهده، ويُقتَل مَنْ قُتِلَ منا

([1]) **الزبير بن العوام** بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الأسدي، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺوابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺأسلم وعمره خمس عشرة سنة، قال عنه رسول الله – ﷺ –: « إن لكل نبيٍّ حواريًّا، وحواريَّ الزبير بن العوام »"، وهو أول مَنْ سَلَّ سيفًا في سبيل الله عز وجل، وذلك لما سمع أن كفار قريش أخذوا رسول الله ﷺ–، شهد المشاهد كلها مع رسول الله، وشهد فتح مصر، وشهد معركة الجمل، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، قُتِلَ سنة ستٍّ وثلاثين، **ينظر**: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير، 308/2 - 311.

([2]) **طلحة بن عبيد الله** بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي، أمه الصعبة بنت عبد الله بن مالك الحضرمية، وهو من السابقين الأولين للإسلام، لم يشهد بدر فقد أرسله رسول الله إلى طريق الشام لمعرفة الأخبار، فلما رجع أعطى له رسول الله ﷺسهمه، وقال: لك أجرك، شهد أحدًا، ووقى رسول الله ﷺبنفسه، واتقى عنه النبل بيده، قُتِلَ يوم الجمل سنة ستٍّ وثلاثين، **ينظر**: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير، 84/3 - 85.

([3]) **سعد بن أبي وقاص** بن مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، ويكنى أبا إسحاق، وهو خال رسول الله ﷺلقوله: « هذا خالي، فَلْيُرِني امرؤ خاله »، ينظر: المستدرك، للحاكم، 498/3، وقال عن إسلامه: كنت ثالثًا في الإسلام، وهو ابن سبع عشرة سنة، وهو أول مَنْ رمى في الإسلام بسهم، وهو من أهل بدر وأحد، وشهد الخندق والحديبية وفتح مكة، توفي سنة 55هـ في العقيق، ودُفِنَ في المدينة المنورة، **ينظر**: **الطبقات الكبيرى**، لابن سعد، 127/3، 137.

([4]) **عبد الرحمن بن عوف** بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري، وُلِدَ بعد الفيل بعشر سنين، كان أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان كثير الإنفاق في سبيل الله، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، توفي سنة إحدى وثلاثين بالمدينة المنورة، ينظر: الطبقات، لابن سعد، 3/ 474- 479.

([5]) **البداية والنهاية**، لابن كثير: 440/9.

شهيدًا ومن أهل الجنة، ويبقى مَنْ بقي من خليفته، وورثته في أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خُلْفَ له»[1]، فقال عمر بن الخطاب لأبي بكر - رضي الله عنهما -: «**علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ:أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله**»[2]، فقال أبو بكر - رضي الله عنه -: « واللهِ لأقاتِلَنَّ مَنْ فرَّقَ بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺلقاتلتهم على منعه»، قال عمر - رضي الله عنه -: « فوالله ما هو إلا أن رأيتُ الله عز وجل قد شرح صدر أبى بكر للقتال، فعرفتُ أنه الحق»[3]، وقال الحسن وقتادة وغيرهما: «في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[المائدة: ٥٤]، قالوا: المراد بذلك أبو بكر وأصحابه - رضي الله عنهم - في قتالهم المرتدين ومانعي الزكاة»[4]، فجعل الصديق على أنقاب المدينة كبار الصحابة - رضي الله عنهم - فطمع المرتدون في النصر لما رأوا قلة أهل المدينة فأغاروا على مَنْ كان بأنقاب المدينة، فلما عَلِمَ أبو بكر بذلك خرج في أهل المسجد الحاضرين على النواضح، فهربوا والمسلمون في أتباعهم[5].

ومع أنهم وضعوا كمينًا للمسلمين إلا أنه لم يُصرَع مسلم، فظنوا بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى أهل ذي القصة بالخبر فقدموا إليهم، وبات أبو بكر يعبئ المسلمين فخرج على تعبئته فما طلع الفجر إلا وهم والعدو على صعيدٍ واحد، فما شعروا بهم حتى وضعوا فيهم السيوف، حتى نزل المسلمون بذي القصة فكان أول الفتح[6]، وخرج أبو بكر - رضي الله عنه - بالمسلمين من المدينة حتى ضرب عسكره بموضع يقال له الجرف[7]، فدعا أبو بكر خالد بن الوليد، فعقد له عقدًا، ضم إليه الجيش وقال:«يا خالد، سِرْ نحو طليحة بن

---

(1) **المصدر السابق** 480/3.

(2)**أخرجه البخاري** ، كتاب (الزكاة)، باب (وجوب الزكاة)، حديث رقم (1399)، ص: 189.

(3)**أخرجه مسلم** ، كتاب (الإيمان)، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله)، حديث رقم (1320): 93/1.

(4) **ينظر**: **جامع البيان عن تأويل آى القرآن**، لابن جرير الطبري، تح: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د،ط،ت، 411/10.

(5)**ينظر**: **تاريخ الرسل والملوك**،الطبري،247/3.

(6)**ينظر**: **المصدر نفسه**: 248/3.

(7) **الجرف**: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، به كانت أموال لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ولأهل المدينة، وفيه بئر جشم، وبئر جمل، سُمِّيَ الجُرف؛ لأن فيه تُبعًا مرَّ به فقال: هذا جرف الأرض، وكان يسمى العرض، ينظر: معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، بيروت، دار صادر، د،ط،ت، 128/2.

خويلد الأسدي ومَنْ معه من بني أسد وغطفان وفزارة، وانظر إذا وصلت إلى القم ونزلت بديارهم سمعت أذانًا، فلا تُقاتِلَنَّ أحدًا حتى تعذر إليهم وتنذرهم، ثم دسِّس إلى أمرائهم وأشرافهم فاعطهم من المال على أقدارهم»(1).

نرى هنا أن أول ما أمر به الخليفة هو عدم البدء في القتال إلا بعد الإنذار، «وجعل خالد بن الوليد يتأنى بطليحة، ويرسل إليه الرسل، ويحذره سفك دماء أصحابه، وطليحة يأبى ذلك، ولجَّ في طغيانه، قال: فعندها عزم خالد على حرب القوم، وقال: وانظر إذا وافيتهم، فلا تنزلنَّ بهم نهارًا فيروا عسكرك، ويعلموا ما فيه من الناس، ولكن انزل بهم ليلًا عند وقت نومهم، ثم ارعوا إبلكم وحركوا أسلحتكم، وهوِّلوا عليهم ما قدرتم»(2)، لذا فإن نصائح أبي بكر – رضي الله عنه – في عدم النزول نهارًا لها من الحكمة والفطنة، ما ساعدهم على التغلب على أعدائهم، فيجب الحذر وعدم الكشف عن عدد الجنود، وبذلك لا يكون العدو على أتم الاستعداد لعدم معرفتهم بالجيش الذي سيواجهونه، وقد حرص القادة المسلمون على دوام الإمساك بالمبادرة، وهذا كان واضحًا في خروج أبي بكر الصديق على رأس الصحابة – رضي الله عنهم – لصد الهجوم على المدينة المنورة، وتجلّى بصورةٍ أكبر في رفض خالد بن الوليد إهدار فرص مفاجأة المرتدين بانتظار أوامر الخليفة، قائلًا:«لو لم يأتِ كتابٌ بما رأيته فرصة وكنت أعلمته– يعني الصديق رضي الله عنه – فأتني(3)،وهو ما سمح لخالد بن الوليد بتدمير قوة المرتدين في نجد، ومنعها من التعاون، إلى أن كسر شوكتها في معركة اليمامة الرهيبة، فالسعي للبدء أولًا يزرع الثقة في النفس بالنسبة للمبادر، ويزعزعها بالنسبة للعدو.

وعليه فالنصر للمسلمين لا يتم لأنهم مسلمون، فالإسلام دين لا ينتصر بالمعجزات، وإن وقعت ولا بالتأييد فقط، وإنما على أيدي البشر وبالاستعداد والأخذ بالأسباب، فنصر الله قد يأتي بعد الاستعداد الكامل، وبعد التهيئة التامة، وبعد التوكل على الله سبحانه وتعالى، لقوله عز وجل:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[النور: ٥٥]، وجاء في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾[محمد: ٧]، بمعنى: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، إن تنصروا الله ينصركم بنصركم رسوله على أعدائه من أهل الكفر به، وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العليا، فإنه ناصر دينه وأولياءه؛ لأنه حق على الله أن يعطي مَنْ سأله، وينصر مَنْ نصره(4)، فقد بيَّنت الآية الكريمة أن النصر مرتبط بنصر الله أولًا، ونصر الله يعني: العمل

---

(1) **كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق**، وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، ومحمد بن عمر الواقدي، تح: يحي الجبوري، لبنان،بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1410هـ =1990م،ص:69،70.

(2) **كتاب الردة**،للواقدي،ص:70،**وينظر**: **كتاب الفتوح**،لابن أعثم الكوفي، 13/1.

(3)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،271/3 - 300.

(4)**جامع البيان**، الطبري، 54/26.

وَفْقَ ما أمر وشرع، فإذا تحقق هذا الشرط كان النصر، وإلا كانت الهزيمة والخذلان، فتكلم الصحابة مع الصديق - ﷺ - أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة، ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق - ﷺ - من ذلك وأبى[1].

إن وراء موقف أبي بكر - ﷺ - هذا علامتين مضيئتين:

أولهما: تكشف عن يقين أبي بكر - ﷺ — المؤمن، فيقينه بالله وبرسوله يرتفع إلى مستوى الإذعان المطلق لِمَا تلقاه من أمرٍ ومنهاج، وهو بهذا يتحمل كلَّ مسئوليته للحفاظ على الدين، فلا يسمح بأن يتغير على عهده شيء من شرع الله ورسوله.

وثانيتهما: تكشف عن بصيرة أبي بكر الصديق الخليفة، فهو ببصيرة القائد والحاكم، يرى أن أية بادرةٍ من الضعف تغشى الإسلام في هذه الأزمة الفاصلة.

وعليه فإننا نلمح في حروب الردة عمل أبي بكر - ﷺ - بهذه السنة، فقد تجهز للمرتدين من كل الجوانب، وقد عرف كيف يختار الوقت المناسب للاشتباك مع أهل الردة، واختار القائد المناسب لذلك، إضافةً إلى التمركز الجيد باختيار المكان الذي تقع في المعركة؛ لذافإن موقف أبي بكر - ﷺ - في حروب الردة أبان عن الحكمة في تسييره للحرب،تمثلت هذه الحكمة في عدة إجراءات تدخل ضمن التخطيط الحربي والأخذ بالأسباب نبرزها فيما يلي:

أولًا: حسن اختيار الوقت

وذلك أن الخليفة أبا بكر - ﷺ - لم يتأخر، وقرر مقاتلة المرتدين، وعدم التسامح معهم، كما طلب الصحابة - ﷺ -، فسارع لوضع الخطط لمقاتلتهم قبل ارتداد غالبية الناس، أو تمكنهم من السيطرة على المسلمين، وقد بعث المرتدون وفودًا إلى أبي بكر يخبرونه بعدم دفع الزكاة فقال:» لو منعوني عقالًا لجاهدتهم عليه«[2]، فردهم فرجع وفد ممن يلي المدينة من المرتدة إليهم فأخبروا عشائرهم بقلة مَنْ في المدينة؛ ولكن فطنة أبي بكر - ﷺ — ألهمته أن يجعل على أنقاب المدينة عليًّا، والزبير، وطلحة، وعبد الله بن مسعود، وخطب في المسجد وقال لهم: «إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وأنكم لا تدرون أليلًا تُؤتَون أم نهارًا، وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا، فما لبثوإلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارةً مع الليل، وخلفوا بعضهم بذي حسنى ليكونوا لهم رِدْءًا فوافق الغرار ليلًا الانقلاب وعليها المقاتلة، ودونهم أقوام يدرجون فنبهوهم، وأرسلوا إلى أبي بكر الخبر»[3]، فأرسل إليهم أن ألزموا أماكنكم ففعلوا، وخرج أهل المسجد على النواضح إليهم فانفض العدو، فأتبعهم المسلمون على إبلهم حتى بلغوا ذا حسنى، فخرج عليهم الردء بأنحاء قد نفخوها،

([1]) **ينظر: البداية والنهاية**، لابن كثير، 437/9، 438.

([2]) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري: 244/3.

([3])**ينظر:البداية والنهاية**، لابن كثير3 /245.

وجعلوا فيها الحبال، ثم دهدهوها بأرجلهم في وجوه الإبل فتدهده كلُّ نُحِيٍّ في طوله فنفرت إبل المسلمين وهو عليها-ولا تنفر الإبل من شيءٍ بقارها من الأنحاء- فعاجت بهم ما يملكونها حتى دخلت بهم المدينة فلم يُصرَع مسلم ولم يُصَب[1]، فظن القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى أهل ذي القصة بالخبر فقدموا عليهم، وهم لا يشعرون لأمر الله الذي أراده فبات أبو بكر ليلته يتهيأ، فعبأ الناس، ثم خرج على تعبئته من أعجاز ليلته يمشي، وعلى ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة سويد بن مقرن[2]، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيدٍ واحد، فما سمعوا للمسلمين همسًا ولا حِسًّا حتى وضعوا فيهم السيوف، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظهرهم، وأتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة، وكان أول الفتح[3].

ونجد أيضًا الخطة التي رسمها الخليفة والتي تمثلت في ضرب المرتدين في كل مكان في جزيرة العرب، وفي توقيتٍ واحد، وتمحورت في أحدَ عشرَ لواءً عقدها الصديق - رضي الله عنه -[4]، مما كان له الأثر الواضح في القضاء على المرتدين في وقتٍ قصير.

ثانيًا: النجاح في اختيار القائد

مازال توفيق الله عز وجل لاختيارات أبي بكر الصديق - رضي الله عنه- مستمرًّا، فبعد إقراره لأسامة وانتصاره، هاهو يحسن الاختيار في قيادة جيش المسلمين لقتال المرتدين وفي تسييرهم، وما كان ذلك إلا لإيمانه القوي الثابت، وحسن ظنه بنصر الله عز وجل له، وقَدِمَ أسامة، فاستخلفه أبو بكر على المدينة ومضى حتى انتهى إلى الربذة[5]، يلقي بني عبس وذبيان وجماعة من بني مناة ابن كنانة فلقيهم بالأبرق، فقاتلهم فهزمهم الله، ثم رجع إلى المدينة، فلم يتجمع جند أسامة، وثاب من حول المدينة، ثم خرج إلى ذي القصة فنزل بهم- وهو على بريدٍ من المدينة تلقاء نجد-فقطع فيها الجند، وعقد الألوية، أحدَ عَشَرَ لواءً على أحدَ عَشَرَ جندًا، وأمر أمير كلِّ جندٍ باستنفار مَنْ مر به من المسلمين من أهل القوة، وتخلف بعض أهل القوة لمنع بلادهم[6].

---

(1) ينظر: **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري: 3/244-246.

(2)**سويد بن مقرن** بن عائذ بن هُجَير بن نصر بن حبشية بن كعب بن ثور المزني، أخو النعمان بن مقرن، وأمهم مزينة بنت كلب بن وبرة، رُوِيَ عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " مَنْ قُتِلَ دون ماله فهو شهيد "، ينظر: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير: 2/ 600، 601.

(3) **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير، 3/244-246.

(4)**ينظر: حروب الردة: دراسة تحليلية**، لأحمد سعد العش، ص:38.

(5) **الربذة:** من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وسيأتي ذكره لاحقًا إن شاء الله، **ينظر: معجم البلدان**، لياقوت الحموي، 3/ 25.

(6) **ينظر: تاريخ الرسل والملوك**،الطبري،3/249.

وقد سأله الصحابة - رضي الله عنه - ومنهم علي وغيره، وألحوا عليه أن يرجع إلى المدينة، وأن يبعث لقتال الأعراب غيره ممن يؤمره من الشجعان، فأجابهم إلى ذلك، وعقد لهم الألوية(1)، وكتب لكل أمير كتابَ عَهْدِهِ على حدة، يقول عبد الرحمن عميرة: " لقد استطاع أبو بكر - رضي الله عنه - أن يجمع هذا العدد الكثيف من الجنود، ويعد هذه العدة في فترةٍ وجيزة وليس ذلك إلا للإيمان الخالص الذي يعمر القلوب، ويملأ الأفئدة، والعزيمة الصادقة، التي لا تكل ولا تمل، والاطمئنان إلى نصر الله وعونه "(2)، وكان من بين الأمراء خالد بن الوليد، فلما عقد أبو بكر لخالد بن الوليد على قتال المرتدين قال سمعت رسول الله ﷺيقول:« نِعْمَ عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله سَلَّه الله عز وجل على الكفار والمنافقين»(3)، فلما توجه خالد من ذي القصة وفارقه الصديق - رضي الله عنه - ووعده أنه سيلقاه من ناحية خيبر بمن معه من الأمراء، وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعراب، وأمره أن يذهب أولًا إلى طليحة الأسدي، ثم يذهب بعده إلي بني تميم، وكان طليحة بن خويلد في قومه بني أسد وفي غطفان، وانضم إليهم عبس وذبيان.

وبعث إلى بني جديلة والغوث وطيئ يستدعيهم إليه، فبعثوا أقوامًا منهم بين أيديهم ليلحقوهم على أثرهم سريعًا، وكان عدي بن حاتم(4)، والزبرقان بن بدر(5)قد قدما على أبي بكر بصدقات قومهما بعد وفاة النبيﷺليقوى بها أبو بكر على قتال أهل الردة، وكان الصديق - رضي الله عنه - قد بعث عديَّ بن حاتم قبل خالد بن الوليد، وقال له:« أدرك قومك، لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم، فذهب عدي إلى قومه فأمرهم أن

---

(1) **ينظر: البداية والنهاية**، لابن كثير،9 /445.

(2) **رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنًا**، لعبد الرحمن عميرة:48/5.

(3)**المصدر السابق**: 450/9، **وينظر: تاريخ الرسل والملوك**،الطبري: 253/3.

(4) **عدي بن حاتم بن عبد الله** بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن طيء الطائي، وأبوه حاتم المعروف بالجود، أسلم سنة عشر للهجرة، وهو ممن بشَّرَه رسول الله بهزيمة الروم والفرس بقوله ﷺ« توشك الظعينة أن ترتحل من الحيرة بغير جوار، حتى تطوف بالبيت، ولتفتحن علينا كنز كسرى بن هرمز ... وليفضن المال حتى يُهم الرجل من يقبل صدقته، قال عدي: قد رأيت اثنتين: الظعينة ترتحل بغير جوار حتى تطوف بالبيت، وقد كنت في أول خيلٍ أغارت على كنوز كسرى بن هرمز »، أخرجه ابن ماجة في السنن، بابٌ في القدر، حديث رقم (87): 1/ 34، شهد فتوح العراق والقادسية ويوم الجسر، كان ممن شهد الجمل والصفين، توفي بالكوفة سنة سبع وستين، **ينظر: أسد الغابة**، لابن الأثير: 8/4 - 10.

(5) **الزبرقان بن بدر** بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن التميمي السعدي، وسمي الزبرقان لحسنه، ويعني القمر، كان سيدًا في الجاهلية، عظيم القدر في الإسلام، وفد على رسول الله في وفد بني تميم فأسلموا، سنة تسع للهجرة، ولاه رسول الله على صدقات قومه بني عوف، فأداها في الردة إلى أبي بكر - رضي الله عنهما - فأقره أبو بكر ثم عمر على الصدقة لثباته على الإسلام، **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير: 303/2 - 305.

يبايعوا الصديق - ﷺ - وأن يراجعوا أمر الله فقالوا: لا نبايع أبا الفصيل أبدًا، فقال: واللهِ ليأتينكم جيش فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحل الأكبر، فلانوا»[1].

ومن بين الأمور التي كان لها دور في تحقيق النصر المسارعة للاستعانة بمن لم يرتد في كلّ قبيلةٍ على مَنِ ارتد منها،مما سمح بتأمين أعداد كبيرة من المقاتلين الذين تعرضوا أساسًا للعدوان من بني قومهم المرتدين[2]، فأن يكون من نفس القبيلة يساعد ذلك على مواجهتهم أكثر مما لو كان من خارج القبيلة، وبالتالي فكلُّ استراتيجيات أبي بكر ومنهجه في محاربة المرتدين له أثر واضح في تحقيق النصر.

ثالثًا: حسن اختيار المكان

من بين الأمور التي ساعدت على مجابهة العدو إلزام أبي بكر - ﷺ - لأهل المدينة بالمبيت في المسجد حتى يكونوا على أكمل استعدادٍ للدفاع، فقد أمر أبو بكر الصديق خالد بن الوليد . ﷺ أن يبدأ بطيئ على الأكناف، ثم تكون وجهته إلى البزاخة[3]، ثم يثلث بالبطاح[4]، ولا يريم إذا فرغ من قوم حتى يحدث إليه، ويأمره بذلك، وأظهر أبو بكر أنه خارج إلى خيبر، ومنصب عليه حتى يلاقيه بالأكناف[5]، فخرج خالد فازورَّ عن (البزاخة)، وجنح إلى (أجأ)، وأظهر أنه خارج إلى خيبر ومنصب عليه منها فقعّد ذلك طيئًا وبطّأهم عن طليحة، وقَدِمَ عليهم عديٌّ فدعاهم فقالوا: «لا نبايع أبا الفصيل أبدًا، فقال: لقد أتاكم قوم لَيُبِحَنَّ حريمكم، ولَتُكَنّنه بالفحل الأكبر، فشأنكم به فقالوا له:فاستقبل الجيش فنهنهه عنا حتى نستخرج من لحق بالبزاخة منا، فإنا إن خالفنا طليحة وهم في يده قتلهم أو ارتهنهم، فاستقبل عديٌّ خالدًا وهو بالسُنح فقال: ياخالد، أمسك على ثلاثٍ يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك، وذلك خير من أن تعجلهم إلى النار، وتشاغَلْ بهم، ففعل فعاد عديٌّ إليهم وقد أرسلوا إخوانهم فأتوهم من بزاخة لمددٍ لهم»[6]، ولولا ذلك لم يُترَكوا فعاد عدي بإسلامهم إلى خالد، وارتحل خالد نحو (الأنسر) يريد (جديلة)، فقال له عدي: إن طيئًا كالطائر، وإن جديلة أحد جناحي طيئ، فأجلني أيامًا لعل الله أن ينتقذ (جديلة) كما انتقذ (الغوث)، ففعل،

([1]) **البداية والنهاية**، لابن كثير: 450/9، **وينظر:تاريخ الرسل والملوك**، الطبري: 253/3.

([2])**ينظر: حروب الردة:دراسة تحليلية**،لأحمد سعد العش، ص:39.

([3]) **البزاخة**: قال الأصمعي: بزاخة ماءٌ لطيء بأرض نجد، وقال أبو عمرو الشيباني: ماءٌ لبني أسد كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق - ﷺ - مع طليحة بن خويلد الأسدي، **ينظر: معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 1/ 408.

([4])**البطاح**: ماءٌ في ديار بني أسد بن خزيمة، وهناك كانت الحرب بين المسلمين وأهل الردة، **ينظر: معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 446/1.

([5]) **الأكناف**: وتعرف بأكناف سلمى، قال أبو عبيد: الأكناف جبال طيء وسلمى وأجأ والفرادخ، **ينظر: معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 241/1.

([6]) **تاريخ الرسل والملوك**،الطبري: 253/3، 254.

فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى بايعوه، فجاءه بإسلامهم، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان خير مولودٍ وُلِدَ بأرض طيء، وأعظمه عليهم بركة[1]،هذا وقد تمحور النصر في القضاء على الردة في خطة استراتيجية واضحة المعالم تمثلت في:

أولًا: حماية مركز الخلافة في المدينة المنورة من أيّ اعتداء:

فقد بقي عدد من الصحابة – ﷺ – الكبار للدفاع عنها، ونفرتهم لقتال أيّ معتدٍ على المدينة، ولو أدى الأمر لمطاردته خارجها، وهو ما حدث عند مهاجمة عبس وذبيان بالمدينة.

ثانيًا: تأمين مكة المكرمة من أن تشملها حركة الارتداد:

فقد كان الصحابة – ﷺ – يخشون من أن يسيطر المرتدون على مكة، لكن وقوف سادتها المسلمين في وجه بعض المرتدين قضى على الفتنة، وأصبحت قوة للمسلمين، فالخوف من أيّ طارئ أخّر خروج المقاتلين المسلمين بأعدادٍ كبيرة منها إلى أن قُضِيَ على رؤوس الارتداد.

ثالثًا: استثمار النصر:

فالحركة السريعة، ومتابعة فلول المرتدين، ومباغتة العدو، ومنعه من التقاط الأنفاس، كلها عوامل مكَّنت المسلمين من الانتصار، والبناء على الانتصار لتحقيق انتصار آخر، وقد تمثل ذلك جليًّا في حركة خالد بن الوليد الذي هاجم طليحة بن خويلد، فلما انتهى سار إلى مالك بن نويرة، وبعد فراغه منهما توجه إلى قتال مسيلمة الكذاب، ومن بعده هاجم فلول غطفان، وطيء، وسليم، وهوزان[2] في وادي القرى[3]، وفي هذا الإطار لا يمكن إغفال التعاون الذي جرى بين الألوية القتالية كافة، للاستفادة من الانتصارات التي حققتها في مواصلة الزحف على مَنْ بَقِيَ من مرتدين، بمعنى أن التجهيز واختيار المكان الملائم ساعد المسلمين على التغلب والنصر.

خلاصة المبحث:

في نهاية هذا المبحث نستنتج أن السنة الحادية عشرة كانت من أصعب السنوات في تاريخ الإسلام كله، ولولا عظمة الصديق – ﷺ – والرجال العظام الذين كانوا حوله، والقاعدة الصلبة التي تربت في مهد النبوة، لولا هذه الأمور لكنا اليوم في الجاهلية الجهلاء، ولبقيت البشرية تائهةً في الظلمات، لكنهم جند الرحمن الذين صاغتهم يد النبوة فساروا بهذا الدين، وقاموا على تربية الوافدين الجدد من القيادات العربية التي تحمل كل عقد الزعامة، إنها حرب تحمل التربية والقدوة والنور في آنٍ واحد، لذا كان لحروب الردة فائدة كبرى خاسر مَنْ لم يَعِ نتائجها، فحروب الردة أثبتت للأمم جميعها أن الأمة المتماسكة القوية، المؤمنة بأهدافها، وبرسالة قائدها،

([1])**ينظر:الكامل في التاريخ**،لابن الأثير: 208/2.

([2])**هوزان:** حي من اليمن، يضاف إليه مخلاف باليمن، **ينظر: معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 420/5.

([3])**ينظر: حروب الردة: دراسة تحليلية**،لأحمد سعد العش، ص:40 .

لا يمكن أن تنهزم أو تنهار، فقد كان رأي أبي بكر – ﷺ – في حروب المرتدين رأيًا ملهمًا، وهو الرأي الذي تمليه طبيعة الموقف لمصلحة الإسلام والمسلمين، وأيُّ موقفٍ غيره سيكون فيه الفشل والهزيمة، ومن المؤكد الرجوع إلى الجاهلية، فلولا فضل الله ثم هذا القرار الحاسم من أبي بكر لتغيَّر وجه التاريخ وتحولت مسيرته، وأصبحت الجاهلية مرةً أخرى تعيث في الأرض فسادًا.

فلما تم القضاء على حروب الردة، أثبت المسلمون ثباتهم على شريعة نبيهم، وأثبت الصديق – ﷺ – حسن إدارته للأمور، وتيقنه من نصر الله عز وجل له، فمن سنن النصر المستخلصة من حروب الردة بدايةً، العلم بحال مَنْ تُوجَّه إليهم الدعوة، مما يسهل على القائد أو الداعية أو المجاهد مهمته، ثم توجيه الدعوة، وعليه يكون التحذير والإنذار، فلا يجب الغدر والسير في الفتح قبل أن ندعوهم إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب، وذلك بإرسال الكتب إلى الأمراء والملوك،وإذا كان لابد من الحرب فيجب الاستعداد والتجهيز وأخذ الاحتياط من كل الجوانب، بمعنى الأخذ بالأسباب، فهذه سنة من سنن الله عز وجل في النصر، ونجدها برزت كذلك في حسن اختيار المكان والوقت والقيادة الواعية من قبل الصديق ﷺ.

المبحث الثالث:

فقه السنن الإلهية في طلائع فتوحات العراق والشام

إن الناظر في الفتوحات في عهد الخليفة الأول، وبعد قضائه على حروب الردة، وقبل ذلك إنفاذه لجيش أسامة، وخلال سنتين من الحكم فقط، ليرى أن توجيهه الجيوش للجبهة الفارسية، والجبهة الرومية كانت عبارة عن الإرهاصات الأولى للفتح؛ وبالتالي فهي مرحلة التأسيس في تلك الجبهات، لذا يطلق عليها مصطلح (طلائع)؛ لأنه لم يكتمل الفتح في عهده – ﷺ – وهذا ما سنتطرق إليه في المطالب التالية:

المطلب الأول: القيادة الواعية

تعد القيادة الواعية لولي الأمر سبب من أسباب النصر في الفتوحات الإسلامية، وأبو بكر الصديق – ﷺ – يمتلك كلَّ المقومات التي تجعله يستثمر هذا الوعي، ونقصد بالقيادة الواعية أن يمتلك القائد الخطوط العريضة التي من شأنها أن تحقق هدفه وغايته، فيرسم بذلك النجاح والتفوق على الغير، سنتطرق في هذا المطلب إلى أهم السنن التي نتجت عن سنة القيادة الواعية، وجاء ذلك في ثلاثة فروع:

الفرع الأول: الدعوة إلى الجهاد والتذكير بمبادئه

التذكير بوجوب الجهاد والحث عليه سنة من سنن الله عز وجل،وتدخل ضمن هذه الذكرى التذكير بالجهاد من خلال وصايا الخليفة الأول الصديق – ﷺ – للقادة والجنود في الكتب التي أرسلها إلى قادة الجيوش لتحفيزهم على الجهاد والأمر به، ومن خلال استقرائنا لتاريخ الفتوحات في عهد أبي بكر – ﷺ – نجد أن أول أمرٍ قام به هو الوصية التي يقرها القائد للعمل بها أثناء الفتح والالتزام بها كي يتحقق النصر.

ومن ذلك ما قاله– ﷺ – في أول خطبةٍ له للذين سيتوجهون إلى الجبهة الرومية: " أيها الناس، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأكرمكم بالجهاد، وفضلكم بهذا الدين على كلِّ دين، فتجهزوا – عباد الله – إلى غزو الروم بالشام، فإني مُؤمِّرٌ عليكم أمراء وعاقد لهم، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أمراءكم، لتحسن نيتكم وشربكم وأطعمتكم[1]، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾[النحل: ١٢٨]، إشارة من الصديق – ﷺ –إلى أن الله سبحانه وتعالى اختاركم للجهاد، فهذه نعمة من نعم الله عليكم؛ لذا يجب أن تقوموا بالأمانة كما يجب،وأرسل كتابًا إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الانضمام لجيش المسلمين المتوجه إلى الشام ومجاهدة الروم فيقول:«فإن الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم أن ينفروا خفافًا وثقالًا، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والجهاد فريضة مفروضة، والثواب عند الله عظيم... فسارعوا عباد الله، ولتحسن نيتكم فيه، فإنكم إلى إحدى الحسنيين، إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة، فإن الله

([1]) **تاريخ مدينة دمشق**،لابن عساكر: 64/2.

تبارك وتعالى لم يَرْضَ من عباده بالقول دون العمل، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق، ويقروا لحكم الكتاب، حفظ الله دينكم، وهدى قلوبكم، وزكّى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين»(1).

بهذه الوصية رغَّبَ الخليفة الناس في الجهاد وضرورته لنصرة دين الله من جهة، والإقرار بفضل الله ونعمه أن هداهم للإسلام، وذكرهم بعاقبة الجهاد ونتائجه كالشهادة في سبيل الله وجزاؤه في الأخرة، أو النصر والظفر بالغنيمة وفيها رضى الله والحياة الطيبة في الدنيا، ولعل من بين الوصايا التي تجمع المنهج المتكامل لقادة الجيوش والأمم وصيته ليزيد بن أبي سفيان(2)، التي تحتوي على ثلاثين مادة كاملة ترسم الخطوط العريضة للقائد الرشيد الذي سيحقق النصر، إذا ما التزم بها في أيِّ مكان وأيِّ زمان، وهي المبادئ الأساسية للجهاد في سبيل الله، وهذا نص الوصية حيث يقول الصديق – ﷺ –: " عليك بتقوى الله، فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليًا له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربًا إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد، فإياك وعُبِّيَّة الجاهلية، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير، وعدهم إياه، وإذا وعظت فأوجز،فإن كثرة الكلام يُنسِي بعضه بعضًا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[النساء: ٥٩]، وإذا قدم عليك رسل عدوك، فأكرمهم، وأَقْلِلْ لَبْثَهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا تُرِيَنَّهم، فيروا خَلَلَك ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت متولي لكلامهم لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩ ﴾[آل عمران: ١٤٩] "(3).

ويكمل وصيته – ﷺ – بقوله:« ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتُؤتَى من قبل نفسك، قال سبحانه وتعالى:﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾[آل عمران: ١٥٩]»، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم، بغير علمٍ منهم بك، فمَنْ وجدته غَفِلَ عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب

---

(1) **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير: 65/2، 66.

(2) **يزيد بن أبي سفيان** بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أخو معاوية، وأمه أم الحكم زينب بنت نوفل، أسلم يوم فتح مكة، وشهد غزوة حنين، استعمله أبو بكر – ﷺ – على جيشٍ وسَيَّره إلى الشام، ولي فلسطين، وتوفي في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة، **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير: 458/5.

(3) **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير: 254/2.

بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة، فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجن فيها، ولا تسرع إليها، ولا تخذلها مدفعًا، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتف بعلانيتهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ١٢]، ولا تجالس العباثين، وجالس أهل الصدق والوفاء، وأصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر، ويدفع النصر، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء:34][1]، ويكمل الصديق – رضي الله عنه – وصيته فيقول: «وستجد أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع، فدعهم وما حبسوا أنفسهم له»[2].

إن أول ما بدأ به الصديق في وصيته الحث على تقوى الله عز وجل، فالإيمان بالله موجب للنصر فأكَّدَ الصديق – رضي الله عنه – أن التوفيق من الله مرتبط بطاعته والخوف منه سبحانه وتعالى، وعليه فتقوى الله سبب من أسباب نصر، وهي قاعدة حتمية تضمن السير في الطريق الصحيح، ونبَّهَ أيضًا – رضي الله عنه – على ضرورة حسن معاملة الجندي، وفي ذلك تذكير بعدم سلوك طريق الجاهلية، وتذكيره بحسن صحبة الجند والاهتمام بهم، وأن يعدهم الخير وثواب الجهاد والفتح، وأن لا يطول بخطبته، ويركز على أهم النقاط في البحث على ذلك.

وأقر الصديق أن طاعة الله والاستجابة لتوجهاته والعمل بها من أسباب الفتح، وفي مقابل ذلك عدم طاعة الكافرين والسير في ركابهم؛ ولأن الصديق – رضي الله عنه – يعلم أن من أهم مبادئ الشريعة الإسلامية مبدأ الشورى لما له من أهمية كبيرة في تحقيق النصر، وحث على الاستعداد والتجهيز بكل ما أوتي من قوة، سواء في التخطيط أو العتاد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ونهى الصديق – رضي الله عنه – جنوده عن التجسس على الجند، لما له من أثر سلبي عليهم، وحث على الصدق والوفاء فهي من أخلاق المسلم التي يجب أن يتحلى بها في السلم والحرب، كما حرص الصديق – رضي الله عنه – على نشر الصلاح في الأرض وعدم الفساد؛ لأنه المقصد العام من الفتوحات الإسلامية، وبذلك لا يتعدى على مَنْ حبس نفسه للعبادة من الكفار؛ لأن ذلك من شأنه أن يمكن المسلمين وينصرهم لعدم فسادهم، جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا

[1] **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير: 254/2

[2] **المصدر السابق**:254/2.

تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[هود: ٨٥]، وقد علق ابن الأثير عليها بقوله:«وهذه من أحسن الوصايا، وأكثرها نفعاً لولاة الأمر»[1]، فنجد أنها تضمنت كل المبادئ التي لابد للقائد أن يعرفها ويلتزم بها، في كل زمان ومكان، فليست مقيدةً بوقتٍ معين ولا برجلٍ معين، فكانت عبارةً عن أسس يجب اتباعها،وهي باختصار: تقوى الله عز وجل، وحسن معاملة الجند، وطاعة الله والاستجابة لتوجيهاته والعمل بها، وعدم طاعة الكافرين والسير في ركابهم، والاستشارة، والاستعداد، وطريقة عقوبة المذنب، وعدم التجسس على الجند، والحث على الصدق والوفاء ... إلى غير ذلك.

الفرع الثاني: وجوب طاعة القائد

في بداية الفتوحات على جبهة العراق قام أبو بكر – رضي الله عنه – بتوزيع المسؤوليات على القيادات وترتيبها، فحرص على أن تكون المسؤولية مناصفة بين القادة، فكان أبو بكر – رضي الله عنه – قد عهد إلى خالد بن الوليد أن يأتي العراق من أسفل، وإلى عياض بن غنم[2]أن يأتي العراق من فوقها، وقال: " وأيكما سبق إلى الحيرة فهو أمير على الحيرة، فإذا اجتمعتما بالحيرة إن شاء الله ... وقد فضضتما مسالح ما بين العرب وفارس، وأمنتم أن يُؤتىَ المسلمون من خلفهم، فليقم بالحيرة أحدكما، وليقتحم الآخر على القوم، وجالدوهم عما في أيديهم، واستعينوا بالله واتقوه، وآثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم، ولا تؤثروا الدنيا فتسلبوهما، واحذروا ما حذركم الله بترك المعاصي، ومعاجلة التوبة، وإياكم والإصرار وتأخير التوبة "[3]، فقد وزع الصديق – رضي الله عنه – المسؤوليات؛ لأن مهمته تربية القيادات على الإيثار والتنافس في أمور الآخرة، وكان من حينٍ لآخر يذكرهم بتقوى الله، وترك الذنوب والمعاصي، فحين نتأمل كتاب الله عز وجل نجده يقص علينا الكثير من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم، وذلك لعصيانه ومخالفة أمره؛ لأن الذنوب تزيل النعم، ولعل أبا بكر أراد في هذه الوصية تنبيه الجند على أنهم في نعمةٍ كبيرة، وهي الايمان، ونعمةٍ عظيمة، وهي أن الله اختارهم من بين الناس جميعًا لحمل راية الجهاد في سبيله، لذا يجب أن يكونوا في مستوى ذلك، ويشعروا بعظم الأمانة والمسؤولية بتخطي الذنوب ومجانبتها، فالاهتمام بالقيادة، واختيار الرجل الذي من شأنه أن يحرز انتصارات، وأن يعطي دافعًا قويًّا لجيشه، ويزيد من شجاعته وقوته؛ لثقتهم في قائدهم.

([1])**الكامل في التاريخ**، لابن الأثير: 245/2.

([2])**عياض بن غنم** بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال الفهري القرشي، أسلم قبل الحديبية، وكان من الذين شهدوا بدرًا وأحد والخندق، فتح بلاد الجزيرة أيام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ولاه أبو عبيدة مكانه، فأقره عمر على حمص وتوفي بها سنة= =عشرين، **ينظر**: **الطبقات**، لابن سعد: 7/ 279،280، **والأعلام**، للزركلي: 99/5، **والإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر العسقلاني: 630/4.

([3])**تاريخ الرسل والملوك**، لابن جرير الطبري: 3/347 .

لقد تربى (خالد بن الوليد) في أجواء مكة، وكلُّ خبراته الحربية كانت في حروبه للإسلام لعشر سنوات، لكن كفاءته وموهبته برزت، إضافةً إلى خبرته في بدايات صعود نجمه العسكري، واستطاع أن يغير مسار الحرب في (مؤتة)ففاز على إثرها بلقب (سيف الله)، فانتشر هذا الاسم معه، ونشر الرعب في صفوف كلِّ مَنْ واجهوه[1]، فلم يكن اختيار أبي بكر للقائد عبثًا، فقد وقع اختياره على مَنْ له أخلاق وعلم وخبرة عسكرية، وتجربة في الحرب، فلابد أن تكون هناك معايير محددة وواضحة لاختيار القائد، فالقيادة الميدانية التي مثَّلها (خالد بن الوليد) ناجحة إلى أبعد الحدود، ومع أنه حافظ على مركزية القيادة إلا أنه لم يفرط في مبدأ المبادرة، ولم يتأخر في توزيع المهام، فالأجنحة والمفارز كان لها قادتها، فيما كانت المعارك بقيادته وبشورى من أصحابه، ويمكن رصد عوامل نجاح (خالد بن الوليد) – ﷺ – في القيادة في النقاط الآتية:

1. أن الخطة الموضوعة من الخليفة الصديق – ﷺ – ذكية ومحكمة، وتهدف إلى تطويق العراق من جهتين والسيطرة أولًا على الحيرة عاصمة العراق.

2 . أنه تم توكيل المحور الأصعب لـ (خالد بن الوليد)، مما يزيد من عزيمته وقوة تنفيذه، حيث وضع الخليفة الثقة الكاملة فيه لتنفيذ ما أُمِرَ به.

3 . لم يرتكز (خالد بن الوليد) على الخطط الجامدة، والأوامر الحرفية، فبعد الانتهاء من مهمته سارع إلى إنقاذ (عياض بن غنم) لفتح (دومة الجندل)، أي أنه ينظر بشكلٍ عام لمصلحة المسلمين عامة، وإلا ترك (عياض بن غنم) يتصرف مع محوره، وليحدث ما يحدث.

ومن العوامل الأساسية التي ساعدت (خالد بن الوليد) على النجاح في تنفيذ خطته، أنه كان معه كبار القادة،فتم توزيع القطاعات والجبهات بين القادة المجربين من أمثال (المثنى بن حارثة الشيباني)[2]، و(القعقاع بن عمرو)[3]، و(ضرار بن الأزور)[4]، و(عدي بن حاتم)، و(سويد بن مقرن)، و(الزبرقان بن بدر)، و(عروة

([1]) **ينظر: المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة، أبو بكر الصديق** ﷺ، لمنير محمَّد الغضبان، مصر، القاهرة، دار السلام، ط1، 1436هـ – 2015م، ص:234.

([2])**المثنى بن حارثة** بن سلمة بن سعد بن مرة بن بكر بن وائل الشيباني، وفد مع قومه على النبي ﷺسنة تسع، وسيره أبو بكر الصديق إلى العراق، توفي في موقعة الجسر، **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير: 55/5.

([3])**القعقاع بن عمرو التميمي**، له دور عظيم في قتال الفرس بالقادسية، شهد مع علي ﷺ الجمل وغيرها من حروبه، أرسله عليٌّ إلى طلحة والزبير، فكلمهما بكلامٍ حسن، تقارب به الناس إلى الصلح، **ينظر: أسد الغابة**، لابن الأثير: 390/4.

([4])**ضرار بن الأزور**، مالك بن أوس بن جذيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، كان فارسًا شجاعًا شاعرًا، وهو الذي قتل مالك بن نويرة التميمي، وشهد قتال مسيلمة باليمامة، وأبلى بلاءً عظيمًا حتى قُطِعَت ساقاه، فجعل يحبو على ركبتيه، ويقاتل وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت، **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير: 53/3.

بن الجعد)[1]، و(الأقرع بن حابس التميمي)، و(أبي ليلى فدكي)، ومن ملامح الطاعة التي ظهرت في عهد أبي بكر – رضي الله عنه – أنه ألزم قادته بالطاعة لبعضهم البعض، فقد كتب إلى المثنى بن حارثة:«إني قد بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق فاستقبله بمن معك من قومك، ثم ساعده، وآزره، وكاتفه، ولا تعصِيَنَّ له أمرًا، ولا تخالفوا له رأيًا، فإنه من الذين وصف الله تبارك وتعالى في كتابه فقال عز وجل:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾[الفتح: ٢٩] »[2]، فيبرز من خلال هذه الوصية وجوب طاعة ولي الأمر، إذا كان من الذين يحق فيهم وصف (أشداء على الكفار)، فسيكون بذلك الدرع المحصن الذي يصد كلَّ الهجمات والمخاطر التي تحدق بالإسلام.

وفي وصيته – رضي الله عنه – لجيوش المسلمين المتجهة نحو بلاد الشام قال لهم:« فتجهزوا – عباد الله – إلى غزو الروم بالشام فإني مؤمر عليكم أمراء وعاقد لكم ألوية، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أمراءكم لتحسن نيتكم وأشربتكم وأطعمتكم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»[3]، وكان جوابهم: «أنت أميرنا، ونحن رعيتك، فمنك الأمر، ومنا الطاعة، فنحن مطيعون لأمرك، وحيثما توجهنا نتوجه»[4].

ومن خلال تتبع مسيرة فتح العراق نجد أنه بالفعل التزمت القيادة بتطبيق أوامر الخليفة، وذلك بعظمة الإيثار التي برهن عليها خالد بن الوليد بفعله هذا، فبعدما وصل خالد إلى الحيرة، وأكمل واجباته التي حمله إياها الصديق – رضي الله عنه – بقي عياض بن غنم في موقعه، مُحاصَرًا، ولم ينفذ شيئًا من مسؤولياته، فاستغاث (عياض بن غنم) بـ (خالد بن الوليد)، ولما قدم الوليد بن عقبة من عند خالد على أبي بكر – رضي الله عنه – بما بعث إليه من الأخماس بعثه إلى عياض، وأمده به، فقدم عليه الوليد، وعياض محاصرهم، وهم محاصروه، وقد أخذوا عليه بالطريق، فقال له: الرأي في بعض الحالات خير من جندٍ كثيف، ابعث إلى خالد فاستمده، ففعل، فقدم عليه رسوله بعد وقعة العين مستغيثًا فعجَّلَ إلى عياض بكتابه:«من خالد بن الوليد إلى عياض بن غنم: إياك أريد»[5].

فلقد كتب خالد الجواب لعياض رضوان الله عليهما، بعد أن قام بكل مسؤوليات عياض في فتح العراق الشمالي الذي كُلِّفَ به، ولم يستغل هذه الانتصارات، أو ينقص من قدر عياض، بل كان هذا الجواب الخالد من خالد: إياك أريد، وعلى ذلك يمكننا القول أيُّ روحٍ سمحة، وإيثارٍ عظيم، وترفُّعٍ عن هوى النفس يملكه هذا

(1) **عروة بن الجعد،** البارقي الأزدي، كان ممن سَيَّرَه عثمان – رضي الله عنه – إلى الشام، وكان مرابطًا ومعه عدة أفراس، منها فرس أخذه بعشرة آلاف درهم، **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة،** لابن الأثير: 25/4، 26.

(2) **تاريخ فتوح الشام،** للأزدي،ص:60، 61.

(3) **الفتوح،** لابن أعثم: 82/1،**وينظر: تاريخ فتوح الشام،** للأزدي، ص:5.

(4) **المصدر السابق:** 82/1.

(5) **تاريخ الرسل والملوك،** الطبري: 373/3.

القائد العظيم، هذا لأن فيه التربية النبوية، وبعدها التربية الصديقية التي اكتسبها من الصديق ﷺ إذ كان قلبه عامرًا بحب الله.

ونجد حرص أبي بكر الصديق - ﷺ - في طاعة القائد؛لأنه إذا ما أقامها المسلمون انتصروا، فطاعة الولي ضرورة حتمية، فعندما ولى الصديق - ﷺ - القائد خالد بن الوليد إدارة جيوش الشام حين بعثه لهم مددًا من العراق طلب من القائد أبي عبيدة بأن يسمع ويطيع لأمر القائد خالد بن الوليد لفطنته وعلمه بالحرب(1)، ولأن طاعة الجند للقائد تحرز النصر طلب خالد بن الوليد من أبي عبيدة أن ابعث إلى كلّ رايةٍ فمُرْهُم أن يطيعوني، فدعا أبو عبيدة الضحاك بن قيس فأمره بذلك، فخرج الضحاك يسير في الناس طالبًا منهم طاعة القائد خالد فيما يأمرهم به، فأجاب الناس بالسمع والطاعة(2)، فيجب على الجنود أن يولوا أمرهم إلى قائدهم حتى لا تختلف آراؤهم وبذلك يتفرق جمعهم، فجعل الله سبحانه وتعالى تفويض الرعية الأمر إلى ولي الأمر سببًا لحصول العلم وسداد الرأي، فإن ظهر لهم صوابٌ خَفِيَ عليه بيّنوه له، وأشاروا به عليه، ولذلك ندب إلى المشاورة ليُرجَع بها إلى الصواب(3)،قال تعالى:﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[الشورى: ٣٨].

وقد فوض الخليفة أبو بكر الصديق - ﷺ - الأمر إلى قادة جيوشه في الشام فقال:«يا أبا عبيدة، ويا معاذ، ويا شرحبيل، ويا يزيد: أنتم من حماة هذا الدين، وقد فوَّضْتُ إليكم أمر هذه الجيوش فاجتهدوا في الأمر واثبتوا، وكونوا يدًا واحدة في مواجهة عدوكم»(4)، ثم أمر القادة بمراعاة أحوال الجنود، وتقديم الإخلاص والاتحاد حتى لا تختلف آراؤهم(5)، وأكمل الصديق - ﷺ - وصيته قائلًا: " فإذا قدمتم البلد، ولقيتم العدو، واجتمعتم على قتالهم، فأميركم أبو عبيدة بن الجراح، وإن لم يلقكم أبو عبيدة، وجمعتكم حرب، فأميركم يزيد بن أبي سفيان "(6).

إن من مهام القياد التشجيع وبث روح النصر في الجيش، فلابد للقائد الذي يتولى أمور جيشه في الإسلام أن يمتلك روح التحفز(7)، ويظهر هذا الأمر في الجيوش الإسلامية منذ بداية الفتوحات، فقد كان جيش خالد دائم التحفز، خاض حروبًا عديدة في الصحراء العربية، وفي أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية دون توقف، خلافًا لجيش الفرس الذي يضم بضعة آلاف من المقاتلين المدرَّبين وعشرات الآلاف من الفلاحين المساكين، والكثير ممن يُجبَرون على خوض غمار الحرب رُغمًا عنهم فيُسلسَلون بالأغلال، وكان خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين يجد لكل معركةٍ يخوضها الحافز الخاص بها، فعندما عسكر جيشه في (كاظمة)، قبيل

(1) **ينظر**: **تاريخ فتوح الشام**، للأزدي،ص:86.

(2)**ينظر**: **المصدر السابق**،ص:189.

(3) **ينظر**: **الأحكام السلطانية**، للماوردي،ص:48.

(4)**المصدر السابق**،ص:7.

(5)**ينظر**: **الفتوح**،لابن الأعثم: 84/1.

(6)**تاريخ اليعقوبي**،لليعقوبي: 33/2.

(7)**ينظر**: **القتال في العهد الراشد**، لفادي شامة، ص: 70.

خوض المعركة التي سميت فيما بعد بـ (ذات السلاسل)، كان على غير ماء، وكان الفرس على الماء بعدما سبقوا إلى المكان، لكن ذلك لم يثبط من عزيمة خالد إنما قال لهم:«الماء لأكرم الجندين»[1]، لهذا فإن إرادة الجيش تكمن في قوة وعزيمة القائد.

الفرع الثالث: عدم الاستعانة بمن دخل قلبه الشك

ونقصد بذلك عدم قبول المرتدين الذين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺفي جيش الفتوحات الإسلامية، جاء في قوله تعالى:﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾[التوبة: ٨٣]، جاء في تفسير الطبري أن الله عز وجل يقول لنبيه مُحَّد:«فإن ردَّك الله يا مُحَّد إلى طائفةٍ من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه، فاستأذنوك للخروج معك في أخرى غيرها، فقل لهم: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ﴾، وذلك عند خروج النبي ﷺ إلى تبوك، ﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾يقول: فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول اللهﷺلأنكم منهم فاقتدوا بهديهم، فإن الله سخط عليكم »[2].

ونخلص من خلال هذه الآية إلى أنه لا يجب الاستعانة بالمنافقين في الحروب، فهي تؤكد على ضرورة عدم اللجوء إليهم، فقد اختاروا في بداية الأمر عدم الخروج والجهاد في سبيل الله، فالأفضل لهم أن يتبعوا طريقهم الأول، وذلك لما لهم من أثر سلبي، خاصة أن الانسان الذي لم يثبت الإيمان في قلبه بإمكانه أن يغير دينه في أي وقت، وعليه تيقن أبو بكر – رضي الله عنه – أن مهمة الفتوحات ومواجهة الروم والفرس صعبة، وأن وضع الدولة الإسلامية لا يسمح بالمخاطرة رغم قضائه على حروب الردة، إلا أنه نبه على خالد بن الوليد بأن لا يستعين بمن دخل قلبه يومًا ما الشك، أي المرتدين، فمهمة الجهاد ليست لمن شك في الإسلام، حتى ولو رجع عن أمره ورِدَّتِه، فالمؤمن لا يدخل قلبه ذرة من التردد في إتباع التعاليم الإسلامية، وذلك بالعمل بالقرآن الكريم وسنة نبيه الكريم، لذا اعتبر الخليفة الأول أن من الصفات التي يجب على الجندي أن يتصف بها هي إيمانه الراسخ، الإيمان الصافي الذي لا تشوبه شائبة، ومنه أكد على القائد خالد بن الوليد بعدم الاستعانة بأيِّ شخصٍ ارتد من قبل، في حروبه في فتح الأبلة التي عرفت بمعركة (ذات السلاسل) سنة 12هـ.

ولما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة، كتب إليه الصديق – رضي الله عنه – أن يسير إلى العراق، وأن يبدأ بفرج الهند، وهي الأبلة[3]، ويأتي العراق من أعاليها[4]، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عز وجل،فإن

([1])**الفتوح**، لابن الأعثم: 88/1.

([2])**جامع البيان**، لابن جرير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر الحرستاني، تصحيح: علي عاشور، لبنان، دار إحياء التراث، ط 1، د، ت: 10/ 228، 229.

([3])**(الأبلة)** بلدة على شاطئ دجلة، في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، مُصِّرت في أيام عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه – وكانت (الأبلة) حينئذٍ مدينةً فيها مسالح من قبل كسرى، وقال الأصمعي: جنان الدنيا ثلاث، وذكر الأبلة، **ينظر**: **معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 77/1.

([4])**ينظر**: **تاريخ خليفة بن خياط**، لابن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، الرياض، دار طيبة، ط2، 1405هـ – 1985م،ص:117.

أجابوا، وإلا أخذ منهم الجزية، فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وأمره أن لا يكره أحدًا على المسير معه، ولا يستعين بمن ارتد عن الإسلام وإن كان عاد إليه، وأمره أن يستصحب كلَّ امرئٍ مرَّ به من المسلمين[1].

ورأى أبو بكر - ﷺ - أن يستمر في نشر الإسلام، والدعوة إلى الله عز وجل، بعد أن تم له أمر الردة، واستطاع أن يجعل المسلمين في جبهةٍ واحدة، فأعطى المهمة لخالد بن الوليد، ولعل الحدث البارز في هذا الشأن أن الصديق - ﷺ - امتنع وأمر خالد بأن لا يدخل في جيشه امر قد دخل قلبه الشك وارتد قبل ذلك، وهذا لتصفية جيش المسلمين من أية شائبةٍ قد تحول بينه وبين حقيقة الجهاد التي أساسها الإيمان الصادق، ودافعها أمر أخروي قبل أن يكون دنيويًّا.

فالشرك بالله عز وجل يؤدي إلى الهلاك، لذا حرص الصديق - ﷺ - على أن يكون الجندي المنضم للجيش الإسلامي مؤمنًا بالله إيمانًا خالصًا، وتكون الغاية من خروجه نصرة دين الله، فالجهاد إن لم يكن في سبيل الله فلا يمكن أن نطلق عليه هذا الاسم (الجهاد).

ويرى سيد قطب أن نصرة الله تتمحور حول أمرين رئيسيين: نصرة الله في ذوات النفوس، ونصرة الله في واقع الحياة فيقول:«إن لله في نفوسهم أن تتجرد له، وألا تشرك به شيئًا، شركًا ظاهرًا أو خفيًّا، وألا تستبقي معه فيها أحدًا ولا شيئًا، وأن يكون الله أحبَّ إليها من ذاتها، ومِنْ كلِّ ما تحب وتهوى، وأن تحكمه في رغباتها ونزواتها وحركاتها وسكناتها، وسرها وعلانيتها، ونشاطها كله وخلجاتها»[2]، فهذا هو نصر الله في ذوات النفوس، لذا نبه الصديق - ﷺ - على عدم إدخال المرتدين في الحرب؛ لأنهم لم ينصروا الله في أنفسهم، فكيف ينصرهم على عدوهم؟ فلله شريعة ومنهاج للحياة، تقوم على قواعد وموازين وقيم وتصور خاص للوجود كله وللحياة، ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته ومنهاجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها دون استثناء[3].

ونجد الصديق - ﷺ - باتخاذه هذا القرار يُبعِد كلَّ مَنِ ارتكب معصية الله عز وجل، واقترف ذنبًا من أعظم الذنوب، وهو الارتداد عن دين الله، ونلمح من خلال موقف الخليفة الأول بعدم الاستعانة بمن دخل قلبه الشك أنها مرحلة مؤقتة، ففي بداية الفتوحات كان لابد أن يكون الجنديُّ مخلصًا لله لصعوبة الموقف، والجهاد في بداياته كان في موقفٍ حساس، لذا يجب عدم المخاطرة بإدخال مَنْ يفتقد هذه الصفة، وهذا لسعة فقه أبي بكر - ﷺ - للسنن الإلهية.

ومواقف الخليفة كثيرة تؤكد على التردد في الاستعانة بهم، فلما ترك خالد بن الوليد المثنى بن حارثة الشيباني في العراق ليتجه إلى الشام، اشتبك مع (هرمز جاذويه) في بابل[4]، واقتتلوا قتالًا شديدًا، وانهزم

([1])**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**،الطبري،ص: 3/ 343، **والبداية والنهاية**، لابن كثير: 5/ 287، 288.

([2])**في ظلال القرآن**، لسيد قطب: 3254/6.

([3])**ينظر: المصدر السابق**:3288/6.

([4])**(بابل)** اسم ناحية الكوفة، قيل: بابل العراق، وقال أبو الحسن: بابل الكوفة، وأول من سكنها نوح عليه السلام، وهو أول من عمرها عليه السلام بعد الطوفان، وقال هشام بن مُحَّد: إن مدينة (بابل) كانت اثني عشر فرسخًا في مثل ذلك، وكان بابها مما يلي الكوفة، وكان الفرات يجري بـ (بابل) حتى صرفه (بخت نصر) إلى موضعه الآن؛ مخافةَ أن يهدم عليه سور المدينة، وقال:

الفرس، فأبطأ خبر أبي بكر على المثنى، فاستخلف على المسلمين بشير بن الخصاصية[1]، وسار إلى المدينة ليخبره الصديق خبر المشركين، ويستأذنه في الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين فإنهم أنشط إلى القتال من غيرهم، فوجد الخليفة مريضًا فأخبره الخبر، فاستدعى عمر – ﷺ – وقال له: «فإذا مِتُّ فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى»[2].

ونستشف من هذه الحادثة أن الصديق – ﷺ – حذر في بداية مواجهة الفرس والروم من الاستعانة بالمرتدين؛ حرصًا منه على أن تكون على سلامة العقيدة للجندي، لا تشوبها شائبة، لصعوبة مرحلة التأسيس للفتح، وبعد ذلك إن كان من ارتد قد حسن إسلامه فله أن يكون من بين الذين يقاتلون في سبيل الله، فنجد في هذه الواقعة أمرين:

أولًا: لا يمكن المخاطرة في بداية مواجهة العدو بإقحام مَنْ شُكِّك في ايمانه.

ثانيًا: عقوبة من ارتد ورجع عن ردته، بحرمانه من أفضل العبادات، وهي الجهاد في سبيل الله؛ لردعه ثم السماح له بالمشاركة، وذلك للاتعاظ والعبرة.

ومنه فإن الصديق – ﷺ – بتخطيطه وتوجيهاته وأوامره جعل الفتوحات في مسار الامتداد، وذلك لاتباعه المنهج القويم الذي أدى إلى استثمار تفعيل السنن الإلهية وتطبيقها، أي: تحويل النظريات والنصوص والآراء إلى سلوكٍ وواقع.

المطلب الثاني: الصلح والوفاء بالعهود

يتضمن هذا المطلب فرعين، الأول بعنوان: الصلح ثقافة سننية، والثاني بعنوان: الوفاء بالعهود، هذا ما سوف أحاول تفصيله كما يلي:

الفرع الأول: الصلح ثقافة سُنَنية

لا شك أن ثلاثية الاختيار التي رسمها الإسلام قبل الشروع في الحرب، تميز بها عن غيره من الديانات الأخرى، فهي لا تجبر الغير على الدخول في دينٍقبل الاقتناع به، فالإيمان بالله عز وجل لا يحتاج إلى إكراه، إنما يحتاج إلى تقبل قلبي قبل أن يكون لفظيًا، لهذا كان الشروع في الفتوحات الإسلامية يبدأ بهذا الطرح: الإسلام، أو الجزية، أو الحرب، فإذا تم الإسلام أصبح لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وإلا فالجزية،فإن رضوا بها فسيكون على المسلمين شرط حمايتهم مقابل دفع الجزية، وإلا فالحرب؛ لأن المسلمين

بناها (بيوراسب) الجبار، واشتق اسمها من اسم المشتري؛ لأن (بابل) باللسان البابلي الأول اسم للمشتري، فعمرها حتى جاء الإسكندر، وهو الذي خربها، ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: 1/300 - 311.

([1])**بشير بن يزيد بن** معبد بن ضباب بن سبع، المعروف بابن الخصاصية، وقد أتى رسول الله ﷺفسماه بشيرًا، **ينظر**: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير: 1/396.

([2])**ينظر**: **الكامل في التاريخ**،لابن الأثير: 2/263.

يتعاملون بحسب الحالة التي سيواجهونها، فالحرب للمُحارِب، والوفاء للمُعاهِد، والسلم للمُسالِم، فهو قانون من قوانين الله تعالى؛ لتحقيق العدل والسلام في الأرض، لذا تنتهي الحرب عادةً بمعاهدة صلحٍ تُعقَد بين الأطراف المتحاربة، وبموجب الصلح تنتهي العمليات العدائية، ويسود السلام، والمصالحة والمسالمة مشروعة في الإسلام[1]، لقوله تعالى:﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾[الأنفال: ٦١]، وهي سنة من سنن الله عز وجل في الحروب والفتوحات، ونجد هذه السنة تحققت في عهد النبيِّ – صلى الله عيه وسلم- وفي غزواته مثلما حدث في صلح الحديبية، وصلح أهل خيبر[2].

ونجد أن إنهاء الحرب بالصلح لا وجود له في القانون الدولي، فهي ميزة حربية خاصة بالإسلام؛إذ إن هناك وسيلة أخرى لا يوجد لها شبيه في القانون الدولي الإنساني، وهي انتهاء الحرب بقبول الأعداء دفع الجزية، فبموجب هذه الموافقة يوجب الإسلام الكف عن القتال وإنهاء الحرب، الذي يترتب عليه إجراء صلحٍ دائم يسمى عقد الذمة، بموجبه يقوم الأعداء بدفع جزيةٍ معلومة مقابل حمايتهم[3]، ودليل على إنهاء القتال الذي كان من نتائجه إقامة الحق والعدل، ودليل على صحة طلبه الصلح وخضوعه لأحكام الإسلام، وما يتبع ذلك من مخالطة المسلمين، والتعرف على محاسن الإسلام ومكارم الأخلاق، جاء في قوله تعالى:﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾[النساء: ٩٠]

ويطلق على القبول بالجزية مصطلح (الصلح)، فبالصلح تُدفَع الجزية لتُعطَى لجيش المسلمين للدفاع عنهم من العدوان الخارجي، فهم وإن لم يتقبلوا فكرة الإسلام، إلا أنهم سلموا أنفسهم للمسلمين، ووثقوا في حمايتهم، مما يؤكد أنهم فقهوا بأنهم يحملون دين السلام، ويسعون لنشر الأمن، والدفاع عن الأرض كافةً من الطغيان والفساد، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ﴾[النساء: ٩٤]

ففي هذه الآية مبدأ جليل من مبادئ الجهاد الإسلامي،وفيه رَدٌّ مُفحِم على مَنْ يزعم أن هذا الجهاد إنما كان وسيلةً للغنائم، وفيه أمرٌ بقبول الظواهر من الناس دون تشدد، بحيث يقبل السلام والإسلام مِنْ كلِّ مَنْ يعلنه، ويكف عنه، وهو من المبادئ المحكمة المستمرة التلقين، إضافةً إلى ما فيها من صورةٍ واقعية من صور الجهاد، وتصرف بعض المسلمين فيها تصرف اقتضت الحكمة التشديد في النهي عنه وخطره، حتى لا يشوب

([1])**(القيم الإنسانية في الحروب بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي الإنساني)**، لمزعاش رياض، (أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة والقانون، كلية العلوم الإسلامية، قسم الشريعة، الجزائر، جامعة باتنة 1، (2017م،2018م))، ص: 118.

([2])**السيرة النبوية**، لابن هشام، تعليق: عمر عبد السلام تدمري، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1990م: 255/3 - 286.

([3])**ينظر: القيم الإنسانية في الحروب بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي الإنساني**،لمزعاش رياض،ص: 118.

الجهاد الإسلامي شائبة لا تلائم أهدافه ودواعيه[1]، لذا نجد ظاهرة الصلح في عهد أبي بكر - ﵁ - منتشرة، فكيف فُتِحَت المناطق صلحًا؟ وما هي فائدة الصلح؟ وهل تدخل ضمن إطار الثقافة السننية؟

في وقعة الثني[2]، وبعد هزيمة جيش المسلمين لهرمز، أخذ خالد بن الوليد الجزية من الفلاحين وصاروا ذمة، ونجد ذلك أيضًا في معركة الولجة، يقول ابن الأثير:«وبذل الأمان للفلاحين فعادوا وصاروا ذمة»[3]، وشرع أبو بكر - ﵁ - في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمدادًا لخالد - ﵁ - وقد توجه في محرم سنة اثنتي عشرة، وجعل طريقه البصرة، وفيها قطبة بن قتادة، وعلى الكوفة المثنى بن حارث الشيباني، فأقبل خالد بن الوليد - ﵁ - حتى نزل الحيرة، فخرج إليه أشرافها فقال لهم خالد بن الوليد: «أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن قبلتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد جئناكم بقومٍ هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، فقال له قبيصة: لا حاجة لنا بحربك، نعطيكم الجزية، فقال لهم خالد:تبًّا لكم، إن الكفر فلاة مُضِلَّة، فأحمق العرب مَنْ سلكها،ثم صالحهم على تسعين ألفًا، فكانت أول جزيةٍ أُخذِت من العراق وحُمِلَت إلى المدينة، ثم نزل على بانقيا[4]، فصالحه عليها بُصُبهر بن صلوبا»[5].

وبهذا يكون أول ماخرج خالد بن الوليد - ﵁ - في طريقه للدعوة كانت صلحًا بدايةً بالحيرة، مما يؤكد لنا أن غاية الإسلام إيصال الدعوة إلى الناس كافة، وأن الحرب ليس من أولوياته، فالاعتقاد لا يأتي بالإكراه والصلح خير، واستسلام الحيرة بهذه السهولة يؤكد أن العرب على استعدادٍ تام للسلم، ولكنهم ليسوا على استعدادٍ للإسلام، فكان بعضهم على نصرانيته، وبعضهم على وثنيته، وقليلٌ جدًّا مَنْ دخل الإسلام، وطريق الدعوة طويل وشائك فيه الغمرات والصعوبات، ثم ينجلين بعد ذلك، ويدخل العرب في الإسلام طائعين مختارين[6]، مما يعني أن الصلح يؤدي إلى الدخول في الإسلام بأحسن الطرق وأيسرها، يقول ابن الأثير: «كان الدهاقين[7] يتربصون بخالد، وينظرون ما يصنع أهل الحيرة، فلما صالحهم واستقاموا له، أتته الدهاقين

([1])**ينظر:سيرة الرسول – عليه الصلاة والسلام –: صور مقتبسة من القرآن الكريم**، لمحمد عزة دروزة: 292/2.

([2])**الثني**: هو علم لموضع بالجزيرة قرب الشرقي، شرقي الرُصافة، تجمعت فيه بنو تغلب وبنو يجير لحرب خالد بن الوليد - ﵁ - **ينظر: معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 86/2.

([3])**الكامل في التاريخ**،لابن الاثير: 240،241/2.

([4])**بانقيا**: ناحية من نواحي الكوفة، **ينظر: معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 331/1.

([5])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري: 343/3، 344.

([6])**ينظر: المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة** الراشدة، أبو بكر الصديق ﵁، لمنير محمَّد الغضبان، مصر، القاهرة،دار السلام، ط1، 1436هـ- 2015م، ص:237.

([7])**الدهاقين**: لفظ فارسي، مركب من (ده) بمعنى: قرية، و(قان) بمعنى: شيخ، أو رئيس، شاع استعماله كلقبٍ في بلاد فارس قبل الإسلام لرؤساء القرى أو الأقاليم، ورد ذكره في المصادر العربية والإسلامية على أنه من ألقاب أعيان الفرس ممن كانت لهم المشورة والرأي عند الملك، جمعه (دهاقنة)، ينظر: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، لمصطفى عبد الكريم الخطيب: 186.

من تلك النواحي، أتاه دهقان فرات سريا، وصلوا بابن نسطونا، فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هرمز جرد»[1]، ويُؤخَذ من هذا الصلح ما يلي:

أولًا: أنه سجل مبدأ عظيمًا من مبادئ الإسلام في تحديد العلاقة بين الغالب والمغلوب، والقوي والضعيف[2].

ثانيًا: بيَّنَ هذا الفتح سمو المبادئ الإسلامية وارتفاع القائمين على تنفيذها في عهود العزة الإسلامية عن سطحية العنصرية والقومية الضعيفة إلى آفاق العدالة الإنسانية[3].

ثالثًا: أظهر هذا الصلح أن الفتح لم يَنْجَلِ عن غالبين ومغلوبين تهيج بينهم الأحقاد، كما هي الحال في كلِّ فتح، وإنما انجلى عن أمةٍ واحدة لها ربٌّ واحد ونبيٌّ واحد، وأن التفاضل بين الناس فيها بالتقوى والمكارم[4].

وفي فتح الأنبار[5] سنة 12هـ أو كما عُرِفت بمعركة (ذات العيون) سار خالد بن الوليد - رضي الله عنه - بعد تحرير الحيرة إلى الأنبار، وعلى مقدمته (الأقرع بن حابس)، فحاصرها المسلمون، وقد تحصن أهل الأنبار، وخندقوا عليهم، وأشرفوا من حصنهم، وعلى جنودهم شيرزاد صاحب ساباط، وكان خالد بالخندق، وأنشب القتال، وأوصى رماته أن يقصدوا عيون جيش العدو فقال لهم:« إني أرى قومًا لا علم لهم بالحرب، فارموا عيونهم»[6]، فرموا رشقًا واحدًا، ثم تابعوا فأصابوا عيون الجيش، فلما رأى ذلك شيرزاد أرسل يطلب الصلح على أمرٍ لم يقبله خالد، فاجتمع المسلمون والمشركون في الخندق فأرسل شيرزاد مرةً أخرى يطلب منه الصلح على ما أراد فصالحه، وخرج شيرزاد إلى (جهمن جاذوية)، ثم صالح أهل الأنبار وأهل كلواذى[7]، وكذلك تم الصلح بعد معركة (المقر)، «وحينما وصل باقي الجيش خاض المسلمون معركةً أخرى مع الفرس بقيادة آزاذبة، فلما أحس بالخطر انسحب تاركًا الحيرة مما سهل محاصرة ما تبقى من الحصون دفعةً واحدة، فاستسلموا، وعصموا أموالهم، وأقروا بالجزية»[8].

([1])**الكامل في التاريخ**،لابن الأثير: 244/1.

([2])**ينظر: خالد بن الوليد**، لصادق عرجون، جدة، الدار السعودية، ط 3، 1981م، ص: 221.

([3])ينظر: **المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة** الراشدة، أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لمنير محمد الغضبان ، ص: 222.

([4])ينظر: **أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر**، لعلي الطنطاوي، وناجي الطنطاوي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط 8، 1983م، ص: 78.

([5])**الأنبار**: مدينة على الفرات غربي بغداد، بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تطلق عليها اسم (فيروزسابور)، وقال أبو القاسم : الأنبار حد بابل، سميت به؛ لأنه كان يُجمَع بها أنابير الحنطة والشعير والقت والتبن، ينظر: **معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 258/1.

([6]) **تاريخ الرسل والملوك**،الطبري: 374/3.

([7]) **ينظر: الكامل في التاريخ**،لابن الأثير: 246/2.

([8])**تاريخ الرسل والملوك**،الطبري: 362/3.

والنموذج الآخر لظاهرة الصلح – إن صح التعبير – حينما كان خالد بن الوليد – ﷺ – متوجهًا إلى الشام لإغاثة الفيالق الإسلامية لمواجهة الروم، فكانت أول مدينةٍ تُفتَح في الشام في عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – مدينة بُصْرَى، وفُتِحَت صلحًا، ثم سار خالد بن الوليد على وجهه ذلك حتى أغار على غسان بمرج راهط، ثم سار حتى نزل على قناة بُصرى، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة[1]، ويزيد بن أبي سفيان، فاجتمعوا عليها فرابطوها، فصالحهم أهلها على الجزية[2]، ونرى أنه على الرغم من عدد المسلمين وتجمعهم، وكان باستطاعتهم القضاء على أهل بُصرى لما لهم من قوة، إلا أنهم يحملون أخلاق الإسلام في القوة والضعف، فتم الصلح لأهل بُصرى.

الفرع الثاني: الوفاء بالعهود

إن الوفاء بالعهود والمواثيق، واجب وأمانة، وإن الغدر والخيانة تجلب الدمار، ومن أخلاق الجيش الإسلامي في الحرب أنه إذا ما صالح الناس على الجزية، مقابل الأمن، وإذا أراد الانسحاب فسنة الوفاء بالعهود حاضرة، وبذلك يعطيهم الأموال التي أخذت منهم، وقد ذكرنا سابقًا أن المغزى الأساس من الفتوحات هو الدعوة إلى الله عز وجل، وبذلك يكون الفهم الحقيقي للجهاد والغاية المذكورة في القرآن الكريم، ومما يثبت هذا أن القيادات الإسلامية خلال الفتوحات كانت تعرض ثلاثية الإسلام، وهي الخيارات المتمثلة في الإسلام أو الجزية مع ضمان الحماية، وإلا القتال من أجل نشر دعوة الله بفسح الطريق لها.

وعليه فإننا بدراستنا لسير هؤلاء القادة العظماء نجد أنهم ساروا على منهج الرسول ﷺفي الحروب ومبادئها، ولعل من بين أهم المبادئ التي تقوم عليها الحروب في الإسلام الوفاء بالعهود، فهو سنة من سنن الله عز وجل، مَنْ عمل بها وقام بتفعيلها نال جزاءَ الدنيا بالنصر والتوفيق من الله سبحانه وتعالى، وجزاء الآخرة بالثواب والجنة.

ومن المؤكد أن احترام المواثيق والعهود قيمة إسلامية لها دور كبير في المحافظة على السلام، وفض المشكلات، وحل النزاعات، وتسوية العلاقات بين المجتمعات[3]، جاء في قوله تعالى:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ**﴾[المائدة: ١]، وجاء في تفسير هذه الآية: «أي: أوفوا بالعقد الذي تُعاقِدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام، وفيما بينكم أيضًا»[4]، ورغَّبَ الله سبحانه وتعالى في الوفاء بالعهد والالتزام به،

(1)**شرحبيل بن حسنة،** وهي أمه، وأبيه عبد الله بن المطاع بن عبد الله بن الغطريف بن عبد العزى بن جثامة بن مالك بن مبشر بن الغوث بن مُرّ الكندي التميمي، أسلم قديمًا، وهاجر إلى الحبشة، وسَيَّره أبو بكر وعمر على جيش الشام، وهلك في طاعون عمواس، سنة ثمان عشر، **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة،** لابن الأثير: 619/2 – 621.

(2)**ينظر: الكامل في التاريخ،**لابن الأثير: 265/2.

(3)**ينظر: النظام السياسي في الإسلام،** لعبد العزيز خياط، القاهرة، دار السلام، ط1، 1999م، ص:301.

(4)**تفسير الطبري،** لابن جرير الطبري، بيروت، دار الفكر، 1405هـ: 84/15.

ووعد على ذلك الأجر العظيم لقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[الفتح: ١٠]، ولا نعني بالعهد أن يكون على إثمٍ أو عدوان؛ وإنما يجب أن يكون على أمرٍ إيجابي صالح يفيد الفرد والمجتمع والدولة، يقول (سيد قطب) في هذا:« ولا يُسمَح بقيام تعاهدٍ وتعاونٍ على الإثم والعدوان والفسوق والعصيان، وأكل حقوق الناس واستغلالهم... وعلى هذا الأساس قام بناء الجماعة الإسلامية والدولة الإسلامية، فنَعِمَ العالم بالطمأنينة والثقة والنظافة في التعاملات الفردية والدولية يوم كانت القيادة البشرية للإسلام»[1].

وسأقف على أهم المواقف في الفتوحات التي تبين الالتزام بهذا المبدأ؛ بما أن الخليفة الصديق – رضي الله عنه – أحسن اختيار القادة، فسنجد أن فيهم المواصفات المطلوبة لأداء وتحمل رسالة الجهاد بكل معانيها في حالة الحرب أو السلم، فها هو النموذج في ذلك القائد أبو عبيدة بن الجراح – ﷺ – لما قرر الانسحاب من حمص، وكان قد سيطر عليها، وأخذ من أهلها الجزية، استدعى وجهاء أعيان حمص النصارى، وأعلن انسحابه لظروفٍ طارئة، وبالتالي أصبح غير مسؤول عن حمايتهم، وهذا ما يقرره الإسلام، رَدُّ الأموال التي أُخِذت منهم فقد انتفى شرط أخذها، أي أموال الجزية[2].

وهذا العمل الذي قام به أبو عبيدة بن الجراح كشف عن طاعته لله سبحانه وتعالى محققًا بذلك مقصدًا من مقاصد الشريعة، وهو حفظ المال، وذلك جراء وفائه بالعهد، وإرجاعه لمال أهل حمص، فأيُّ عدلٍ هذا، وأيُّ سُمُوٍّ في الأخلاق والوفاء بالعهود حتى في الحرب، وهذا مالم تشهده البشرية قبل ظهور الإسلام، فهي حرب عادلة،وهي سنة الله عز وجل تقتضي العدل وعدم الظلم، وتطبيقها من قادة الفتوحات بَرْهَنَ على فقههم، واستحضارهم لمعاني الجهاد كما هي في القرآن الكريم، وهي أن المسلمين يعيدون الجزية لأهل الذمة عند الانسحاب، فلو كان غيرهم لنهب وخرب ما كان في طريقه انتقامًا للانسحاب، ولكن الدين الإسلامي جاء ليعمر وليستخلف في الأرض عباده المؤمنين، وكان لهذا الموقف العالي أثر عظيم في الدعوة إلى الإسلام، حيث تعلق أهل البلاد بحب المسلمين، وتمنوا أن ينصرهم الله على أعدائهم[3]، وقالوا: «لولايتكم وعدلكم أحبُّ إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولَنَدفعَنَّ جند هرقل عن المدينة مع عاملكم »[4]، مما يدل على أهمية الوفاء العهود ووجوبه وحرمة الغدر، وأنه يؤدي إلى الهلاك، وهو ظلم، بغض النظر عن هوية العدو، فـ « الله

([1])**في ظلال القرآن**،لسيد قطب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1961م: 2192/4.

([2])**ينظر: فتوح البلدان**، للبلاذري، ص: 324.

([3])**ينظر: التاريخ الإسلامي**: مواقف وعبر، لعبد العزيز بن عبد الله الحميدي، جدة، دار الدعوة، د. ت، ط 1: 8/3 .

([4])**فتوح البلدان**،للبلاذري، ص: 187.

تعالى لم يُبِحْ لنا أن ننصر إخواننا المسلمين غير الخاضعين لحكمنا على المعاهدين من الكفار لقوله عز وجل: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾[الأنفال: 72] »[1].

ونجد موقفًا آخر في خلافة عمر بن الخطاب - ﷺ -حيث كتب إلى أحد قواده:«أعزب الناس عن الظلم، واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدرٍ منكم أو بغي، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهدٍ عاهدكم عليه، وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم، فأوفوا بعهد الله، وقوموا على أمره يكن لكم عونًا ونصرًا»[2]، فأكَّدَ في هذه الوصية على أن العمل بسنة الله عز وجل في خلقه، تجعل الغلبة والنصر لمن قام بها، وتكون ضد من تجاهلها، ورفض السير على نهجها وتفعيلها، وكما أن الله سبحانه وتعالى يجزي كلَّ مَنْ عمل بمبدأ الوفاء بالعهود، فإنه عزوجل توعد كلَّ مَنْ خالف هذه السنة بالعقاب واللعنة وسوء العاقبة في الدنيا والأخرة، فهي سنة تجري على المؤمن قبل الكافر، لذا ارتبط تفعيلها بمدى إيمان الشخص بالله عز وجل، فكان خير مَنِ استثمر هذه السنة القيادة الإسلامية التي كانت تحمل لواء الفتوحات في العهد الراشدي، لذا فمَنْ أعطى عهد الله ثم نقضه، فالله ينتقم من فعله هذا، ومَنْ أعطى ذمة النبي ثم غدر بها، فالنبيُّ خصمه يوم القيامة، لقوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[الرعد: ٢٥].

ومما يؤكد أن أخلاق المسلمين في الحرب ومبادئهم ذات قيم إنسانية سامية، أن الإسلام اهتم بأدق التفاصيل في هذا الشأن، فإذا أعطى الأمان بأية لغةٍ كانت، سواء بالإشارة أو الايماء أو التصريح، فلا بد أن يلتزم بعهده ولا ينقضه، فقد « سُئِلَ الإمام مالك عن الإشارة بالأمان، أهي بمنزلة الكلام؟ فقال: نعم، وإني أرى أن يتقدم إلى الجيوش أن لا تقتلوا أحدًا أشاروا إليه بالأمان؛ لأن الإشارة عندي بمنزلة الكلام، وإنه بلغني أن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: ما ختر قوم بالعهد، إلا سلط الله عليهم العدو »[3]، ولذا وجدنا أن الخلفاء في فتوحاتهم التزموا بهذه السنة؛ لما لها من أثرٍ إيجابي باتباعها، وأثرٍ سلبي بعدم العمل بها، فساروا على نهج النبي ﷺوقد أثمر التزامهم بالعقود والمواثيق في فتح القلوب على غير المسلمين الأمم الأخرى[4]، حيث أصبحوا أعوانًا لهم على أعدائهم، فإنهم لما رأوا وفاء المسلمين وحسن السيرة منهم صاروا أشداءَ على عدو المسلمين من المسلمين على عدوهم.

([1])**تفسير المنار**، لرشيد رضا: 140/10.

([2])**خُطَب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه**، لمحمد عاشور، مصر، دار الاعتصام ، ط1، 1984م، ص:139.

([3])**الموطأ**، للإمام مالك بن أنس، باب (ما جاء في الوفاء بالأمان)، تقديم: قسم الدراسات بدار الكتاب العربي، القاهرة، دار الريان للتراث، ط 1، 1988م: 290/1.

([4])**ينظر**: **الخراج**، ليعقوب بن ابراهيم أبو يوسف، بيروت، دار المعرفة، 1979م، ص: 139.

المطلب الثالث: الصبر والثبات والتعاون

يعتبر الصبر والثبات من العوامل المعنوية للنصر، وهي سابقة للعوامل المادية، وذلك أن الأسباب المادية لا تؤدي وظيفتها في الجهاد خاصة والحياة عامة إذا فقدت قوتها المعنوية، وبذلك فهي العنصر الأساسي في تحقيق الانتصار على العدو، وعلى هذا سنبحث في هذا المطلب عن هذه الصفات في الفتوحات الإسلامية في فترة الصديق - ﷺ - فهل تحلى الجند والقادة بهذه الصفات؟ ويتضمن هذا المطلب فرعين، الأول بعنوان: الصبر والثبات، والثاني بعنوان: التعاون.

الفرع الأول: الصبر والثبات

يعد الصبر مفتاحًا للنصر، وهو صفة من صفات المؤمنين، فلابد للمجاهد أن يتحلى بهذه الصفة في أصعب المواقف، وأبو بكر الصديق - ﷺ - وهو القائد الأعلى يعلم علم اليقين أهمية الصبر وضرورة تذكير الجنود به، فقال لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص عندما وجهه مددًا لجند الشام:« إذا لقيت عدوك فاصبر وصابر، واعلم أنك لا تخطو خطوةً، ولا تنفق نفقةً، ولا يصيبك ظمأ، ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملًا صالحًا، إن الله لا يُضِيعُ أجر المحسنين»[1].

فهذه إشارة منه - ﷺ -على أن الصبر سلاح المؤمن القوي، الذي يؤمن برسالته، وأنه على حق، وإن طال النصر، وهو تاج الأسباب، وركن ركين في النصر، وهو قبل الأسباب ومعها، إذ كلُّ سببٍ لا بد في تحقيقه من التحلي بالصبر، ولا بد مع اجتماعها من الصبر على الحرب وشدتها ومصابرة العدو حتى ينفد صبره، وإلا بطل كلُّ جهد، فالصبر والثبات من أسباب القوة المعنوية الجالبة للنصر[2]، لذا يجب الصبر عند لقاء العدو، فالله سبحانه وتعالى فرض على كلِّ مسلمٍ يلاقي العدوَّ أن يقاتل مِثْلَيْه من المشركين[3]، لقوله تعالى:﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[الأنفال: ٦٦]، وبهذا جعل الله سبحانه وتعالى الصبر عند لقاء العدو من أعظم القربات وأفضل العبادات، جاء في قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أي اصبروا على

---

(1) **البداية والنهاية**، لابن كثير: 287/5، 288، **وينظر: تاريخ الرسل والملوك**،الطبري: 346/3.

(2) **ينظر: سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم**، لحسن بن صالح الحميد، مصر، دار الهدي النبوي، ط 2، 2011م، ص: 265.

(3) **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، لأبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب الماوردي، تح: أحمد مبارك البغدادي، الكويت، مكتبة دار قتيبة، ط1، 1989م، ص:44.

دينكم، وصابروا الكفار ورابطوهم، أي أمرهم أن يصبروا على دينهم ولا يَدَعوه لشدةٍ ولا رخاء، ولا سراء ولا ضراء، أي اصبروا على الطاعة، وصابروا أعداء الله، ورابطوا في سبيل الله[1].

وقد كان الصبر صفةً ملازمةً للقائد وجنوده في الفتوحات الإسلامية، وفي موقف خالد بن الوليد في معركة (ذات السلاسل) دليل ذلك، فقد بعث خالد بن الوليد – ﷺ – كتابًا إلى أمراء كسرى بالمدائن ومرازبته ووزرائه، وفيه:«من خالد بن الوليد إلى أمراء ومرازبة أهل فارس، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فالحمد لله الذي فضَّ خدمكم، وسَلَبَ ملككم، ووهَّنَ كيدكم، وأن مَنْ صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم الذي له مالنا وعليه ما علينا،أما بعد فإذا جاءكم فابعثوا إليَّ بالرهن، واعتقدوا مني الذمة، وإلا فو الذي لا إله غيره لأبعثَنَّ إليكم قومًا يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة»[2].

فهذه إشارة منه – ﷺ – إلى قوة المسلمين، والمبادرة بنشر الأمن والاستقرار، وإلا فالحرب للأمم التي استعبدت وأذلت الأمم، فأسلِمُوا طواعيةً، وإذا أصرَّ الطواغيث على استعباد الناس، فلن يُسمَح لهم بذلك، وسيقدم بقومٍ يحرصون على الموت في سبيل الله كما يحرصون هم على الحياة، فخرج خالد فواعدهم جميعًا (الحفير) ليجتمعوا به، ويصادموا عدوهم، وكان فرج الهند أعظم فروج فارس بأسًا وأشدها شوكةً، وكان صاحبه يحارب في البر والهند في البحر وهو هرمز، وهو نائب كسرى فجمع جموعًا كثيرة، وسار بهم إلى (كاظمة)[3]، وعلى مجنبتيه (قباذ) و(أنو شجان) – وهما من بيت الملك– وقد تفرق الجيش في السلاسل لئلا يفروا، وكان (هرمز) هذا من أخبث الناس طويةً، وأشدهم كفرًا[4].

ورغم عبقرية (هرمز) وكفاءته في استيلائه على الماء إلا أن القائد (خالد بن الوليد) لم يدخل اليأس قلبه، فما أعطاه الله تعالى من القوة والصبر يجعله يتصدى لأكبر الأزمات وأقواها، فقدم بمن معه من الجيش، وهم ثمانيةَ عشرَ ألفًا فنزل تجاههم على غير ماءفشكى أصحابه ذلك، فقال: «جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء، فإن الله عز وجل جاعل الماء لأصبر الطائفتين، فلما استقر بالمسلمين المنزل وهم ركبان على خيولهم، أرسل الله سحابةً فأغزرت ما وراء صف المسلمين، فقواهم بها وما ارتفع النهار وفي الغائط مقترن»[5]، فامتلأت كلُّ المناطق المنخفضة بالماء، فكان الله معهم بصورةٍ محسوسة حية، وهو القائل عز وجل:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن

([1]) **جامع البيان**، الطبري: 685/4.

([2])**تاريخ فتوح الشام**،لمحمد بن عبد الله الأزدي، تح: عبد المنعم عبد الله عامر، مؤسسة سجل العرب،(د،ط،ت)، ص:34.

([3])**كاظمة**: هي جوٌّ على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان، وفيها ركايا كثيرة، وماؤها شروب، واستسقاؤها ظاهر، ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، 431/4.

([4])**ينظر**: **تاريخ الرسل والملوك**،الطبري: 348/3.

([5])**ينظر**: **المصدر السابق**:349/3.

تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ﴾[مُحَمَّد: ٧، ٨]، وهذه كرامة وسنة من سنن الله الخاصة بتأييد المسلمين ونصرهم على العدو، إذا ما نصروا الله عز وجل بصبرهم، وبعث خالد الأمراء يمينًا وشمالًا يحاصرون حصونًا هنالك ففتحوها عنوةً وصلحًا، وأخذوا منها أموالًا جمة، ولم يكن خالد يتعرض للفلاحين- مَنْ لم يقاتل منهم- ولا أولادهم، بل للمقاتلة من أهل فارس[1].

لقد كان المجاهدون في الجيش الإسلامي في هذه المعركة وغيرها من المعارك في عهد الصديق - ﵁ - على درجةٍ كبيرةٍ من الثبات والشجاعة والصبر عند لقاء العدو، وعند الانصدام بما لم يكن في الحسبان، والصبر والثبات سنة من سنن الله عز وجل عَمِلَ بها هذا الجيل، وطبقها في مقاومته للعدو من خلال الفتوحات؛ لذا أعانهم الله، وثبتهم على الحق ونصرة دينه، فإذا كان الجنود على صبرٍ وشجاعة فلا خوف على نصرهم وإن كانوا أقل عددًا من العدو، ولعلنا نذكر موقف (خالد بن الوليد) قبيل معركة اليرموك حين قال رجل من جنود المسلمين لخالد بن الوليد:«ما أكثر الروم وأقل المسلمين فقال خالد: ما أقل الروم وأكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر [أي فرس خالد] براء، وأنهم أضعاف العدد»[2]، فهذه إشارة منه - ﵁ -إلى أن الانتصار يتحقق بالشجاعة والإقدام والصبر والثبات لا بكثرة الرجال وكثرة العدد، والرسول ﷺخير مثال في ذلك لقوله:«يأيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[3].

ومما يؤكد أن المسلمين نصروا الله فنصرهم، وجعل الفتح على أيديهم وأيدهم سبحانه وتعالى ما وقع في فتح الفراض[4] سنة12هـ،فبعد أن هُزِمَت القبائل العربية المتحالفة مع الروم في دومة الجندل[5]، اجتمعت للمرة الأولى قوة متعددة الجنسيات من الفرس والروم ونصارى العرب لمواجهة زحف الإسلام، من بني تغلب وإياد ونمر، وكانوا في شرق الفرات وخالد بن الوليد غربي الفرات، فقالوا لخالد:«إما أن تعبر إلينا، وإما أن

([1]) **ينظر: البداية والنهاية**،لابن كثير: 288/5.

([2])**الكامل في التاريخ**، لابن الأثير: 260/2.

([3])**أخرجه البخاري** ،كتاب الجهاد والسير، باب الصبر عند القتال، حديث رقم (2833)، ص: 384.

([4])**الفراض**: موضع بين البصرة واليمامة قرب فُليج من ديار بكر بن وائل، والفراض: تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات، واجتمعت عليه الروم والعرب والفرس فأوقع بهم (خالد بن الوليد) وقعةً عظيمة قُتِلَ فيها مائة ألف، ثم رجع إلى الحيرة، **ينظر: معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 244/4.

([5])**دومة الجندل**: مدينة على سبع مراحل من دمشق، وقال أبو أسعد: دومة الجندل في غائطٍ من الأرض خمسة فراسخ، وسميت بالجندل؛ لأن حصنها مبني بالجندل، وقال أبو عبيد: دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء، وقد وجه رسول الله خالد بن الوليد - ﵁ - وفتحها عنوةً سنة 9 هـ، ينظر: **معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 487/2.

نعبر إليكم»[1]، فقال خالد: «بل اعبروا إلينا، قالوا: فتنحوا حتى نعبر، قال خالد: لا نفعل، ولكن اعبروا أسفل منا... فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض: احتسبوا ملككم، هذا رجل يقاتل على دين، وله عقل وعلم، والله لَيُنصَرَنَّ ولَنُخذَلَنَّ، فعبروا أسفل من خالد، ثم اقتتلوا قتالًا شديدًا»[2]، ولما تباطأ النصر الذي اعتاده المسلمون في معاركهم مع الفرس قال لهم خالد: « ألحوا عليهم، ولا تُرفهوا»[3]، وتمكن جيش خالد من هزيمتهم شر الهزيمة، وقد عبر (منير مُحَّد الغضبان) عن هذا الموقف بقوله: «لقد كانت خلاصة التغيير الجديد في الأرض، والتي قادتها هذه الأمة بهذه العقيدة كما حددها قول الروم والفرس والعرب: إذا اجتمعت عند هذه الأمة مقومات النصر كاملة فالقتال على دين»[4].

ونجد النموذج العالي للصبر والتحمل وتحقيقها في الجيش الإسلامي، لما أرسل الخليفة الصديق - ﷺ - إلى خالد بن الوليد أن يتجه إلى الشام لمساعدة الجيوش الثلاثة التي ذكرناها سابقًا، أراد خالد تنفيذ هذا الأمر، ولكن فكر في عبور طريقٍ لا يتصادم من خلاله مع أية جبهةٍ من جبهات الروم، حفاظًا على قوة وعدد جيشه، وبالتالي يضمن العبور دون خسائر تُذكَر، وأقل ما يمكن أن يقال عن هذا التفكير إن فيه مخاطرةً كبيرةً بالنفس وبالجيش الذي معه، إلا أنه واثق أن معه جيلًا ربانيًّا يتحمل كلَّ الصعاب في سبيل الله.

فلما وصل خالد إلى قُراقر[5]استشار الناس في طريقٍ يخرج فيه من وراء جموع الروم، لتفادي الاصطدام بها، فلا تمنعه عن غياث المسلمين، فقالوا:« لا نعرف إلا طريقًا يحمل الجيوش، يأخذه الفذ الراكب، فإياك أن تغرر بالمسلمين، فعزم عليهم »[6]، فقام فيهم وقال:«لا يختلِفنَّ هَدْيُكم، ولا يضعفنَّ تعيينكم، واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة، وإن المسلم لا ينبغي له أن يكترث بشيءٍ يقع فيه مع معونة الله له، فقالوا له: أنت رجل قد جمع الله لك الخير، فشأنك، فطابقوه ونووا واحتسبوا، واشتهوا مثل الذي اشتهى خالد، فأمرهم خالد: فترووا للشفة لخمس، وأمر كلَّ صاحب خيلٍ بقدر ما يسقيها، وعمل على تنفيذ الخطة، فظمَّأ كلُّ قائد من الإبل الشُرُف، الجلال، ما يكتفي به، ثم سقوها العَلَلَ بعد النَّهَل[7]، ثم صَرَوْا آذان الإبل وكعموها، أي شدوا فمها عند الهياج، وخلوا أدبارها، ثم ركبوا من (قراقر) قاطعين الصحراء إلى سُوى . ماءٌ لبهراء من ناحية السماوة . وهي على جانبها الأخر مما يلي الشام، فلما ساروا يومًا افتظوا لكلِّ عدةٍ من

([1])**تاريخ الرسل والملوك**،الطبري: 383/3.

([2])**سير أعلام النبلاء**،لشمس الدين الذهبي،ط1، تح: بشار عواد معروف، لبنان،بيروت ،مؤسسة الرسالة، 1417هـ = 1996م،ص:61 .

([3])**المصدر السابق**: 384/3.

([4])**المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة**، أبو بكر الصديق - ﷺ -لمنير مُحَّد الغضبان: 461/1.

([5])**قُراقر**: واد لكلب بالسماوة من ناحية العراق، **ينظر**: **معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 4/ 317.

([6])**الكامل في التاريخ** ، لابن الأثير: /257،**ينظر**: **تاريخ الرسل والملوك**،الطبري: 342/2.

([7])**الشُرُف**: الإبل المسنة، الجلال: الكبار، العَلَل: إعادة السقاية أو الشربة الثانية، النهل: الورود للشرب المرة الأولى، ينظر:**الكامل في التاريخ**، لابن الأثير: 257/2.

الخيل عشرًا من تلك الإبل فمزجوا ما في كروشها بما كان من الألبان، ثم سقوا الخيل وشربوا للشفة جرعًا، وقد فعلوا ذلك أربعة أيام»[1].

وبهذا التزموا بأوامر القائد، حيث كانت لهم جرعة واحدة في اليوم، ولم يخالف ذلك أحد، فنفذوا الأوامر حرفيًا لخمسة أيامٍ في الصحرا، إنها مخاطرة بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى، فكيف للجند أن تتم الطاعة لهم، وهم يعلمون أن طريقهم شائك، وأن الهلاك قريب منهم؟ وكلُّ الاحتمالات السيئة يمكن أن تكون في هذا الموقف، لكن الجيل المسلم الرائد هو أكبر من الواقع، بل هو يبني الواقع ويصوغه كما يريد؛ لعظمة التربية التي تلقاها من معين النبوة، ورجالات الفيض النوراني النبوي[2]، ولو أرجعنا هذا التحمل فإننا نضعه في خانة الصبر الجميل تنفيذًا وطاعةً لله عز وجل قال تعالى:﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[البقرة: ٤٥]، وقال تعالى﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾[الأعراف:١٢٨]، وجاء في قوله عز وجل كذلك:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾[الأنفال: ٤٦]، وبعد هذه المسيرة يقول خالد لـ (رافع بن عميرة)[3]، وهو أرمد: «ويحك يا رافع ما عندك، قال: أدركت الريَّ إن شاء الله، ثم دلهم على موقع الماء، وكان الفرج لخالد وجنوده، فاستخرجوا عينًا وشربوا حتى روي الناس»[4].

إن الايمان بالله عز وجل يفضي إلى أن يكون الإنسان قويًّا بعقيدته، واثقًا بنصر الله له مادام هو في نصرة الله عز وجل، وإن الصبر من مقومات الإيمان القوي الثابت الراسخ، وإلا فكيف لهؤلاء الجنود أن يتحملوا عبء الصحراء وبدون ماء لمدة خمسة أيام؟ وما يمكن أن نستشفه من الحادثة السابقة من دلالاتٍ عن الصبر وقوة التحمل لا ينفك عما تفصح عنه قوة الإيمان لهذا الجيل، فقد أثبت بأفعاله وانقياده للطاعة أن الرسولﷺتمكن من بناء الإنسان النموذج بتربيته السليمة قبل بناء الدولة.

الفرع الثاني: التعاون:

وقد تحقق بين الجيوش في الفتوحات، وكان له أثر واضح في انتصار المسلمين على عدوهم، وتمثل في المواقف التالية:

(1)**الكامل في التاريخ**، لابن الأثير: 257/2.

(2)**ينظر**:**المسيرة الإسلامية**، أبي بكر الصديق ﷺ، لمنير الغضبان، ص:362.

(3)**رافع بن عميرة**، ويقال رافع بن عمرو، وهو رافع بن أبي رافع الطائي، ونسبه ابن الكلبي، ويكنى أبا الحسن، وهو دليل خالد بن الوليد من العراق إلى الشام فقطعه في خمسة أيام، شهد غزوة (ذات السلاسل)، وصحب أبا بكر – ﷺ – فيها، توفي سنة ثلاثٍ وعشرين، **ينظر**: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير: 241/2.

(4)**الكامل في التاريخ**،لابن الأثير: 257/2.

(1) وقعة المصيخ[1]:

ف " لما انتهى الخبر إلى خالد بمصاب أهل الحصيد[2]، وهرب أهل الخنافس كتب إلى القعقاع، وأبي ليلى، وأعبد، وعروة، ووعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصيخ، وخرج خالد من العين قاصدًا إليهم، فلما كانت تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعًا بالمصيخ فأغاروا على الهذيل، ومن معه وهم نائمون من ثلاثة أوجه فقتلوهم وهزموهم "[3].

(2) وقعة الثني والزُّميل[4]:

وهما شرقي الرصافة، فلما أصاب خالد أهل المصيخ، واعد القعقاع، وأبا ليلى، وأمرهما بالمسير ليغيروا عليهم، فسار خالد بالمصيخ فاجتمع هو وأصحابه بالثني فبيتهم من ثلاثة أوجه، وجردوا فيهم السيوف، وبعث بالخبر إلى أبي بكر الصديق ﷺ[5]، فعزم أبو بكر على أن يبعث جيشه إلى الشام، وصرف وجهه لقتال الروم، فجمع الناس في المسجد وقال لهم:« اعلموا أن رسول الله ﷺكان عوّل أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه، ألا وإني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهليهم ومالهم فإن رسول الله ﷺأنبأني بذلك قبل موته:«**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها** »[6]، «فما قولكم؟ فقالوا يا خليفة رسول الله مُرْنا بأمرك ووجهنا حيث شئت، ففرح أبو بكر، ثم كتب الكتب إلى ملوك اليمن وأهل مكة في نسخةٍ واحدة»[7].

ولما قفل أبو بكر ﷺ من الحج سنة اثنتي عشرة جهز الجيوش إلى الشام، فبعث عمرو بن العاص قِبَل فلسطين، فأخذ طريق المعرقة[8] على إيلة، وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن

([1])**المصيخ**: يقال له مصيخ بني البَرشاء، وهو بين حوران والقلت، وكانت به وقعة هائلة لخالد على بني تغلب، ومصيخ بهراء: هو ماءٌ بالشام، وَرَدَه خالد بن الوليد بعد سُوى في مسيره إلى الشام وهو بالقُصواني، فوجد أهله غارّين وقد ساقهم بغيهم فقال خالد: احملوا عليهم، وضُرِبت عنق كبيرهم، واختلط دمه بخمره، وغنم أهلها، وبعث بالأخماس إلى الصديق – ﷺ – ثم سار إلى اليرموك، **ينظر**: **معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 143/5، 144.

([2])**الحصيد**: موضع بأطراف العراق من جهة الجزيرة، وقال نصر: (حُصَيْد) مصغر: واد بين الكوفة والشام، أوقع به القعقاع بن عمرو سنة 13هـ، بالأعاجم ومن تجمع إليها من تغلب وربيعة وقعةً منكرة، **ينظر**: **معجم البلدان**، للحموي: 266/2، 267.

([3])**الكامل في التاريخ**،لابن الأثير: 248/2.

([4])**الزُّمَيل**: موضع في ديار بكر، والزميل عند البشر بالجزيرة شرقي الرصافة، أوقع فيه (خالد بن الوليد) ببني تغلب ونُمير وغيرهم سنة 13هـ، **ينظر**: **معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 151/3.

([5])**ينظر**: **المصدر السابق**: 249/2،250.

([6])**أخرجه مسلم** ،كتاب (الفتن وأشراط الساعة)، باب (هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض)، حديث رقم:2889/19 .

([7])**فتوح الشام**، لأبي عبد الله مُحَّد بن عمر الواقدي، ضبطه وصححه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 1417هـ – 1997م: 5/1.

([8])**المعرقة**: طريق باتجاه العراق، يعرق الماء به، وهي الطريق التي كانت قريش تسلكها إذا أرادت الشام، وهي طريق على ساحل البحر، وسلكتها قريش حتى كانت وقعة بدر، ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: 5/ 155.

حسنة، وأمرهم أن يسلكوا التبوكية على البلقاء[1] من علياء الشام[2]، وبهذا نرى عزم أبي بكر - ﷺ - في فتح الشام بإرسال ثلاثة جيوش لها نفس الطريق المتجهة إلى الأردن وحمص والشام، وأرسل (عمرو بن العاص) إلى فلسطين بطريقٍ مخالف، وهو المعرقة على إيلة، فلما علم الروم بذلك كتبوا إلى (هرقل) وكان بالقدس، فأشار عليهم بدايةً بأن يصالحوا المسلمين؛ خوفًا من انتصار المسلمين والاستيلاء على الشام، فأراد بذلك أخف الضررين وهو أن يصالحهم على نصف الشام ويبقى لهم نصفه مع بلاد الروم، إلا أنهم رفضوا وأرادوا مواجهة الجيوش الإسلامية، فكان لهم ما طلبوا فتجمع بهم في حمص، وأراد إشغال كل طائفة من المسلمين بطائفةٍ من عسكره لكثرة جنده.

ولما رأى المسلمون ذلك كاتبوا عمرو بن العاص لخبرته العسكرية وهو في طريقه إلى فلسطين، فأشار عليهم« أن الرأي لمثلنا الاجتماع، فإن مثلنا إذا اجتمعنا لا نُغلَب من قلة، فإن تفرقنا لا تقوم كلُّ فرقةٍ لمن استقبلها لكثرة عدونا، وكتبوا إلى أبي بكر، فأجابهم مثل جواب عمرو»[3]، فكان لابن العاص[4] - ﷺ - رؤية واضحة، وهو أن التعاون على العدو يفرز الانتصار، خاصةً أن الجيش الروماني له حنكة وباع طويل في الحروب والخطط العسكرية، فالمهمة لن تكون سهلة وقائدهم هرقل، فاتبع بذلك قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ ﴾[المائدة: ٢]، واختار عمرو بن العاص - ﷺ - المكان الملائم لذلك، وهو اليرموك، وكانت عقلية عمرو بن العاص الحربية تقوم على إنهاك العدو قبل الاشتباك معه، فكان

([1])**البلقاء**: كورة من أعمال دمشق، بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، وسميت بلقاء؛ لأن بالق من بني عمان بن لوط عليه السلام عمرها، وقيل: إن بها الكهف والرقيم، وأما اشتقاقها فهي من البلق، وهي سواد وبياض مختلطان، والبلق أيضًا الفسطاط، **ينظر**: **معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 489/1.

([2])**ينظر**: **تاريخ الرسل والملوك**،الطبري: 231/2.

([3])**الكامل في التاريخ**، لابن الأثير: 255/2.

([4])**عمرو بن العاص بن وائل** بن هاشم بن سعيد بن سهم بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي، وأمه سلمى بنت حرملة، شجاع من أبطال العرب ودهاتهم، وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي ليُسلِّمَ إليهم مَنْ عنده من المسلمين، أسلم عام خيبر، وقيل: قبل الفتح، بعثه رسول الله على سريةٍ إلى (ذات السلاسل)، واستعمله على عُمان، ثم سَيَّره أبو بكر أميرًا إلى الشام، وفي عهد عمر بن الخطاب وُلِّيَ فلسطين، ثم سَيَّره بجيشٍ إلى مصر فافتتحها، وأمَّره عليها عثمان - ﷺ - أربع سنين، ثم بقي بفلسطين، شهد صفين مع معاوية، ثم تولى مصر حتى توفي سنة سبع وأربعين، **ينظر**: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير: 234/4.

منهجه الانتظار والتريث، فالصبر من سمات المسلمين، خاصةً في الجهاد في سبيل الله، فلا يوجد أعظم من الصبر، قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠ ﴾[آل عمران: ٢٠٠]

فالصبر في مرابطة العدو ومواجهته من سنن النصر التي فقهها عمرو بن العاص - رضي الله عنه - في هذا الموقف؛ لأن له نتائج تنعكس سلبًا على العدو، فهم لا يقاتلون على دين، بمعنى ينقصهم الجانب الإيماني، غير واثقين من النصر، فتجد الخوف والرعب في نفوسهم، وقد ينهكهم ذلك مع طول الانتظار، يقول منير الغضبان تعليقًا على هذا الموقف: «أما مدرسة عمرو فقد رأينا عبقريته في الذروة حين بقي أشهرًا يراوغ مع القائد الروماني، ويفر من الاشتباك المباشر معه؛ لأن في ذلك هلاكًا لجيشه، لكنه لا يدع حرب العصابات... على منوال مبدأ اضرب واهرب، وبقي بصبره الطويل يفر من المواجهة حتى جاءه مدد خالد، وخططا للمواجهة المباشرة والتي تُوِّجَت بالنصر الأغر في أجنادين»[1].

وبذلك انتصر على هرقل وأفسد عليه كلَّ خططه، ولإحكام القوة والسيطرة على الروم أمر الصديق - رضي الله عنه - خالد بن الوليد الذي كان في العراق بالتوجه نحو الشام، وتولي قيادة الجيوش بها، إدراكًا منه بأنالأمر يحتاج إلى قائدٍ يجمع بين قدرة أبي عبيدة، ودهاء عمرو، وحنكة عكرمة، وإقدام يزيد، وأن يكون صاحبَ قدرةٍ عسكريةٍ فائقة مع قدرةٍ على حسم الأمور، وصاحب حنكةٍ ودراية مع دقةٍ في تقدير المواقف، وصاحب تجربةٍ طويلة في المعارك[2].

وقد جاء في كتاب أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - «الخروج بشطر الناس، وأن يخلف على الشطر الباقي المثنى بن حارثة، وقال لا تأخذن نجدًا ـ أي صاحب النجدة والبأس من الرجال ـ إلا خلفت له نجدًا، فإذا فتح الله عليك فارددهم إلى العراق وأنت معهم، ثم أنت على عملك»[3]، وبالفعل ارتحل خالد بن الوليد من الحيرة إلى دومة، الجندل، وهو الطريق الذي سار فيه لإنقاذ (عياض بن غنم)، ولما وصل خالد بن الوليد إلى المنازل التي ينزلها سكان الشام، أي إلى سُوى، أغار على أهلها وهو - بهراء - قبيل الصبح، ثم سار خالد على وجهه ذلك حتى أغار على غسان بمرج راهط[4]، ثم سار حتى نزل على قناة بُصْرَى، والتي بالقرب منها فيالق الإسلام التي كانت تنتظر وصوله، وعليها أبو عبيدة، وشرحبيل، ويزيد بن أبي سفيان، فاجتمعوا عليها[5].

([1])**المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة أبو بكر الصديق** رضي الله عنه، لمنير محمد الغضبان: 1/ 353، 354.

([2])**ينظر: تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين**، لمحمد يسري هاني، ص: 346.

([3])**الكامل في التاريخ**،لابن الأثير: 256/2.

([4])**مرج راهط**: بنواحي دمشق، **ينظر: معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 101/5.

([5])**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**،الطبري: 132/1.

وهكذا بوصول خالد بن الوليد ﷺ تكامل جيش المسلمين في الجولان[1] حيث اليرموك فصار ثمانيةً وعشرين ألفًا، إضافةً إلى جيش عمر بن العاص المواجه لجيش سرجيوس بفلسطين، وكان معه حوالي سبعة آلاف جندي، وبعد أن اجتمع خالد بمن كان في انتظاره قرر الانسحاب بالجيش الرئيس من بُصْرى واليرموك، وأخذ يزحف نحو الجنوب ليتخلص من الجيش الروماني الأول في فلسطين، ثم بئر السبع وغور الأردن، وبالتالي ينقذ جيش عمرو بن العاص، ويفتح طريق جزيرة العرب[2]، ثم وصل إلى بئر السبع، والتقى بعمرو بن العاص، ووجد أنه لم يشتبك مع الروم، وينتظر تجمعهم فرسم عمرو وخالد الخطة التي تطيح بالجيش الروماني، ومفاد هذه الخطة هو التعاون، فكان تعاونًا من أبرز قادة المسلمين، فكيف ستكون هزيمة الروم وقد اجتمع عبقريان لمواجهتهم؟

وهذه الخطة كانت تقوم على اشتباك عمرو بن العاص مع جيش (سرجيوس)، متظاهرًا أنه وحيد، وبينما القتال ناشب ظهر (خالد بن الوليد) مع جيشه، فكانت أعنف المعارك، وانتهت بتدمير الجيش الروماني[3]، وانتهت معركة أجنادين بهذا الانتصار الباهر بفضل الله تعالى، ثم بفضل تجمع القوتين من الجيش الإسلامي وبقيادة الخبيرين العسكريين عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ﷺ، فلولا توفيق الله عز وجل ثم التعاون وانتهاج هذه الخطة، لما استطاع الجيش الإسلامي وبعدده الأقل من عدد الجيش الروماني أن ينتصر، ولأن جيل القيادة الواعية والتربية النبوية لم تَغِبْ عن فكره مسألة انضمام الجيوش إلى بعضها البعض في قوةٍ واحدة ليتمكنوا من الظفر والنصر، وفي معركة (أجنادين) كانت الصورة الأولى لنجاح هذا التجمع، أما النجاح الأكبر فكان في المعركة الفاصلة باليرموك.

وقد أشار (منير الغضبان)إلى دور التعاون بين القيادات في تحقيق الانتصار فقال: «الوحدة العربية ليست شعارات تقال، وقد دخلت الجيوش العربية الحرب في فلسطين، فكانت أضحوكةً في التاريخ، سبع جيوش لسبع دول يقودها جنرال إنكليزي، القائد جلوب قائد الجيش الأردني، ألم يكن الغساسنة والمناذرة نموذجًا لهذه التعبئة المذلة في ذلك الوقت؟ لكن الأمة التي انبثقت من الإسلام وتربت على يد سيد الخلق، أصبحت شيئًا آخر، وخطبة واحدة لخالد بن الوليد أنهت التجزئة كلها»[4].

([1])**الجولان**: هي قرية، وقيل جبل من نواحي دمشق، **ينظر**: **معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 189/2.

([2])**ينظر**: **الكامل في التاريخ**،لابن الأثير: 256/2.

([3])**ينظر**: **المصدر السابق**: 419/4.

([4])**المسيرة الإسلامية: أبي بكر الصديق** ﷺ، لمنير الغضبان، ص:379.

المطلب الرابع: العلم بفنون الحرب

يتناول هذا المطلب أهم الفنون الحربية التي عمل بها الجيش الإسلامي في عهد التأسيس للفتوحات الإسلامية، وسأتناول ذلك في فرعين، الأول بعنوان: فن التمويه والمباغتة والمبادرة، والثاني تحت مسمى: فن أمن الحركة، وتفاصيلهما كالتالي:

الفرع الأول: فن التمويه والمباغتة والمبادرة

لو جئنا إلى إحصاء المعارك التي قام بها خالد بن الوليد في عهد الصديق – رضي الله عنهما – سنجد أنه قام بأربع معارك في شهرٍ واحد قبل فتحه الحيرة، وخاض إحدى عشرة معركة في عشرة أشهر، أرقام قياسية تشير إلى الحركية السريعة لديه، وهي أساس مذهبيته القتالية، التي تفترض أيضًا حرصه على امتلاك زمام المبادرة، وتجنب القتال في خطوطٍ ثابتة وجبهاتٍ متقابلة مع سياسة المباغتة والتمويه[1].

فالمبادرة أساس النجاح في أغلب الأحيان، فخالد بن الوليد – ﷺ – لم يكن يمهل خصمه حتى استكماله لتحشيده، بل كان يبادر بسرعة لمهاجمته، عملًا بقاعدة الخلفية أبي بكر الصديق – ﷺ: «وأكثِرْ مفاجأتهم في محارسهم، بغير علمٍ منهم بك»[2]،وللوقوف على الدور الإيجابي الذي تلعبه المبادرة في تحقيق النصر، لابد من الإشارة إلى بعض النماذج التي تحقق فيها ذلك، ففي الاشتباكات الأولى قبل الحيرة، وبعد وصول خالد إلى العراق رفع من العزيمة والروح المعنوية لدى القبائل العربية، فطلب (سويد بن قطبة) الانضمام إلى قوات خالد، ومساعدته في التغلب على القوات الفارسية في منطقة الأبلة، وذكروا أنه قال لخالد:« إن أهل الأبلة قد جمعوا لي، ولا أحسبهم امتنعوا مني إلا لمكانك، فأجابه خالد بقوله: فالرأي أن أخرج من البصرة نهارًا ثم أعود ليلًا، فأدخِلْ عسكرك بأصحابي، فإن صبحوك حاربناهم»[3].

وبالفعل تم تنفيذ الخطة، وأوهم العدو بأنه متوجه نحو الحيرة، فلما جَنَّ الليل عاد إلى البصرة، فظن الفرس في الأبلة أن خالدًا قد انصرف، فوجدوا أنها فرصة مواتية لمهاجمة سويد، فلما بادروا بالهجوم حمل عليهم خالد بن الوليد وسويد بقواتهما المشتركة فكان جزاؤهم الهزيمة، واستغل خالد بن الوليد – رضي الله – عنه هذا النصر وهزيمة الفرس فاستولى على الخريبة، وهي مسلحة للفرس، واستخلف عليها (شريح بن عامر)، ثم توجه نحو الحيرة[4].

إن الحرب ليست بكثرة العدد والعتاد،وإنما هي بالفطنة والذكاء وحسن استغلال الفرص المواتية والتعاون والطاعة والأخذ بالشورى، فكلُّ هذه العناصر وُجِدت في هذه الحادثة، تعاوُن سويد بن قطبة وخالد بن الوليد،

([1])**ينظر: القتال في العهد الراشدي**، لفادي شامة، بيروت، دار العلوم العربية، ط 1، 2009م، ص: 71، 72.

([2])**الكامل في التاريخ**،لابن الأثير: 253/2، 254.

([3])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري: 3/ 349، 350.

([4])**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري: 365/3.

الأخذ بالرأي السديد فيما وافق عليه خالد بن الوليد من رأي سويد، كلُّ هذه العوامل كانت سببًا في انتصار المسلمين على أعدائهم، فمن وسائل الجهاد تَعَلُّم الخداع في الحرب، والخداع أن تحوِّل انتباه الطرف الآخر المدافع عن القصد الرئيسي، وتضعه أمام معضلةٍ متعددة الأطراف يصعب عليه مواجهتها في تلك اللحظة، فالقتال يوجب على المسلمين أن يتخذوا وسائل وأساليب جديدة في القتال تذهل عدوهم وتشل حركتهم، ومن بين هذه الأمور الخداع والحيل، أي التمويه، فمن أساسيات الحرب أخذ الحيطة والحذر، ويتمثل ذلك في مهاجمة العدو قبل هجومه، بحيث يكون العدو في مركز المدافع؛ لأن الهجوم دفاع وزيادة، كما أنه يرفع من روح المقاتلين المعنوية، مما يدفعهم للعطاء أكثر، حيث تكون القوة بأيديهم في الوقت الذي يضعف فيه الطرف الآخر، ويشعر بالهزيمة كونه لم يبادر الهجوم، جاء في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ ﴾[النساء: ٧١]، فالفطنة والتأهب والحذر كلها توجيهات إلهية يجب العمل بها واتباعها.

ولقد أجاز الرسول ﷺخداع الكفار والتمويه عليهم ما أمكن، مالم يكن في ذلك نقض للعهد أو أمان، فقد ورد عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: قال: النبيﷺ:«**الحربُ خُدْعَة**»(1)، ويقول النووي: « اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحروب، وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقضُ عهدٍ وأمان فلا يحل، وقد صح في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء، أحدها الحرب»(2).

فالخداع عملية ضرورية من ضرورات الفن العسكري التكتيكي والاستراتيجي، وهو فن التمويه والاستتار عن الحقيقة، والقيام بأعمالٍ تضليلية لصرف العدو عن الاتجاهات والأمكنة الأساسية(3)، ومن خلال الفتوحات نلمح تطبيق فن الخداع في القتال، ففي فتح الأبلة سعى خالد بن الوليد لفتحها بعدما بعث بكتابه إلى أميرها هرمز، ورفض الإسلام والجزية، فعمل على توزيع جيشه على دفعات بقيادة كلٍّ من المثنى بن حارثة، وعاصم بن عمرو، وعدي بن حاتم، إلا أنه أبقى القعقاع معه، فهذا التقسيم له من الفطنة مايستوجب على كلِّ قائدٍ ماهرِ العملَ به.

ولما أرادا خالد بن الوليد – ﷺ – أن يهاجم الأبلة تحصن أهلها داخلها، فوضع خالد خطةً لإخراجهم، فأظهر أنه يتحرك شمالًا تاركًا الجيش بقيادة سويد بن مقرنعلى قومه، حول المدينة، مما أغرى أهل

(1)**أخرجه البخاري** ، كتاب (الجهاد والسير)، باب (الحرب خدعة)، حديث رقم(2805)، ص: 408.

(2)**شرح النووي على صحيح مسلم**، ليحي بن شرف النووي، بيروت،دار إحياء التراث العربي، د.ط.ت، 45/12.

(3)**ينظر**: **(ملامح التربية الجهادية في السنة النبوية وتطبيقاتها التربوية)**، لأحمد ضيف الله عمر، (إشراف: فايز كمال شلدان، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في أصول التربية، كلية التربية بالجامعة الإسلامية، فلسطين، 1431هـ -2010م)،ص:58.

الأبلة بالخروج إليهم، وفك الحصار عن أنفسهم، إلا أن خالدًا لم يكن بعيدًا عنهم، الأمر الذي مكنه بسهولةٍ من دخول الأبلةفاتحًا[1].

وفي معركة الولجة[2] في صفر سنة 12هـ، وبعد الهزيمة التي أوهنت الجيش الفارسي، جهز الفرس جيشين، الأول بقيادة الأندرزغر، وسار في منطقة كسكر بين دجلة والفرات، والثاني بإمرة بهمن جاذويه، وحاول الالتفاف وتطويق المسلمين بالتوجه باتجاه الأبلةمن محور غربي الفرات، وكان خالد بن الوليد – رضي الله عنه – قد أقام المسالح في منطقة الأبلة، وأسند قيادتها إلى (سويد بن مقرن)، فأعلمه هذا الأخير بتحركات الفرس، ولما بلغ خالدًا وهو بالثني خبرُ الأندر زغر ونزوله الولجة، نادى بالرحيل، وخلَّفَ(سويد بن مقرن)، وأمره بلزوم (الحفير)، وتقدم إلى مَنْ خلَّفَ في أسفل دجلة، وأمرهم بالحذر وقلة الغفلة، وترك الاغترار، وخرج سائرًا في الجنود نحو (الولجة) حتى ينزل على الأندرزغر وجنوده، أي أن خالدًا تحرك من المذار[3] شمالًا باتجاه (الأبلة) جنوبًا، حتى وصل إلى (الولجة) غربي الفرات، وقد توجه معظم الجيش الإسلامي إليه في (الولجة)،فاقتتلوا قتالًا شديدًا، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ، وهناك أخرج خالد من جيشه فرقتين أخفاهما جيدًا، فلما اشتد القتال مع (أندرزغر) خرجت الفرقتان وطوَّقتا الفرس،فأخذهم خالد من بين أيديهم، والكمين من خلفهم، فلم يَرَ رجل منهم مقتل صاحبه، وهزم المسلمون الفرس[4]، وبذلك تخلص خالد بن الوليد من تطويق جيش الفرس له، واستطاع في نفس الوقت تطويق أحد جيشَيْ الفرس بتنفيذ هجومٍ مزدوج الجهات عليه.

فعندما وضع خالد لأعدائه كمينًا من الناحيتين، ساهم ذلك في هزيمة صفوف الأعاجم وولوا، ومضاالأندرزغر في هزيمته، فعلى القائد الماهر أن يفكر وباستمرار في حصار عدوه من كل الجهات، وأن يأخذ الحيطة والحذر، فبفعل خالد هذا جلب النصر لجيش المسلمين بذكائه وخبرته في الحرب.

وكذلك في معركةأُليس[5]، أو كما عرفت بمعركة (نهر الدم)، وهي على صلب الفرات،ولما أصاب خالد يوم الولجة من أصاب من بكر بن وائل من نصاراهم الذين أعانوا أهل فارس غضب لهم نصارى قومهم، فكاتبوا الأعاجم وكاتبتهم الأعاجم، فاجتمعوا إلى (أُليس)، وعليهم عبد الأسود العجلي، للانتقام من جيش المسلمين، فعلم خالد بن الوليد بهذا التحرك فأسرع إلى (أُليس) على نفس تعبئة المعارك السابقة، المثنى في

([1])**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري: 350/3.

([2])**الولجة**: بأرض كسكر، وهي موضع مما يلي البر، واقع فيه (خالد بن الوليد) جيش الفرس فهزمهم، **ينظر: معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 383/5.

([3])**المذار**: في ميسان، بين واسط والبصرة، وهي قصبة ميسان، بينها وبين البضرة مقدار أربعة أيام، **ينظر: معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 88/5.

([4]) **ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري: 351/3 - 354.

([5])**أُليس**: قرية من قرى الأنبار، وهو الموضع الذي كانت فيه وقعة المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية، **ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري: 248/1.

المقدمة، وعاصم بن عمرو التميمي في الميمنة، وعدي بن حاتم الطائي في الميسرة، ففاجأ القوم وهم على طعامهم، فتمكن من قتل مالك بن قيس قائد نصارى العرب، فنشب القتال في ظروفٍ لم يتحضر الفرس ومن معهم لها، ومع ذلك صمدوا صمودًا عجيبًا، وذلك لكثرة عددهم، مما جعل النصر يتأخر على المسلمين فنذر خالد قائلًا:« اللهم إن هزمتهم فعليَّ أن لا أستبقي منهم مَنْ أقدر عليه حتى أجري من دمائهم نهرهم»[1].

ثم إن الله عز وجل كشفهم للمسلمين، ومنحهم أكتافهم، فأمر خالد مناديه، فنادى في الناس: «الأسرَ الأسرَ! لا تقتلوا إلا من امتنع، وقد وكَّل بهم رجالًا يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلك بهم يومًا وليلة، وطلبوهم الغد وبعد الغد، حتى انتهوا إلى النهرين، ومقدار ذلك من كل جوانب (أُلَيْس)، فضرب أعناقهم، فأشار القعقاع على خالد لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دمائهم، فافتح مياه أحد روافد نهر الفرات فيختلط الماء بالدم، فأرسل عليها الماء تبر يمينك، فجرى دمًا عبيطًا، فسُمِّي نهر الدم إلى الآن»[2].

إن حنكة القائد وشجاعته وإقدامه له الأثر البالغ في قهر العدو، هاهو خالد يقتحم الجيش وهم على مائدة الطعام، رغم أن كفة الانتصار كانت لصالحهم لكثرة عددهم، فاستغل هذه الفرصة، وقرر الدخول في المعركة كي لا يدع لخصمه مجالًا للتفكير، فمباغتة العدو من أهم استراتيجيات الحرب التي يجب على القائد التفكير فيها والاستعداد لها، وهذا ما حصل مع خالد فكان النصر حليفه، «ولما فرغ خالد بن الوليد من وقعة (أليس)، أراد استغلال النصر سريعًا فدخل (أمغيشيا)[3]، وقد فاجأهم عما فيها، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله من قبل، و" لم يُصِبِ المسلمون فيما بين ذات السلاسل وأمغيشيا مثل شيءٍ أصابوه في (أمغيشيا)، بلغ سهم الفارس ألفًا وخمسمائة، سوى النَّفل الذي نُفلَّه أهل البلاء، وقالوا جميعًا: قال أبو بكر – رحمه الله – حين بلغه ذلك: يا معشر قريش– يخبرهم بالذي أتاه: عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله؛ أعجزت النساء أن يَنْسِلْنَ مثل خالد! »[4].

فخالد بن الوليد – ﷺ – فَطِنَ إلى أن أكثر من أربعين ألفًا من رجال أمغيشيا تم القضاء عليهم في (أُليس)، في حين أن معظم مَنْ سمع عن شدة خالد وقوته، هجروا المكان لعدم توفر جيش يتمكن من صد جيش المسلمين، ولعدم وجود إمكانات الصمود، مما سمح لخالد وجيوشه بالاستيلاء عليها مستغلين هذه الفرصة، وهذا ناتج عن ذكائه، مما سَهَّلَ عليه الفتح دون خسائر تذكر، ولما تمكن من أمغيشيا، ولجأأهلها إلى الحيرة، علم الآزاذبةأنه غيرُ متروك، فأخذ في أمره، وتهيأ لحرب خالد، فعسكر خارجالحيرة، وأمر ابنه بسد

([1]) **الكامل في التاريخ**،لابن الأثير: 223/2.

([2]) **تاريخ الرسل والملوك**،الطبري: 357/3.

([3])**أمغيشيا**: موضع بالعراق، كانت فيه وقعة بين المسلمين والفرس، ولما فتحها خالد بن الوليد أمر بهدمها، وكانت مصرًا كالحيرة، وكان فرات بادقلى ينتهي إليها، وكانت (أليس) من مسالحها، **ينظر**: **معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 254/1.

([4])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري:358/3.

الفرات؛ ليقطع جريان النهر، ويحول اتجاهه إلى منطقةٍ أخرى، ولما استقل خالد من أمغيشيا، وحمل الرجال في السفن مع الأنفال والأثقال، لم يُفاجَأ خالد إلا والسفن جوانح، فارتاعوا لذلك، فقال الملاحون: إن أهل فارس فجروا الأنهار، فسلك الماء غير طريقه، فلا يأتينا الماء إلا بسد الأنهار، فقرر خالد إعادة المياه عبر سد الأنهار التي تمكن الفرس من فتحها، فاتجه شمالًا حتى بلغ (المقر) بشكلٍ مفاجئ فتمكن من مباغتة ابن آزاذبه وجيشه[1]، وأعاد المياه إلى الأنهار، وعاد المشاة إلى سفنهم التي حملها النهر من جديدٍ باتجاه الحيرة، إلا أن خالدًا شنَّ هجومًا بريًّا موازيًا، فتابع سيره برًّا، وفتحت قواته حصون الحيرة قبل وصول السفن، وحينما وصل باقي الجيش خاض المسلمون معركةً أخرى مع الفرس بقيادة آزاذبة الذي أحس بالخطر فانسحب تاركًا الحيرة،فماسَهَّلَ محاصرة ماتبقى من الحصون دفعةً واحدة، فاستسلموا، وعصموا أموالهم، وأقروا بالجزية[2].

وكانت المهمة التي أمر بها خالد بن الوليد من قبل الخليفة أبي بكر – رضي الله عنهما – هي الوصول إلي الحيرة، وفعلًا تمكن منها بذكائه وحسن تدبيره واستغلاله لكل الفرص، فيما لا يزال جيش عياض بن غنم خارج المواجهة الفعلية، بسبب محاصرته أول مكان واجهه، وتمثلت في دومة الجندل، على بعد خمسمائة كيلو مترًا جنوب غرب الحيرة على تخوم الصحراء العربية، وقد بقي طوال الفترة التي تمكن خالد من إحراز العديد من الانتصارات المتلاحقة محاصرًا لـ دومة الجندل، ممايؤكد أن من بين أهم عوامل الانتصار الفطنة والذكاء وحسن استغلال الفرص المتاحة والتدابير المناسبة، التي تتغلب في كثيرٍ من الأحيان على العدة والعتاد، وتحدث الفارق، وكما قال عياض: «الرأي في بعض الحالات خير من جندٍ كثيف»[3]في دلالةٍ بالغة على أن كثرة الجيش بلا رأي سديد لا معنى له، فالتخطيط والذكاء في مباغتة العدو يجعل من الفئة القليلة تتغلب على الفئة الكثيرة.

وفي فتح الأنبار سنة 12هـ، أو كما عُرِفت بمعركة ذات العيون سار خالد بن الوليد بعد تحرير الحيرة إلى الأنبار، وعلى مقدمته الأقرع بن حابس فحاصرها المسلمون، وقد تحصن أهل الأنبار، وخندقوا عليهم، وأنشب القتال، وأوصى رماته أن يقصدوا عيون جيش العدو فأرسل (شراز) يطلب الصلح على ما أراد فصالحه، ثم صالح من أهل الأنبار وأهل كلواذى[4].

وفي فتح عين التمر[5] سنة 12هـ، لما انتهى خالد من تحرير الأنبار استخلف عليها الزبرقان بدر، واتجه إلى عين التمرلمحاصرتها، وكانت تحت إمرة معران بن بهرام في جمعٍ من العجم، وعقبة بن أبي عقبة في جمعٍ من

([1]) **ينظر**: **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري: 362/3.

([2]) **ينظر**: **المصدر السابق**:362/3.

([3]) **المصدر نفسه**:3/ 377.

([4])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري: 374/3، 375.

([5])**عين التمر**: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة، بقربها موضع يقال له شفاثًا، منها يُجلَب القصب والتمر إلى سائر البلاد، وهي عبلى طرف البرية، **ينظر**: **معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 176/4.

العرب، وبينما كان عقبة يقيم حقوقه حمل عليه خالد بنفسه وأخذه أسيرًا، فانهزم الفرس من غير قتال وأكثر المسلمون فيهم الأسر فسألوه الأمان فأبى فنزلوا على حكمه، فأخذهم أسرى وقتل مَنْ رفض منهم الأسر[1].

أما في فتح دومة الجندل، سنة 12هـ، فبعد أن تمكن خالد بن الوليد من عين التمر خلَّفَ عويم بن الكاهل الأسلمي، واتجه لتحرير (دومة الجندل) لِيُعِين (عياض بن غنم) على فتحها، التي كان عليها أميران متحالفان مع الروم هما(أكيدر بن عبد الملك)، و(الجودي بن ربيعة)، فلما علموا بقدوم خالد قال لهم أكيدر:« أنا أعلم الناس بخالد، لا أحد أيمن طائرًا منه، ولا أحد في حرب، ولا يرى وجه خالد قوم أبدًا قلوا أو أكثروا إلا انهزموا عنه، فأطيعوني وصالحوا القوم، فأبوا عليه، فقال: لن أمالئكم على حرب خالد، فشأنكم»[2]، فسارع إلى الفرار إلا أن خالد بن الوليد عَلِمَ به فأرسل له (عاصم بن عمرو) فقطع عنقه، ومضى خالد حتى نزل على أهل دومة فجعلها بين عسكره وعسكر عياض، وبعد وصول الإمداد من نصارى العرب خرجوا من حصونهم لقتال المسلمين، لكنهم فشلوا، وعادوا الى حصونهم، فلما امتلأ الحصن أُغلِق وبَقِيَ قسم منهم خارج الحصن تحت رحمة سيوف المسلمين مما جعل الفوضى تعم فتسلق جيش المسلمين الأسوار، وأعملوا السيوف فيهم فتم فتح (دومة الجندل)[3]، وانهزمت الأعاجم إلى الخنافس[4]، وقد هرب (المهبوذان) ومن معه إلى (المصيخ)، وكان في (المصيخ) بعض عرب الجزيرة، فكتب خالد إلى القعقاع وأبي ليلى أن يوافياه على (المصيخ) في ساعةٍ عيَّنها لهما فأغاروا على الهذيل ومن أوى إليه من ثلاثة أوجه، فقاتلوهم وانهزموا، ثم توجه خالد إلى(بجير التغلبي) وهو متجمع في جيشه بـ (الثني) فبيتهم خالد بغارةٍ شعواء حتى لم يفلت منهم أحد، وتم له الفتح[5]، وبعد الإغارة على (المصيخ) تمكن (الهذيل بن عمران) قائد النصارى من أن يهرب في ثلةٍ من رجاله إلى الزُّمَيْل، فطلب خالد من القعقاع وأبي ليلى أن يرتحلا أمامه وواعدهما الليلة ليفترقوا فيها للغارة عليهم من ثلاثة أوجه كما فعل بأهل (المصيخ)، وبالفعل تمت هزيمتهم، والتخلص منهم[6].

من خلال ما سبق يتبين أن إعادة خالد الإغارة الليلية في (الثني) بنفس الأسلوب والقوة والقادة ومن ثلاث جهات، يدل على أن اختيار القائد المناسب والعبقري هو بحد ذاته نصف النصر، ولشدة ذكائه وحتى لا تسبقه الأخبار أغار في نفس الليلة على (بني تغلب) في الزميل شمال غرب نهر الفرات، وتم له الفتح،

([1]) **ينظر: سير أعلام النبلاء**،لشمس الدين الذهبي،ص: 62.

([2])**تاريخ الرسل والملوك**،الطبري: 378/3.

([3]) **ينظر: المصدر السابق**: 378/3.

([4])**الخنافس**: أرض للعرب في طرف العراق، قرب الأنبار من ناحية البردان، **ينظر: معجم البلدان**، لياقوت الحموي: 391/2.

([5])**ينظر: إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء**، لمحمد الخضري، بيروت، المكتبة الثقافية، ط1، 1982م، ص:43، **وتاريخ الرسل والملوك**،الطبري: 3/381.

([6]) **ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري: 382/3.

فالمباغتة والمبادرة كانتا ميزتَيْه الأساسيتين، فمعظم هجمات المسلمين كانت مباغتةً في توقيتها، هذا ما حصل في الولجة والمقر وحصيد، والمصيخ والثني والزُميل، وقد قاتل المسلمون في بعض هذه الإغارات ليلًا لأول مرة، كما كان أسلوب الهجوم مُباغِتًا أيضًا في أكثر من موقعة،وقد تجلى ذلك في الالتفاف على الأجنحة في (الولجة)، وفي الهجوم على (أليس) قبل إتمام تعبئة العدو، وفي الرمي على العيون في موقعة (الأنبار)، وفي استهداف (عقبة بن أبي عقبة) قائد نصارى العرب في (عين التمر)، وفي الهجوم المباغت على الحيرة برًّا ونهرًا.

الفرع الثاني: فن أمن الحركة

كان خالد بن الوليد – ﷺ – حريصًا على جيشه، رغم إقدامه المستمر، حيث يتخذ كلَّ ما بوسعه للحفاظ على سلامته، فإن وجد الخطر في المسير، سرَّحَ الجيش على دفعات، كما في بداية هجومه على الفرس، وإن وجد الخطر في التموضع، بدَّل بين الأماكن واختار أنسبها، وهو ما حصل في تنقله بين (الحفير) و(كاظمة)، وفي رفضه العبور باتجاه العدو، مفضلًا القتال في (الفراض)، وإن وجد أن القتال بمحاذاة النهر أسلم عاد أدراجه مبتعدًا عن المستنقعات، ومُستدرِجًا الفرس إلى المناطق الصحراوية والمنبسطة التي يرتاح للقتال فيها، لكون الجيش متعودًا على القتال في الصحراء، كما فعل في الولجة، فكان الجيش الإسلامي يعتمد على الإقدام مع تأمينٍ للمؤخرة، وعلى السير مع ضمان عدم قطع خطوط العودة، وهذا ما قام به عندما فتح الحيرة، وقرر نجدة عياض بن غنم في دومة الجندل، فشن الغارات على الأنبار وعين التمر رغم أنهما ليستا في مواجهة خط سيره باتجاه دومة الجندل، لكن ضرورة تأمين الحركة اقتضت ألا يهملهما.

ومما يؤكد على فطنة وذكاء خالد بن الوليد كقائدٍ رشيد، استطلاعه على الأوضاع قبل دخوله في الهجوم، حيث كان يسير بقوةٍ خفيفة كمفرزة استطلاع، وهذا ما لاحظناه في معارك ذات السلاسل، والمذار، والولجة، والأنبار، وفي قتاله الليلي في حصيد والخنافس والثني والزميل.

وهذا النموذج لحفظ أمن الحركة نجده في فتح حُصيد والخنافس سنة 12هـ، أما عرب الجزيرة فقد ثارت حميتهم لمن قُتِلَ من العرب بـ عين التمر، فاستنجدوا بالفرس، فخرج منهم عظيمان يريدان الأنبار، وانتهيا إلى الحصيد والخنافس، فلما سمع بذلك القعقاع خليفة خالد على الحيرة أرسل إليهما سريتين حالتا بينهم وبين الريف، ثم قدم خالد راجعًا إلى الحيرة عندما بلغه الخبر، فسَيَّر القعقاع وأبا ليلى بن فدكي إلى لقاء جمع الفرس فسارا حتى التقيا بهم فقُتِلَ من الفرس مقتلةً عظيمة، وغنم المسلمون ما في الحصيد، فالحصار يضمن أمن حركة الجيش الإسلامي.

وتمثل أيضًا في فتح الفراض سنة 12هـ، حينما قالوا لـ خالد بن الوليد– ﷺ –:« إما أن تعبر إلينا، وإما أن نعبر إليكم،فقال خالد: بل اعبروا إلينا، قالوا: فتنحوا حتى نعبر، فقال: خالد لا نفعل، ولكن اعبروا أسفل منا... فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض: احتسبوا ملككم، هذا رجل يقاتل على دين،

وله عقل وعلم، والله ليُنصَرَنَّ ولنُخذَلَنَّ »[1]، فعبروا أسفل من خالد، ثم اقتتلوا قتالًا شديدًا، وتمكن جيش خالد من هزيمتهم شر هزيمة، ففي عبارتهم دلالة واضحة على ذكاء خالد بن الوليد في الحروب، فالخبرة والعبقرية متوفران لدى هذا القائد العظيم، وقد خاض غمار الحرب مع العرب والروم والفرس، فكانت النتائج باهرةً في هذه المدة القصيرة من الزمن.

خلاصة المبحث:

يتضح مما سبق أن أهم السنن التي ظهرت في طلائع فتوحات العراق والشام تمثلت في:

– اختيار القيادة الواعية بالدعوة إلى الجهاد والتذكير بمبادئه، ووجوب طاعة القائد، وعدم الاستعانة بمن دخل قلبه الشك في الفتوحات.

– الصلح، فهو ثقافة سُنَنية وميزة حربية خاصة بالإسلام اتبعها القادة في فتحهم للبلدان.

– الوفاء بالعهود في بداية الفتوحات، فهي دليل على أنها كان فتحًا للقلوب والعقول.

– الصبر عند لقاء العدو، فكان صفةً ملازمةً للقائد وجنوده في التأسيس للفتوحات الإسلامية.

– التعاون الحربي، له أثر كبير في إحراز النصر.

– العلم بالفنون الحربية، كفن التمويه والمباغتة والمبادرة، وفن أمن الحركة، مما ساعده المسلمين في القضاء على عدوهم والتمكن منه.

([1])**الكامل في التاريخ**، لابن الأثير: 383/2.

خلاصة الفصل:

في نهاية هذا الفصل يمكننا أن نقول:

إن أهم السنن الإلهية في طلائع امتداد الفتوحات الإسلامية إبان خلافة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – تمحورت حول:

أولًا:الثقة بالله عز وجل والإيمان به وطاعة رسول الله ﷺ.

ثانيًا: العلم بحال مَنْ تُوجَّه إليهم الدعوة من سنن الله عز وجل، وبذلك تتم الدعوة مع التحذير والإنذار، فلا يكون بالغدر والخداع.

ثالثًا: اتخاذ الأسباب بالتخطيط والاستعداد، كتجهيز الجيد واختيار القادة.

واتباعًا لهذه السنن في الواقع المعاش، وباتباع أومر الله سبحانه وتعالى وطاعته وطاعة رسوله في المرحلة التأسيسية للفتوحات الإسلامية، كانت النتيجة بسط سيادة دولة المدينة على جميع العرب في الجزيرة، فأصبحت ولأول مرة في التاريخ موحدة سياسيًّا، وباتخاذ هذه الأسباب تم تنظيم الفتوحات الأولى لجيوش المسلمين ضد الإمبراطوريتين العظميين بيزنطة وفارس، واستطاعت أن تتغلب عليهما.

إن فقه حركة التاريخ الإسلامي يرشدنا إلى أن عوامل النهوض وأسباب النصر كثيرة منها: صفاء العقيدة، ووضوح المنهج، وتحكيم شرع الله في الدولة، ووجود القيادة الربانية التي تنظر بنور الله.

الفصل الثاني:
سنن توسع وامتداد الفتوحات الإسلامية
في عهد الخلفاء الراشدين

المبحث الأول:

السنن الربانية؛ وعود الله بنصر المؤمنين

المبحث الثاني:

السنن المتعلقة بالاستقرار الاجتماعي والسياسي

المبحث الثالث:

السنن المتعلقة بالولاة وقادة الجيش والجنود

المبحث الرابع:

السنن المتعلقة بالإعداد وتجهيز القوة والكفاءة العسكرية

المبحث الخامس:

السنن المتعلقة بالتخطيط والتنظيم الاستراتيجي وفقه المرحلية

تمهيد

كان الجهاد في سبيل الله من أولويات الخلفاء الراشدين، عن طريق الفتوحات لنشر الدعوة الإسلامية وتمكينها من الوصول إلى كافة الناس، ومحاربة كل من يقف في وجه ذلك، بكل ما أتيح لهم من مقومات سواء في إعداد الجانب الإنساني أو الجانب المادي.

ولا يخفى على أن الجهاد ونشر الدعوة من المبادئ الأساسية للدين الإسلامي، فهل الخلفاء الراشدون ﷺ في فترة التوسع استحضروا معاني الجهاد كما هي في القرآن الكريم؟ وكيف كان عملهم وتحديدا في فترة التوسع في الأرض؟ وكيف استثمروا وعيهم بالسنن الإلهية في الفتوحات الإسلامية؟

قبل التطرق إلى الفتوحات الإسلامية في عهد التوسع والوقوف على أهم السنن الإلهية التي تحققت، لابد أن ننبه لأمر؛ وهو أن هناك سنن تحققت في عهد أبي بكر ﷺ أي التأسيس، وتحققت كذلك في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، خاصة فيما يتعلق بالعوامل المعنوية أو السنن المعنوية فقد ركزنا عليها في فترة الصديق ﷺ لأنها كانت بارزة ولتفادي تكرارها سنتطرق إلى السنن التي برزت بشكل واضح وكانت فعالة في التوسع وهي السنن المادية، وهذا لا ينفي وجود السنن المعنوية في فترة التوسع إذ أنها تعمل مع بعضها البعض، لذا ارتأينا التركيز على السنن الأكثر تحقيقا في كل فترة" تأسيسا، توسعا، انحسارا"، مع التذكير أو الإشارة فقط إلى أنها حصلت في الموقف المذكور.

المبحث الأول:

السنن الربانية وعود الله بنصر المؤمنين

سأتناول في هذا المبحث الوعود التي وعد الله جل وعلا بها عباده المؤمنين بالنصر والتمكين، سواء ما تحقق منها أو ما سيتحقق . بإذن الله .، والتي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

المطلب الأول: مبشرات من القرآن الكريم

من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين أنه أنزل القرآن الكريم كتاب هداية ورشاد، وقد ذكر الله عز وجل فيه أخبار وقصص الأمم السابقة، فكان ثلث القرآن قصص تاريخية للعبرة والاستفادة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[يوسف: ١١١].

والقرآن الكريم كتاب معجز بلفظه ونظمه وبيانه، ومن وجوه إعجازه أنه أخبر عن أمور غيبية لتكون دلالة واضحة على صدق الوحي والنبوة، ومن الأمور الغيبية التي تحدث عنها القرآن؛ وقائع وأحداث، منها ما تحقق في عهد النبي ﷺ، ومنها ما تحقق بعد وفاته، ومنها ما يُنتظر تحققه، وعداً من الله غير مكذوب.

ولهذا فالمؤمن يصدق هذا الكتاب ويستأنس بهذه المبشرات لتكون دافعا له على الجد والاجتهاد؛ من أجل العمل لنصرة هذا الدين، وهذا ما وعد الله عز وجل به أولياءه المؤمنين.

وقد جاء في القرآن الكريم العديد من الآيات التي بشرت النبي ﷺ بأنه سينتصر وتحققت فعلا، ولكن في هذا المقام سأركز فقط على الآيات التي تحققت في العهد الراشدي ومنها: قوله جل شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾[التوبة: ٣٣].

أنزل الله تعالى هذه الآية تثبيتا لقلوب المؤمنين، وردا على ضعاف النفوس من المسلمين، ليؤكد لهم ظهور الإسلام على كل الأديان، وقد تحقق جزء من هذه البشارة في عهد رسول الله ﷺ، ومن بعده في عهد الصحابة وغيرهم(1).

ويقول الألباني: « تبشرنا هذه الآية بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق»(2).

فالهدى هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة والإيمان الصحيح والعلم النافع، ودين الحق هو الأعمال الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾أي: على سائر الأديان(3)، وهذا الوعد الحق من الله الدال على سنته التي لا تتبدل في إظهار نوره بإظهار دينه ولو كره الكافرون، تطمئن له قلوب الذين آمنوا، فيدفعهم هذا إلى المضي في الطريق رغم المشقة والألواء في الطريق، وعلى الكيد والحرب من الكافرين أهل الكتاب.. كما أنه يتضمن في ثناياه الوعيد لهؤلاء الكافرين وأمثالهم على مدار الزمان(4).

وقال تعالى: ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾[التوبة: ٣٢].

فنور الله الذي حكم سبحانه أن يتمه، هو دين الحق الذي أرسل به رسوله ليظهره على الدين كله.

ولقد تحقق هذا مرة على يد رسول الله ﷺ وخلفائه، ومن جاء بعدهم فترة طويلة من الزمان، وكان دين الحق أظهر وأغلب.

---

(1)**ينظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن،** أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427، 2006م، 463/4.

(2) **السلسلة الصحيحة،** للألباني، 31/1.

(3) **تفسير القرآن العظيم،** أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تح: سامي بن مُحَّد السلامة، (د،ب)، دار طيبة، ،ط2، 1420هـ، 1999م، 136/4

(4) **مبشرات النصر والتمكين،** سيد بن حسين العفاني، القاهرة، مكتبة معاذ بن جبل، ط2، 2003.ص: 30 ،31.

وكانت الأديان التي لا تخلص فيها الدينونة لله تخاف وترجف ! ثم تخلى أصحاب دين الحق عنه.. ولكن هذه ليست نهاية المطاف.. إن وعد الله قائم، ينتظر العصبة المسلمة، التي تحمل الراية وتمضي(1).

ومن المبشرات لانتصار الإسلام ما ورد في قوله جل شأنه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[النور: ٥٥].

هذه الآية الكريمة وعد من الله جل ذكره على مر العصور بالتمكين، فلما قام صدر هذه الأمة بأسبابها من الإيمان والعمل الصالح مكنهم من البلاد والعباد، وحصل الأمن التام والتمكين التام، وإننا نجد أنها تحققت للرعيل الأول والوعد قائم إلى يوم القيامة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والتمكين قائم للأمة الإسلامية ما أقامت شروطه، والتمكين لابد أن يسبقه جهاد وابتلاء، ويبقى التمكين قائما ما تمسكت الأمة بشروطه، فإذا تراخت وتقاعست ذهب منها التمكين وبقيت في ذيل الأمم وسلط الله عليهم أعداء الإسلام(2).

فالصحابة هم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ وهم الذين عاصروا نزول الوحي، وهم أكثر الناس اقتداء برسول الله ﷺ، وهم الذين تحملوا معه أعباء الدعوة وإنشاء الدولة، فمدحهم الله عز وجل ونوه بسبقهم فقال عز من قائل ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾**[الواقعة: ١٠ – ١١]**

وكانوا سفراء الإسلام أينما حلوا وارتحلوا ، وكانوا خير الناس بشهادة النبي ﷺ القائل: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم...**»(3).فشهد لهم الصادق بالخيرية، وأكملوا بعد رسول الله ﷺ المسيرة بخلافة راشدة على منهاج النبوة، كانت أنموذجا مضيئا للحكم، ومثالا يحتذى به في كل الأزمان، وقد فتح الله تعالى على أيديهم من بلاد ما وراء النهر شرقا إلى بحر الظلمات (الأطلسي) غربا.

لقد تحقق وعد الله عز وجل مرة، وسيظل متحققا وواقعا ما قام المسلمون على شرط الله، ووعد الله مذخور لكل من يقوم على الشرط، إنما يبطئ النصر والاستخلاف والتمكين والأمن لتخلف شرط الله في جانب من جوانبه الفسيحة، أو في تكليف من تكاليفه الضخمة.

(1) **مبشرات النصر والتمكين**، سيد بن حسين العفاني، القاهرة ، ص: 32.

(2) **ينظر: في ظلال القرآن**، سيد قطب، 2528/4

(3) **أخرجه البخاري**، كتاب (الشهادات،) باب (لا يشهد شهادة جور إذا شهد) ، حديث رقم: 2652، 352.

وما تزال لهذا الدين أدوار في تاريخ البشرية يؤديها ظاهرا - بإذن الله - على الدين كله تحقيقا لوعد الله، الذي لا تقف له جهود العبيد المهازيل، مهما بلغوا من القوة والكيد والتضليل(1).

ومن المبشرات في القرآن الكريم أيضا معية الله للمؤمنين وولايته ووعده بإنجاء المؤمنين ونصرهم والدفاع عنهم، كل ذلك ثابت في آيات بينات من الذكر الحكيم، وعدا من الله الذي لا يخلف الميعاد، قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٥]. وقال عزوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

وقال سبحانه وتعالى في بيان دفاعه عن المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: 38].

والآيات التي تتحدث عن معية الله جل علا كثيرة؛ فمعية الله هي حقيقة إيمانية وجب على كل مؤمن أن يستحضرها في كل أعماله وبها يتغلب على الصعاب، وهو ناصرهم، فسبحان من أوجب على نفسه نصر المؤمنين، وأكده لهم ذلك بهذه الصيغة الجازمة فقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

ومن نصوص القرآن الكريم التي بشرت بالنصر والتمكين للمؤمنين واستخلافهم في الأرض، قوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقوله جل وعلا: ﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم: ١ – ٥]

وقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣]

وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، والآيات في ذلك كثيرة.

المطلب الثاني: مبشرات النصر من السنة النبوية

ولو لم يكن لظهور دين الله عز وجل والتمكين للمؤمنين سوى تلك المبشرات الربانية في القرآن الكريم لكانت وحدها كافية للتحقق لأنها وعود الله جل شأنه الذي لا يخلف الميعاد، وهو الغالب على أمره، ولا راد لحكمه، ولكن أكدتها مبشرات نبوية نطق بها الصادق المصدوق ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

---

(1) **ينظر: مبشرات النصر والتمكين**، سيد بن حسن العفاني، ص: 36

فقد تضافرت الأحاديث النبوية التي بشرت بانتصار الإسلام وبلوغه مشارق الأرض ومغاربها، سأذكر نماذج منها على سبيل التمثيل لا الحصر.

أخرج أحمد في مسنده عن أبي قبيل قال:«كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -، وسئل أي المدينتين تُفتح أولا القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابا قال: فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتن تفتح أولا، أقسطنطينية أو رومية،؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أولا**» يعني قسطنطينية [(1)].

قال (الشيخ الألباني) معلقا على الحديث: « ولا شك أيضا أن تحقق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة، وهذا ما يبشرنا به ﷺ»[(2)].

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، يقاتلون وهم أهل علم**»[(3)].

وهناك بشارة نبوية للفتوحات في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺيقول: «**بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوبا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غربا فأخذها عمر ابن الخطاب، فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن**»[(4)].

جاء في تفسير هذا الحديث قولهم: « هذا المنام مثال لما جرى للخليفتين من ظهور آثارهما الصالحة، وانتفاع الناس بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبي ﷺ لأنه صاحب الأمر فقام به أكمل قيام وقرّر قواعد الدين، ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة وقطع دابرهم، ثم خلفه عمر فاتسع الإسلام في زمنه»[(5)].

وقوله: « وفي نزعه ضعف» فليس فيه حظٌّ من فضيلة أبي بكر، وإنما إخبار عن حاله في قصر مدة ولايته، وأما ولاية عمر - رضي الله عنه - فإنها لما طالت كثر انتفاع الناس بها، واتسعت دائرة الإسلام بكثرة الفتوح.

---

(1)**أخرجه الحاكم في مستدركه،** كتاب(الفتن والملاحم) ذكر المصالحة بين الروم والمسلمين ثم المحاربة بينهم، حديث رقم: 8395 ، 422/4.

(2)**السلسة الصحيحة**، الألباني، 8/1.

(3) **أخرجه البخاري** ، كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة)، باب (قول النبي لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)، حديث رقم: 7311، 101/9.

(4) **أخرجه البخاري** ، كتاب(أحاديث الأنبياء) باب(قول الله وأذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، حديث رقم: 3441، 167/4.

(5) **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** لابن حجر العسقلاني،باب (قوله نزع الماء من البئر حتى يروى)، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ، 413/12.

وقوله: « ذنوبا أو ذنوبين» إشارة إلى ما فتح في زمن الصديق من الفتوحات الكبار وهي ثلاثة، ولذلك لم يتعرض في ذكر عمر إلى عدد ما نزعه من الدّلاء وإنما وصف نزعه بالعظمة إشارة إلى كثرة ما وقع في خلافته من الفتوحات »(1).

وعن أبي الطفيل . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت فيما يرى النائم كأني أنزع أرضا، إذ وردت عليّ غنمُ سودُ وغنم عُفر، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين، وفيهما ضعف، والله يغفر له، ثم جاء عمر فنزع فاستحالت غربا، فملأ الحياض وأروى الواردة، فلم أر عبقريا أحسن نزعا من عمر، فأوّلتُ أن السواد العرب وأن العفر العجم** »(2).

وهذا الذي رآه النبي ﷺ وأوّله قد جاء تحقق وقوعه على أتم وجه في خلافة الفاروق، ووصف عمر رضي الله عنه بالعبقرية والقوة والسيادة، وأن الناس في عهده وردوا حياض الإسلام ونهلوا من معينه، ولا تزال أثار فتوحاته حتى الآن(3).

وبشَّر النبي ﷺبفتح فارس والروم، كما في الحديث المتفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** »(4).، وبَشَّرَ ﷺأيضا بفتح بلاد فارس، كما في حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال:سمعت رسول ﷺيقول:«**لتفتحن عصابة من المسلمين، أو من المؤمنين، كنز آل كسرى الذي في الأبيض**»(5)..

كما بشر النبي ﷺبانتصار هذا الدين وبلوغه ما بلغ الليل والنهار، وذلك في الحديث الذي رواه تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: «**ليبلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغَ الليلُ والنهارُ، ولا يتركُ اللهُ بيْتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أدخَلَهُ الله هَذا الدينَ بعزِّ عزيزٍ أو بذُلِّ ذليلٍ، عزاً يُعِزُّ اللهُ بهِ الإسلامَ، وَذُلاً يُذِلُّ اللهُ بهِ**

(1)**السنن الكبير**، أبو بكر احمد بن الحصين بن علي البيهي، عبدالله بن عبد المحسن التركي، (د،ب)، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية، 2011م، ، 549/16

(2)**مسند الامام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، باب حديث أبي الطفيل بن واثلة، تح: شعيب الأرنؤوط . عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م، 39/ 218.

(3) **ينظر: عمر بن الخطاب الخليفة الراشد العظيم، والإمام العادل الرحيم**، عبد الستار الشيخ، دمشق، دار القلم، ط1، 2012م،ص: 545.

(4)**أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب (المناقب)، باب(علامات النبوة في الإسلام)، حديث رقم:3618، ص:607، ومسلم، كتاب(الفتن)، باب(لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل)حديث رقم:7327، ص:1262-1263

(5)**أخرجه مسلم في صحيحه**، كتاب (الفتن)، باب(لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل) ، حديث رقم:7331، ص:1262.

الكفرَ»، وكان تميم الداري يقول: « قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصَّغار والجزية »(1).

وفي حديث آخر أخبر ﷺ عن اتساع ملك أمته حتى يبلغ مشارق الأرض ومغاربها، فقد أخرج مسلم عن ثوبان ﷺ . قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها... »**(2).

ففي الحديثين بشارة من النبي ﷺ بأن الإسلام سينتشر في ربوع الأرض؛ مشرقها ومغربها، أو ما بلغ الليل والنهار، وقد توفي رسول الله ﷺ والإسلام لم يتجاوز الجزيرة العربية، ثم بدأ وعد الله جل وعلا وبشارة النبي ﷺ في الظهور والتحقق بدء بعهد الخلافة الراشدة، ثم انداحت دائرته وتوسعت عبر القرون حتى بلغت المشارق والمغارب كما أخبر رسول الله ﷺ، وسيظل وعد الله قائما بانتصار الإسلام وانتشاره إلى قيام الساعة.

وأختم هذه الوعود النبوية ببشارة النبي ﷺ أصحابه بفتح بلاد الشام وفارس واليمن، وهم في كرب شديد، يوم رمتهم العرب عن قوس واحدة، حين جمعت قريش الأحزاب وحاصرت المدينة بعشرة آلاف مقاتل، في ذلك الموقف العصيب لاحت للنبي ﷺ بشائر انتصار الإسلام، ففي الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده عن البراء بن عازب ﷺ قال: **أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال: عرض لنا صخرة** في مكان من الخندق **لا تأخذ فيها المعاول، قال:فشكونا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ المعول فقال:« بسم الله»، فضرب ضربةً، فكسر ثلث الحجر، وقال: «الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيحَ الشام، والله إني لأبصر قصورها الحُمْرَ من مكاني هذا »، ثم قال: « بسم الله »، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا »، ثم قال: « بسم الله »، وضرب ضربة أخرى،فكسر بقية الحجر، فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا»**(3).

وقد تعامل الصحابة . ﷺ . مع تلك الوعود والمبشرات بإيجابية حين أدركوا أن سنن الله تعالى في النصر والتمكين لا تتحقق إلا بعزمات الرجال، وباتخاذ الأسباب، ولم يفهموا أنها ستتحقق لمجرد كونهم مؤمنين وأعداؤهم كفارا، بل استفرغوا جهدهم في التخطيط والتنظيم وإعداد العدة، وتلك حقيقة التوكل على الله كما فهمها الصحابة . ﷺ .، وذلك معنى قوله جل وعلا: ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ

---

(1) **أخرجه أحمد في مسنده**، رقم: 16998، 103/4، **والحاكم في المستدرك**، رقم: 8326، 477/4، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، **وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة**، حديث رقم: 3، 32/1.

(2) **أخرجه مسلم** ، كتاب (الفتن)، باب (هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض) حديث رقم: 2889، 2215/4.

(3)**أخرجه أحمد في المسند**، رقم: 18694، 30/625-626، وقال محققه: إسناده ضعيف، وحسنه ابن حجر في الفتح، 189/9.

وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾[محمد: ٤ -٧].

خلاصة المبحث

تلك هي الوعود الربانية والمبشرات النبوية التي حفزت الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فشمروا على ساعد الجد وانطلقوا يحملون دعوة الله تعالى إلى الأمم يخرجونها من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، كما قال ربعي بن عامر حين أرسله سعد بن أبي وقاص إلى رستم قبل معركة القادسية.

المبحث الثاني:

السنن المتعلقة بالاستقرار الاجتماعي والسياسي

سأتطرق في هذا المبحث إلى العوامل الداخلية التي أسهمت في توسع الفتوحات في عهد الخلافة الراشدة، وسأحددهما في سببين رئيسين هما: الاستقرار الاجتماعي والسياسي، ولا يخفى ما في هذين العنصرين من أثر في حياة الأمم وقيام الحضارات، فهما أساس بناء الدولة، ولهما من أهمية بالغة في تمتين العلاقة بين الحاكم والمحكوم، إذ لا يمكن تحقيق أي إنجاز خارجي ما لم تكن الظروف الداخلية مستقرةاجتماعيا وسياسيا، وقد كان لهذا العامل دوره الفعال في انطلاق حركة الفتح الإسلامي، خاصة بعد أن طهر المسلمون جزيرة العرب من رجس الردة وقضوا على رؤوس الفتنة فيها. وسأتناول كل عنصر على حدة من خلال مطلبين.

المطلب الأول: استقرار المجتمع

هناك معايير يمكن بها قياس مدى استقرار المجتمع وأمنه، وهذه المعايير تكمن في: تحقيق المساواة باعتبارها العمود الفقري الذي يرتكز عليه بناء المجتمع، وكذا تحقيق العدل الذي هو أساس الملك؛ وهذا ما سأستعرضه في فرعين.

الفرع الأول: تحقيق المساواة

أكد الإسلام على المساواة ودعا إلى احترامها؛ إذ التشريع فيه حق لله عز وجل وحده، فأي نظام يضعه البشر يعتريه النقص، فالقاعدة القانونية في الشريعة الإسلامية هي من عند الله وهو مصدرها الحقيقي(1).

ومبدأ المساواة بين الناس تجلى لنا في المجتمع الإسلامي منذ نشأته؛ فقد جاء ذلك صريحا في كتاب الله سبحانه وتعالى، كما في قوله عز من قائل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات: ١٣]، وأكد النبي ﷺ هذا المعنى فقال: «**يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ ألا لا فضلَ لِعربِيٍّ على عجَمِيٍّ ولا لِعجَمِيٍّ على عربِيٍّ ولا لأحمرَ على أسْودَ ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقوى إنَّ أكرَمكمْ عند اللهِ أتْقاكُمْ**»(2).

وطبق رسول الله ﷺ هذا المبدأ حين أقام الحد على امرأة شريفة، ولم يقبل شفاعة في ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها : «**أنَّ امرأةً سَرَقتْ في عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فأمَرَ بها رسولُ اللهِ ﷺ أنْ تُقطَعَ، فكلَّمه فيها أُسامةُ بنُ زيدٍ؛ فتلوَّنَ وَجهُ رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: أتَشفَعُ في حَدٍّ من حُدودِ اللهِ تَعالى؟، فقال أُسامةُ: استَغفِرْ لي يا رسولَ اللهِ، فلمَّا كان العَشِيُّ، قامَ رسولُ اللهِ ﷺ، فأثْنى على اللهِ عزَّ وجلَّ بما هو أهلُه، ثم قال: أمَّا بعدُ، فإنَّما أهلَكَ الناسَ قبلَكم أنَّهم كانوا إذا سَرَقَ فيهمُ الشَّريفُ تَرَكوه، وإذا سَرَقَ فيهمُ الضَّعيفُ أقاموا عليه**

(1) **ينظر: السياسة الشرعية، نظام الدولة الإسلامية**، عبد الوهاب خلاف، (د،ب) ، المطبعة السلفية، 1435هـ، ص: 54.

(2)**أخرجه أبو نعيم**، حلية الأولياء، 100/3، والبيهقي، شعب الإيمان، 5137. وصححه الألباني.

الحَدَّ، والذي نَفْسي بيَدِه لو أنَّ فاطمةَ ابنةَ مُحمَّدٍ سَرَقتْ لقَطَعتُ يَدَها، ثم أمَرَ بتلك المرأةِ التي سَرَقتْ فقُطِعَتْ يَدُها.»(1).

فاستطاع الإسلام بتحقيقه للمساواة بين الناس كحق إنساني لهم، أن يحمي مجتمعه من كل أنواع الصراعات العنصرية التي تقوم على أساس التفرقة في الحقوق والواجبات بين الأفراد في المجتمع، وذلك بسبب اللون أو الجنس أو الطبقة أو اللغة أو الأصل، وإن تحقيق المساواة وتطبيقها في دولة الإسلام كان الأمثولة التي عجز التاريخ البشري كله قبل الإسلام وبعده من تحقيقها، ولو بعضا منها (2).

وقد نهج الصحابة رضوان الله عليهم هذا المبدأ في حكمهم، وظهر ذلك في أول خطبة خطبها أبو بكر ﷺ بعد توليه الخلافة بقوله: « القوي منكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه، والضعيف قوي حتى أخذ الحق له»(3).

ومن مظاهر المساواة أمام القضاء حادثة اليهودي الذي خاصم علي بن أبي طالب ﷺ، فحضر الخصمان مجلس القضاء، فنادى عمر ﷺ عليا بقوله: «قف يا أبا الحسن ـ ليقف إلى جانب اليهودي ـ فبدا الغضب على وجهه ﷺ، فقال عمر: أكرهت أن نسوي بينك وبين خصمك، في مجلس القضاء؟ فقال: لا ولكني كرهت منك أن عظمتني في الخطاب وناديتني بكنيتي »(4).

ولنا في تاريخ سيدنا عمر ﷺ المثال النموذجي لتحقيق أعلى مستويات المساواة ولو على حساب ابنه، قال عبد الله بن عمر: « شهدت جلولاء ـ إحدى المعارك ببلاد فارس ـ فابتعت من المغنم بأربعين ألفا، فلما قدمت على عمر قال: أرأيت لو عرضت على النار فقيل لك: افتده، أكنت مفتديا به؟ قلت: والله، ما من شيء يؤذي بك إلا كنت مفتديا بك منه، قال: كأني شاهد الناس حين تبايعوا فقالوا: عبد الله بن عمر صاحب رسول الله ﷺ، وابن أمير المؤمنين وأحب الناس إليه، وأنت كذلك؛ فكان أن يرخصوا عليك أحب من أن يغلوا عليك، وإني قاسم مسئول، وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش، لك ربح الدرهم درهم، قال: ثم دعا التجار فابتاعوه منه بأربعمائة ألف درهم، فدفع إليَّ ثمانين ألفا، وبعث بالباقي إلى سعد بن أبي وقاص ليقسمه»(5).

---

(1) **أخرجه البخاري** ، كتاب (الحدود)، باب (إقامة الحد على الشريف والوضيع)، حديث رقم: 2648، 73/4.

(2) **(عوامل حماية المجتمع من الصراعات في ضوء الكتاب والسنة)، حياة صديق حمزة عبد الواحد،** (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين قسم الدراسات العليا، المملكة العربية السعودية، 1410هـ)، 215/1.

(3) **تاريخ الرسل والملوك**، للطبري، 433/3،

(4) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير ، 2/208.

(5) ينظر: **تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين**، مُحمَّد أحمد الذهبي، (د،ب)، دار الكتاب العربي، ط1، 1987م، ص: 27ـ271.

وهكذا ساد مبدأ تحقيق المساواة في عهد الخلفاء الراشدين، حتى أصبح سمة المجتمع، ولا محاباة في ذلك لقريب، أو لمسلم على غير مسلم.

فأول ما طبق هذا المبدأ كان على نفسه وأسرته كي يتسنى له تطبيقه على مجتمعه وولاته.

وقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ إلى والي مصر عمرو بن العاص ﵁ يقول: « إياك أن يقدم عليك أحد من أهل بيتي فتحبُوه بأمر لا تصنعه لغيره، فأفعل بك ما أنت أهله »(1).

فالإسلام يوحد بين أهل العقيدة الواحدة، دون أن يجعل أي فرق بينهم بسبب أوطانهم وألوانهم وجنسياتهم، وهو المبدأ الذي لم يعرف عند الروم السابقين، ولا عند الأوروبيين والأمريكيين الحاضرين(2).

فالشريعة الإسلامية أقرت مبدأ المساواة في المجتمع لما له من منافع ودور في استقرار المجتمع، وهذا الاستقرار كان له الأثر الواضح في توسع الفتوحات، ولذلك لم يكن هناك أي اعتراض أو تظلم في ضياع الحقوق وعدم المساواة، وهذا نتج عنه تحقيق مبدأ آخر؛ وهو العدل، وهذا ما سأتناوله في المطلب الآتي.

الفرع الثاني: تحقيق العدل

لقد أولى الإسلام العدل اهتماما كبيرا، فهو ضرورة إنسانية في تنظيم العلاقات في المجتمع، وهو أساس الأحكام جاء في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾[النحل: ٩٠].

وأوجب الحكم بالعدل ولو مع الأعداء فقال سبحانه وتعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾[المائدة: ٨].

ومن الشواهد القرآنية عن العدل وأهميته في الإسلام ما أمر الله جل وعلا نبيه ﷺ إذا احتكم إليه أهل الكتاب الذين يعادونه ويناوئونه، فقال عز من قائل: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٤٢﴾[المائدة: ٤٢].

والآيات في العدل كثيرة، وسيأتي ذكر المزيد منها في هذا المطلب.

وأكد النبي ﷺ على العدل ونوه بالمقسطين فقال :«**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»(3).

---

(1) **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**،أبي القرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، (د،ب)،دار ابن خلدون، (د،ط،ت)، ص: 240.

(2)**الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني**، أنور الجندي، ص: 226.

(3) **أخرجه مسلم** ،كتاب (الامارة)، باب(فضيلة الامام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن ادخال المشقة عليهم)، رقم الحديث: 1827. 3/1458.

ونظرا لأهمية تحقيق العدل في المجتمع داخليا، وأثره على الفتوحات وتوسعها خارجيا، نجد أن عمر بن الخطاب ﷺ يوصي من حوله من القرشيين بإقامة العدل، وهو في الرمق الأخير ودمه ينزف، فيما رواه المسور بن مخزمة ﷺ قال: سمعت عمر وإن إحدى أصابعي في جرحه وهو يقول: «**يا معشر قريش، إني لا أخاف النّاس عليكم، إنما أخافكم على النّاس، إني قد تركت فيكم ثنيتين لن تبرحوا بخير ما لزمتموها: العدل في الحكم، والعدل في الغَنْم**»(1).

وقد تعددت مظاهر العدل في حكم الخلافة الراشدة، فطالت جوانب مختلفة في الدولة، سأفصلها في العناصر الآتية:

1: العدل في الحكم

أمر الله عز وجل كل من يتولى حكما بين الناس أن يحكم بالعدل ويلتزم به بقوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾**[النساء: ٥٨]**

فإقامة بالعدل في شأن الحاكم من مبادئ الإسلام وضروراته فهو يعبر عن قمة تحقيق تقوى الله عز وجل كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾[المائدة: ٨].

فالعدالة حق يتمتع به الناس على السواء دون تفرقة بين أوضاعهم الاجتماعية، والمؤمنون مطالبون بأن يكونوا قوامين لله شهداء بالقسط، وهذا مستوى عظيم من المثالية في الإنصاف والعدل، لم ترق إليه أي من القوانين الوضعية في حاضرها وماضيها.(2)

2: العدل في اختيار الولاة

إن ثواب الإمام العادل من أعظم الأجور عند الله وكانت فضيلة العدل منه أعظم الفضائل؛ وقد جاء ذكر الإمام العادل في أول الأصناف الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة لقول رسول الله ﷺ:«**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العدل ....**»(3)

وقد وضعت الشريعة الإسلامية بيد ولي الأمر أو الحاكم عدة سلطات تقديرية؛ أي التي لا وجود لنص فيها، ومن بينها تنظيم شؤون الدولة، ومن واجب ولي الأمر تحقيق العدل في ذلك والحكم به، ومن بين هذه

(1) **المصنف**، ابن أبي شيبة، 579/8.

(2)**ينظر: عوامل حماية المجتمع من الصراعات في ضوء الكتاب والسنة**، حياة صديق حمزة عبد الواحد، ص: 334.

(3) **أخرجه البخاري** ، كتاب (الآذان)، باب (من جلس في المسجد ينتظر الصلاة)، رقم الحديث 660: 133/1.

الأمور إسناد أعمال الدولة وتولية الولاة فهي أمانة على عاتق الحاكم إلى يوم القيامة؛ لذا وجب الابتعاد عن المحاباة والنظر للقرابة أو الصداقة في ذلك.

وقد رُويت أحاديث تحذر من الخيانة في تولية المناصب لغير الأكفاء تحذيراً شديداً وتُرهّب منه ترهيباً مخيفاً، مثل ما روي عن النبي ﷺأنه قال : «**من استعمل رجلا على عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله وخان رسوله وخان جميع المؤمنين**» [1].

وهذا التحذير قائم على أن الوظائف والمناصب العامة أمانات ومسؤولية، فإن سُلّمت لمن هم ليسوا بأهل لها فمن شأن ذلك أن يؤدي إلى استشراء الفساد في المجتمع بأسره بحسب خطورة المنصب. وذلك ما نبه إليه النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «**إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة» ، قال:كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال: «إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[2] .

فعلى الحاكم أن يختار الولاة على أساس الكفاءة والأمانة مع مراعاة الأقدر والأصلح، دون محاباة أو قرابة، قال ابن تيمية: «ينبغي أن يعرف الأصلح في كل منصب، فإن الولاية لها ركنان: القوة والأمانة. كما قال تعالى:﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾[القصص: ٢٦]

وقال صاحب مصر ليوسف عليه السلام:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[يوسف: ٥٤]

والقوة في كل ولاية بحسبها؛ فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب وإلى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها؛ فإن الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال: من رمي وطعن وضرب وركوب وكر وفر ونحو ذلك؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾[الأنفال: ٦٠].[3].

والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام. والأمانة ترجع إلى خشية الله وألا يشتري بآياته ثمنا قليلا، وترك خشية الناس؛ وهذه الخصال الثلاث

(1)**المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد حجر العسقلاني، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، ط1، 1419، باب فضل الإمام العادل وذك الجائر، حديث رقم: 2156 10/ 101.

(2)**أخرجه البخاري**، كتاب (الرقاق)، باب (رفع الأمانة)، حديث رقم، 6496، 104/8.

(3)**ينظر**: **السياسة الشرعية**، ابن تيمية، ص07

التي أخذها الله على كل من حكم على الناس؛ في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[المائدة: ٤٤][1].

وقال في موضع آخر:«يجب على ولي الأمر أن يولّي على كل عمل من أعمال المسلمين، أصلح من يجده لذلك العمل، وهذا واجب عليه، فيجب عليه البحث عن المستحقين للولايات، من نوابه على الأمصار، من الأمراء الذين هم نواب ذي السلطان، والقضاة، ومن أمراء الأجناد...وولاة الأموال من الوزراء والكتاب والسعاة على الخراج والصدقات، وغير ذلك من الأموال التي للمسلمين.

وعلى كل واحد من هؤلاء، أن يستنيب ويستعمل أصلح من يجده ... فيجب على كل من ولي شيئاً من أمر المسلمين، من هؤلاء وغيرهم، أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع، أصلح من يقدر عليه، ولا يقدم الرجل لكونه طلب الولاية، أو يسبق في الطلب...

فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما أو صداقة ، أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب ، أو لضغن في قلبه على الأحق، أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ودخل فيما نهي عنه في قوله تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[الأنفال:27]» .[2].

وبالعودة إلى خلافة عمر . ﷺ . أي فترة التوسع في الفتوحات . فإننا نجد اهتمامه الكبير بالعدل والمساواة بين الرعية وهذا نموذج يؤكد ذلك:

لما قدم على عمر . ﷺ . مسك وعنبر من البحرين، قال عمر: «والله، لوددت أني وجدت امرأة حسنة الوزن تزنُ لي هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل: أنا جيدة الوزن فهلّم أزن لك، قال: لا، قالت: لم؟ قال: إني أخشى أن تأخذيه فتجعليه هكذا . وأدخل أصابعه في صدغيه . وتمسحي به عنقك، فأصيب فضلا على المسلمين »[3].

فهذا مثال من ورع أمير المؤمنين وعدله واحتياطه البالغ لأمر دينه، فقد أبى على امرأته أن تتولى قسمة ذلك الطيب؛ حتى لا تمسح على عنقها منه فيكون قد أصاب شيئا من مال المسلمين، وهذه الدقة المتناهية في ملاحظة الاحتمالات يهبها الله لأوليائه السابقين إلى الخيرات، وفرقان يفرقون به بين الحلال والحرام والحق والباطل، بينما تفوت الملاحظات على الذين لم يشغلوا تفكيرهم بحماية أنفسهم من المخالفات[4].

---

(1)**ينظر: السياسة الشرعية**، ابن تيمية، ص07

(2)**مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، 247/28ـ246.

(3)**تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين**، الذهبي، 30/19.

(4)**المصدر نفسه**،30/19.

ولقد كان الخلفاء الراشدون ينظرون لمبدأ العدل نظرة عميقة على أنه قاعدة دستور الحياة، ومنهج التشريع، وذلك ليحيا أفراد المجتمع عزيزي النفس، محفوظي الكرامة، مصاني الحق.

وإن في تحقيق العدل استقرار للمجتمع وتطوره، فقد حسنت سياسة الخلفاء الراشدين في الداخل والخارج، حتى كانوا الأنموذج الفريد لمن بعدهم وإلى يومنا هذا في العدل وإقامة الشرع ودحر الظلم، وتحقيق المصالح ودرء المفاسد، حتى كان العلماء وعامة الناس يبايعون الخلفاء الأمويين على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسنة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[1].

وقد حرصتُ على تفصيل منهج الفاروق ـ رضي الله عنه ـ في سياسته الإدارية، وما تميز به من عدالة، للإشارة إلى أن من عوامل توسع الفتوحات في خلافته الاستقرار الذي عرفته الدولة في كل الأقاليم المفتوحة.

3: العدل في البلدان المفتوحة

وإننا نلمح تطبيق العدل حتى مع البلدان المفتوحة؛ وهذا ما جعل الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب والسنوات الست الأولى من عهد عثمان ـ رضي الله عنهما ـ في توسع وامتداد كبير، فقد التزم الحاكم والقائد بالمبادئ الإسلامية التي رباهم عليها النبي ﷺ، والتي كان من أهمها التمسك بعقيدة الإسلام وأحكامه وحسن عرضها لأهل البلاد المفتوحة قولا وعملا وسلوكا[2]، مع تحري إقامة العدل، وعدم ممارسة أي نوع من الإكراه عليهم، والرفق والسماحة بهم، وهذا ما أكده وأوصى به النبي ﷺ في التعامل مع أهل الذمة في قوله ﷺ: « **ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة**».[3]

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قتل معاهداً لم يَرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً**»[4].

وأخرج مسلم من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال:قال رسول الله ﷺ: « **إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يُسمى فيها الْقِيرَاطُ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمَّة ورَحِماً**» أو قال: «ذمَّة وصِهراً».[5]

---

(1) **ينظر: توجيهات في العدل والاهتمام بالمسؤولية**، عبد العزيز الحميدي، (د،ب)، دار الدعوة، ط1، 2004، ص: 12ـ52.

(2) **ينظر: الواقع الثقافي في عصر الخلفاء الراشدين، دراسة تحليلية**، ص: 556.

(3)**سنن أبي داود**، كتاب (الخراج والامارة والفيء)، باب (في تعشير أهل الذمة)، رقم الحديث: 3052 170/3.

(4)**أخرجه البخاري**، كتاب (الجزية)، باب (اثم من قتل معاهدا بغير جرم) حديث رقم: 3166، 99/4

(5)**أخرجه مسلم** ،كتاب (فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم)، باب (وصية النبي بأهل مصر)، حديث رقم: 2543، 1970/4

وقد كان لوصايا رسول الله ﷺبأهل البلاد المفتوحة – ومنهم أهل الذمة- خيرا؛ أثره الكبير في التعامل الحسن معهم، ما أعطى انطباعا لسكان تلك البلاد أن المسلمين ليسوا كالأمم الأخرى التي تعاقبت على احتلال بلدانهم، فكان ذلك من أكبر الدوافع لاعتناق الإسلام والدخول فيه طواعية ودون إكراه، والأمثلة على ذلك كثيرة ومشهورة سواء في مصر أو الشام أو غيرهما.

وقد بلغ من حرص عمر بن الخطاب ﷺ بالعدل في البلدان المفتوحة أن أوصى عند موته بالرفق بأهل الذمة وعدم ظلمهم بقوله: « أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين خيرا... وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يُكلفوا فوق طاقتهم».(1)

ولنا في الفتوحات الإسلامية نماذج كثيرة في تطبيق هذا المبدأ نذكر منها:

1-عدم الاكراه في الدين: لما فتح عمرو بن العاص ﷺ الإسكندرية خيَّر الأسرى بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، أن من دخل الإسلام كان للمسلمين أخا، فكانوا يكبرون كلما أسلم أسير مثل تكبيرة الفتح وأشد.(2)

2- تحقيق الأمن والاستقرار والوفاء بالعهود: فالدولة الإسلامية مطالبة برعاية المسلم وغير المسلم الذي يعيش تحت ظل حكمها إذا التزم بما عليه من واجبات لزم أن تؤدي له الحقوق.

3- ضمان العدل في القضاء وحفظ حقهم في التملك والتجارة: كما فعل خالد بن الوليد ﷺ مع الفلاحين في العراق، وإقراره لهم بالبقاء في أرضهم بعد أن كانوا خدما للفرس.(3)

وألغى الإسلام الامتيازات الطبقية، وأعفي الناس من بعض الضرائب على عكس ما كان يؤخذ منهم في عهد الفرس والروم، إضافة إلى إلغاء الجزية عن العاجز والشيخ الكبير.(4)

كل هذه الضمانات وغيرها التي قام بها الخلفاء الراشدون لأهل البلدان المفتوحة . في عهد الامتداد . كانت سببا في هروب كثير منهم من جور الأديان إلى عدل الإسلام.

4- تحقيق العدل في إقامة الحدود: إن من أهم ما ميز العهد الراشدي عموما أنهم كانوا يتحرون العدل في أمورهم وأحكامهم بين الرعية، وكانوا يقيمون الحدود على من وجبت عليه سواء كان قريبا أو وليا؛ وذلك اتباعا لمنهج النبي ﷺ وتطبيقا للمبادئ الإسلامية كما هي دون النظر لصاحب الفعل، وقد ذكرنا أنه في عهد التوسع كان استقرار المجتمع له أثر كبير في امتداد الفتوحات، وإن تحقيق العدل أيضا كان له أثره الواضح، فالناس في المجتمع الراشدي تحت حكم الشرع سواء، لا تفاضل بينهم، وهذا ما حدث في عهد سيدنا عثمان رضي الله

---

(1)**أخرجه البخاري** ، كتاب (الجنائز)، باب(ما جاء في قبر النبي ﷺ)، حديث رقم: 1392، 103/2

(2)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 343/3.

(3) **المصدر نفسه**، 350/3.

(4) **ينظر: تاريخ الخلفاء الراشدين . الفتوحات والإنجازات السياسية**، ص: 315.

عنه في تطبيق حد شرب الخمر على أخيه لأمه الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقد شهد عليه رجلان أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنّه رآه يتقيأ، فقال عثمان: « إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: يا علي قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ولّ حارّها من تولى قارّها »(1)، فكأنه وجد عليه، فقال: «**عبد الله بن جعفر قم فاجلده، وعلي يعدُّ حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إليّ** ».(2)

فتحقيق العدل لا يكون بمجرد الدعوة إليه بل لابد مع ذلك من القيام على أمره، ومباشرة تنفيذه، لأن العدل قيمة جماعية بين طرفين، والقيم الجماعية لا تتحقق إلاّ بإلزام الجماعة وسياستهم بقصد تطبيق العدل.(3)

وبذلك كتب الله جل وعلا لهم التمكين تحقيقا لتطبيقهم لمبدأ العدل، فقد تفضل الله عز وجل على أهل العدل فمنحهم التمكين في الأرض مِنَّةً منه، وتكرما، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[النور: ٥٥].

فوعد الله تعالى الذين أقاموا شرعه ودينه؛ الذي هو عين القسط والعدل بالغلبة والنصر على الأعداء، والخلافة في الأرض، وذلك بجعلهم ورثتها وملوكها وأهل التصرف فيها (4)، فمن سنة الله تعالى التمكين في الأرض لأهل العدل والإنصاف، وإهلاك أهل الظلم والبغي.

ومن ثمرات العدل كثرة الخيرات وحصول البركات، فقد تفضل الله عز وجل على القائمين بالقسط الذين اتبعوا شريعته، وسلكوا صراطه المستقيم بإغداق الخيرات، وفتح البركات من السماء والأرض جزاء لهم لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الأعراف: ٩٦].

(1) **وتعني الحار**: الشديد المكره، والقار: البارد الهنيء الطيب، وهذا مثل من أمثال العرب معناه: ولّ شدتها من تولى هنيئها ولذتها: وليتول الجلد عثمان بنفسه، أو بعض خاصة أقاربه، ينظر: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، النووي، 219/11.

(2) **أخرجه مسلم** ، كتاب (الحدود،) باب (حد الخمر)، حديث: 1707، 1330/3

(3) **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، مُحَمَّد البهى، (د،ب)، مكتبة وهبة، ط10، ص: 214.

(4) **تفسير الطبري**، الطبري، 158/18.

ومن ثمرات تطبيق العدل الابتعاد عن الظلم ومن ثم يسود الأمن وتطمئن النفوس فتنصرف إلى العمل المثمر والإنتاج[1]، وهذا ما تحقق في عهد الخلفاء الراشدين خاصة فترة عمر وعثمان رضي الله عنهما لتحقق مبدأ العدل في أروع صوره، فتوسعت الفتوحات ونزلت البركات وتحقق الأمن والرخاء.

المطلب الثاني: الاستقرار السياسي

لتحقيق الاستقرار السياسي لا بد من توفر عدة عوامل ومرتكزات ينبني عليها وهي: التزام الحاكم بالمسؤولية، والتزام الرعية بطاعة الحاكم وهذا ما سأبينه في هذا المطلب.

الفرع الأول: التزام الحاكم بالمسؤولية

يعتبر الحاكم الطرف الرئيس في الدولة، فهو المسؤول الأول عن شؤونها في كل المجالات، وهو بذلك راع لأمته، يقول رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع ومسئول عن رعيته**»[2]، يتبين لنا من هذا الحديث أهمية المسؤولية ولعل أهمها مسؤولية الحاكم القائم على شؤون الأمة.

فليس الحكم في الإسلام استعلاء؛ إنما هو أمانة كما بينه الرسول ﷺ حين قال لأبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ : «**يا أبا ذر إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأعطى الذي عليه فيها**»[3]

ولابد للحاكم من التقيد بأسس الحكم الإسلامي وهي تشتمل على ثلاثة أمور مهمة:

أولا: العدل: قال رسول الله ﷺ:«**لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت، وإذا حكمت عدلت، وإذا استرحمت رحمت**».[4]

جاء في كتاب تهذيب الرياسة: « العدل ميزان الله في أرضه وضعه للخلق ونصبه للحق فمن خالفه في ميزانه، وعارضه في سلطانه فقد عرض دينه للخبال ودولته وعزه للذل وكثرته للقل».[5]

وقال الماوردي في بيان أهمية العدل:« وأما القاعدة الثالثة ـ أي من القواعد التي تصلح بها الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة وأمورها ملتئمة، فهي عدل شامل يدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة وتعمر به البلاد وتنمو

(1) **ينظر**: (**العدل في القرآن الكريم**)، عبد الله بن عبد العزيز الحكمة آل حسين، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، الرياض، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1413هـ)، ص: 278 .284.

(2) **أخرجه البخاري** ،كتاب (الأحكام)، باب (قوله تعالى: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) حديث رقم:2409 165/4.

(3) **أخرجه البخاري** ،كتاب (الامارة)، باب (كراهية الامارة بغير ضرورة)، حديث 7184، رقم: 313/12، 312.

(4)**كنز العمال في سنن الأقوال والافعال**، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تصحيح: صفوة السقا، (د،ب)، مؤسسة الرسالة، د. ط،ت، 43383، 850/15.

(5)**تهذيب الرياسة وترتيب السياسة**، أبي عبد الله القلمي، ص: 189.

به الأموال ويكثر معه النسل ويأمن به السلطان، فقد قال الهرمزان لعمر حين رآه وقد نام مبتذلا: عدلت فأمنت فنمت، وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور، لأنه ليس يقف على حد ولا ينتهي إلى غاية ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل».(1)

وقد أضحى في حكم السنن الاجتماعية الثابتة أن عدل الحاكم فيما يتعلق بما للناس من حقوق في أموالهم، أو حقوق مترتبة على أعمالهم، هو الذي يؤدي إلى أن تشعر الرعية بالاطمئنان ويحفزهم على الإقبال على العمل، والجد فيه، فينتج عن ذلك نماء العمران واتساعه، وتوجد الأموال وتكثر الخيرات، والمال والعمل يؤديان إلى تقوية الدولة وبقاء الحكم واستمراره، وبالعكس تكون عواقب الاعتداء على أموال الناس وحقوقهم، أو غمطهم إياها، هي إجحام الناس عن مزاولة الأعمال وركود النشاط، لفقدهم الشعور بالثقة، ويؤدي ذلك إلى الكساد الاقتصادي، فتدهور العمران، فضعف الدولة أو فنائها.(2)

وعلى هذا فإننا نلمح أن من الأسباب الرئيسة في توسع الفتوحات وامتدادها عدل الحاكم – أي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما–، حيث كان الجيش الإسلامي يشعر بالعدل ويثق في حكامه فنشط في نشر الإسلام بكل حماسة، وتحمل كل الأعباء دون كلل أو ملل.

ثانيا: الشورى

تعتبر الشورى أمرا ربانيا، ومن الواجب التقيد به وتنفيذه، وقد بلغ من أهميتها أن دُعي رسول الله ﷺ وهو المعصوم لتطبيقها فقال الله جل شأنه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾[آل عمران: ١٥٩].

ودُعي المسلمون إلى تطبيق الشورى في حياتهم، لأنها واحدة من خصائص المؤمنين الذين امتدحهم الله عز وجل فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣٨ ﴾ [الشورى: 38].

قال ابن تيمية: « لا غنى لولي الأمر عن المشاورة، فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ».(3)

فالشورى من الصفات الأساسية الكبرى التي يتميز بها مجتمع المؤمنين، وهذا يعني أن يكون المسلمون على كلمة سواء فيما بينهم من شئون، فتكون طريقتهم واحدة ويدهم واحدة ووجهتهم واحدة وموقفهم في مواجهة الأحداث واحدا، فلا يذهب كل واحد منهم مذهبا ولا تركب كل جماعة منهم طريقا.(4)

---

(1)**أدب الدنيا والدين**، الماوردي، ص: 119.

(2)**ينظر:عوامل حماية المجتمع من الصراعات في ضوء الكتاب والسنة**، حياة صديق حمزة عبد الواحد، ص: 97.

(3) **السياسة الشرعية**، ابن تيمية، ص:169.

(4) **منهج القران في تربية المجتمع**، عبد الفتاح عاشور، ص: 503.

قال القرطبي في بيان أهمية الشورى: « إن الله تعالى مدح المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يتمثلون ذلك، وقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب وذلك في الآراء كثير، ولم يكن يشاور في الأحكام لأنها مُنزلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام».[(1)]

وقد أدرك الخلفاء الراشدون ﷺ ما للشورى من أهمية مما تعلموه من مواقف النبي ﷺ، فالتزموا بهذا المبدأ، فكانوا لا يقضون في أمر أو موقف حتى يستشيروا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وقد نقل ذلك عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فيما روى ميمون بن مهران[(2)] قال: «كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم، نظر في كتاب الله تعالى، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله ﷺ، فإن وجد ما يقضي به قضى به، فإن أعياه ذلك سأل الناس: هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى فيه قضاء؟ فربما قام إليه القوم فيقولون: قضى فيه بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سنها النبي ﷺ جمع رؤساء الناس فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به" ثم قال: " وكان عمر ـ ﷺ ـ يفعل ذلك، فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة، يسأل هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء؟ فإن كان لأبي بكر قضى به، وإلا جمع علماء الناس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به».[(3)]

ومن الشواهد التاريخية التي تؤكد تطبيق مبدأ الشورى لدى الخلفاء الراشدين ما قام به عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ في قصة طاعون عمواس وهو بأرض الشام، فعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: « خرج عمر إلى الشام غازيا، وخرج معه المهاجرون والأنصار، وأوعب الناس معه، حتى إذا نزل بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، فأخبروه أن الأرض سقيمة، فقال عمر: اجمع إليّ المهاجرين الأولين، قال فجمعهم له، فاستشارهم، فاختلفوا عليه فمنهم القائل: خرجت لوجه نريد فيه الله وما عنده ولا نرى أن يصدك عنه بلاء عرض لك، ومنهم القائل: إنه لبلاء وفناء وما نرى أن نقدم عليه، فلما اختلفوا عليه قال: قوموا عني، ثم قال: اجمع لي مهاجرة الأنصار، فجمعهم له، فاستشارهم، فسلكوا طريق المهاجرين، فكأنما سمعوا ما قالوا فقالوا مثله، فلما اختلفوا عليه قال: قوموا عني، ثم قال اجمع لي مهاجرة الفتح من قريش، فجمعهم له، فاستشارهم فلم يختلف عليه منهم اثنان، وقالوا ارجع بالناس فإنه بلاء وفناء،

---

(1) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، 28/15.

(2)**ميمون بن مهران** :" 27 ـ 117هـ" أحد كبار التابعين فقيه من القضاة كان مولى لأمرأة بالكوفة فأعتقته فنشأ فيها واستوطن الشرقة يعد من علماء الجزيرة، ثقة في الحديث، استعمله عمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة وقضائها، ينظر: **شذرات الذهب**، 154/1.

(3) **القضاء في الإسلام** ، مُحَمَّد سلام مدكور، ص: 24.

قال: فقال لي عمر بن الخطاب يا ابن عباس اصرخ في الناس فقل: إن أمير المؤمنين يقول لكم إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه قال: أيها الناس إني راجع فارجعوا، فقال له أبو عبيدة بن الجراح، أفرارا من قدر الله؟ قال: نعم فرارا من قدر الله إلى قدر الله..».(1)

ثالثا: التزام شرع الله وتطبيقه

حدد الإسلام للخليفة الاختصاصات المكلف بها شرعا، وذلك لتصبح الدولة الإسلامية مكلفة بتحقيق مقاصد التشريع الإسلامي التي تهدف إلى إصلاح أحوال المسلمين في دينهم ودنياهم .

لذا يجب على الخليفة في الدولة الإسلامية أن يتفقد أحوال المسلمين وما يجري بينهم من المعاملات، فيجعلها قائمة على حكم الله وشرعه، وأن يمنع العقود والمعاملات المنهي عنها شرعا، وأن يمنع صاحب كل صنعة من الغش في صناعته، والأصل في هذا أن لا يحرم على الناس من المعاملات التي يحتاجون إليها، إلا ما دل الكتاب والسنة على تحريمه، كما لا يشرع لهم من العبادات التي يتقربون بها إلى الله إلا ما دل الكتاب والسنة على شرعه.(2)

وعلى هذا اشترط الفقهاء في الخليفة أن يكون على علم بالشريعة الإسلامية وأحكامها؛ لأن الإمام إنما يكون منفذا لأحكام الله تعالى إذا كان عالما بها وما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها.(3)

وعليه يتبين أن تطبيق أحكام التشريع الإسلامي في كل شئون الحياة والالتزام به واجب على الخليفة ـ وعلى المسلمين ـ وأن هذا أمر يرتبط بالإيمان بالله ورسوله وأن الخروج على هذا الأمر ومخالفته خروج على دين الله.(4)

وقد فقه الخلفاء الراشدون هذا الأمر وأمروا بطاعتهم ما لم يخرجوا في حكمهم على طاعة الله عز وجل، فجعلوا طاعة المسلمين لهم ـ أي الرعية ـ مشروطة بالتزامهم بأمر الله وشرعه، فإن خرجوا عن ذلك بمخالفة أمر الله تعالى فلا سمع لهم ولا طاعة على المسلمين.

قال الصديق ـ ﷺ ـ في أول خطبة خطبها بعد مبايعته خليفة لرسول الله ﷺ: «... **أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم** »(5).

---

(1) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 57/4.

(2)**ينظر**: **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، ابن القيم الجوزية، ص: 219.

(3) **ينظر**: **المقدمة**، ابن خلدون، ص: 211.

(4)**ينظر**: **عوامل حماية المجتمع من الصراعات في ضوء الكتاب والسنة**، حياة صديق حمزة عبد الواحد، 108/2

(5)**السيرة النبوية**، ابن هشام، 312/4.

وقال عمر بن الخطاب ـ ﷺ حين بويع أميرا للمؤمنين: «اقرؤوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزيَّنوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله ...»[1].

الفرع الثاني: التزام الرعية بطاعة الحاكم

بمثل ما ألزم الشرع الحنيف الحاكم المسلم الحكم بما أنزل الله وطاعة الله ورسوله، فرض على الرعية طاعة الحاكم ومراعاة حقوقٍ أجملها فيما يلي:

1: حقوق الحاكم

للحاكم المسلم حقوق يجب على الرعية أداؤها وهي:

أولا: الطاعة

إن طاعة الحاكم فريضة دينية واجبة الأداء من قبل المحكومين، فطاعة الحاكم هي المظهر الأول لقبول الإمرة، كما أن التقوى والعبادة والطاعة هي مظاهر قبول الدخول في الإسلام، قال الله جل شأنه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[النساء: ٥٩].

وقال رسول الله ﷺ: « **من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني**»[2].

« ووجوب السمع والطاعة وردت به نصوص لا شك في ثبوتها وصحتها وصراحة مدلولها ومعناها، إلا أن هناك معنى للسمع والطاعة يجب أن يتفطن له، وهو أن الإمام ما دام ليست له من مهمة إلا تنفيذ أحكام الشريعة الغراء وتحقيق المقاصد التي أمر الله تعالى بها الأمة المسلمة أن تجتهد لبلوغها، ما دام أن الأمر شورى، فإن السمع والطاعة إنما يكونان في الحقيقة لأمر الله وما يجب له تعالى من صدع وخشوع وتسليم»[3].

وعليه فقد عُدَّت الطاعة دعامة من دعائم الحكم في الإسلام وقاعدة من قواعد نظامه السياسي في الحكم، وهي من الأمور الضرورية لتمكين الحاكم من القيام بواجبه الملقى على عاتقه، ولذا قيل: « لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا أمير بلا طاعة»[4].

---

(1)**كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان الفوري، 1993م رقم 44214.

(2) **أخرجه البخاري** ، كتاب (الأحكام)، باب(قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ٥٩ ﴾)، حديث رقم: 7137، 164/4.

(3)**دعاة لا قضاة**، حسن الهضيبي، ص: 181.

(4)**الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة**، عبد الله بن عمر الدميجي، الرياض، دار طيبة، ط2، 1408هـ، ص:375.

ثانيا: النصيحة

للنصيحة منزلة عظيمة في دعوة الله التي بعث بها الأنبياء والرسل، فقد جعل من مهامهم النصيحة لأقوامهم، ولذلك خاطب بها كل نبي قومه، قالها نوح عليه السلام وهو يدعو قومه بلطف وإشفاق:﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٦٢]، وقالها هود عليه السلام مخاطبا قومه بأسلوب فيه رقة ولين:﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾[الأعراف: ٦٨]،وقالها صالح عليه السلام لقومه بعد أن أخذتهم الرجفة:﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾[الأعراف: ٧٩].

واقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعي المؤمنون إلى التناصح فيما بينهم، وجعل النصيحة لأولياء الأمور من الأولويات بعد النصيحة لله ورسوله، فكان من حق الإمام على الرعية أن ينصحوا له ويخلصوا له في النصيحة، فقد جعل الرسول ﷺ النصيحة لأئمة المسلمين من صميم الدين في قوله ﷺ: « **الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** ». (1)

إن النصح عمل عظيم، إنه النية والكلمة والعمل، فأنبياء الله حين نصحوا لأقوامهم كانوا يوفون الأمانة ويؤدون الرسالة ويتحملون من أجل ذلك الشيء العظيم .(2)

ونجد أن الحديث السابق بين أسس وأركان النصيحة فقال: النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، والأسس التي عرضها الحديث هي:

1: صحة الإيمان

2: العلم بمنهاج الله قرآنا وسنة

3: العمل بذلك في ميدان التطبيق في واقع الحياة سواء مع الناس عامة، أو العلماء والحكام وسائر القادة.(3)

وتكون النصيحة لأئمة المسلمين بمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وتألف قلوب الناس لطاعتهم .(4)

وبين الرسول ﷺ أن النصيحة للحاكم من الأمور التي يرتضيها الله لنا فقال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثة: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**»(5)

(1)**أخرجه مسلم**، كتاب(البيعة)،باب (بيان أن الدين النصيحة) ،حديث رقم: 95، 74/1.

(2)**ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية**، عدنان النحوي، ص: 68.

(3)**المرجع نفسه**، ص: 71.

(4) **عوامل حماية المجتمع من الصراعات في ضوء الكتاب والسنة**، حياة صديق حمزة عبد الواحد، ص: 132.

(5) **أخرجه مسلم** ،كتاب (الأقضية)، باب (النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة)، حديث رقم:1863، 12/10.

وفي سير الخلفاء الراشدين نجد الحرص على هذا المبدأ، فقد خطب عمر بن الخطاب ـ ﵁ ـ فقال: « أيها الرعاء، إن لنا عليكم حق النصيحة بالغيب، والمعونة على الخير، أيها الرعاء، إنه ليس من حلم أحب إلى الله وأعم نفعا من حلم إمام ورفقه، وليس من جهل أو بغض إلى الله وأعم ضررا من جهل إمام وفرقه»(1)، وقال ـ ﵁ ـ أيضا : « أعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم » .(2)

ثالثا: حق النصرة

من حقوق الخليفة على الأمة بعد الطاعة؛ نصرته ظاهرا وباطنا، لأن الإمام رمز لوحدة المسلمين، وهو الذي يقع على عاتقه الدفاع عن الإسلام والمسلمين وكف أيدي الأعداء. (3)

قال الماوردي: « إذا قام الإمام بما ذكرنا من حقوق الأمة، فقد أدى حق الله تعالى عليه فيما لهم وعليهم، ووجب له عليهم حقان: الطاعة والنصرة ما لم يتغير حاله ». (4)

وعليه فنصرة الحاكم هي إعانته ومؤازرته والوقوف معه ما دام في حدود الشرع، حيث لا يستطيع الحاكم مواجهة الأحداث والمحن والفتن وحده، فلا بد من مناصرته وشد أزره والوقوف معه في وجه كل معتد في الداخل أو الخارج حتى يضمن الاستقرار والأمن لكل فرد؛ لقول رسول الله ﷺ: «**الإمام جُنة يقاتل من ورائه، ويُتقي به، فإن أمر بتقوى الله وعدل كان له بذلك أجر، وإن أمر بغيره كان عليه وزر**». (5)

وتحققت هذه النصرة في عهد الفاروق ﵁ فإنه كان إذا استنفر المسلمين للقتال أو لإمداد الجيوش الإسلامية؛ فإنهم سرعان ما يستجيبون لذلك دون تردد(6).

ومن مظاهر حرصهم لنصرة الإسلام أنه إذا طلب الخليفة أحدهم لقيادة الجيش؛ فإنه يستجيب لذلك دون تفكير، بل كان البعض منهم يزهد في تولي منصب الوالي (الجابي) ويطمح أن يكون غازيا في سبيل الله(7)، ويدخل في ذلك أيضا نصرة الجند واستجابتهم لأمرائهم فيما وجه إليه الخليفة وأمر به من المسير للجهاد إلى مكان ما دون تردد. (8).

---

(1)**الخراج**، لأبي يوسف، ص: 48.

(2)**كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان الفوري، 272/5.

(3)**ينظر: معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة**، عبد السلام ابن برجس ، الرياض، مكتبة الرشد ، ط7، 2006م، ص: 85.

(4)**الأحكام السلطانية**، الماوردي ص:18

(5) **أخرجه البخاري** ، كتاب (الجهاد والسير)، باب (يقاتل من وراء الامام ويتقى به)، حديث رقم: 2957، 50/4.

(6) **ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 471/3.

(7) **مروج الذهب**، المسعودي، 322/2.

(8) **ينظر: الفتوح**، ابن الأعثم أبو محمد أحمد الكوفي، بيروت، دار الندوة الجديدة ، (د،ط)، 1968م ، 325/1

2: لزوم جماعة المسلمين

ومن الواجبات التي فرضها الإسلام على الرعية طاعةً للحاكم، لزوم جماعة المسلمين، فقدحث القرآن الكريم والسنة النبوية على لزوم أمر الجماعة والمحافظة عليه وصيانته، والحرص على ما يؤدي إلى تماسك بنيانه، وحرم كل عمل يؤدي إلى المساس بالوحدة، قال الله جل ذكره: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾[آل عمران: ١٠٣].

وقال أيضا: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥﴾[آل عمران: ١٠٥].

فالله تعالى يحذر الجماعة المسلمة من التفرق والاختلاف وينذرها عاقبة الذين حملوا أمانة منهج الله قبلها ـ أهل الكتاب ـ ثم تفرقوا واختلفوا فنزع الله الراية منهم، وسلمها للجماعة المسلمة المتآخية، فوق ما ينتظرهم من العذاب. (1)

ولأهمية لزوم أمر الجماعة وخطورة التفرق، حذر رسول الله ﷺ من ذلك فقال: «**من رأى من أميره شيئا يكرهه، فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة الجاهلية**».(2)

فطاعة الحاكم ولزوم أمر الجماعة والصبر عليه ينتج عنه «حفظ قوة الأمة من أن تتبدد في غير ميدانها، فيطمئن الحاكم المسلط من جانب الأمة بما يحملها عليه دينها من طاعته، فلا ينشغل عن حمايتها بحماية نفسه منها، وتنصرف الأمة صابرة على أمر الله راضية بقضائه فيها، شغلها دينها، وهدفها وحدة كلمتها أمام عدوها ولو تحملت هي الغرم كله».(3)

وهذا ما حاول الجيل الراشدي التقيد به مما نتج عنه استقرار للمجتمع وتوسع للفتوحات.

لابد من الإشارة أنه في المقابل كانت المجتمعات الأخرى في بلاد الفرس والروم تتخبط وسط فوضى وعدم استقرار، واضطراب سياسي واجتماعي، فقد تعددت فيهما الأديان والمذاهب، مما أدى إلى تعصب كل طائفة لرأيها ودينها، ونتج عن ذلك التنازع بين أفراد المجتمع الروماني والفارسي فضعفت قواه، وتفككت أواصره، وانتشرت الأحقاد والكراهية، وانقسم المجتمع إلى طبقات، وكان الصراع قائما على أشده على الملك والسلطان، وبلغ ذروته أن تحاسد الإخوة على السلطة، وأصبح كل واحد منهم يكيد لأخيه للوصول للملك والسلطة،

(1) **ينظر: في ظلال القرآن**، سيد قطب، 445/1.

(2) **أخرجه مسلم** ،كتاب (الامارة)، باب (الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن)، حديث رقم: 55، 1477/3.

(3) **منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم**، يحي إسماعيل، ص: 120.

حتى ولو أدى ذلك إلى قتله، وقد نتج عن هذا الصراع أن وصل إلى سدة الحكم في بلاد فارس تسعة ملوك خلال أربع سنوات[1].

وسرت روح الفوضى والإباحية التي دعت إليها أديانهم الباطلة[2]. وهذا ما أدى على الضعف النفسي، والأنانية، والعبث السياسي بين أفراد الأسرة المالكة، وشاع الظلم، وارتكبت الكبائر والجرائم الأخلاقية [3].

وهكذا كان أفراد المجتمع الفارسي والروماني بحاجة ماسة لوصول الدعوة الإسلامية إليه، وقد بذل الخلفاء الراشدون كل الوسائل لإيصالها إليهم وانتشالهم من مستنقعات الكفر والفسق والزندقة والموبقات والجرائم الأخلاقية، وكان من أبرز الوسائل التي استعملها المسلمون في العصر الراشدي الجهاد أو ما يعرف بالفتوحات الإسلامية.

خلاصة المبحث

نخلص في هذا المبحث إلى أن توسع الفتوحات في عهد الخليفتين عمر وعثمان رضي الله عنهما كان بسبب التزامهم وتحقق بعدة أمور منها الاستقرار الاجتماعي الذي تحقق فيه مبدأ المساواة ومبدأ العدل بين الرعية وتمثل تحقيق العدل في اختيار الولاة وفي الحكم وكذا تبينت أهم معالمه في البلدان المفتوحة والاستقرار السياسي والذي يتمحور حول التزام الحاكم بالمسؤولية والشورى وتطبيق شرع الله، وكذا التزام الرعية بطاعة الحاكم، والتقيد بحقوقه والتي تتمثل في حق الطاعة والنصيحة وحق النصرة، ووجوب لزوم جماعة المسلمين وعدم الخروج عنها.

(1) **الدعوة الإسلامية بين سياسة عمر وعثمان**، السعودي عبد المقصود إبراهيم ص: 161.

(2) **أبو بكر الصديق ﷺ شخصيته وعصره**، علي الصلابي، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 2008م، ص: 268.

(3)**المرجع السابق** ، ص: 165.

المبحث الثالث:

السنن المتعلقة بالولاة وقادة الجيش والجنود

تعتبر الولاية على البلدان من أهم مكونات الدولة، فهي الامتداد الطبيعي لها، لذلك حرص الخلفاء الراشدون – خاصة في فترة الامتداد الفتوحي– على رسم سياسة إدارية راشدة للمناطق المفتوحة لا تقل أهمية عن تلك التي تطبق في عاصمة الخلافة.

ويمثل الجيش حصن الدولة وقوتها الذي تحتمي به، وعصب هذا الجيش قادته وجنوده، وإليه توكل مهمة الفتوحات، ولذلك احتاج هو الآخر إلى تنظيم وإحكام لأداء مهمته على أكمل وجه.

وسأتحدث في هذا المبحث عن ثلاثة عناصر هي: الشروط التي يجب أن تتوفر في الولاة حتى يتمكنوا من تبوئ هذا المنصب في فترة توسع الفتوحات، ثم الصفات التي يجب أن يتمتع بها القادة العسكريون لحيازة هذا المنصب الرفيع والحساس في الدولة، وأختم بالحديث عن حقوق القائد وحقوق الجنود التي لولاها لما استطاع الجيش أن يتغلب على أعدائه، كل ذلك سأعرضه في ثلاثة مطالب.

وسيلاحظ أن أغلب الأخبار والمواقف مرتبطة بخلافة عمر بن الخطاب ﷺ، والسبب ما أوتي من مواهب وملكات جعلت منه عبقريا كما شهد له بذلك رسول الله ﷺ، يضاف إليها طول فترة حكمه وما ميزها من استقرار، نتج عنه فتوحات واسعة طالت المشرق والمغرب.

المطلب الأول: شروط تعيين الولاة

عُرف عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ عبقريته في سياسته الإدارية وقراراته في كل ما يتعلق بالحكم عامة وما يتعلق بالجيش والولاة خاصة، فكانت له معايير ومميزات لاختيار وتعيين الولاة، فقد اعتبرها من باب أداء الأمانات؛ فوجب عليه تعيين الأصلح فقال بهذا الشأن ﷺ: « وأنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطلع على ما يحضرني بنفسي إن شاء الله، لا أكله إلى أحد، ولا أستطيع ما بَعُدَ منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم ».[(1)]

وقال أيضا :« من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمسلمين»[(2)]، فما أهم شروط عمر . ﷺ . في اختيار وتعيين الولاة ؟ ذلك ما سأبينه في النقاط الآتية:

---

(1)**دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني لهجرة**، الشريف أحمد إبراهيم، بيروت، دار الفكر العربي، (د،ط)، 1968م، ص: 255.

(2)**مجموع الفتاوى** ابن تيمية، 28/138 .

الفرع الأول: القوة والأمانة

قال الله جل علا: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ [القصص:٢٦]

ففي هذه الآية الكريمة تذكير وحث على اختيار القوي الأمين؛ حيث لا يمكن أن يتولى الضعيف الإمارة،

من خلال عرض النماذج التي مكن الله عز وجل لها في الأرض نجد من أساسيات هذه الأسباب: حفظ هؤلاء الأفراد وأمانتهم، هذا ما جعل الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يجعل مبدأ القوة والأمانة شرطا أساسيا في اختيار الولاة، فكان يرجح الأقوى من الرجال.

وقد أكد الخلفاء الراشدون ذلك عند اختيارهم العمال، فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن القوة التي يجب أن تتوفر في الشخص الذي يتولى هذا المنصب: « لا يصانع ولا يضارع، ولا يتبع المطامع، ولا يكتم في الحق على حدته »[1]. وقال أيضا: « لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقدة، بعيد القوة، ولا تأخذه في الله لومة لائم»[2].

كما أن القوة تعني من ناحية أخرى الكفاءة والخبرة والمقدرة على إنجاز الواجبات والأعمال بنجاح تام، بما يجعل من الموظف العام أداة فاعلة في تطوير عمل الدولة[3].

فقد اختار عمر بن الخطاب عمرو بن العاص وفضَّله على غيره من السابقين في الإسلام[4]. وعزل شرحبيل بن حسنة وعين بدله معاوية، فقال له شرحبيل: « أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، إنك لَكَمَا أُحبُّ ولكني أريد رجلا أقوى من رجل»[5].

على هذا الأساس من اختيار القوي الأمين سار الخلفاء الراشدون في تولية المناصب، فأما أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقد ورث عن رسول الله ﷺ أقاليم وولاة،ولا يخفى ما في اختيارالمصطفى المعصوم لعماله من عدالة ونزاهة في أعلى درجاتها، ولذلك لم يدخل عليها الصديق أي تغييرات تذكر، وفلما تولى عمر بن الخطاب τ الخلافة، وبلغت الفتوحات في زمانه أوجَهَا فتوسعت الدولة لتشمل مساحات جديدة هي الهلال الخصيب وبلاد فارس ومصر، حافظ على الهدي النبوي في تولية العمال، فبرزت معالم اختيار الولاة

---

(1)**شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن مُحَّد المدائني، تح: مُحَّد عبد الكريم النمري، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م، 118/12.

(2)**كتاب عيون الأخبار**، ابن قتيبة أبو مُحَّد عبد الله بن مسلم، القاهرة ،دار الكتب المصرية، 1996م ، 340/6.

(3) **ينظر: منهج الخلفاء الراشدين في إدارة الدولة الإسلامية**، عبد الملك ناظم عبد الله، القاهرة، دار السلام، ط1، 2016م، ص: 67

(4)**الأوائل**، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط 1987م، ص: 190.

(5)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري39/5.

وشروط توليتهم، فلم يكن ينظر إلى صلاح الرجل في ذاته، ولكن إلى صلاحه للولاية، لذلك كان يولي أناسًا وأمامه من هو أتقى منهم وأكثر علمًا, وأشد عبادة، وكان يقول:« إني لأتحرج أن استعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه». وكان يستعمل رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ مثل عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، ويدَع من هو أفضل منهم مثل عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وابن عوف، ونظرائهم لقوة أولئك على العمل والبصر به، ولإشراف عمر عليهم وهيبتهم له.

قال عمر يومًا لأصحابه:« دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني. قالوا: فلان. قال: لا حاجة لنا فيه، قالوا: من تريد؟ قال: أريد رجلاً إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم، وإن كان أميرهم كان كأنه رجل منهم. قالوا: ما نعرف هذه الصفة إلا في الربيع بن زياد الحارثي. قال: صدقتم, فولاه»[1].

وقد كان معظم الولاة في خلافة الفاروق ـ رضي الله عنه ـ من كبار الصحابة أمثال: أبي عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، وأبي موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة، والعلاء بن الحضرمي، والمغيرة بن شعبة، سعيد بن عامر، وغيرهم... لتحليهم بصفتي القوة والأمانة، مما أكسبهم ثقة الخليفة واحترام الناس.

الفرع الثاني: البصر بالعمل

فقد استعمل عمر قوما وترك من هم أفضل منهم لبصرهم بالعمل، والتفضيل هنا يعني أن أولئك الذين تركهم عمر كانوا أفضل دينا، وأكثر ورعا، وأكرم أخلاقا، ولكن خبرتهم في تصريف الأمور أقل من غيرهم؛ فلقد سأل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن رجل أراد أن يوليه عملا فقيل له يا أمير المؤمنين: «إنه لا يعرف الشر، فقال عمر: لمخاطبه: ويحك ذلك أدنى أن يقع فيه »[2].

فالفقه بأمور الحرب أي الخبرة العسكرية وفقه أساليب القتال ومعرفة إدارة المعركة، وكذا العلم بمواقع القتال وجغرافية البلدان، مما يتعين على القائد أن يكون ملما به حتى يكون أهلا للقيادة.

ففي معركة البويب أو النخيلة[3] ـ رمضان 13هـ/ تشرين ثاني 634م؛ قرر الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بعد هزيمة الجسر أن يجمع القبائل ويؤلف الجموع لدعم المثنى بن حارثة الشيباني مُقرا له بالقيادة التي استحقها عن جدارة العارف بالحرب وأساليبها وألاعيبها بعد معركة الجسر[4]، وعلم الفرس عن الإمدادات العربية لأنها أول معركة يجتمع فيها العربي المسيحي مع العربي المسلم على عدوهم الفرس، فسارعوا إلى إنهاء

---

(1)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،343/3.

(2) **نظام الحكم في الشريعة والتاريخ، الإسلامي**، ظافر القاسمي، بيروت، دار النفائس، ط3، 1987، 479/1.

(3)**البويب**: بلفظ تصغير الباب: نقب بين جبلين، وهو نهر كان بالعراق موضع الكوفة، يأخذ من الفرات، كانت عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس، وكان مجراه على موضع دار صالح بن علي بالكوفة. **ينظر**: **معجم البلدان**، الحموي، 512/1.

(4)**القتال في العهد الراشدي**، فادي شامية، ص:107.

الخلافات الداخلية، وبدأوا بتجهيز الجيش بقيادة مهران بن باذان الهمذاني، وتمكنوا من حشد حوالي مائة ألف مقاتل، أكثرهم من الفرسان وقد نزلوا الحيرة.

فعلم المثنى بخروج مهران الهمذاني فغادر المكان الذي فيه إلى البويب للاصطدام بجيش الفرس، فأرسل إلى جرير بن عبد الله وعصمة بن الحارث يواعدهم بالبويب على الضفة الغربية للنهر، فعسكر على شاطئ الفرات الشرقي في بير هند، وعسكر مهران في بسوسا أي الضفة الشرقية للنهر، حيث أصبح لا يفصل بينهما إلاّ النهر، فكتب إليه مهران : « إما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم، فقال: اعبروا»[1].

فقد عمل المثنى بنصيحة عمر بن الخطاب ﷺ. والتزم بها "لا تعبروا بحرا ولا جسرا إلا بعد ظفر"، فعبروا وكان ذلك في رمضان، فقال المثنى لجيشه: « انهدوا لعدوكم، فتناهدوا، فقال: إنكم صوام، والصوم مُرِقَّةٌ ومضعفة، وإني أرى من الرأي أن تفطروا لكي تقووا على قتال عدوكم، فقالوا نعم»[2]، شد الفرس في البداية ولهم صراخ وأهازيج، فأراد المثنى أن يربط على قلب جيشه فقال:« إن الذي تسمعون فشل، ألزموا الصمت وائتمروا همسا»[3].

ثم دارت رحى الحرب الرهيبة، والمثنى في الجيش يصرخ :« لا تفضحوا المسلمين اليوم»[4]، ثم استطاع المثنى أن يخرق قلب الفرس، فتتبعه الخيالة بقيادة أخيه المعنّى في هذه الأثناء كان الهجوم يشتد على المشاة الذين انكشفوا، فاستشهد مسعود بن حارثة أخو القائد وهو يقول: « ارفعوا راياتكم رفعكم الله لا يهزلنّكم مصرعي»[5].

أما المثنى وهو يرى أخاه في ذلك المنظر قبل اختراقه قلب الفرس فكان يقول: « لا يرعبنّكم مصرع أخي فإن مصارع خياركم هكذا»[6]، ثم ينجز الاختراق، وتنقسم خيالة المسلمين إلى ميمنة وميسرة وتحيط بجيش الفرس، فتوجه المثنى نحو الجسر وقطعه ليمنع هروب الفرس، وتم بالفعل هزيمتهم[7]. والقضاء على مهران وابن آزاذابةومردنشاه[8].

---

(1)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،3/464-478.

(2) **المصدر نفسه** ،3/464-478.

(3)**ينظر**:**فتوح البلدان**،البلاذري،ص: 237 .238.

(4)**المصدر السابق**، 3/ 460 . 472.

(5)**المصدر نفسه**،3/ 460 . 472.

(6)**ينظر**: **المصدر السابق**، ص: 237 .238.

(7)**وسميت هذه المعركة ب: يوم مهران**،وأطلق على ذلك اليوم أيضا يوم الأعشار؛ لأنهم أحصوا مائة رجل قتل كل منهم عشرة في المعركة، **ينظر**:**المصدر السابق**، /464-478.

(8)**المصدر نفسه**،3/ 460 . 472.

كانت نتيجة هذه المعركة أن الفرس أرادوا استعراض قوتهم، فوقعوا في الفخ الذي وقع فيه المسلمون في معركة الجسر.

لقد كان المثنى قائدا فذا- وعْيًا وتخطيطا وتنفيذا- فكانت سمته الأولى أنه كان يعرف رصيده من جيشه، ولا يكتفي بإرسال الرسل للقيادات، وإرسال الأوامر، بل يباشر الأمور بنفسه، فيقف على كل راية ويحضها على الجهاد، والسمة الثانية من عبقريته هي اختلاطه بجيشه، وتمثّل الإسلام قولاً وفعلاً، فليس من شيء مَعيب يخشى أن يطلع الناس عليه، واستقامته تبقى هي المثل الأعلى والحافز لجيشه.

والسمة الثالثة من عبقريته هي قدرته على زرع الثقة في نفوس رجاله، فلا تزال أجواء معركة الجسر والخوف من المواجهة هي المسيطرة على النفوس في قلب الحرب،فلا يهلك الجنود إلا التمييز بينهم وبين القيادات، فهم الآن عند الموت سواء، ولكل فرد في الجيش سطوة وسلطان، ومن أجل هذا أكد المثنى ﷺ المساواة والمواساة بين الجميع[1].

ورغم مقتل أخيه أمام عينيه؛ إلا أن ذلك لم يحبط من عزيمته، إنما دفعه لمقاتلة الفرس بكل ما أوتي من قوة، فقد أدار المثنى المعركة بحكمة وحنكة، مما كفل له النصر. فبهذا النصر تم رد الاعتبار للمسلمين ورفعت معنوياتهم بعد موقعة الجسر.

ولابد من الإشارة إلى أمر مهم كان سببا في النصر وهو التعاون والوحدة بين العرب، فحين اجتمعوا على عدوهم تمكنوا منه لما في الوحدة من قوة وتلاحم.

الفرع الثالث: الرحمة والشفقة على الرعية

حرص عمر بن الخطاب . ﷺ . عن ضرورة الرحمة بين الرعية والقادة، فكم من مرة أمر قادته في الجهاد ألا يغرروا بالمسلمين ولا يتسببوا في إنزالهم منزل هلكة، ولم يكن تستهويه الفتوحات لذاتها، فكان يقتصد فيها ولا يسمح بها إلا بمقدار، وكان يقول : «إنّي آثرت سلامة المسلمين على الأنفال»[2].

لما غزت بعض جيوشه بلاد فارس حتى انتهت إلى نهر ليس عليه جسر، فأمر أمير الجيش أحد جنوده أن ينزل في يوم شديد البرد لينظر للجيش مخاضة يعبر منها، فقال الرجل: « إني أخاف إن دخلت الماء أن أموت، فأكرهه القائد على ذلك، فدخل الرجل الماء وهو يصرخ: يا عمراه يا عمراه، حتى هلك، فبلغ ذلك عمر وهو في سوق المدينة، فقال: يا لبيكاه يا لبيكاه، وبعث إلى أمير ذلك الجيش فنزعه وقال: لولا أن تكون سنة لأقدت منك، لا تعمل لي عمل أبدا »[3].

---

(1)**عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي العظيم والامام العادل الرحيم**، عبد الستار الشيخ، 124.

(2) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري ،16/4.

(3)**مناقب أمير المؤمنين**، ابن الجوزي، ص:150.

وقال لولاته: « اعلموا أنه لا حلم أحب إلى الله تعالى ولا أعم من حلم إمام ورفقه، وأنه ليس أبغض إلى الله ولا أعم من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهرانيه يُرزق العافية ممن هو دونه»(1).

الفرع الرابع: مبدأ العلم

لابد أن الصحابة عموما ـ رضي الله عنهم ـ والخلفاء الراشدون منهم خصوصا فقهوا أن العلم سبب أصيل من أسباب التمكين، والقرآن الكريم يؤكد على أنه مؤهل من مؤهلات الاصطفاء والقيادة قَالَ تَعَالَى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧﴾[البقرة: ٢٤٧].

فالآية الكريمة. تؤكد على أهمية العلم ومكانته في كافة شؤون الحياة، وهو عامل ومؤهل لابد منه للقادة العسكريين

قال الطبري في وصف منهج عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في اختيار قواده العسكريين: « إن أمير المؤمنين، كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان، أمّر عليهم رجلا من أهل الفقه والعلم »(2).

إن التمكين الحقيقي لا يكون ولن يكون إلا على أساس العلم الذي يربط بالسماء فيرتفع بأهله، ويمكنهم من الأرض يعمروها باسم الله، ولا نعني بذلك العلم الشرعي الذي يُعنى بالكتاب والسنة وعلومهما تحديدا؛ إنما نعني بالعلم معناه اللغوي العام الذي يستوعب في طريقه كل معرفة، ويشمل بين جنباته كل إدراك، وإرشاد القرآن الكريم إلى أهمية العلم بمعناه التطبيقي غير خاف على متأمل(3).

فمن الضروري أيضا أن يكون القائد على علم بأحكام الشريعة، وشروط القتال، والعهود والصلح وغيرها من الأمور التي تخص كل حالات الحرب والسلم.

والمتأمل في أسماء من تولى مناصب الولاية في عهد الخلفاء الراشدين، خاصة في فترة امتداد الفتوحات، يدرك أي طراز من الرجال كان هؤلاء، فقد كانوا من السابقين إسلاما، ومن البارزين علما وفقها، ومن المحنكين عسكريا.

الفرع الخامس: لا يولي أحدا من أقاربه

من مبادئ عمر ـ رضي الله عنه ـ في اختيار ولاته الابتعاد عن تولية الأقارب؛ حتى ولو كانوا أهلا لذلك، تفاديا منه لأي سلوكيات قد ينتج عنها ما لا يحمد عقباه، وقد سمعه رجل من أصحابه يشكو إعضال

---

(1) **الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين**، حمدي شاهين، دار القاهرة، د.ط.ت، ص: 334.

(2)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 4م767.للاستزادة ينظر:: **نظام الحكم في الشريعة والتاريخ، الإسلامي**، ظافر القاسمي، 479/1

(3) **ينظر: سنة التمكين في ضوء القرآن والسنة**، رمضان خميس زكي الغريب، ص:33

أهل الكوفة به في أمر ولاتهم وقول عمر: « لوددت أني وجدت رجلا قويا أمينا مسلما أستعمله عليهم، فقال الرجل: أنا والله أدلك عليه، عبد الله بن عمر، فقال عمر: قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا، وكان يقول: من استعمل رجلا لمودة أو لقرابة لا يشغله إلا ذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين »[1].

الفرع السادس: إحصاء ثروة العمال عند تعينهم

حرص عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على محاسبة عماله ومعرفة ما يملك قبل أن يعطيه إشارة القيادة ليحاسبهم على كل زيادة في المال، وكان يقول لهم: « إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارا »[2]. فكان يمنعهم من التجارة، حيث روي أن الحارث بن كعب بن وهب، كان عاملا لعمر بن الخطاب، فظهر عليه الثراء، فسأله عمر عن مصدر ثرائه فأجاب: « خرجت بنفقة معي فاتجرت بها، فقال عمر: أما والله ما بعثناكم لتتجروا، وأخذ منه ما حصل عليه من ربح »[3]. ولذا نجد أنه من الشروط الأساسية التي عمل بها الفاروق في سياسته الإدارية اشتراطه على الولاة عدم مزاولة أي عمل خاص؛ لأنهم أُجَراء لدولة طوال مدة عملهم، والأجير لا يحق له مزاولة أي عمل آخر في مدة إجارته[4]. تفاديا لأي تقصير في عمله المنوط به.

الفرع السابع: المشورة في اختيار الولاة

حيث كان يتم اختيارهم بعد مشاورة كبار الصحابة، وربما كان يأخذ برأي أهل المصر نفسه فيمن هو أحق بالإمارة عليهم.

فقد طبق الخليفة عمر بن الخطاب مبدأ الشورى في الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية، فلم يكن يتخذ قرارات فردية، بل كان حريصا على أخذ الرأي ممن هم أهل المشورة، فقد قال يوما: « دلوني على رجل إذا كان في القوم أميرا فكأنه ليس بأمير، وإذا لم يكن أميرا فكأنه أمير، فأشاروا إلى الربيع بن زياد »[5].

وقد استشار عمر ـ رضي الله عنه ـ الصحابة في من يولي على أهل الكوفة فقال لهم: « من يعذرني من أهل الكوفة ومن تجنيهم على أمرائهم إن استعملت عليهم عفيفا استضعفوه، وإن استعملت عليهم قويا فجّروه، ثم قال: أيها الناس ما تقولون في رجل ضعيف غير أنه مسلم تقي وآخر قوي مشدد أيهما الأصلح للإمارة؟ فتكلم المغيرة بن شعبة فقال يا أمير المؤمنين: إن الضعيف المسلم إسلامه لنفسه وضعفه عليك وعلى المسلمين، والقوي المشدد فشداده على نفسه وقوته لك وللمسلمين، فاعمل في ذلك رأيك، فقال عمر:

---

(1) **تاريخ عمر بن الخطاب**، ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج بن علي القرشي، تح: أحمد شوحان، دير الزور، مكتبة التراث، 1993م ص: 98.

(2) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 432/2.

(3) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 323/3

(4) **موسوعة فقه عمر**، محمد رواس قلعه جي، بيروت، دار النفائس، ط4، 1979،ص:19

(5) **المصدر السابق**، 43/4

صدقت يا مغيرة، ثم ولاه الكوفة وقال له: انظر أن تكون ممن يأمنه الأبرار ويخافه الفجار، فقال المغيرة: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين »(1).

يمكن القول أن سر نجاح عمر ـ ﵁ ـ وتفوقه في إدارة الدولة عامة وفي الفتوحات خاصة يعود إلى اتباعه لمنهج الشورى في صغائر الأمور وكبائرها.

الفرع الثامن: جعل الوالي من القوم

اهتم عمر ـ ﵁ ـ كل الاهتمام بمعيار هام في اختياره للولاة؛ وهو أن يكون القائد من أهل تلك البلاد التي تقع فيها المعركة، فقد طلب قائدا عراقيا ليقود القتال ضد الفرس في العراق(2).

فكان عمر ـ ﵁ ـ حريصا على اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب، ومن ذلك اختياره للولاة وتعينهم على قومهم، ومن ذلك توليته لسلمان الفارسي على المدائن، وتولية نافع بن الحارث على مكة، وعثمان بن أبي العاص على الطائف، وذلك كونهم أدرى بقومهم وأنفع لهم(3).

المطلب الثاني: صفات القادة العسكريين

بمثل ما حرص الخلفاء الراشدون – خاصة الخليفة الثاني– على وضع شروط لاختيار الولاة، حرصوا أيضا علىمراعاة شروط في اختيار القادة العسكريين، لأن القيادة العسكرية لا تقل أهمية عن القيادة السياسية، إذ إليها توكل مهام تنظيم الجيوش ووضع الخطط الحربية وتحديد مسار المعارك، فهم باختصار صانعو الانتصارات وتوسع الفتوحات، فما أهم الصفات التي يجب أن يتميز بها القادة العسكريون؟ ذلك ما سأحاول بيانه في النقاط الآتية:

الفرع الأول: أن يكون القائد تقيا ورعا عالما بأحكام الشريعة وشروط القتال والعهود

وهذا مطلب أساسي، وميزة يجب أن يتمتع بها القائد الذي سيتكفل بإدارة الجيش، قال عمر ـ ﵁ ـ:« من استعمل فاجرا وهو يعلم فهو مثله»(4).

وقد رفض بعض الصحابة الولاية حين عرضها عليهم عمر ـ ﵁ ـ ، فقد رفض الزبير بن العوام ـ ﵁ ـ ولاية مصر حينما عرضت عليه قائلا: « يا أبا عبد الله هل لك في ولاية مصر؟ فقال: لا حاجة لي فيها ولكن أخرج مجاهدا وللمسلمين معاوناً »(5).

---

(1)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 50/4.

(2)**المصدر نفسه**، 126/4.

(3)**الولاية على البلدان**، عبد العزيز بن ابراهيم العمري، 142/1.

(4)**تاريخ عمر بن الخطاب**، ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج بن علي القرشيص:68، ينظر: **موسوعة فقه عمر**، محمد رواس قلعه جي، ص:100.

(5)**فتوح البلدان**، البلاذري، ص: 214.

وفي الفتوحات الإسلامية على عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ كان الالتزام بالعهود مبدأ أساسي ومن ذلك ما حصل في معركة النمارق بقيادة لأبي عبيد مسعود الثقفي 8شعبان 13هـ/8. 10 . 634م.

لما اكتملت تعبئة المسلمين استعدادا للهجوم، وصل أبو عبيد الثقفي على رأس ألف من المقاتلين، وتسلم قيادة الجيش من المثنى بن حارث الشيباني، وجعل المثنى على الخيل، فالتقى الجيشان وتمكن المسلمون من حصد الانتصار، وتم القبض على جابان قائد جيش الفرس أسيرا، لكن المسلمين لم يعلموا من هو فأخذوا منه فداء وتركوه، ووافق أبو عبيد، الذي تسلم في هذه الأثناء قيادة الجبهة الفارسية، على ذلك، لكن قبل أن يتمكن جابان من الابتعاد أدرك المسلمون أنه قائد جيش الفرس، فأشاروا عليه بقتله، فقال لهم: « إني أخاف الله أن أقتله، وقد آمنه رجل مسلم، والمسلمون في التّواد والتناصر كالجسد؛ ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلّهم، فقالوا: أنه الملك، قال: وإن كان لا أغدر، فتركه»(1)

ويتضح من هذا الموقف والمتمثل في معارضة أبي عبيد بأن يلحق بقائد الفرس لقتله؛ بعدما أخذ الأمان من رجل مسلم، أن الفتوحات الإسلامية كانت تسير وفق مبادئ واضحة لا يمكن التخلي عنها؛ فلما أعطي الأمان لا يجب الغدر به مهما كان.

الفرع الثاني: أن يحمل صفة التأني والتروي وعدم العجلة في الإقدام على القتال

اختار الخليفة عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ أبو عبيد الثقفي لأنه بادر بالتطوع للجهاد قبل غيره ولكن أوصاه بالتريث وعدم العجلة بقوله :« اسمع من أصحاب النبي وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين، فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف»(2).

وهذا التخطيط الاستراتيجي حين لا يُفعّل تأتي النتائج عكسية، فإن التسرع في اتخاذ قرار الحرب دون ترو مؤذن بالهزيمة؛ وهذا ما حدث في معركة الجسر التي وقعت بتاريخ: 23شعبان 13هـ / 23/10/ 634م، وتعرف بقس الناطف.حيث أثار الانتشار الواسع للمسلمين في قرى السواد حفيظة الفرس، ولم يتحمل رستم هزائمه في معركة النمارق والسقاطية وباقسياثا، فجهز جيشا بقيادة بهمن جاذويه وهو أشد العجم على العرب والمسلمين، وجعل جالينوس في مقدمة الجيش. فنزل الفرس قرب الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي، ونزل أبو عبيد بجيشه قرب المروحة على شاطئ الفرات الغربي(3).

ثم أرسل بهمن إلى أبي عبيد الثقفي: « إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور، وإما أن نعبر إليكم»(4)

---

(1)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 3/ 449/448 .

(2)**فتوح البلدان**، البلاذري، ص: 251 .252.

(3)**الكامل في التاريخ**، ابن الأثير،286/2.

(4)**المصدر نفسه**،286/2.

فقال الناس : « لا تعبر يا أبا عبيد، فحلف أبو عبيد ليقطعن الفرات إليهم، لكن سليط بن قيس ووجوه الناس طلبوا منه البقاء»[1]، لأن في العبور خطر عليهم وقالوا: « إن العرب لم تلق مثل جنود فارس مذ كانوا، وأن عددهم كبير وقد نزلت منزلا لنا فيه مجال وملجأ ومرجع من فرّة إلى كرَّة»[2]، لكن أبا عبيد لم يسمع لهم وترك الرأي وقال: «لا يكونون أجرأ على الموت منَّا»[3].

فعبر المسلمون على جسر من المروحة وكان جيشهم أقل من عشرة آلاف، ومع ذلك ضاق بهم المكان الذي تركه لهم الفرس، ولم يمهلوهم بل هاجموهم بعنف، ومما ساعد الفرس أنه في مقدمة جيشهم كانت فيلة مدربة أخافت خيول المسلمين فتراجعت، ورشق الفرس المسلمين بالنبل فقتلوا منهم عددا كبيرا[4] .

فلما اشتد الأمر بالمسلمين أراد أبو عبيد أن يوقف قوة الفرس المتمثلة في الفيلة بقطع أحزمتها ليوقع من على ظهرها فوثب بنفسه على الفيل، ولكن هاجمه وألقاه على الأرض وقام فوقه حتى أزهق روحه. وتتابع سبعة من ثقيف كلهم يأخذ اللواء ويقاتل حتى يموت، حتى أخذ اللواء المثنى بن حارثة الشيباني[5]، وحاول إنقاذ ما تبقى من جيش المسلمين وبالفعل تم له ذلك.

فأراد إظهار شجاعة المسلمين، ونسي بذلك توجيه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بأن يسمع من الصحابة ويُشركهم في الأمر، وأن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث، وأن فارس أرض مكر وخديعة. وأصر على رأيه ناظرا للأمر من زاوية واحدة: أنّ لا يرى العدو أنه أجرؤ على الموت منا.

وإذا كان الله تعالى لم يُعف الجيش الذي على رأسه رسول الله ﷺ من العقوبة، حين خالف الرماة أوامره ﷺ، وقال لهم:﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[آل عمران: ١٥٢]

فلا عجب أن ينال الجيش عقاب إصرار قيادته على الخطأ[6]. إنما سنن الله عز وجل التي لا تتبدل ولا تتحول.

---

(1)**فتوح البلدان**، البلاذري، ص: 352.

(2)**المصدر نفسه**، ص: 352.

(3)**الكامل في التاريخ، ابن الأثير** ،286/2.

(4)**المصدر نفسه** ،287/2.

(5)**فتوح البلدان**، البلاذري، ص: 352. **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير ،287/2.

(6)**المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة عمر بن الخطاب**، منير محمد الغضبان، ص :102 .

وكانت هذه المعركة هي الوحيدة التي خسر فيها المسلمون، وتعلموا منها دروسا جليلة مع قساوة نتائجها، وبخاصة خطأ القائد الشهيد الذي لم يصغ لذوي الرأي، وغلبته الشجاعة المفرطة في غير محلها، وكانت نصيحة الفاروق:« الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث» [1].واحدة من إلهاماته وثمار عبقريته[2].

فهذه المعركة رغم الهزيمة؛ إلا أنها كانت درسا استفاد منه المسلمون كثيرا، وهو أن الاغترار في الحرب مصيره الهلاك، وأن في الاستشارة خير كبير لابد من القائد الالتزام به، وأن أصعب الأمور في الحرب ليس النصر إنما المحافظة عليه.

فنجد أن أبا عبيد بانتصاره في ثلاث معارك متتالية على الفرس ظن أن النصر سيكون حليفه دائما؛ ولم يأخذ برأي من كانوا معه، ما أدى إلى هذه الهزيمة، إنها سنن الله الثابتة والتي لا تتغير ولا تحابي مسلما أو كافرا إنما تعمل وفق من يعمل لها. فالتسرع وعدم الأخذ بالرأي والاغترار نتيجته وخيمة حتى على المسلمين.

فانتصار المسلمين في معركة الجسر- لو حصل- دون التربية المناسبة؛فهذا يعني أن الخطأ سوف يتكرر، وتكون القيادة لأكثر الناس حماسة، لا لأقدرهم خطة، وأعمقهم فهما في فنون الحرب، فماذا بقي من المبدأ القرآني الخالد:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ١٥٩﴾[آل عمران: ١٥٩]، وماذا بقي من المبدأ العظيم الذي أعلنه عمر ـ رضي الله عنه ـ:« وفي التسرع إلى الحرب ضياع ... ولكن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث»[3].

وعلى هذا لابد لهذا الجيل وهو يتهيأ لمرحلة جديدة أن يتلقى درسا قاسيا في فنون الطاعة والانضباط والخبرة والاستشارة والتخطيط؛ فالشجاعة أساس كبير من أسس القائد المحارب، لكن الاستشارة والتخطيط لمواجهة العدو هو الأساس الرئيس الذي يعتمد عليه في كل المواجهات. وبهذا فإن قادة الفتح الإسلامي وكل فرد من أفراد الجيش انتصروا بمبادئهم قبل سيوفهم.

الفرع الثالث: الدهاء والفطنة والحنكة في مواجهة العدو ومفاوضته

من شروط القيادة العسكرية الدهاء والفطنة والحنكة، لأن « **الحرب خدعة**»[4].كما ثبت عن النبي ﷺ، ولذلك حرص الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ على إسناد القيادة إلى رجال عرفوا بتلك الخصال، من أمثال: خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص والقعقاع بن عمرو ويزيد بن أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل... والقائمة تطول.

(1)**أخرجهالبخاري في صحيحه**، كتاب (الجهاد والسير) باب (الحرب خدعة)، حديث رقم: 3027، 63/4.

(2)**عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي العظيم والإمام العادل الرحيم**، عبد الستار الشيخ، 568.

(3)**المصدر السابق**، 445/3.

(4)**المصدر نفسه**، 445/3.

ولما نزل عمرو بن العاص وجنده على الروم بموقعة أجنادين لفتحها « وكان قائد الروم الأرطبون وهو أدهى الروم، وأبعدها غوراً، وأنكاها فعلا، ووضع جندا عظيما بإيلياء والرملة، وكتب عمرو إلى عمر بالخبر، فلما جاءه كتاب عمر قال: رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عم تنفرج »(1).

ولما أراد عمرو أن يجمع المعلومات عن الأرطبون وجيشه، دخل ابن العاص معسكر قائد الروم وكاد أن يقتل إلا أن الله نجاه وخدع عمرو بن العاص الروم، وانتصر عليهم ولما سمع الخبر عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ قال: غلبه عمرو، لله عمرو(2).

الفرع الرابع: رغبة القائد في العمل ليكون أدعى لاستجابته واستفراغ طاقاته

لا يختلف اثنان في أن إتقان العمل مرهون بالإرادة وحب ذلك العمل، فهذا يزيد من طاقاته وحرصه عليه، ولنا في ذلك فقه عمر لهذا الأمر، حيث أنه لما حث الناس على قتال الفرس بأرض العراق، فلم يقم أحد ثم ندبهم في اليوم الثاني فلم يقم أحد، حتى اليوم الثالث، فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي، ثم تتابع الناس، فأمر على الجميع أبا عبيد ـ وهو لذلك أهلُ ـ ولم يكن صحابيا فقيل لعمر: هلا أمّرت عليهم رجلا من الصحابة؟ فقال: إنما أؤمر عليهم من استجاب(3).

المطلب الثالث: حقوق القائد وحقوق الجنود

نستخلص من خلال رسائل الفاروق ـ ﷺ ـ الحقوق التي يجب على الجند الالتزام بها للقائد وهي:(4).

الفرع الأول: حقوق القائد

1: حق الطاعة

نقصد بالطاعة حسن الانقياد والرضوخ لمن بيده القيادة، ولأهمية طاعة ولي الأمر فقد جاءت مقرونة بطاعة الله تعالى ورسوله في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[النساء: ٥٩].

قال ابن تيمية في هذه الآية بعد أن ذكر ما قيل في الآية السابقة لها: « ...ونزلت الآية الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم ، عليهم أن يطيعوا أولى الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك ، إلا أن يأمروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فإن تنازعوا في شيء ردوه إلى كتاب الله وسنة

(1)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 431/4.

(2)**المصدر نفسه**، 432/4.

(3)**البداية والنهاية**، ابن كثير،26/7

(4)**ينظر**: **فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب**، علي الصلابي، ص: 604/

رسولهﷺ، وإن لم تفعل ولاة الأمر ذلك ، أطيعوا فيما يأمرون به من طاعة الله ورسوله ، لأن ذلك من طاعة الله ورسوله ، وأديت حقوقهم كما أمر الله ورسولهقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[المائدة: ٢]

وإذا كانت قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل: «فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة. »(1)

وقد أكد للنبي ﷺفي أحاديث كثيرة على وجوب طاعة أولياء الأمور منها:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»**.(2).

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة»** (3).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك»** .(4).

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺقال: **«من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية»** (5).

وقد أوصى الفاروق ـ رضي الله عنه ـ بالصبر على ظلم الولاة، وطاعتهم وعدم الخروج عليهم حتى وإن استخدموا القسوة والعنف مع الرعية، ما لم يخرجوا عن كتاب الله وسنة رسولهﷺ، فقال:**«اسمع وأطع للإمام وإن أُمر عليك عبدا حبشيا مجدعا إن ضرك فاصبر، وإن أمرك بأمر فأتمر، وإن حرمك فاصبر، وإن ظلمك فاصبر، وإن أراد أن ينقص من دينك فقل: دمي دون ديني ولا تفارق الجماعة»**(6).

---

(1)**السياسة الشترقعية**، ابن تيمية، 17/1.

(2)**أخرجه مسلم** ، كتاب (الإمارة)، باب (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية)، حديث رقم 1835، 17/2.

(3)**أخرجه البخاري** ، كتاب (الأحكام)، باب (السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية)، حديث رقم: 7142، 93/1

(4) **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي الشاذلي الهندي البرهانفوري، تح: بكري حياني، باب في إطاعة الأمير والترهيب حديث رقم: 14847، (د،ب)، مؤسسة الرسالة، ط5، 1981م، ، 62/6.

(5)**أخرجه البخاري** ، (كتاب الفتن)، باب (قول النبي ﷺسترون بعدي أمور تنكرونها) حديث رقم: 7053، 47/9.

(6)**كتاب الأموال**، ابن زنجويه حميد بن مخلد بن قتيبة الخرساني، تح: شاكر ذيب فياض، الرياض،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1986م ، 76/1

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن سيرين قال : كان عمر ـ ﷺ ـ إذا استعمل رجلاً كتب في عهده : « اسمعوا له وأطيعوا ما عدل فيكم» [1].

ومن النماذج التطبيقية لطاعة القائد، أنه لما بعث عمر بن الخطاب بأبي عبيد بن مسعود الثقفي على رأس جيش نحو العراق، أرسل برفقته سلمة بن أسلم الخزرجي وسليط بين قيس الأنصاري ـ رضي الله عنهما ـ، وأمره ألا يقطع أمرا دونهما وأعلمه أنهما من أهل بدر، ثم إن أبا عبيد حارب الفرس بموقعة الجسر، وقد أشار عليه سليط ألا يقطع الجسر ولا يعبر إليهم فلم يسمع له، مما أدى إلى هزيمة عسكر المسلمين،كما مر بنا. فقال سليط في بعض قوله: « لولا أني أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ولكني أسمع وأطيع وإن كنت قد أخطأت وأشركني عمر معك»[2].

وما يؤكد التزام الجند بالطاعة قول أحد عيون الروم لقائدهم: « وأميرهم كأضعف من فيهم إلا أنه مطاع عندهم إن قام قاموا وإن قعد قعدوا »[3].

يقول منير الغضبان مشيرا إلى أهمية انضباط وطاعة الجندي: «وحين يلتزم الجندي بأمر قائده، فهذا يعني أن الولاء لن يكون إلا لله ورسوله»[4].

ففي معركة نهاوند – وقعت في خلافة عمر بن الخطاب، سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م)- تتضح الطاعة التامة من قبل الجند للقائد رغم صعوبة الموقف. فبعدما كان الفرس في خندقهم، ولم يجد المسلمون طريقة للوصول إليهم، أشار عليهم طليحة ابن خويلد بالخطة التي تقوم على مداهمتهم بنصف الجيش ثم ينسحبوا حتى يظن الفرس أن المسلمين انهزموا، ثم يخرج الجيش الآخر بقيادة النعمان ويقضي عليهم[5].

فنجحت الخطة وانسحب القعقاع فتبعه الفرس وأثخنوا في المسلمين، والنعمان مع قوته يختبئ ويراقب وهو يقول لهم: « رويدا رويداً، فقالوا: للنعمان ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ائذن للناس في قتالهم، فقال النعمان: مرارا رويدا رويدا، فقال المغيرة: لو أن هذا الأمر لي لعلمت ما أصنع. فقال: رويدا ترى أمرك وكنت تلي الأمر فتحسن، فلا يخذلنا الله ولا إياك، ونحن نرجو من المكث مثل الذي ترجو من الحث. وجعل النعمان ينتظر بالقتال إكمال ساعات كانت أحب إلى رسول الله ﷺ في القتال أن يلقى بها العدو، وذلك عند الزوال وتفيؤ الأفياء ومهب الريح»[6].

---

(1) **المصنف**، لابن أبي شيبة، 435.

(2)**مروج الذهب**، المسعودي، 315/2. 316.

(3)**فتوح الشام**، الواقدي، 200/1.

(4) **المنهج التربوي للسيرة النبوية الجهادية**، منير مُحَمَّد الغضبان، مكتبة المنار، دار الوفاء، 1990م، 22/3.

(5)**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 115/4.

(6)**المصدر نفسه**، 114/4. 119.

كان من المفروض أن يقع الاشتباك في التو، خاصة وقد هجم العدو على المسلمين، لكن لدى قيادة الجيش خيار آخر، وسهام العدو تقصف على المسلمين، وبدأ المسلمون يتململون، ينتظرون الإذن بالقتال. والقائد لم يصدر بعد الإذن، وصارت الجراحات فاشية، ولم يعد في قوس الصبر منزع(1).

ورغم ذلك لم يتحرك الجند ولم يفكروا مجرد التفكير في مخالفة القائد، وهم يرون المسلمين في أصعب المواقف. فهذا يدل على طاعتهم لأمر القائد مهما كان، لأنهم يثقون في خياراته، ويثقون في خيارات أمير المؤمنين. ويعلمون علم اليقين أن مخالفتهم للقائد ستنعكس عليهم. وهي سنة ربانية ثابتة.

فكانت نفسية الجيش المسلم كما يصفها مبارك بن فضالة عن زياد بن جبير:« فحمل وحمل الناس معه، فوالله ما علمت أن أحداً يومئذ أن يرجع إلى أهله حتى يُقتل أو يظفر»(2).

لهذا لم يسارعوا في الهجوم على الفرس، وإنما بقوا ينتظرون أوامر القيادة، فهم الجند الذي قال فيهم خالد بن الوليد: « يحبون الموت كما تحبون الحياة»(3).

ولنا مثال آخر في هذا الشأن تمثل في فتح مرج الروم(رجب 12هـ الموافق تشرين الأوَّل (أكتوبر) 633م)؛ فلما خرج أبو عبيدة بخالد بن الوليد ـ رضي الله عنهما ـ من فِحل إلى حمص، وانصرف بمن أضيف إليهم من اليرموك؛ فنزلوا جميعا على ذي الكلاع، وقد بلغ الخبر هرقل، فبعث توذرا البطريق حتى نزل بمرج دمشق وغربها، فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم وجمعهم هذا، وقد هجم الشتاء عليهم والجراحُ فيها فاشية، فلمّا نزل على القوم بمرج الروم نازلة يوم نزل عليه شنس الرومّي، في مثل خيل توذرا، إمدادا لتواذرا ورداء لأهل حمص؛ فنزل في عسكر على حِدةٍ، فلما كان من الليل أصبحت الأرض من توذرا بلاقع، وكان خالد بإزائه وأبو عبيدة بإزاء شنس، وأتى خالد الخبر أن توذرا قد رحل إلى دمشق(4).

فأجمع رأيه ورأي أبي عبيدة أن يُتبعه خالدا، فأتبعه خالد من ليلته في جريدة؛ وقد بلغ يزيد بن أبي سفيان الذي فعل، فاستقبله فاقتتلوا، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون، فأخذهم من خلفهم، فاقتتلوا من بين أيديهم ومن خلفهم، فأناموهم ولم يفلت منهم إلا الشريد؛ فأصاب المسلمون ما شاءوا من ظَهْرٍ وأداة وثياب، وقسم ذلك يزيد بن أبي سفيان على أصحابه وأصحاب خالد، ثم انصرف يزيد إلى دمشق، وانصرف خالد إلى أبي عبيدة، وقد قتل خالد توذرا(5). وعليه، فالطاعة من بين الأمور التي تسبب النجاح.

---

(1)**المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة عمر بن الخطاب الانسياح الإسلامي في الأرض**، منير مُحَّد الغضبان، 981/3.

(2) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، 307/6.

(3)**تاريخ فتوح الشام**، الأزدي، ص:34.

(4) **ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري598/3..

(5) **ينظر: المصدر نفسه** ،599/3.

إن طاعة الجنود للقائد في كل ما يأمر به وينهى عنه شرط في الظفر واستقامة الأمر،« وقوانين الجندية في هذا الزمان مبنية على طاعة الجيش بقواده في المنشط والمكره والمعقول وغير المعقول، فإذا أمر القائد بتسليم الدّيار أو الأموال أو الأنفس للأعداء وجب تسليمها في قانون كل دولة»[1]. وهذا ما تميز به جيش الفتوحات الإسلامية، ولنا في ذلك الكثير من النماذج.

وهذا ما تمثل في موقف خالد بن الوليد - ﷺ - عند عزله بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - ﷺ - ، فأول ما قام به أنه أمر أبا عبيدة بن الجراح بأخذ مكان القيادة عن خالد، فما كان جواب خالد إلا أن قال: « ما أنا بالذي أعصي أمير المؤمنين، فاصنع ما بدا لك»[2].فكيف لجيش فيه مثل هذا الوعي والفقه والطاعة الكاملة للخليفة أن يهزم، أو أن يغدر من طرف العدو. فالطاعة أمر موجب للنصر، والوحدة من المقومات الأساسية لتحقيق المطلوب.

وقد سطر القادة والجند في طول مدة خلافة عثمان - ﷺ - أروع صور الطاعة للخليفة والتطاوع فيما بينهم، فعلى الرغم من توسع الفتوحات وكثرة الجبهات والوقائع، لم يسجل التاريخ أي خلاف منهم على عثمان بن عفان أو افتئات عليه، أو انقلاب على أوامره، أو عصيان لتوجيهاته[3].

لما كان المسلمون في أرمينية وعلموا بأن الروم يتربصون بهم طلب حبيب بن مسلمة المدد من عثمان بن عفان - ﷺ - ، ولم يصل هذا المدد بقيادة سلمان بن ربيعة الباهلي حتى وجدوا الفتح قد تم، فسأل أهل الكوفة أن يشركوهم في الغنيمة وقالوا قد أمددناكم، فرد أهل الشام: إنهم لم يشهدوا القتال فلا حق لهم فيها[4]، فأرسلوا إلى الخليفة ليحكم بينهم فكتب لهم: « إن الغنيمة باردة لأهل الشام فلما سمعه أهل الشام، قالوا: السمع والطاعة لأمير المؤمنين »[5]. ثم تقاسموا مع أهل العراق الغنيمة.

وعلى هذا فإنه من عوامل توسع الفتوحات واستمرارها في الفترة الأولى من الخلافة الراشدة وحدة الجند وطاعتهم للقيادة، ولهذا حرص عمر بن الخطاب - ﷺ - على اختيار الجندي الذي يملك كل المواصفات التي من شانها أن تزيد من فاعليته، وعلى رأسها طاعته وتنفيذه للأوامر دون أي اعتراض.

---

(1)**سنة الله في إهلاك الأمم وموقف المسلمين منها بين الاعمال والإهمال قراءة في تفسير المنار**، رمضان خميس زكي غريب، مصر، القاهرة، دار المقاصد، ط1، 1432هـ،2015م، ص: 137 .

(2) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 437/3.

(3)**ينظر: عثمان بن عفان الحي السخي**، عبد الستار الشيخ، ص: 365.

(4)**مختصر تاريخ دمشق**، ابن عساكر تح: مُحَمَّد مطيع الحافظ، نزار أباظة، دمشق، دار الفكر، ط1، 1984م، 191/6.

(5) **الفتوح**، لابن الأعثم، 341/1.

2: حق التفويض

ويقصد به تفويض الجند أمرهم إلى رأي القائد، فقد جعل عمر ـ ﷺ ـ للعسكر أميرا واحدا يفوضون أمرهم إلى رأيه ويكلونه إلى تدبيره حتى لا تختلف آراؤهم فتختلف كلمتهم، ففي السنة التي بعث فيها الفاروق بجيوش المسلمين إلى نهاوند وأمرهم بالتجمع هنالك كان الجيش يتألف من جند أهل المدينة المنورة من المهاجرين والأنصار، وفيهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ، وجند أهل البصرة بقيادة أبي موسى الأشعري ـ ﷺ ـ ، وجند أهل الكوفة بقيادة حذيفة بن اليمان ـ ﷺ ـ ، وبعد تجمعهم كتب إليهم الفاروق ـ ﷺ ـ: إذا التقيتم فأميركم النعمان بن مقرن [1].

3: المسارعة إلى امتثال أمر القائد

ومن حقوق القائد على جنده سرعة تنفيذ أوامره دون تردد، على ألاَّ يكون ذلك مدعاة إلى الاستبداد والطغيان في التعامل مع الجند، وهذا ما حرص عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ أن يوصي به قواده كي تسلس لهم طاعة جندهم، من ذلك أنه حينوجه عتبة بن غزوان ـ ﷺ ـ إلى البصرة قال له ناصحا: « اتق الله فيما وليت وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر يفسد عليك إخوتك وقد صحبت رسول اللهﷺ فعززت به بعد الذلة، وقويت به بعد ضعف حتى صرت أميرا مسلطا وملكا مطاعا، تقول فيسمع منك وتأمر فيطاع أمرك، فيا لها من نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك عن من دونك»[2].

ولنا مثال واقعي يبين هذا الأمر؛ ففي معركة النمارق[3](شعبان سنة 13هـ/ تشرين أول 634)؛ لما عاد المثنى بن حارثة الشيباني من المدينة كان الفرس قد بثوا عملاءهم في كل مكان من العراق لكسب أهلها ضد المسلمين، وكان الجيش تحت إمرة رستم بن فرخزاذ، ومن ذكاء وحكمة القائد رأى أنه لا يقاتل بظهر مكشوف، فقد انسحب نحو الجنوب تاركا العديد من المناطق التي فتحها المسلمون، وجعل مركزه مكانا يسمى النمارق فعسكر فيه، وهو بين الحيرة والقادسية غربي الفرات، وذلك ليتمكن من شن هجوم مباغت وسريع على الفرس بقيادة جابان قبل اكتمال تعبئة جيشهم، ولما وصل أبو عبيد الثقفي على رأس ألف مقاتل، تسلم قيادة الجيش، جاعلا المثنى على الخيالة[4].

---

(1)**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 115/4.

(2)**الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالثاهجري**، سليمان بن صالح بن سليمان آل كمال، منشورات جامعة أم القرى، 114/1.

(3) **النمارق**: موضع قرب الكوفة من أرض العراق نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق، **ينظر: معجم البلدان**، الحموي،304/5.

(4)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 3/ 449/448.

نستنتج من هذا الموقف مرونة انتقال القيادة، فلم يكن هناك حب التملك والزعامة بالنسبة لقادة جيوش المسلمين، فكلما أمر الخليفة بتغيير القيادة تلقى القائد السابق ذلك بصدر رحب، وتحول إلى جندي من الجنود، يعطي طاعتهوولاءه للقائد الجديد، دون أن يثير في نفسه أي حساسيةأو أدنى اعتراض.

فنجد في المثال السابق أن المثنى بن حارثة سلم القيادة لأبي عبيد في آخر لحظة بعد أن استكمل التحضير للمعركة وأعد لها عدتها، وتحول إلى جندي يطيع أوامر القائد الجديد ويقاتل تحت إمارته، إنها التربية على المبادئ الإسلامية على وجوبالسمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأثرة على النفس، كما أوصى بذلك الرسول القائد ﷺوهذا بلا شك من أعظم عوامل انتصار المسلمين وتوسعهم في فتوحاتهم المباركة.

4: عدم منازعة القائد في شيء من قسمة الغنائم

التنافس على الغنائم كان سببا في أول اختلاف وقع بين الصحابة. ﷺ. بعد عزوة بدر الكبرى، فأنزل الله عز وجل في ذلك صدر سورة الأنفال توجيها وتربية للمؤمنين، ومنذ تلك الحادثة تعلم الصحب الكرام درسا بليغا في ضرورة الإخلاص في جهادهم، وعدم التهافت على الغنائم، حتى كان الرجل يبايع النبي ﷺيبتغي بذلك الشهادة في سبيل الله، كما هذه الحادثة وفيها؛ أنَّ رجلًا مِنَ الأعرابِ جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺفآمنَ بِهِ واتَّبعَهُ، ثمَّ قالَ: أُهاجرُ معَكَ، فأوصى بِهِ النَّبيُّ ﷺبعضَ أصحابِهِ، فلمَّا كانَت غزوةٌ غنمَ النَّبيُّ ﷺسبيًا، فقسمَ وقسمَ لَهُ، فأعطى ما قسمَ لَهُ، وَكانَ يرعى ظَهْرَهُم، فلمَّا جاءَ دفعوهُ إليهِ، فقالَ: ما هذا؟ قالوا: قَسمٌ قَسمَهُ لَكَ النَّبيُّ ﷺ، فأخذَهُ فجاءَ بِهِ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: ما هذا؟ قالَ:« **قَسمتُهُ لَكَ**»، قالَ: ما على هذا اتَّبعتُكَ، ولَكِنِّي اتَّبعتُكَ على أن أرمى إلى ههُنا، وأشارَ إلى حَلقِهِ بسَهْمٍ، فأموتَ فأدخلَ الجنَّةَ فقالَ: «**إن تَصدقِ اللَّهَ يَصدقكَ**»، فلبِثوا قليلًا ثمَّ نَهَضوا في قتالِ العدوِّ، فأتيَ بِهِ النَّبيُّ يحملُ قَد أصابَهُ سَهْمٌ حيثُ أشارَ، فقالَ النَّبيُّ: «**أَهوَ هوَ**»؟ قالوا: نعَم، قالَ: «**صدقَ اللَّهَ فصدقَهُ**»، ثمَّ كفَّنَهُ النَّبيُّ في جبَّةِ النَّبيِّ، ثمَّ قدَّمَهُ فصلَّى علَيهِ، فَكانَ فيما ظَهَرَ من صلاتِهِ:« **اللَّهمَّ هذا عبدُكَ خرجَ مُهاجِرًا في سبيلِكَ فقُتلَ شَهيدًا أنا شَهيدٌ على ذلِكَ**»(1) .

وعلى هذا النهج سار الفاتحون؛ فما كانوا يبتغون من جهادهم عرضا من الدنيا، بل كان مقصدهم نيل إحدى الحسنيين، إما النصر أو الشهادة، ولذلك لم ينقل عنهم أنهم تنافسوا على الغنائم أو اختلفوا بسببها، أو راجعوا القائد في قسمته أو اعترضوا عليه، ومن كان هذا خلقه يسر الله له سبيله وبارك جهاده، وهو ما وقع في عهد الخلفاء الراشدين وخاصة في فترة امتداد الفتوحات وتوسعها حيث كثرت الغنائم.

---

(1)**السنن الكبرى**، للنسائي، كتاب (الزكاة)باب (الصلاة على الشهداء)، حديث رقم: 2091، 433/2

ففي خلافة الفاروق ﵁ توسعت الفتوحات وكثرت بسببها الأرزاق، فكان يوصي عماله وقواده أن يعدلوا في قسمة الغنائم، وفي ذلك يقول: :« اللهم إني اشهدك على أمراء الأمصار فإني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم **ويقسموا فيئهم ويعدلوا عليهم** فمن أشكل عليه شيء رفعه إليّ »[1].

وقد تجلى ذلك في معركة جلولاء (سنة 16هـ الموافق 637 م) التي كان فيها لجرير بن عبد الله ا لبجلي ـ ﵁ ـ وقومه ربع الغنائم، فكتب سعد بن أبي وقاص بذلك لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ فقال عمر: « صدق جرير قد قلت له، فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جعل المؤلفة قلوبهم فأعطهم جعلهم، وإن كانوا إنما قاتلوا إلا لله ولدينه واحتسبوا ما عنده فهم من المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جريرا بذلك، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين وبر، لا حاجة لنا إلى الربع بل نحن من المسلمين »[2].

5: حقوق القواد المادية

من المعروف أن مبدأ توزيع الأرزاق للعمال وإغنائهم عن الناس وعدم حاجتهم لغيرهم كان مبدأ إسلاميا فرضه رسول الله ﷺ، وقد سار الخلفاء الراشدون على نهجه لما له من أهمية في استقرار الوضع المادي للولاة وما يتبعه من استقرار نفسي ينعكس إيجابا على قيادة الجند وإدارة الحرب.

لذا فقد حرص عمر بن الخطاب ـ ﵁ ـ كل الحرص على نزاهة عماله وعفتهم عن أموال الرعية، فعمل على أن يغنيهم عن حاجة الناس، ولعل الحوار الذي دار بينه وبين أبي عبيدة ـ رضي الله عنهما ـ يؤكد ذلك؛ فقد قال أبو عبيدة لعمر: « دنّست أصحاب رسول الله ﷺ ـ يعني باستعمالهم ـ فقال له عمر: يا أبا عبيدة إذا لم أستعن بأهل الدين على سلامة ديني فبمن أستعين؟ قال أبو عبيدة: أما إن فعلت فأغنهم بالعمالة عن الخيانة »[3]، يعني إذا استعملتهم في أمر فأجزل لهم في العطاء، وذلك لكي يبتعدوا كل البعد في التفكير في الخيانة أو الحاجة إلى الناس، وقد كان عمر ـ ﵁ ـ يصرف لأمراء الجيش والقرى وجميع العمال من العطاء ما يكفيهم بالمعروف وذلك جزاء لهم حيث قال: « على قدر ما يصلحهم من الطعام وما يقومون به من الأمور»[4]. وكان يقول لهم: « قد أنزلتكم من هذا المال ونفسي منزلة وصي اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف »[5].

---

(1) **الخراج**، لأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم، بيروت، دار المعرفة، 1989م، ص: 50.

(2)**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 24/4 .35

(3)**المصدر السابق**،ص: 122.

(4)**الولاية على البلدان**، البلاذري 149/1.

(5)**المصدر نفسه**،149/1 .

وقدر فرض عمر ـ ﷺ ـ لعمرو بن العاص وهو والي مصر مائتي دينار[1].

وقد وردت روايات أخرى متفاوتة في أرزاق عمر لولاته، ولا شك أن هذا الاختلاف في الروايات مرده إلى تطور الأحوال وتغيرها خلاله عهده، فلا يعقل أن تبقى الأرزاق والمرتبات ثابتة من أول عهده إلى نهايته، نظرا لتغير الظروف واختلاف الأسعار نتيجة اتساع الفتوحات وزيادة الدخل في بيت المال[2].

كانت تلك جملة حقوق القائد على الجند، فما حقوق الجند على القائد؟ ذلك ما سأذكره في الفرع الآتي.

الفرع الثاني: حقوق الجند

لكي يحظى القائد بالطاعة والنصرة لا بد أن يُعطِي الجند حقوقهم، إذ ليستالقيادة في الإسلام تسلط وطغيان، بل هي رأفة ورحمة، ولكي تظل العلاقة بين القائد وجنده قائمة فقد حفظ الإسلام للجندي مكانته وقيمته وحريته، وبتتبع الأحداث والوقائع في فترة توسع الفتوحات تبين أن حقوق الجند ظلت مرعية ومحفوظة، ويمكن حصرها في العناصر الآتية:

1: الاهتمام بهم وتفقد أحوالهم

من شدة اهتمام عمر ـ ﷺ ـ بالجنود أنه كان إذا عقد الألوية لقادته وقبل انطلاقهم للغزو يستعرضهم ويوصيهم، فكان يقول لهم:« ائتزروا وارتدوا وانتعلوا واحتفوا وارموا الأغراض وألفوا الركب وانزوا على الخيل وعليكم بالمعدية ـ أو قال العربية ـ ودعوا التنعم وزي العجم ولن تخور قواكم ما نزوتم ونزعتم على ظهور الخيل ونزعتم بالقسي»[3].

يلاحظ من كلام الفاروق ـ ﷺ ـ أنه ما ترك شيئا يعين الجند في جهادهم ويمكنهم من عدوهم إلا ذكره، سواء في مظهرهم أو مخبرهم، وهذا يظهر لنا مدى حرصه على الاستعداد وإظهار القوة وتقديم أسباب النصر.

وقد استفاد القادة في الميدان من هذا المنهج العمري في صف واستعراض العسكر وإبراز القوة للعدو سواء في المعارك الحربية أو أثناء الاستعداد لها [4].

2: الرفق بالجند في السير والحرص على سلامتهم

من الحقوق التي كان يحظي بها الجند في حركتهم الجهادية المحافظة على سلامتهم وعدم تعريضهم للمكاره والمهالك، إذ لم يكن الفتح مقصودا لذاته، لا بد أن يتحقق مهما كان الثمن، فلم يكونوا يكلفون فوق

(1)**الطبقات**، ابن سعد، 621/4.

(2)**ينظر: الولاية على البلدان**، عبد العزيز بن إبراهيم العمري 63/2، **وينظر: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب أمير المؤمنين شخصيته وعصره**، علي الصلابي، ص: 390.

(3)**نهاية الأرب في فنون الأدب**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، القاهرة، مطبعة كوتساتوماسي، د،ط،ت، 168/6

(4)**فصل الخطاب**، علي مُحَمّد الصلابي، ص: 606

طاقتهم، ولم يكونوا يلقون في أتون معارك خاسرة تزهق فيها أرواحهم؛ بل كانوا يجدون من العناية والرعاية ما يمكنهم من لقاء عدوهم في كامل أهبتهم واستعدادهم جسديا وروحيا، فكان ذلك من أكبر المحفزات لهم على الاستبسال في مواطن القتال، والثبات في مجابهة الأعداء.

ويبقى عمر بن الخطاب . ﷺ . مضرب المثل وحاضرا في كل موقف، فقد كان يوصي بالجند المسلمين خيرا، وكان يؤكد لقادته ضرورة الحرص على سلامتهم، فكانيمنع القادة العسكريين من التوغل في أرض لا يعرفونها، فربما أدى ذلك إلى أمور لا تحمد عقباها[1].

وكان ﷺ يقول لجيوشه:« ولكم عليّ ألا ألقيكم في المهالك ولا أحجزكم في ثغوركم »[2].

وكان من وصايا عمر . ﷺ . لأحد قادته قوله: « وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم جام الأنفس والكراع، وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرُمُّون أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح»[3]. وقال في وصيته لسعيد بن عامر حين أرسله على رأس جيش إلى للشام: « يا سعيد وليتك هذا الجيش ولست بخير رجل فيهم إلا أن تتقي الله، فإذا سرت فأرفق بهم ما استطعت ولا تشتم أعراضهم ولا تحتقر صغيرهم ولا تؤثر قويهم ولا تتبع سواك ولا تسلك بهم المغاور واقطع بهم السهل ولا ترقد بهم على جادة الطريق والله تعالى خليفتي عليك وعلى من معك من المسلمين »[4].

ثم إنه أمر ببناء بعض المدن؛ كالبصرة، والكوفة لتكون حاجزا لمنع غارات الأعداء على المسلمين الآمنين في المدن الأخرى[5]، وكان من عظم استشعاره بهموم الجنود إذا نابهم نائب، أنه يعزم على المسير إليهم ليكون ردءً لهم حتى يفتح الله عليهم، ولاسيما إذا كانوا إزاء خطر داهم للعدو[6].

ومن مظاهر حرصه ﷺ . على سلامة حياة المسلمين أيضا رفضه ركوبهم البحر للقتال، خوفا على مصيرهم من تعرضهم للأخطار[7]، ولاسيما بعد أن بعث بعض الأشخاص إلى الحبشة في البحر، فأصيبوا، فأخذ على نفسه ألا يحمل في البحر أحدا[8].

---

(1) **تاريخ الرسل والملوك**،الطبري،579/3.

(2)**موسوعة فقه عمر**،محمد رواس قلعه جي، ص: 109.

(3)**نهاية الأرب في فنون الأدب**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، 169/6.

(4)**تاريخ فتوح الشام**، للأزدي، ص: 186

(5)**المصدر السابق**،591/3.

(6)**المصدر نفسه** ،143/3.

(7)**الطبقات** ابن سعد، 265/3، **ينظر: فتوح البلدان**، البلاذري، ص: 207.

(8) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،112/3

وكان يولي الجند اهتماما خاصًا، فكان يوصي القادة بأن لا يبقيهم مدة طويلة بعيدين عن أهلهم وذويهم، وأن يقسموا عليهم وعلى عيالهم الفيء، وأن لا ينزلوهم مكاناً فيه مشقة أو غير صالح للإقامة(1).

فكل هذا الاهتمام والحرص من القائد وخوفه على الجند والسعي لتوفير كل ما يحتاجونه، فذلك ما يعزز ثقتهم في الخليفة، ويحثهم ويشجعهم أكثر على مواصلة الجهاد اقتناعا وحبا منهم لهذا الأمر.

فكان دائم السؤال عنهم ويتحرى أخبارهم، ومن ذلك قوله لأبي عبيدة:« واعلم أن بانقطاع كتابك وإبطاء خبرك يكثر قلقي ويفنى جسدي على إخواني المسلمين»(2).

ومن أمثلة الحرص على الجند والاهتمام بهم ومساواتهم مع القائد ما حصل في معركة بروسما، وكان من أحداثها أن رفض القائد إكراما قدمه له أهل تلك البلاد دون الجند، جاء في تاريخ الطبري وابن الأثير ما يلي: « أقام أبو عبيد وسرّح المثنى إلى بروسما(3). فهزم من تجمع وأخرب وسبى أهل زندوردوبسوسيا، وخرج فروخ وفروانداذ إلى المثنى يطلبان الجزاء والذمة، دفعا عن أرضهم، فأبلغهما أبو عبيد باروسما ونهر جوبر، فجاء فروخ وفروانداذ بآنية أنواع أطعمة فارس فقالوا هذه كرامة لك، فقال: أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله؟ قالوا: لم يتيسر ونحن فاعلون؛ وإنما يتربصون بهم قدوم الجالينوس وما يصنع؛ فقال أبو عبيد: فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند، فردّهُ، وخرج أبو عبيد حتى ينزل ببروسما»(4).

ولنا في هذا الموقف الفذ عبرة كبيرة وأخلاق راقية من طرف قائد الجيش، الذي رفض الطعام بحجة أنه لا يسع الجند، ولم يكرم نفسه على حساب جنده، إنها قمة المساواة بين القائد وجيشه، فكيف لا ينتصر قوم بمثل هذه الأخلاق ؟

ومن الأسباب التي تدخل في سننالنصر ما يخص الجند النظام والانتظام، ورص الصّفوف في أثناء القتال وشدّة التلاحم بين المجاهدين، وتلك هيئة يحبها الله تعالى في المقاتلين؛ قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾[الصف: ٤]

ومن سنن النصر كذلك الثبات عند لقاء العدو، وعدم الفزع أو التزعزع، والإكثار من ذكر الله تعالى، فذلك من أسباب الفلاح الدنيوي والأخروي.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾[الأنفال: ٤٥].

---

(1)**المصدر السابق**، 78/3، 115، 204، 227.

(2) **فتوح الشام**،الواقدي، 252/1.

(3) **باروسما**: ناحيتان من سواد بغداد يقال لها باروسما العليا وباروسما السفلى من كورة الأستان الأوسط. ينظر: **معجم البلدان**، الحموي، 320/1.

(4)**تاريخ الرسل والملوك** الطبري،452/3، **والكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 284/2.

ومن الأمثلةالتي تبرز حرص سيدنا عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ على سلامة جنده والحفاظ عليهم؛ في فترة امتداد الفتوحات الإسلامية، أنه لما فتح الله على المسلمين القادسية كتب عمر بن الخطاب إلى سعد أن قف ولا تطلبوا غير ذلك، فكتب إليه سعد إنها هي سُربة[1]، أدركناها والأرض بين أيدينا، فبعث إليه عمر بن الخطاب بأن يقف مكانه ولا يتبعهم، واتخذ للمسلمين دار هجر ومنزل جهاد، وأن لا يجعل بينه وبين المسلمين بحراً [2].

ومما يؤكد حرص الفاروق ـ ﷺ ـ على المسلمين وإيثاره سلامتهم، الموقف الآتي: كتب سعد بن أبي وقاص والقعقاع بن عمرو التميمي ـ رضي الله عنهما ـ إلى أمير المؤمنين بفتح جلولاء وبنزول القعقاع حُلوان واستأذنوه في اتباعهم، فأبى، وقال: « لوددت أنّ بين السواد وبين الجبل سدًّا لا يخلصون علينا ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد، إنّي آثرت سلامة المسلمين على الأنفال»[3].

بهذا يتضح خوف وحرص أمير المؤمنين على جنده لدرجة أنه تمنى أن يكون بين السواد والجبل سد حتى لا يتمكن أحد من العبور.

نستخلص مما سبق أن من المبادئ التي حرص عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ على تفعيلها في الفتوحات الإسلامية وكانت سببا في توسعها؛ الحرص على سلامة الجند، بالإضافة إلى عدم المخاطرة بإرسالهم للمناطق المجهولة حفاظا على أرواحهم، ولذلك رفض ركوبهم البحر، ورفض استكمالهم للفتوحات في افريقية لصعوبة الأمر في ذلك الوقت.

3: أن يتصفحهم عند مسيرهم

فقد كان الفاروق يتصفح الجيوش عند مسيرهم ويوصيهم بالأخلاق الرفيعة والقيم العظيمة وذلك اتباعا لرسول الله ﷺ والصديق ـ ﷺ ـ في خلافته، فقد أمر سعد بن أبي وقاص ـ ﷺ ـ بالوفاء مع الأعداء حين طلبهم للأمان وأن لا يغدروا وبين له أن الخطأ في الغدر هلكة ووهن له وقوة للأعداء وحذره أن يكون شينا على المسلمين وسببا لتوهينهم[4].

4: عدم التعرض لمن خالفه عند لقاء العدو لئلا يحصل افتراق الكلمة والتنازع

فعندما بعث عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ سلمان بن ربيعة الباهلي قائدا على رأس جيش كان برفقته عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد الأسدي وحدثت بين عمرو بن معد يكرب وسلمان بن ربيعة أمور بلغت عمر ـ ﷺ ـ فكتب إليه عمر قائلا: أما بعد: « فقد بلغني صنيعك بعمرو وإنك لم تحسن

---

(1)**السربة**، جماعة يتسللون من العسكر فيغيرون ويرجعون، **ينظر: تاريخ الرسل والملوك** الطبري ، 579/3.

(2)**ينظر: المصدر نفسه**،579/3.

(3)**المصدر نفسه** ،16/4.

(4) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ،160/6

بذلك ولم تحمل فيه، فإذا كنت بمثل مكانك في دار الحرب فانظر عمرا وطليحة وقربهما منك واسمع منهما فإن لهما بالحرب علما وتجربة، وإذا وصلت إلى دار السلم فأنزلهما منزلتهما التي أنزلا أنفسهما بها وقرب أهل الفقه والقرآن »[1].

وكتب إلى عمرو بن معد يكرب: « أما بعد فقد بلغني إفحامك لأميرك وشتمك له، وإن لك لسيفا تسميه الصمصامة وإن لي سيفا أسميه المصمم وإني أحلف بالله لو قد وضعته على هامتك لا أرفعه حتى أقدك به، فلما جاء الكتاب لعمرو قال: والله إن هم ليفعلن »[2].

يتجلى من النصين السابقين فقه الفاروق فيما ينبغي أن يتحلى به القائد في دار الحرب من الإيلاف للقلوب، خاصة وهم بإزاء العدو، وأن على القائد أن يستشير من له خبرة بالحرب، وهذا لا يعني انقطاع العلاقة والمودة بينهما حين عودة العسكر إلى دار السلام[3].

5: حراستهم من غرة يظفر بها العدو في مقامهم ومسيرهم

حرص عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ كل الحرص على إقامة الحرس، وكان ينبه قادته كل مرة إلى ذلك، ففي وصيته لسعد بن أبي قاص قال: « أذاك حراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك ولا تؤتى بأسير له عقد إلا ضربت عنقه لترهب بذلك عدو الله وعدوك »[4]. وقال له كذلك: « إذا وطئت أرض العدو فأذاك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تثق به وتطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه والغاش عين عليك ليس عينا لك، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم، وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك وتخير لهم سوابق الخير، فإن لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك »[5].

6: الأخذ برأي الجند

إن اشراك الجند في الرأي واحترامه والأخذ به طريق للنصر؛ فبهذا الفعل يشعر الجندي أن له مكانة وتحرز في نفسه شيئا من الثقة والتحفيز للقتال بكل ما أوتي من قوة، ولعل أبرز مثال على ذلك معركة القادسية، حينما كان التفاوض مع رستم أرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة، وبسر بن أبي رهم، وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن، وربعي بن عامر، وقرفة بن زاهر التميمي ثم الواثلي، ومذعور بن عدي العجلي، والمضارب

---

(1)**الأوائل**، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل، 45/2.

(2)**المصدر نفسه**، 45/1.

(3) **ينظر**: **فصل الخطاب**، علي محمد الصلابي، 608

(4)**نهاية الأرب في فنون الأدب**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، 170/6.

(5)**المصدر نفسه** ، 169/6

بن يزيد العجلي، ومعبد بن مرة العجلي، فقال: « إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم فما عندكم؟ قالوا جميعا: نتبع ما تأمرنا به، وننتهي إليه، فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء، نظرنا أمثل ما ينبغي، وأنفعه للناس، فكلمناهم به، فقال سعد: هذا فعل الحزمة، اذهبوا فتهيأوا.

فقال ربعي بن عامر: إن الأعاجم لهم آراء وآداب، ومتى نأتهم جميعا، يروا أنا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل. فمالؤوه جميعا على ذلك.فقال: فسرحوني. فسرحه ..» (1)

فقد استطاع ربعي أن يغير رأي القائد سعد، ورأي جميع الدهاة الكبار في أن يكون الوفد واحدا فقط. فها هو جندي يتكلم على الجيش كله هذا الأمر لم يشهد له رستم مثيلا في حياته، أن يمضي جندي في الجيش إجازته ورأيه وعقده السلام والحرب على الجيش كافة، وهذا كذلك لم تشهده أمم الأرض قاطبة(2).

هذا ما يدل على وحدة الجيش الإسلامي وطاعته فهو مقدس عند القيادة، فجُعل رأي الجندي من رأي القائد، فلم يكن التفريق بينهم ما جعلهم على كلمة واحدة.

وفي معركة القادسية أيضا لما أصاب القائد سعد بن ابي وقاص المرض مع بداية مواجهة الفرس تحديدا يوم أرماث، فاستخلف خالد بن عرفطة(3)على الناس، فاختلف عليه الناس فقال سعد بن أبي وقاص: « أما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكلا لغيركم»(4). فحبسهم . ومنهم أبو محجن الثقفي. لعلمه بأن الشغب في الجند مؤذن بالهلاك ووحدتهم وطاعتهم لقائدهم مؤذن بالنصر، وأن تنفيذ العقوبة في الرافضين، تبعث فتناً أكبر منها فاكتفى بحبسهم وقال: « والله لا يعود أحد بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم وهم بإزائهم إلا سننت به سنة يؤخذ بها من بعدي»(5).

فغياب القائد العام في ساعات النزال قد يقود إلى دمار الجيش كله، إلا أن الجندي جرير بن عبد الله البجلي(6)، استطاع أن يطفئ نار الفتنة بمقولته هذه: « أما إني بايعت رسول الله ﷺ على أن اسمع وأطيع لمن

(1)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 339/2.

(2)**ينظر**:**المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة عمر بن الخطاب**، منير مُحَّد الغضبان، 240 .249.

(3)**خالد بن عرفطة** بن أبرهة البكري، من عذرة، لما دخل معاوية ﷺ الكوفة خرج عليه عبد الله بن أبي الحوساء بالنخيلة، فبعث إليه معاوية خالد بن عرفطة العذري، فقتل ابن الحوساء، روي عن النبي ﷺ، قولهﷺ: " من كذب عليا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" توفي بالكوفة سنة إحدى وستين، **ينظر**: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، 131/2.

(4)**المصدر السابق**، 531/3.

(5)**الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 317/2. **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 531/3.

(6)**جرير بن عبد الله** بن جابر وهو الشليل بن مالك بن خزيمة وقيل أبو عبد الله البجلي، أسلم قبل وفاة النبيﷺ، وكان حسن الصورة فقال عمر بن الخطاب جرير يوسف هذه الأمة، وهو سيد قومه، قال رسول اللهﷺ، لما دخل عليه جرير فأكرمه، وقال:" إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه"، أرسله رسول الله ﷺ، إلى ذي الخلصة، وهي بيت فيه صنم ليهدمه، فقال: إني لا أثبت على الخيل فصك رسول اللهﷺ في صدره، وقال: " اللهم اجعله هاديا مهديا"، فخرج في مائة وخمسين راكبا من قومه، فأحرقها، فدعا رسول اللهﷺ لخيل أحمس ورجالها. شارك في القادسية، جعله عمر بن الخطاب ﷺ على البجيلة. توفي سنة إحدى وخمسين. **ينظر**: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، 531/1

ولاّه الله الأمر وإن كان عبداً حبشياً»[1].

فتبرز هنا وتتجلى عظمة التربية النبوية للجيل الرائد، حيث آن الأوان لتنفيذها عمليا، وبذلك وقى جيش الإسلام من فتنة قد تدمر الجيش. فهذا نموذج لوحدة الجيش وطاعته وأثرها في الفتح الإسلامي ونتائجه فلولاها لما تم الفتح والنصر في القادسية، ولكان المد الإسلامي توقف في هذه المعركة الحاسمة.

ولعلنا نذكر موقف من مواقف الجند في شجاعتهم ودورهم في حسم المعارك لقد شهدنا طليحة في نبوءته الكاذبة، وشهدناه يوم اشتدت الحرب، أخذ امرأته النُّوار، وركب فرسه ولاذ بالفرار، ترى هل يعيد الكرة اليوم بقومه بني أسد حين يرى تحطم بجيلة أمام هذا السلاح الكاسح الفاتك من الفيلة في معركة القادسية؟

إنه اليوم جندي في جيش الله عز وجل وبطل يشار إليه بالبنان على رأس قومه، وهو ثاني أبطال القادسية، كما كان ثاني أفراد الطليعة العجيبة، وشهدنا بطولته الخارقة فيها[2].

ولقد سمع سعد عن بطولة طليحة، فعرف أنه لن يغير مصير المعركة، إلا طليحة وهو على رأس بني أسد، فأصدر أوامره إليه أن يواجه الموقف.فقام طليحة في قومه حين استصرخهم سعد فقال:« يا عشيرتاه؛إنّ المنوّه باسمه، الموثُوقُ به، وإنّ هذا لو علم أن أحدا أحق بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم؛ ابتدءوهم الشدة، وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحربَة؛فإنّما سميتم أسداً لتفعلوا فعله، شُدُّوا ولا تصدُّوا، وكرُّوا ولا تفرُّوا. لله درُّ ربيعة، أي فَري يَفرون! وأيَّ قرن يُغنون ! هل يُوصل إلى مواقفهم ! فأغنوا عن مواقفكم أعانكم الله ! شدوا عليهم باسم الله»[3].

وبدأ هجوم الأسود فقال المعرور بن سويد وشقيق: « فشدّوا الله عليهم فما زالوا يطاعنوهم، ويضربونهم، حتى حبسنا الفيلة عنهم؛ فأخّرتْ، وخرج إلى طليحة عظيم منهم فبارزه؛ فما لبث طليحة أن قتله»[4].

إن الثقة في الجندي ترفع من معنوياته وتجدد طاقته وتزيده عزيمة وإصرارا، فوضع الثقة ليس بالأمر الهين، لذا كان هذا الأمر بمثابة الدافع القوي لطليحة.

وفي زمن عثمان بن عفان ـ ﷺ ـ غداة فتح الشمال الافريقي 28هـ، حين سار عبد الله بن أبي سرح باتجاه برقة، التي كانت آخر المسالح في المغرب، فعسكر الجيش قبالة جيش الروم بقيادة جرجير، واستمرت المعارك مدة طويلة دون نتيجة تذكر، فأرسل عثمان بن عفان عبد الله بن الزبير على رأس قوة[5].

---

(1)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 531/3.

(2)**ينظر:المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة عمر بن الخطاب**، منير مُحَمَّد الغضبان، 301 .302.

(3) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 3/ 538 .539.

(4) **المصدر نفسه**، 539/4.

(5)**ينظر: فتوح مصر والمغرب**، ابن ابي الحكم، ص: 254.

فلما علم بالوضع العسكري اقترح على القائد عبد الله بن سعد أن يقسم الجيش إلى قسمين، قسم يرتاح والقسم الآخر يقاتل ويجهد الخصم حتى يمنعه من العودة إلى تحصيناته، وبعد ذلك يأتي دور الجيش الاحتياطي فيقضي عليهم، وفعلا اتبع القائد رأي عبد الله بن الزبير ونجحت خطته في القضاء على الروم وتمكنوا من فتح سُبيطلة[1]. ثم قفصة وتم فتح تونس[2].

وهناك موقف آخر في مشورة الجند على القائد حبيب بن مسلمة الفهري في أرمينية، حيث بلغ الروم مكان المسلمين فوجهوا إليهم موريان الرومي، ولما علم حبيب طلب المدد من الخليفة عثمان ﷺ . إلا أنه تأخر، وبينما هو يتفقد عسكره سمع جنديا يقول: « لو كنت ممن يسمع حبيب مشورته لأشرت عليه بأمر، يجعل الله لنا ولدينه نصرا وفرجا إن شاء الله ! وقال : كنت مشيرا عليه ينادي في الخيول يتقدمها، ثم يرتحل بعسكره يتبع خيله فتوافيهم الخيل في جوف الليل، وينشب القتال، ويأتيهم حبيب بسواد عسكره مع الفجر، فيظنون أن المدد قد جاءهم فيرعبهم الله، فيهزمهم بالرعب »[3].فعمل القائد برأيه وفتح الله لهم.

وهكذا كرست الفتوحات الإسلامية مبدأ الأخذ برأي الجندي وإشراكه في الأمور العسكرية، مما يجعل كل فرد في الجيش الإسلامي له قيمته فيحفزه ذلك على العمل أكثر والاجتهاد كل في منصبه وموقعه في المعركة.

07: وحدة الجند

إن وحدة المسلمين والمحافظة على تلاحم صفوفهم في الحرب، من شأنها أن تمنع الخطر على بلادهم وتضمن الأمن لهم، وإن في طاعة القائد والالتزام بأوامره نصر عظيم؛ لذلك حرص عمر بن الخطاب ﷺ .كل الحرص على التأكد من المواصفات التي يجب أن تكون في الجندي، الذي سيتشرف بالانضمام إلى جيش المسلمين والدفاع عن الدين ورد العدوان، فهناك بعض المسائل في العقيدة على الجندي أن يعيها ويستشعرها؛ فهو حامل رسالة سامية قبل أن يكون حاملا للسلاح فهل فعلا تحققت هذه الصفات في جيش الفتوحات ؟

ومن بين هذه الصفات التي يجب أن يتحلى بها الجندي في الجيش الإسلامي نذكر:

أولا: أن المعركة بين الحق والباطل لا تنتهي ما بقي الإيمان والكفر، وأن الحرب عقائدية بالدرجة الأولى.

---

(1)**سُبيطلة:** مدينة من مدن إفريقية، وهي مدينة جرجير الملك الرومي، وبينها وبين القيروان سبعون ميلا، **ينظر**: **معجم البلدان**، الياقوت الحموي، 187/3.جنوب غرب تونس حاليا.

(2)**المصدر السابق**، ص: 256.

(3)**مختصر تاريخ دمشق**، الامام محمد بن مكرم ابن عساكر،190/6.

جاء في قوله تعالى:﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾[الأنفال: ٧ – ٨][1]

جاء في تفسير الطبري: «يريد الله أن يحق الإسلام ويعليه بكلماته، يقول: بأمره إياكم أيها المؤمنون بقتال الكفار، ...كيما يحق الحق، كيما يعبد الله وحده دون الآلهة والأصنام، ويعز الإسلام وذلك هو تحقيق الحقّ ويبطل عباده الآلهة والأوثان والكفر»[2]. أي ليثبت الإسلام ويظهره ويفني الكفر وأهله.

ثانيا: محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم أصل من أصول الاعتقاد. لقوله تعالى:﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[المجادلة: ٢٢]

ثالثا: عدم التشبه بالكافرين سلوكيا أو اجتماعيا، أو اتخاذهم قدوة. كما في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾[الأنفال: ٢٠ – ٢١].

في هذا التوجيه الرباني يأمرهم الله تعالى بطاعته وطاعة نبيه، وينهاهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين المعاندين له، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ أي : لا تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره، ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أي المشركين[3].

رابعا: الانضباط والالتزام بالنظام لقوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

(1) **(وصف أرباب القتال من نفحات سورة الأنفال)**، أحمد بن فهد بن مزيد الخطاف، (ملتقى العسكرية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، جائزة الأمير سلطان الدولية، في حفظ القرآن الكريم، السعودية)، ص: 15. 16.

(2)**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، 220/6 223.

(3)**تفسير القران الحكيم، تفسير المنار**، محمّد رشيد رضا، 33/4.

رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾[النور: ٦٢]. فالالتزام بالنظام أمر رباني وجب على القائد والجندي احترامه والعمل به فهو عامل من عوامل النصر.

ولاشك أن العرب قبل الإسلام تميزوا بالمهارة في استخدام السلاح والفروسية وكان صيتهم في ذلك واسع، فكانوا يتميزون بسرعة الحركة والمهارة في التنقل وغيرها من الصفات التي تمكنهم من التغلب، غير أنهم كانوا متفرقين، بأسهم بينهم شديد[1]، فكانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية، تذهب عبثا ولم تُجدِ نفعا.

فلما جاء الإسلام، وحد عقيدتهم وصفوفهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة، فجعلهم كالبنيان المرصوص يدافعون على عقيدتهم الربانية ذات الهدف الواحد، ولن تكون هناك أي عقيدة ترسم في أذهان البشر هذا الميول وهذا الاندفاع الذي سببه إرضاء الله عز وجل في الدنيا ونيل الجنة في الآخرة؛ إنه الإسلام.

إن من أخص صفات الجندي المسلم الاستقامة على الشرع بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، لقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾﴾[هود: ١١٢]

إن الله عز وجل في هذه الآية يأمر رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد، ونهي عن الطغيان وهو البغي، فإنه مصرعه حتى ولو كان على مشرك، وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد، لا يغفل عن شيء، ولا يخفى عليه شيء[2].

فالأصل العام الذي يسير عليه الجندي المسلم قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر: ٧]، وقال رسول الله ﷺ:« **من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»[3].

فالطاعة في الحرب تختلف عن السلم، فلا بد فيها من الطاعة التامة الفورية، بصورة جماعية، وإن لم يفعلوا ذلك خسروا الحرب، وربما خسروا أنفسهم، وبذلك تخسر أمتهم من ورائهم، فالجندي المسلم حينما يقدم هذه الطاعة، لا يقدمها على أنها طاعة تقتضي المصلحة فحسب، كما هي حال الجندي من غير المسلمين، إنما يفعل ذلك على أنه طاعة لله ولرسوله ﷺ؛ فالطاعة بحد ذاتها سبب للنصر، وكونها طاعة لله ورسوله ﷺ سبب آخر من أسباب النصر[4].

---

(1)**ينظر: الفاروق القائد،** محمود شيت الخطاب، ص: 18.

(2)**تفسير القران الحكيم، تفسير المنار**، مُحَّد رشيد رضا، 354/1.

(3)**أخرجه مسلم** ، كتاب (الإمارة)، باب (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية،) حديث رقم: 1835. 13/6.

(4)**ينظر: سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم**، حسن بن صالح الحميد، ص: 269.

فليس هناك تنافر بين الاستقامة والجندية إلا عند من أظلت عقولهم بالهوى والجهل[1]؛ فحاجة الجندي المسلم إلى الاستقامة على شرع الله تعالى ضرورة ملحة، إذ هي القوة الدافعة، والطاقة الكامنة، لمن يريد نصر دين الله، وحفظ المسلمين من عدوان المعتدين[2].

وهذا المبدأ أكد عليه الرسول ﷺحين سأل وفد بني الحارث بن كعب فقال: «**بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية، قالوا: لم نكن نغلب أحدا، قال: "بلى". قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحدا بظلم، قال: صدقتم** »[3]. فقد وضح النبي عليه الصلاة والسلام بسؤاله هذا أن الاجتماع والوحدة في القتال سبب من أسباب النصر، مع التأكيد على مبدأ عدم الظلم.

إن من عوامل النصر وحدة القيادة ووحدة الصف « إن أسلوب الصفوف يمتاز على أسلوب الكر والفرّ، بأنه يؤمن الترتيب بالعمق فتبقى دائما بيد القائد قوة احتياطية يعالج بها المواقف التي ليست بالحسبان... إن أسلوب الصفوف يؤمن السيطرة على القوة بكاملها ويؤمن احتياطيا للطوارئ ويصلح للدفاع والهجوم في وقت واحد»[4].

فهذا يدل على مدى التعاون وقوة الارتباط بين جيش المسلمين في أشد موقف وهو قتال الأعداء، يقاتلون تحت قيادة موحدة كالرجل الواحد، لأنهم يقاتلون لهدف وهو إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض[5].فالعمل الجماعي ضرورة بشرية.

وهذا ما يبرز ضرورة الوحدة في الدين الإسلامي، فهي مبدأ وركيزة مهمة فلا وحدة معتبرة بدون توحيد، ولا تمكين للتوحيد بدون وحدة؛ ويدهشنا القرآن الكريم في تعاطيه مع ثنائية الوحدة والتوحيد، ففي الوقت الذي يدعو فيه إلى ضرورة التمسك بكتاب الله كواجب إيماني يؤدي بصاحبه إلى الفوز في الآخرة، يربط ذلك بضرورة التزام أصحاب هذا العقد بالوحدة كشرط ضروري لتحقيق الفوز في الدنيا والآخرة[6].

وجاء في قوله تعالى:﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾[الأنفال: ٤٦]

(1)**العقيدة والقيادة، محمود شيت خطاب**، سورية، دار القلم، ط1، 1419هـ، ص:29،36.

(2)**وصف أرباب القتال من نفحات سورة الأنفال**، أحمد بن فهد بن مزيد الخطاف، ص: 18.

(3) **ينظر: السيرة النبوية**، ابن هشام، 319/4.

(4)**الرسول القائد**، محمود شيت الخطاب، ص:81.

(5) (**التربية الجهادية في الإسلام من خلال سورة الانفال**)، أحمد تالي ادريس، (رسالة مكملة لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، إشراف: عنتر لطفي محمّد، كلية التربية، جامعة أم القرى، 1410هـ)،ص:131.

(6)**ينظر: (الوعي السنني الإيماني في القرآن الكريم)**، خالد محجوب، (مجلة المقدمة، العدد الأول، نوفمبر 2017م)، ص:91.

بمعنى لا تختلفوا فتفرّقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا فتضعفوا وتجبنوا... والفشل: الضعف عن جهاد عدوه والانكسار لهم، فذلك الفشل(1).

فقد ذكَّر الله سبحانه وتعالى عباده في هذه الآية بأن الوحدة هي نعمة عظيمة، وهي سر قوة الإسلام؛ لهذا حث الإسلام على الاتحاد والتعاطف والتواد، فجعلهم الله بذلك أمة واحدة لا يريدها أحد بسوء إلاّ خذل، فكانوا كالجبل الأشم لا تنال منه الحوادث ولا تزعزعه العواصف. وجاء في قوله تعالى:﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ١٠٣ ﴾[آل عمران: ١٠٣].

فهذه سنة اجتماعية تتعلق بأهمية الوحدة بين الأمة والاعتصام بحبل الله فمن أخذ بها تحققت له نتائج الفلاح والنجاح والنصر.

ومن أساليب هداية الله تعالى إلى السنن الإلهية الحاكمة لبناء المجتمع وتحقيق قوته، النهي عن أمر يترتب عليه أمر آخر غير محبوب، كقوله تعالى:﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ٤٦﴾[الأنفال: ٤٦].

فقد رتبت الآية الفشل وذهاب الريح على التنازع والاختلاف، فكشف لنا سنة الله تعالى في هذا الشأن بهذا الأسلوب، وهذا النوع من البيان للسنن هو توجيه لنا من أجل تجنب النتائج غير المحببة، بنهينا عن الوقوع فيما يؤدي إليها.

وعلى هذا فإن التلاحم بين القائد والجندي سبب في قوة الجيش وعدم انكساره وهذا ما يزيد في قوتهم المعنوية مما ينعكس إيجابا على نتائج المعركة.

وأما الطريق إلى ايجاد هذا التلاحم وسيادة روح الطاعة والوحدة والانقياد فيمكن حصرها في النقاط التالية(2):

أولا: قيام أمر الأمة على مبدأ الشورى في كل شؤونها في الحرب والسلم.

ثانيا: أهلية القيادة وكفاءتها في السلم والحرب؛ فأهم ميزة في الجندية الطاعة، وأساس الطاعة مبني على القناعة، والقناعة تخلقها الأهلية والكفاءة في القائد.

خلاصة المبحث

نستخلص في نهاية هذا المبحث أن هناك عوامل لتوسع الفتوحات والتي تعلقت بالولاة وقادة الجيش والجنود، وأن سيدنا عمر اتبع منهج النبي ﷺوالصديق ـ رضي الله عنهما ـ في الالتزام بشروط تعيين الولاة ووجوب توفرها وهي القوة والأمانة، البصر بالعمل، الرحمة والشفقة على الرعية، مبدأ العلم، لا يولي أحدا من

---

(1)**ينظر: جامع البيان في تفسير آي القرآن**، بن جرير الطبري ، 322/7 . 323.

(2) **ينظر: سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم**، حسن بن صالح الحميد، ص: 263 .264.

أقاربه، إحصاء ثروة العمال عند تعينهم، المشورة في اختيار الولاة، جعل الوالي من القوم. ومن بين الأسباب التي جعلت الفتوحات في توسع دائم في تلك الفترة أنه تم التركيز على صفات القادة العسكريين فلم يكن الاختيار عشوائي غير منظم ولم يكن على أساس القرابة أو النسب إنما كان لابد من توفر هذه الصفات وهي :أن يكون القائد تقيا ورعا عالما بأحكام الشريعة وشروط القتال والعهود، أن يحمل صفة التأني والتروي ،وعدم العجلة في الإقدام على القتال، الدهاء والفطنة والحنكة في مواجهة العدو ومفاوضته، رغبة القائد في العمل ليكون أدعى لاستجابته واستفراغ طاقاته.

وكذا كان الاهتمام بحقوق القائد والجند: حقوق القائد وتمثلت في حق الطاعة حق التفويض، المسارعة إلى امتثال أمر القائد، عدم منازعة القائد في شيء من قسمة الغنائم، إضافة إلى حقوق القواد المادية.

وحقوق الجنود وتمثلت في الاهتمام بهم وتفقد أحوالهم، الرفق بالجند في السير والحرص على سلامتهم، أن يتصفحهم عند مسيرهم، عدم التعرض لمن خالفه عند لقاء العدو لئلا يحصل افتراق الكلمة والتنازع، حراستهم من غرة يظفر بها العدو في مقامهم ومسيرهم،الأخذ برأي الجند، وحدة الجند.

المبحث الرابع:

السنن المتعلقة بالإعداد وتجهيز القوة والكفاءة العسكرية

لا يخفى أن الجهاد ونشر الدعوة من المبادئ الأساسية للدين الإسلامي، وقد بدا ذلك واضحا وصريحا من النصوص القرآنية التي شرَّعت الجهاد، والسنة الفعلية للنبي ﷺفي غزواته، ولذلك لم يكن بدعا أن يبادر الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ إلى استكمال الفتوحات الإسلامية بعد وفاة رسول الله ﷺمباشرة.

فهل استحضر الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ معاني الجهاد كما هي في القرآن الكريم وسنة النبيﷺ؟ وكيف تمثلوا ذلك في فتوحاتهم، وتحديدا في فترة التوسع؟ وإلى أي حد استثمروا وعيهم بالسنن الإلهية في تلك الفتوحات ؟

قبل التطرق إلى الفتوحات الإسلامية في عهد التوسع والوقوف على أهم السنن الإلهية التي تحققت، لابد أن أنبه إلى أمر؛ وهو أن هناك سنن تحققت في مرحلة التأسيس في خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، وتحققت كذلك في مرحلة التوسع في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ ، وأقصد بذلك العوامل المعنوية أو السنن المعنوية، وقد ركزت عليها في فترة الصديق ـ رضي الله عنه ـ لأنها كانت بارزة أكثر، ولتفادي تكرارها سأتطرق في هذا المبحث إلى السنن المادية التي برزت بشكل واضح وكانت فعالة في توسع الفتوحات، وهذا لا ينفي وجود السنن المعنوية في فترة التوسع إذ إن السنن الإلهية تعمل مجتمعة، لذا ارتأيت التركيز على السنن الأكثر تحققا في كل فترة؛ (تأسيسا، وتوسعا، فانحسارا)، مع التذكير أو الإشارة فقط إلى أنها حصلت في الموقف المذكور.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أمر مهم وهو أن هناك بعض السنن الإلهية التي تأسست عليها الفتوحات الإسلامية وتوسعها كان بفضلها، فهي لم تكن حكرا على جبهة من الجبهات؛ إنما كانت حاضرة في كل الفتوحات، ولأن تقسيم البحث يفرض علينا التقسيم حسب الجبهات المفتوحة، فهناك سنن سأتطرق لها في بداية الجبهة الأولى بالرغم من تحققها في كل الجبهات وفي عهد عمر وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ، وذلك تفاديا للتكرار.

انطلاقا مما ذكرت آنفا، سأتناول في هذا المبحث أهم السنن الإلهية (المادية) التي تميزت بها الفتوحات الإسلامية في فترة التوسع والامتداد، وتتمثل في: الإعداد وتجهيز القوة، وحدة الجند وطاعتهم للقيادة، إضافة إلى الكفاءة العسكرية، وسأبين ذلك في ثلاثة مطالب وهي كالآتي:

المطلب الأول: الإعداد وتجهيز القوة للجهاد

ونقصد بها القدرة على الجهاد بتوفر شروطه وأسبابه، ولذلك لم يقاتل النبي ﷺ كفار قريش في الفترة المكية، بسبب ضعف المسلمين وقلتهم، وإنما شرع له الجهاد بعد الهجرة حين قامت دولة الإسلام وأصبحت قادرة على مواجهة العدو.

سأحاول في هذا المطلب الكشف عن أهم الإعدادات التي قام بها جيش المسلمين في الفتوحات الإسلامية في عهد التوسع . أي فترة عمر بن خطاب، والسنوات الأولى من عهد عثمان بن عفان . رضي الله عنهما . ، فهل تم بالفعل الإعداد النفسي والاجتماعي والعسكري والمادي لتكون بذلك الدولة الإسلامية قادرة على التصدي لأعدائها وتدافع عن بيضتها وكرامتها؟ وإلى أي مدى كان التزامهم بالسنن الإلهية.هذا ما سأحاول الإجابة عنه في هذا المطلب ببيان سنن إعداد القوة والإنفاق في سبيل الله، ودورهما في فترة التوسع للفتوحات الإسلامية.

الفرع الأول: إعداد القوة

للدعوة إلى الله عز وجل سبيلان؛ أحدهما – وهو الأصل- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي أحسن كما جاء في قوله جل وعلا: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل: ١٢٥]، وإذا لم تنجح هذه الطريقة، كان السبيل الثاني وهو استعمال القوة لإزاحة من يقف في طريق الدعوة، وذلك باستعمال السيف حتى يعبد الله وتقام حدوده وينتشر دينه، لقوله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣ ﴾[التوبة:123]

والآية الكريمة تشير إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجة، فإن لم تنفع الكتب تعينت الكتائب، والله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[1].

أي أن الجهاد هو الوسيلة الضرورية بعد الدعوة إلى الله بالأسلوب الحسن؛ ومن المعروف أنه لم يأذن الإسلام للمسلمين بالجهاد، إلا عندما اشتد أذى المشركين بهم، وأصبح القيام به ضرورة لحفظ الحياة، ودفع ما تعرض له المسلمون من مظالم، لذا أذن بممارسة حق الدفاع عن النفس في قوله تعالى:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ﴾ [الحج: ٣٩ – ٤٠]

أي أناس مؤمنون خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة، فكانوا يمنعون، فأذن الله للمؤمنين بقتال الكفار [2]،فالجهاد هنا ليس عدوانا، ولكنه دفع للعدوان؛ فالمسلمون ظُلموا وأُخرجوا من ديارهم بغير حق، فكان من الضروري دفع الأذى بالجهاد.

---

(1)**ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، تح: مكتب البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر، 1995م، 459/1.

(2)**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تعليق: محمود شاكر الحرستاني، لبنان، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط1، د، ت، 204/10.

وعليه فإن الجهاد في سبيل الله تعالى يحتاج إلى القوة، لذلك اهتم الإسلام اهتماما كثيرا بالقوة حتى أوصلها إلى درجة الوجوب على الأمة الإسلامية، لأنّ الجهاد لا يتم إلا بها؛ وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولقد جاء في القران الكريم ما يدعو إلى الاهتمام بالقوة والإعداد لها. قال تعالى:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ٦٠﴾[الأنفال: ٦٠]

فهذه الآية فيها أمر بالإعداد الدائم لأجل جهاد العدو وإخافته، ووصف سبحانه وتعالى هذا العدو بأنه عدو الله تعالى، وعدو لأوليائه المؤمنين.

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ما أطقتم أن تعدّوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل»[1].

والاستطاعة تشمل كل أنواع الإعداد سواء المعنوي أو العسكري، وتشمل كذلك قوة العقيدة، والقوة العسكرية البدنية منها والنفسية، وحتى نوعية العتاد الكمية منها والكيفية.

فقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في الآية السابقة؛ بالاستعداد وأخذ الحيطة والأسباب الظاهرة لنصرهم وتمكينهم ويتحقق هذا الاستعداد بأمرين:

أولا: إعداد جميع أسباب القوة بقدر الاستطاعة، فالأمر بإعداد القوة في هذه الآية عام، تدخل فيه كل وسيلة أو سبب حسّي أو معنوي يُحقق للأمة شيئا من القوة.

ثانيا: مرابطة[2] فرسانهم في ثغور بلادهم وحدودها، وهي مداخل الأعداء ومواضع مهاجمتهم للبلاد. فلن يحصل النصر والتغلب على العدو، إلاّ إذا أحسنوا تهيئة كل شيء للمعركة، ولا شك أن الجهاد في الإسلام ينطلق من رؤية مختلفة عما هو عليه الأمر في الحضارة الغربية، فالجهاد في الإسلام دفع حضاري لحماية الأرض من الإفساد، ولحماية معابد الديانات السماوية جميعا من التدمير، فهو دفع حضاري لا صراع، وهذا ما يعبر عنه بالدفع الحضاري من أهل الحق لأهل الباطل، ومن أهل الصلاح للمفسدين في الأرض[3].

(1)**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، أبي جعفر محمَّد بن جرير الطبري ، 338/6.

(2)**الأربطة**؛ جمع رباط –والمرابطة: ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا، والرباط المواظبة على الأمر، **ينظر**: **لسان العرب**، ابن منظور، مادة: ربط، تم اطلاق هذا الاسم على نوع من الثكنات العسكرية/ وهو؛ مكان (ملازمة ثغر العدو)، كما في **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمَّد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح: عبد العليم الطحاوي،التراث العربي – سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت، مطبعة حكومة الكويت،(1400هـ/1980م)، 19/ 299.

(3)**ينظر**:**النظم القرآني في آيات الجهاد**، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الحنين، الرياض،مكتبة التوبة، ط1، 1416هـ-1996م، ص25.26.

وهذا ما تحدث به القرآن الكريم في قول الله تعالى:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[الحج: ٤٠]

وقوله تعالى:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[البقرة: ٢٥١]

فالجهاد ضرورة لا بد منها فهو مبرر وجود الجماعة الإسلامية في الزمان والمكان، ومفتاح دورها في الأرض وهدفها العقدي، وبدون هذه الحركة الجهادية تفقد الجماعة المسلمة قدرتها على الوحدة والتماسك والاستمرارية[(1)].

لذا لا بد من إعداد القوة وحشدها بجميع أجناسها، وتلبّس المؤمنين بها، وذلك بقدر الطاقة، وحسب الإمكان، وعدم الاستهانة بالعدو مهما كان.

وجاء في قوله تعالى:﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[الحديد: ٢٥]

بمعنى « فيه قوة شديدة، ومنافع للناس، وذلك ما ينتفعون به منه عند لقائهم العدو، وقيل: البأس الشديد: السيوف والسلاح الذي يقاتل الناس بها»[(2)].

فهذه الآية تتحدث عن سنن وخواص الحديد، كأساس للتسلح والإعداد العسكري. لما له من أهمية في النصر. فالإيمان وحده لا يكفي للنصر، لابد من الأخذ بأسباب القوة فالأمور مقدرة بأسبابها.

وبالرجوع إلى المؤسس الأول للدولة يظهر جليا هذا الاستعداد سواء النفسي أو المادي، فعندما هاجر النبي ﷺ، إلى المدينة المنورة كانت أول خطوة بدأ بها بناء الدولة– بعد بناء الإنسان بمكة المكرمة –، وقد قامت تلك الدولة على أربع دعائم كبرى وتمثلت في: بناء المسجد، ثم الصحيفة التي تنظم علاقة المجتمع فيما بينه وعلاقته بالآخرين، ثم الإخاء بين المهاجرين والأنصار، وآخر شيء حماية الدعوة وذلك بتشكيل الجيش الإسلامي.

وما يهمنا من هذه الدعائم الأساسية؛ الاستعداد العسكري لمواجهة العدو، فالصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ جُلهم قد مارس القتال في الجاهلية، وهذا ما أكده الأنصار لما بايعوا النبيﷺ بقولهم:« فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرًا عن كابر» [(3)].

---

(1)**ينظر:إعادة كتابة التاريخ الإسلامي**، عماد الدين خليل،ص:99.

(2)**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، جرير الطبري، 275/15.

(3)**السيرة النبوية " سيرة ابن هشام"**، أبو مُحَّد عبد الملك بن هشام المعافري ابن هشام، تح: جمال ثابت وأخرون، القاهرة، دار الحديث، 2004م، 320/2.

ورغم ذلك فإن النبيﷺ قام بتنمية تلك القدرات وتدريبها حتى تتصدى لكل من يقف في وجه الدعوة الإسلامية، أو يعتدي على دار الإسلام، فكان تشكيل الجيش الإسلامي، الذي تم توجيهه على أسلوبين موازيين: التوجيه المعنوي والتدريب العملي.

فالتوجيه المعنوي: تمثل في ترغيبهم في الجهاد وحثهم عليه، ووعدهم بما وعدهم الله من أجر وثواب. فمن عوامل قوة الأمة المعنوية سمو الهدف فترتفع معنوياتهم وتزيد من عزيمتهم.

أما فيما يخص التدريب العملي فقد تمحور حول إعداد الخيل وتدريبها وتربيتها، وإتقان استعمال أنواع الأسلحة، وتعلم القتال.

وكان الاهتمام بإعداد الخيل في عصر الرسالة وتدريبها وتربيتها وإكرامها قائم على هدي من الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾[النحل: ٨]

وقال رسول اللهﷺ«**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم**»[1].

ونظرا لأهمية نتائج رباط الخيل وما فيه من الاستعداد الدائم واليقظة المستمرة[2]، وما يعود ذلك على أمن الأمة وحمايتها وهيبتها، قال ﷺ: «**من خير معاش الناس رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه**»[3].

تلك إذن الاستعدادات التي قام بها النبي ﷺ، وتجهيز القوة وبذلك حقق ما كان يصبو إليه، فهل كان الخلفاء الراشدون على هذا المنهاج؟، وما أهم الإعدادات التي قاموا بها لحماية الدعوة وإيصالها إلى العالم كله؟

لقد فقه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أهمية الجهاد في سبيل الله ودوره في تعزيز وتقوية الأمة الإسلامية، فعمل على التجهيز له والاستعداد له من كل النواحي، « فالإيمان بالله تعالى والاعتماد عليه والتوكل عليه لا ينافي أبدا الاستفادة من سنن الله التي جعلها الله في هذا الكون ناموسا ثابتا ومطردا ولا يناقض اتخاذ الأسباب المادية التي أراد الله جل وعلا أن يجعلها أسبابا في هذا الكون التوكل عليه»[4].

« لقد أرسى الرسول القائد ﷺ القواعد العسكرية الإسلامية ووضع تعاليمها النظرية والتطبيقية، وحذا الخلفاء الراشدون حذوه في تطبيق هذه التعاليم، ولذلك استطاعوا تحقيق أكبر الانتصارات على أقوى جيوش فارس والروم وفتحوا البلدان في وقت قياسي قصير»[5].

---

(1)**أخرجه البخاري** ، كتاب (الجهاد)، باب (الجهاد ماض مع البر والفاجر)، حديث رقم: 2852، 28/4.

(2)**ينظر: أخلاق وآداب الحرب في عصر رسول اللهﷺ**، حامد محمد الخليفة، ص: 113.

(3) **أخرجه مسلم** ، كتاب (الجهاد والسير)، باب (فضل الجهاد والرباط)، حديث رقم: 125 ،1503/3.

(4) **سنة الله في جهاد رسول الله نحو قراءة جديدة** ، أبو اليسر رشيد كهوس، مصر، القاهرة، دار الحكمة، ط1، 2012م، ص:81.

(5)**النظم العسكرية(نشأة الجيش النظامي في الإسلام)**،فاروق عمر فوزي،229/2

إن الجهاد والقوة (الجيش)ركن من أركان الدولة الإسلامية كان واضحا وراسخا، وقد أولاه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عناية فائقة، وتطويرا مستمراً، ودعما متواصلا ماديا ومعنويا؛ إذ كان على عاتقه واجبان:

الأول: حراسة الدين وحماية البيضة وحفظ الأرواح والأعراض والأموال.

الثاني: نشر الإسلام وإبلاغ الدعوة، وذلك بإزالة العقبات.

فنجد أن عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . فقه الجهاد والاستعداد له؛ لما لذلك من دور فعال؛فقد بنى مؤسسة ضخمة على نمط فذ، فكان يأمر الناس، بتدريب غلمانهم على فنون الفروسية، وأساليب القتال، وكَتَب إلى عماله: «أن علِّموا صبيانكم العوم، ومقاتلتكم الرمى، ومُرُوهم فليَثِبوا على الخيل وثباً»[1].

واعتنى بتربية الخيل وإنتاجها وإكثارها، وأقطع أناساً أراضي بالكوفة والبصرة[2]. ومصر وغيرها؛ كي يعملوا فيها بإنتاج الخيل، فكان يحمل عليها المجاهدين في سبيل الله. و كان يحمل في العام الواحد على (4000) بعير[3].

وكان قد أعد في كل مصر من أمصار المسلمين خيلا كثيرة معدة للجهاد، فكان من ذلك بالكوفة أربعة آلاف فرس، وكان العدوّ إذا دهم الثغور ركبها المسلمون وساروا مجّدين لقتاله[4].

فهذا الاهتمام بالإعداد دليل على أهمية الخيل ودورها في الفتوحات، وأثرها على العدو في تشتيته وإدخال الرهبة والخوف في صفوفه.

وفي ذكر فتح البصرة نجد التخطيط العبقري للخليفة عمر بن الخطاب . رضي الله عنه .؛ وأنه اهتم بالإعداد من كل الجوانب، حيث أراد أن يتخذ للمسلمين مِصرا، وكانوا قد فتحوا البحرين فكتبوا إليه: «إنا وجدنا بطاسان مكانا لا بأس به، فكتب إليهم: إن بيني وبين دجلة، لا حاجة في شيء بيني وبينه دجلة أن تتخذوه مصرا، ثم قدم إليه رجل من بني سدوس يقال له ثابت فقال: يا أمير المؤمنين إني مررت بمكان دون دجلة فيه قصر ومسالح للعجم يقال له الخريبة وأيضا البصيرة، بينه وبين دجلة أربع فراسخ، له خليج يجري فيه الماء، فأعجب ذلك عمر، ثم ولى عتبة بن غزوان وقال له: إن الحيرة قد فتحت فأتِ أنت من ناحية البصرة

---

(1)**الطبقات**، ابن سعد،302/3.

(2)**البصرة**: العظمى بالعراق ويقال البصرتان أي: الكوفة والبصرة و هي الأرض الغليظة التي فيها حجارة رخوة فيها بياض، وقيل أن المسلمين حين وافوا مكان البصرة للنزول بها نظروا إليها من بعيد وأبصروا الحصى عليها، فقالوا: إن هذه أرض بصرة، يعنون حصبة، وقيل الأرض الطيبة الحمراء، **ينظر: معجم البلدان، الحموي، 429/1.**

(3)**ينظر: الطبقات**، ابن سعد،302/3.

(4)**ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، 509/2.

وأشغل من هناك من أهل فارس والأهواز وميسان عن إمداد إخوانهم فأتاه عتبة، وبنى المسلمون بالبصرة سبع دساكر[1]: اثنتان بالخريبة، واثنتان بالزابوقة وثلاث في موضع دار الأزد»[2].

ويفهم من هذا النص أن عمر بن الخطاب اهتم اهتماما كبير بالإعداد المادي للفتوحات، لعلمه بأهمية إعداد القوة الضاربة التي يجب أن يمتلكها كل من دخل مجال الجهاد.

وعند فتح أنطاكية بعث الخليفة عمر ـ ﷺ ـ إلى أبي عبيد يقول: « رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين، واجعل بها مرابطة، ولا تحبس عنهم العطاء »[3]، فحِرصُ القائد العام على المرابطة وإعداد القوة ضرورة ملازمة لابد منها لأخذ الحيطة والحذر من الأعداء وتأمين البلاد.

وهذا ما اهتم به كل القادة الذين عينهم الخليفة ، فكانت بمثابة واجب لابد من الالتزام به لأنهم فقهوا أهمية الإعداد والتحضير وأخذ الاحتياط ببناء الحصون لفائدتها وأهميتها، فقد بنى معاوية بن أبي سفيان جبلة القلعة المشهورة بساحل الشام عند فتح حمص التي كانت حصنا للروم وشحنها بالجنود وقام ببناء حصن آخر وذلك تحصينا لهم[4].

إضافة إلى أن الفاروق ﷺ دوّن دواوين الجند، وأمر بأن لا تُحبس الجيوش فوق أربعة أشهر، وأنّ لا يغزو من له أبوان شيخان أو أحدهما إلاّ بإذنهما، وشحن الثغور بالمسالح والقواعد العسكرية، وأنشأ فيها المساجد والأسواق، وحمى الحمى لرعي خيل وإبل المجاهدين، وحرص على إقامة الثكنات في الأمصار وأنشأ فيها الحصون.

وبادر في تجهيز خيول احتياطية في كل بلد استعداداً للحروب المفاجئة، فكان في الكوفة ـ مثلا ـ أربعة آلاف فارس، إضافة إلى نظام الصوائف والشواتي، التي كان يتولاها كبار القادة كأبي عبيدة بن الجراح ومعاوية والنعمان بن مقرن، وكان يُعقب الجيوش، بمعنى المناوبة بينهم فيبعث في أثر المقيمين في الثغور جيشا يقيمون مكانهم[5].

---

(1)**دسكرة:** لفظ فارسي دخيل يقصد به: قصر الملك إذا كان من حوله بيوت، جمعه: دساكر. **ينظر: الجوالقي، المعرب**، ص: 150، **ينظر: المعجم الوسيط، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مصطفى** عبد الكريم الخطيب، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1996م، ص: 186

(2)**معجم البلدان**، الحموي،430/1.

(3)**الكامل في التاريخ**،ابن الأثير، 192/2.

(4)**ينظر: المصدر السابق**، 53/3.

(5)**ينظر:الطبقات**، ابن سعد، 338/3.

وكانت التعبئة الحربية تعتمد على نظام الصفوف ونظام الكراديس[1]. ونظام الخميس، فكان الجيش يقسم إلى خمسة أقسام: الميمنة، والميسرة . ويطلق عليهما الجناحان . والقلب، والساقة، والمؤخرة، وكل قسم يضم عدة كراديس، ويتألف كل كُردوس من ألف مقاتل وله قائده وحاشيته وراياته. وبين كل كُردوس وآخر فسحة من الأرض مناسبة تسمح لهما بحرية الحركة والقتال.فكانت الدولة تمون الجيش بما يلزمه من الطعام والسلاح والخيول.

وقد عرف الجيش الإسلامي عدة رتب عسكرية؛ تتمثل في أمير الجيش ونائبه وأمراء الكراديس وأمراء التعبئة والنقباء والعرفاء. وكان الجيش يرفع لواءً أبيض وراية سوداء، كما كان عليه الأمر في عهد النبوة، وكان المقاتلون فرسانًا ومشاة، وكانت الدولة حريصة على تربية الخيل لأغراض الجهاد.

كما كانت تحثُ الناس على تربيتها، وتقيم لها السباقات وتحدد لها الحمى. ويُعطي الفارس من الغنيمة سهمين والراجل سهما واحدا.وذلك أن له الخيل فيكون طعامه مأخوذ من الغنيمة أيضا. تشجيعا على تربيتها والاعتناء بها.

وكان من سياسة الخليفة وأعمال الولاة وقادة الفتوحات؛ إقامة المسالح والقواعد العسكرية في المناطق المتاخمة لدولتي الفرس والروم، وشحنها بالمجاهدين والمرابطين من فرسان وجمَّالة ومشاة، فكانت مراكز عسكرية لردّ أي عدوان خارجي، كما أنها مراكز تجمع الجيوش لانطلاقها للفتوحات[2].

واهتم عمر بن الخطاب . ﷺ . بالربَط وهو المكان الذي يجتمع فيه الفرسان متأهبين للقتال، وهو موضع حصين يكون بين حدود الدولة وبين أعدائها لإقامة المجاهدين وفقًا للأخطار التي قد تتعرض لها دولتهم.

والرباط هو المرحلة التي تسبق مرحلة القتال، فهي تدريب عملي على الاستعداد والصبر على الأذى في أرض المعركة، والرباط هو سد الثغور في مراحل متقدمة إما داخليا أو على الحدود[3].

وتعد الرُّبط من المؤسسات العسكرية التي دعا إليها الإسلام وحبب المسلمين فيها، إذ الغاية منها حراسة التخوم والمحافظة على الثغور، ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[آل عمران: ٢٠٠]

---

(1)**كراديس**: لفظ متصل بنظام عسكري قتالي عرفه العرب منذ بداية عصر الدولة الإسلامية، مفرده: كردوسة وهي الطائفة أو القطعة العسكرية العظيمة من الجيش. ينظر:**المعجم الوسيط، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مصطفى** عبد الكريم الخطيب، ص: 366.

(2)**ينظر:عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي العظيم والامام العادل الرحيم**، عبد الستار الشيخ، دمشق، دار القلم، ط1، 1433هـ،2012م، ص: 533 . 534

(3)**ينظر:(معالم التربية الجهادية في ضوء كتابات الشيخ عبد الله عزام)**، إياد عبد الحميد عقل، (متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في أصول التربية، تخصص: تربية إسلامية، الجامعة الإسلامية، غزة، قسم الدراسات العليا، كلية التربية، أصول التربية " التربية الإسلامية" 2008م)، ص:98.

وكان الرباط في عصر الرسالة من أخلاق الحرب، وله أهمية كبيرة لما يترتب عليه من نتائج كحفظ الأمن، فأصبح خلقا يتخلق به كثير من الصالحين في المجتمع الإسلامي، ويوفرون أموالهم وأوقاتهم للرباط في سبيل الله، فإن كان هناك عدو يهدد أمن الأمة واجهوه، وإن لم يكن رابطوا صابرين محتسبين يمضون أوقاتهم بين العبادة والحراسة وطلب العلم(1).

ويؤكد عبد الله عزام على ضرورة الرباط وأنه من ضرورات الجهاد، لأن القتال فترات محدودة، والرباط فترات طويلة، ولا تستطيع القتال بدون الرباط الطويل، حيث شبه القتال بالدرة والرباط كتاج، أي هو درة في تاج(2).

وعليه فإن للرباط والاستعداد نتيجة واحدة وهي النصر؛ لأن الله وعد المؤمنين بالنصر إذا استعدوا وعملوا له بكل جهدهم، ولأن الرباط يعلم الصبر والثبات.
وقال ﷺ: « **رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**»(3). وقال عليه الصلاة والسلام: «**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»(4).

وعليه فهي تسمى المحارس لما فيها من حراسة، كما يشير إلى ذلك ابن دقمان؛ حيث ذكر في كتابه: (الانتصار لواسطة عقد الأمصار)ثمانية محارس، وقد شاعت هذه التسمية بجانب الرباط والقصر في شمال إفريقيا(5).

وللرباط أهمية كبيرة حيث إن « المرابطة في سبيل الله تنزل من الجهاد منزلة الاعتكاف في المساجد من الصلاة، لأن المرابط يقيم في وجه العدو متأهبا مستعدا، حتى إذا أحس من العدو بحركة أو غفلة نهض فلا يفوته ولا يتعذر عليه، كما أن المعتكف يكون في موضع الصلاة مستعدا، فإذا دخل الوقت وحضر الإمام قام إلى الصلاة»(6).

---

(1)**ينظر: أخلاق وأداب الحرب في عصر رسول الله ﷺ**، حامد مُحَّد الخليفة، الأردن، دار عمار، ط1، 2009م، ص: 151.

(2)**ينظر: في التربية الجهادية والبناء**، عبد الله عزام، باكستان، بيشاور، مكتب الخدمات، (د،ط)، 1992م، ص: 86.

(3) **أخرجه البخاري** ، كتاب(الجهاد والسير)، باب(فضل رباط يوم في سبيل الله)، حديث رقم: 2892، 35/4.

(4)**سنن الترميذي** ، مُحَّد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترميذي، تح: أحمد شاكر، وأخرون، كتاب (فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ،) باب (ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله)، حديث رقم: 1639، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1975، 175/4.

(5)**ينظر: الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، إبراهيم بن مُحَّد ابن دقمان، مصر، المطبعة الأميرية الكبرى، ط 1، 1893م، ص 165.

(6)**الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، إبراهيم بن مُحَّد ابن دقمان، ص: 466.

وكانت الربط في بداية الدولة الإسلامية يغلب عليها البساطة، فهي مجرد خيام يعسكر فيها المجاهدون ثم يغادرون عند انتهاء الخطر، مثلما حدث مع خالد بن الوليد ﵁ عندما رابط بجيوشه في مكان قريب من عين التمر[1].

ويُعد عمر بن الخطاب ـ ﵁ ـ أول من اتخذ هذه الربط، فقد روي أنه اتخذ في كل مصر ـ على قدره ـ خيولا من فضول أموال المسلمين، عدة لكون يكون [أي لحدث يحدث في المستقبل] فكان من ذلك أربعة آلاف فارس.ومن مقومات الاستعداد أخذ الحِذْر من العدو، ودوام اليقظة، والاحتراز من غدره وخيانته، في سائر الأوقات، وذلك كله يوهن من عزيمته، ويبطل كيده، ويعلي ميزان المسلمين عليه[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾[النساء: ٧١].

وحرص الخليفة الثالث عثمان بن عفان ـ ﵁ ـ أيضا على تحصين الثغور وصيانتها، وبناء الحصون وترميمها، وشحنها بالجنود، لأهميتها في حماية الدولة الإسلامية، فحين فتح المسلمون أرمينية رمم معاوية بن أبي سفيان كل الحصون وسكنها الجند، ومن بين تلك الحصون نذكر: سُميساط و قلطية[3]. وذلك استعدادا لأي مواجهة أو هجوم من طرف العدو وتحصين للجيش الإسلامي، فكان القادة يفقهون أهمية الحصون والربط في تأمين البلاد.

وكذا في فتح قاليقلا حيث حرص القائد حبيب بن مسلمة على جعل الجنود في هذه المدينة مرابطين[4]. وجعل سعيد بن العاص في طميسة[5]، سنة 30هـ، مرابطة من ألفي رجل[6].

وعليه فإن للرباط أهمية كبيرة في تحقيق النصر؛ فقد كان له دور كبير في استطلاع أحوال العدو ومراقبته، وحفظ الأمن أي مراقبة الطريق ومحاولة تأمينها من اللصوص، وغيرها من الفوائد. لذلك يجب على المسلمين إعداد كل ما يتاح من قوة ورباط الخيل لمواجهة الأعداء تبعا لمنهج الخلفاء في ذلك.

ومن بين الاستعدادات التي قام بها أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ ﵁ ـ للنجاح في الفتوحات، إنشاء مسالح في الثغور وأطراف الدولة وحدودها مع الروم والفرس، خاصة الحدود البحرية والجزر التي تم فتحها[7]، فلما فتح معاوية بن أبي سفيان ـ ﵁ ـ قبرص نقل إليها 12000 جندي سكنوا فيها وبنوا المساجد، وكان الهدف منها تأمين حدود الدولة من الغارات والهجومات المباغتة.

---

(1)**ينظر**: **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،376/3.

(2)**النظم القرآني في آيات الجهاد**، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الحنين،ص25.26.

(3)**ينظر**: **فتوح البلدان**، أبي العباس بن أحمد بن يحي بن جابر البلاذري،ص: 188.

(4) **ينظر**: **المصدر نفسه**، ص: 188.

(5)**طميسة**: بلدة من سهول طبرستان، وهي آخر حدود طبرستان من ناحية خرسان وجرجان، **ينظر**: **معجم البلدان**، الياقوت الحموي، 41/4.

(6)**ينظر**: **المصدر نفسه**، 41/4.

(7) **ينظر**: **عثمان بن عفان الحيي السخي ذو النورين**، عبد الستار الشيخ، دمشق،دار القلم، ط1، 2014م، ص: 341.

وأمر الخليفة عثمان ـ ﷺ ـ والي مصر عبد الله بن سعد أبي سرح بأن يُلزم ثغر الإسكندرية رابطة لا تفارقها، ويموِّلهم ويجل التناوب بين الجنود كل ستة أشهر(1).

وقد اختيرت العواصم الكبرى بأن تكون هي المركز الرئيسي للمسالح والمعسكرات وهي معسكر الشام تمثل في دمشق وحمص، ومعسكر العراق تمثلت في الكوفة والبصرة، ومعسكر مصر تمثل في الفسطاط(2).

وعلى هذا فإن الأمة في عصر الخلافة الراشدة كانت كلها مقاتلة حين تدعى إلى الجهاد، حيث كان كل من استطاع حمل السلاح يهبُّ للانخراط في الحملة العسكرية، واعتمدت جيوش الفتح على المتطوعين الذين كانوا يتدربون بأنفسهم على السباحة والرماية والمبارزة والفروسية استعدادا للجهاد.

الفرع الثاني: الإنفاق في سبيل الله

لما كان إعداد العدة يتطلب أموالا، وكان النظام الإسلامي كله يقوم على أساس التكافل؛ فقد اقترنت الدعوة إلى الاستعداد للقتال بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله، فالمال عصب الحياة ووقود الحروب، وضرورة من ضروراته، وهو الطريق إلى امتلاك القوة المادية. فهو أحد وسائل الإعداد التي لا يتحقق النصر إلا بها.

ولهذا نجد أن الله عز وجل ختم به الآية التي فيها الأمر بإعداد القوة قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾[الأنفال: ٦٠]

قال الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾، « أي وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة في شراء آلة حرب: من سلاح، أو حراب، أو كراع، أو غير ذلك من النفقات؛ في جهاد أعداء الله من المشركين، يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويدّخر لكم أجوركم على ذلك عنده، حتى يوفيكموها يوم القيامة» (3).

بمعنى أن فيها حث على النفقة في سبيل الله، من جهاد وغيره، وكان الصحابة يحمل الواحد منهم، الجماعة على الخيل والإبل، وقد جهز عثمان ﷺ جيش العسرة بألف دينار (4). وحمل ﷺ على تسعمائة بعير ومائة فرس(5).

(1) **فتوح البلدان**، البلاذري، ص: 208، **ينظر**: **فتوح مصر**، ابن الحكم، ص: 220.

(2) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 246/4.

(3) **جامع البيان**، الطبري، 342/10.

(4) **ينظر**: **المستدرك**، كتاب (معرفة الصحابة)، باب (فضائل عثمان)، حديث رقم: 4553. **ينظر**: **البحر المحيط**، ابن حيان الأندلسي، 509/4.

(5) **الرحيق المختوم**، بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، صفي الرحمن المباركفوري، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2007م، 433. **ينظر**: **تاريخ ابن خلدون**، ابن خلدون، 465/2.

وروى الامام أحمد في مسند وفي الفضائل بسند حسن عن عبد الرحمن بن سمرة قال: «**جاء عثمان بن عفان . ﷺ . إلى النبي بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي جيش العسرة، فصبها في حجر النبي ، فجعل النبي يقلبها بيده ويقول: ماضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم**» يرددها مرارا[1].

وروى الامام أحمد والطيالسي في مسندهما بسند حسن بالشواهد عن عبد الرحمن بن خباب السلمي قال: «**خطب رسول اللهﷺ فحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان . ﷺ . فقال: علي مئة بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم حث رسول اللهﷺ ثانية، فقام عثمان بن عفان . ﷺ . فقال: علي مئة أخرى بأحلاسها وأتابها، ثم حث النبيﷺ ثالثة، فقالم عثمان بن عفان . ﷺ . فقال: علي مئة أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال عبد الرحمن بن خباب: فرأيت رسول اللهﷺ ينزل على المنبر وهو يقول: « ما على عثمان ما عمل بعد هذا**» مرتين أو ثلاثا.[2].

ويدخل في الإنفاق في سبيل الله: بناء المعاهد والمدارس العسكرية والتدريب وإعداد البحوث والخطط... وكل ما من شأنه تقوية الجانب العسكري[3]. وهذا ما تم ذكره في إعداد القوة.

وفي غزوة تبوك أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالنفقة في سبيل الله والحسبة؛ فأنفقوا احتسابا، وأنفق رجال غيرُ محتسبين... وأفضل ما تصدق به يومئذ: عبد الرحمن بن عوف . ﷺ .، تصدق بمائتي أُوقية[4].

وروى الامام ابن جرير الطبري في تفسيره بسند خسن عن أبي سلمة عن أبيه قال: أن رسول اللهﷺ قال:«**تصدقوا، فإني أريد أن أبعث بعثا، قال: فقال عبد الرحمن بن عوف ﷺ: يارسول الله ﷺإن عندي أربعة آلاف: ألفين أفرضهما لله، وألفين لعيالي، فقال رسول الله ﷺ:« بارك الله لك فيما أعطيت، وبارك لك فيما أمسكت**»[5].

وتصدق عمر بن الخطاب . ﷺ . بمائة أوقية، وتصدق عاصم الأنصاري . ﷺ . بتسعين وسقا[6] من تمر [7].

---

(1) **أخرجه الامام أحمد في مسنده،** حديث رقم: 20630، وأخرجه في فضائل الصحابة، حديث رقم: 738..

(2) **أخرجه الامام أحمد في مسنده،** حديث رقم: 122292، **والطيالسي في مسنده،** حديث رقم: 1385.

(3) **ينظر: سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم،** حسن بن الصالح السيد، ص: 275.

(4) بمأتي أوقية: 8000 درهم والأوقية اسم لأربعين درهما: ينظر: **شرح حياة الصحابة ﷺ،** مُحَّد يوسف الكاندهلوي، باب الجهاد، تح: مُحَّد الياس البادة بنكوي، دمشق، دار ابن كثير، ط5، 2000م، 651/1.

(5) **أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره،** 431/6

(6)**الوسق:** ستون صاعا: وهو ثلاث مائة وعشرون رطلا عند أهل الحجاز وأربع مائة وثمانون رطلا عند أهل العراق ، على اختلافهم في مقدار الصاع والمد، : **ينظر: شرح حياة الصحابة ﷺ،** الهلوي، 1/ 651.

(7) **شرح حياة الصحابة ﷺ،** مُحَّد يوسف الكاندهلوي، ،650/1. 651.

قال رسول ﷺ: «**من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا**»[(1)].

هذه سنة من سنن النصر ثابتة لا تتبدل ولا تتحول، فالمنفقون في سبيل الله يعوض لهم ويوفى إليهم ويجزون عليه في الدنيا والآخرة، فلا شك أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى الدعم المادي سواء في السلم أو في الحرب، لذا كانت الفتوحات الإسلامية بحاجة إلى هذا الدعم، وكان خير مثال لهم في ذلك عمل النبي ﷺ وحث أصحابه على الإنفاق في سبيل الله.

والإنفاق سبب من أسباب التفوق وبقاء الأمم، بدونه لا تدفع عن نفسها، ولا تقوى في جهادها، وقد قرنه الله تعالى في آيات كثيرة بالجهاد بالنفس، فهو شقيقها، وقدمه عليه تارة وأخره عنه أخرى، حسب طبيعة الموقف ومن ذلك قوله تعالى:﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[التوبة: ٤١]

أي ابذلوا جهدكم في ذلك، واستفرغوا وسعكم في المال والنفس، وفي هذا دليل على أنه كما يجب الجهاد بالنفس، يجب الجهاد بالمال، متى اقتضت الحاجة، ودعت لذلك[(2)].وفي ذلك دعوة لكل الناس للنفرة والجهاد بالنفس والمال، خفافا وثقالا، كل حسب قدرته.

وقد رغب الله سبحانه وتعالى في الجهاد بالمال والنفس، فجعلها في صورة التجارة مع الله بقوله:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١﴾[الصف: ١٠ – ١٣]

وقد قدم الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم النفقة بالمال على النفقة بالنفس في قوله عز وجل: ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[الحجرات: ١٥]

ودعا عز وجل إلى الإنفاق في سبيل الله وعبر عنه بصورة القرض كما في قوله تعالى:﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٢٤٤ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[البقرة: ٢٤٤ – ٢٤٥].

ويؤكد صاحب المنار أن الإنفاق في سبيل الله لابد منه فيقول:« إنّ الإنفاق في سبيل الله من آيات الإيمان وشعبه اللازمة له على الإطلاق، الذي يشعر أن على المؤمن أن ينفق كل ما يملك في سبيل الله، وقد

---

(1) **أخرجه البخاري** ، كتاب (الجهاد والسير) باب (فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير)، حديث رقم:2843، ص: 385.

(2)**ينظر**:**تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان،** عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الرحمن بن علا اللويحق، الرياض، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ، 2000م، ص:338.

قضت الحكمة بهذا الإطلاق في أول الإسلام وبمدح الإيثار على النفس؛ لأن المسلمين كانوا فئة قليلة في أمم وشعوب وقبائل تناصبهم العداوة وتبذل في ذلك الأموال والأرواح، فإذا لم يتحدوا حتى يكونوا كشخص واحد، ويبذل كل واحد ما بيده لمصلحتهم العامَّة، لا تستقيم لهم حال ولا تقوم لهم قائمة وهذه هي السّنَّة العامَّة في كل دين عند ابتداء ظهوره وأول نشأته» (1).

ما يفسر أنه في بداية نشأة كل دولة تكون بحاجة إلى المال لتقوية شوكتها، لذا يجب أن يكونوا كالبنيان المرصوص خاصة في الإنفاق في سبيل الله عز وجل.

ولنا خير مثال في ذلك صحابة رسول اللهﷺ، فأبو بكر الصديق . ﷺ . في بداية تأسيس الدولة بذل كل ماله؛ فحين هاجر النبيﷺ إلى المدينة «وخرج أبو بكر بماله كله، وهو فيما قيل: خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم» (2).

وهذا عمر بن الخطاب يحاول أن يسبق الصديق . رضي الله عنهما . في البذل والإنفاق في سبيل الله فيقول: « **أَمرنا رسول اللهﷺ أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ:« ما أبقيت لأهلك؟». قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال:« يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟». قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبدا».** (3)

فهذه الأمثلة وغيرها من النماذج التي تنفق في سبيل الله عز وجل، وهكذا علمهم رسول الله ﷺ، فأدركوا أهمية المال ودوره في تبليغ دعوة الله عز وجل، وها هو عبد الله بن عمر(4) بن الخطاب . رضي الله عنهما. كلما سمع آية تدعو إلى الإنفاق في سبيل الله، إلا وبادر في تطبيقها، عن نافع قال: « عن ابن عمر أنه كان لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج منه لله عز وجل، قال: وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفا»(5).

---

(1)**تفسير القران الحكيم، تفسير المنار**، مُحَّد رشيد رضا، 337،336/2.

(2) **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، أبو الفتح مُحَّد بن مُحَّد بن السيد اليعموري، ، تح: مُحَّد العيد الخطراوي ومحي الدين متو، بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1992م، 203/1.

(3) **أخرجه الترمذي**، (كتاب المناقب)، أبواب(المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب أبي بكر ﷺ،)حديث رقم: 3684.**وأبوداود** في سننه، كتاب(الزكاة،) باب(في الرخصة في ذلك) حديث رقم: 1678.

(4)**عبد الله بن عمر** بن الخطاب، ولد سنة ثلاث من البعثة النبوية، أسلم مع أبيه وعمره لا يزيد عن ثلاثة عشر سنة، شارك في غزوة الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة، كان مولعا برسول اللهﷺ يتتبعه في كل خطواته سواء في المسجد أو الطريق، توفي وعمره سبعا وثمانين سنة، **ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، 181/4.

(5) **صفة الصفوة**، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، خرج أحاديثه: مُحَّد بن عيادي ابن عبد الحكيم، وأحمد بن شعبان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2003م،، 220/1.

ويؤكد مُحَّد عبده أنه بعدما تتمكن الدولة من تحصين نفسها، يمكن أن نقيد ذلك الإنفاق :« ثم بعد أن تعتزَّ الملة وتكثُر الأمة، ويصير يكفي لحفظ مصلحتها ما يبذله كل ذي غنًى من بعض ماله، ويَفْرُغَ الجُمهور للأعمال الخاصَّة بحيث يتمكن ذو العمل أن يُفيضَ مِنْ كسبه على أهله وولده، بعد أن كان مُستغرقا في السعي لتعزيز دينه ووقايته من المحو والزوال، بعد هذا كله تختلف الحال فلا يسهل على كل واحد أن يؤثر كل مُحتاج على نفسه وأهله وولده؛ ولذلك توجَّهت النُّفوس بعد استقرار الإسلام إلى تقييد تلك الإطلاقات في الإنفاق، فسألوا ماذا ينفقون؟ فأُجيبوا بأن يُنفقوا العفو، وهو الفضل والزّيادة عن الحاجة، وعليه الأكثر، وقال بعضهم: إنَّ العفو نَقيضُ الجهد؛ أي: يُنفقون ما سهل عليهم وتيَسَّر لهم ممَّا يكون فاضلا عن حاجتهم وحاجة من يَعُولونَ» (1) .

يشير صاحب المنار إلى أن بذل المال بغية استمرار الأمة وبقائها لا بد منه، لكن فرق بين وقت التأسيس والبناء، ووقت العُلو والاكتفاء، فينفق المال حسب الظروف، لذا يمكن تقديم بذل المال على النفس لأهميته في ظرف ما.

وينقل صاحب المنار عن شيخه في بذل المال وقوة الأمة به والمقارنة بين الأمة القليلة المنفقة والكثيرة الكانزة، بقوله:«... إن الأمة المؤلفة من مليون واحد إذا كانت تبذل من فضل مالها في مصالحها العامة، كإعداد القوة وتربية النابتة على ما يؤهلها لاستعمالها ويُقرر الفضيلة في أنفسها تكون أعزَّ وأقوى من أُمة مؤلفة من مائة مليون لا يبذلون شيئا من فُضُول أموالهم في مثل ذلك؛ ذلك بأن الواحد من الأمة الأولى يُعد بأمة، لأن أمته عون له تُعده جزءا منها ويُعدها كلاًّ له؛ والأمة الثانية كلها لا تعدُ بواحد، لأن كل جزء من أجزائها أي أفرادها يخذل الآخر، ويرى أن حياته بموته فيكون كل واحد منها في حكم الميت ... وإنه لم تنهض أمة ولا ملة إلا بمثل هذا التعاون، وهو مساعدة الغني للفقير، وإعانة القوي للضعيف، وبذل المال، والعناية في حفظ المصلحة العامة، بهذا ظهر القليل على الكثير وكانت لهم السيادة، وبترك هذا انحلت الأمم الكبيرة وفقدت الملك والسعادة» (2).

وفي قوله تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾[النساء: ٧٧]

(1)**تفسير القران الحكيم، تفسير المنار**، مُحَّد رشيد رضا، /337،336.

(2)**تفسير القران الحكيم، تفسير المنار**، مُحَّد رشيد رضا ،2/ 338.

بعد تبين دور الصلاة والزكاة في تهيئة النفوس لمرحلة الجهاد، جاء توضيح الإنفاق والبذل على أنه عامل أساسي في أداء رسالة الجهاد، فعندما لم تتوفر الظروف المواتية للشروع فيه؛ كان الأمر بأداء الزكاة، ويؤكد منزلة الإنفاق إزاء الجهاد خاتمة الآية[1].

حيث يقول تعالى:﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾[النساء: ٧٧]

فمتاع الدنيا الذي تتردد في إنفاقه، وتتوقف عن الجهاد من أجل الدنيا فهو زائل، مقابل نعيم الآخرة الكثير الدائم.

وقد حذر الله سبحانه وتعالى بالخروج في سبيل الله دون النفقة وبذل المال؛ لأن ذلك يؤدي إلى التهلكة جاء في قوله تعالى:﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة: ١٩٥]

وسبيل الله أي: « طريقه الذي أمر أن يسلك فيه إلى عدوه من المشركين لجهادهم وحربهم»[2]،أي أنفقوا في سبيل الله، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، فتخرجوا في سبيل الله بغير نفقة وقوة. قال ابن زيد: «إذا لم يكن عندك ما تنفق فلا تخرج بنفسك بغير نفقة ولا قوة فتلقي بيدك إلى التهلكة»[3].

ويبين مُحَمَّد عبده أثر المال في الدفع عن الحق والذود عن حياضه، وحاجة الأمة إلى تعاون الأفراد في ذلك حتى تقوى بهم وتعز بدفعهم ومساندتهم بأن: « القتال للدفاع عن الحق أو لحماية الحقيقة يتوقف على بذل المال لتجهيز المقاتلة ولغير ذلك، ... لذا قرن الله تعالى الأمر بالقتال، بالحثّ على بذل المال، فالمرادُ بالبذل هُنا ما يُعينُ على القتال، وما هو بمعناه من كل ما يُعلي شأن الدين، ويصون الأمة ويمنعها من عُدوان العادين، ويرفَعُ مكانتها في العالمين»[4].

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ :« إنّ ناساً يأخذون من هذا المال، يجاهدون في سبيل الله، ثم يُخالفون ولا يجاهدون، فمن فعل ذلك منهم فنحن أحقُ بماله، حتى نأخذ منه ما أخذ» [5].

وفي معنى الآية السابقة من سورة البقرة، يقول الشيخ الغزالي: « هنا يذكر القرآن الكريم معنى آخر للإحسان، فالأمم لا تخدم رسالتها بالبخل وكراهية الإنفاق في سبيل الله، والحروب قديما وحديثا تتطلب مالا

(1) **ينظر: (الإنفاق ونظائره في القرآن الكريم دراسة موضوعية)**، عبد الله سليمان مصطفى أبو تيلخ، (رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2006م)، ص: 81.

(2)**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بن جرير الطبري، 240/2.

(3)**المصدر نفسه**، 243/2.

(4) **تفسير القران الحكيم، تفسير المنار**، مُحَمَّد رشيد رضا، 462/2.

(5)**علقه البخاري قبل الحديث** 2970، وأخرجه في التاريخ الكبير: 365364/6، ووصله ابن أبي شيبة:608/7، وصححه الحافظ في الفتح: 542/7.

كثيرا... والعرب والمسلمون مكلفون بمعرفة هذه الحقيقة، ولن يسلم لهم دينهم وتبقى لهم بلادهم ، إلا إذا توسعوا في الإنفاق الحربي»[1].

وقد ذُكر حُكم هذا الإنفاق في سبيل الله بعبارة تستفزُّ النفوس، وأُسلوب يُحفز الهمم، ويبسطُ الأكف بالكرم فقال تعالى:﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[البقرة: ٢٤٥]، فهذه العبارة أبلغ من الأمر المجرد [2].

وجاء في تفسير الطبري لهذه الآية قوله: «من هذا الذي ينفق في سبيل الله، فيعين مضعفا، أو يقوي ذا فاقة أراد الجهاد في سبيل الله، ويعطي منهم مقترا، وذلك هو القرض الحسن الذي يقرض العبد ربه»[3].

إنّ الحث على الإنفاق في هذه الآية يُرادُ به الإنفاق في المصلحة العامة، لا مواساة الفقير، فكأنه أراد أن يبين صحّة التّعبير في نفسه حيثُما ورد وإن استعمل في مقام آخر، كقوله تعالى:﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[التغابن: ١٧]

ودخل فيما ذكره بعض المصالح العامة، وهو ينطبق على سائرها،فإن القتال لحماية الدين وتأمين دعوته وللدفاع عن الأنفس والبلاد هو من سُنن الله تعالى في الاجتماع البشري، والإنفاق فيه يصحُ أن يسمى إقراضا لله تعالى باعتبار إقامة سنته به على وجه الحق الذي يُرضيه جلَّ شأنُهُ[4].

ومن التفسير المأثور في الآية ما رواه ابن حاتم عن عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ: « القرض الحسن المجاهدة والإنفاق في سبيل الله»[5].

ويؤكد صاحب المنار على أهمية الإنفاق في سبيل الله وقت الحرب فيقول: « لو سرنا في الأرض وسَبَّرنا أحوال الأمم الحاضرة وعرفنا تاريخ الأمم الغابرة لرأينا كيفَ ماتت الأممُ التي قصَّرتْ في هذه الفريضة أو استُعبدت، وكيف عزَّت الأمم التي شمَّرت فيها وسعدَت، وهذه المضاعفة الدُنيوية تكونُ لكُلّ أمَّة أقامت هذه السّنّة الإلهية في حفظ بيضتها، وإعزاز سُلطانها،سواء أكان المنفقون فيها يبتغون الأجر عند الله تعالى أم لا، وإنها لَمضاعفة كثيرة لا يُمكنُ تحديدُها، فما أجهل الأمم الغافلة عنها وعن حال أهلها إذْ يرونَ أهلها قد ورثُوا الأرضَ وسادُوا الشُّعُوب فيتمنون لو كانوا مثلَهُم، ولا يَدرُون كيفَ يكون كذلك»[6].

(1)**إحياء علوم الدين**، مُحَّد بن مُحَّد الغزالي، بيروت، دار الخير، (د،ط) 1994م،387/1.

(2) **تفسير القران الحكيم، تفسير المنار**، مُحَّد رشيد رضا، 463/2.

(3)**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بن جرير الطبري، 707/2.

(4)**ينظر:تفسير القران الحكيم، تفسير المنار**، مُحَّد رشيد رضا ،465/2 ـ 466

(5)**المصدر نفسه**، 468/2

(6)**تفسير القران الحكيم، تفسير المنار**، مُحَّد رشيد رضا، 468/2.

ومن الآيات الحاثة على الإنفاق في سبيل الله ما جاء في قوله تعالى:﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾[الحديد: ١٠].جاء في تفسيره الطبري النفقة: قصد بها النفقة في جهاد المشركين[1]، يعني من بذل في نصرة الدين.

فنجد في القرآن الكريم آيات كثيرة تشجع المسلمين على النفقة، واشترط القرآن على أولئك المنفقين من أموالهم في سبيل الله، أن يكون ذلك من أحب الأموال إليهم وأجودها، ورباهم القرآن على أن المال، مال الله، وأن الرزق الذي في أيدي الواحد منهم هو رزق الله.

المطلب الثاني: الكفاءة العسكرية

تعتبر القيادة الواعية سبب رئيس من أسباب النصر لا سيما إذا توافرت لديها الخصائص الوهبية والكسبية المعينة على ذلك، ونجد في القرآن الكريم أن أهم خصائص القيادة الواعية المدربة في ميدان القتال والمنازلة يتمثل في مؤهلين اثنين وهما:

أولا: القوة العقلية والجسمية، لقوله تعالى:﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾[البقرة: ٢٤٧]

فالآية الكريمة تبين أن سياسة أمر الأمة ترجع إلى صفتين: أصالة الرأي وقوة البدن؛ لأنه بالرأي يهتدي صاحبه لمصالح الأمة، لاسيما في وقت المضائق وعند تعذر الاستشارة، وبالقوة يستطيع الثبات في مواقع القتال فيكون بثباته ثبات نفوس الجيش، وقد قُدم العلم في الآية على القوة، لأن وقعه أعظم، والمقصود بالعلم هنا هو علم تدبير الحرب وسياسة الأمة، وببسطة الجسم الصحة وكمال القوى المستلزم ذلك لصحة الفكر، وللشجاعة والقدرة على المدافعة والهيبة والوقار[2].

والقوة العقلية تتمثل في العلم ويقول بشأن العلم صاحب المنار :« ومن بين العلوم التي يجب معرفتها في الحروب علم تقويم البلدان ليعد الدعاة لكل بلاد منها عدتها إذا أرادوا السفر إليها وقد كان الصحابة ﷺ أعلم أهل زمانهم بالتاريخ وما يسمى الآن بتقويم البلدان وبالجغرافيا، ولذلك أقدموا على الفتوح ومحاربة الأمم فانتصروا عليهم بالعلم لا بالجهل، فلو كانوا يجهلون مسالك بلادهم وطرقها ومواقع المياه وما

(1)**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بن جرير الطبري ،256/15.

(2)**ينظر:التفسير الكبير**، الرازي، 148.147/6.

يصلح موقعا للقتال فيها لهلكوا وكان الجهل أول أسباب هلاكهم، ومن قرأ ما حفظ من خطبهم وكتبهم التي كانوا يتراسلون بها ومحاوراتهم في تدبير الأعمال يظهر له ذلك بأجلى بيان»[1].

ثانيا: المؤهل الثاني للقيادة الواعية المدربة: المشاركة والمشاورة من أهم أسباب نجاح القيادة خاصة في الجانب العسكري المتمثل في الجهاد أي الفتوحات الإسلامية، أن يشارك القائد جنده الحرب والقتال، ويستشير ذوي الرأي والخبرة منهم في أمور تدبير الحرب والمناورة، وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بالمشاورة في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۝١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ونجد في رسول الله ﷺ النموذج المثالي الذي اعتبر القيادة أمرا ضروريا، فكان من بين الدعائم الأساسية في الحرب اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب، واستطاع النبي ﷺ بهذه الدعامة أن يجعل الفرد المسلم يعتمد على قدرته وإيمانه، ويجعل المجتمع المسلم يثق بعدل القيادة وترفعها عن التحيز والأهواء[2]، وبهذا أصبح الجندي المسلم المؤمن بعقيدته واثقا بقيادته الأمينة، وهذه الثقة من شأنها إحراز النصر والتفوق.

فسنسعى في هذا المطلب البحث عن أهم ما تميز به قادة الفتح في عهد الامتداد ـ عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ فقد حملا الأمة على منهج الله وتطبيق شريعة الله، وما يؤكد ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أول خطبة له بعد مبايعته خليفة على المسلمين: « وإنما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقود، وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق»[3].

فهذه إشارة منه ـ رضي الله عنه ـ أن القائد هو الأساس فهو الذي يسير أمر رعيته إن كان حاكما؛ وهو الذي يسير جيشه إن كان محاربا.

وعليه سنحاول تتبع مسيرة الفتوحات في تلك الفترة ومعرفة دور القادة في ذلك، وما مدى نجاح وامتداد الفتوحات الإسلامية بفضل القيادة الرشيدة؟

الفرع الأول: الخبرة والتخطيط الاستراتيجي

كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بمثابة القائد الأعلى للجيش، ومن المعروف أن أهم المبادئ التي اتبعها عمر في سياسة الدولة: مركزية القرار، حيث كان يعين القادة وأعوانهم، ويوصيهم ويوجههم ويسير الجيوش ويدعمهم بالإمداد، ويرسم الخطط، ويسير البريد، ويتابع الفتوحات، ويتلقى الأخبار، ويكتب إليهم ويأمرهم أن يكتبوا إليه بكل شيء، ليشير عليهم برأيه، ومن ذلك كتابه إلى سعد بن أبي وقاص:« واكتب إليّ بجميع أحوالكم وتفاصيلها ... واجعلني بكتبك إليَّ كأني أنظر إليكم، واجعلني من أمركم على الجَلِيَّة»[4].

---

(1)**تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار**، محمد رشيد رضا،40/4.

(2) **أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية**، ناصر محمَّدي محمَّد جاد، الرياض، دار الميمان، ط1، 2011م، ص:91

(3) **ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،433/3.

(4) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،3/ 491.

فكان الخليفة المسؤول الأول عن الخطط بما في ذلك إعداد الخطط من الناحية العسكرية وإصدار الوصايا أو الأوامر لتنفيذها، وإمداد جيوشه بالإمدادات من الرجال والمعدات، وتزويد الجيوش بالأمور الإدارية ومراقبة وصول تلك المواد، والعمل على رفع معنويات رجاله، وكذا اختيار القادة القادرين على تنفيذ أوامره نصا وروحا.

يقول اللواء محمود خطاب شيت: « إذا كانت أسباب الفتح الإسلامي كثيرة فإن على رأس تلك الأسباب ما كان يتمتع به عمر من سجايا قيادية فذة لا تتكرر في غيره على مر السنين... هذه السجايا الشخصية لقيادة الفاروق، كان لها الأثر الحاسم على اندفاع المسلمين شرقا وغربا »(1).

ويؤكد الدكتور (عماد الدين خليل) هذا الأمر حينما يتساءل ويقول: «لماذا عبر هذا المدى الزمني القصير نسبيا تحققت ظاهرة الفتح مرتين وتوقفت مرتين ؟ »، ثم يجيب بقوله: « أنه إزاء الإنجازات التاريخية الكبرى، يكمن دائما في وحدة الأمة ووحدة قيادتها في تجمع طاقاتها في مرحلة من مراحل التاريخ، وقدرتها على صنع الإنجاز الكبير»(2).

ومما يدل على أن القيادة الواعية سبب انتصار المسلمين الأمثلة التالية في القادة الذين كانوا النموذج الذي يحتذى به في معنى القيادة والمسؤولية والخبرة والتخطيط:

بداية بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني في معركة بابل (ربيع الأول سنة13هـ/ أيار 634)بالعراق. بعث شهربراز بن اردشير وهو حاكم الفرس آنذاك، بجيش من عشرة آلاف مقاتل بقيادة هرمز جاذويه، لقتال المثنى. فقام المثنى بتعبئة جيشه في الحيرة وقد وصل عدده إلى قرابة تسعة آلاف مقاتل، كتب هرمز جاذويه إلى المثنى رسالة تظهر استخفافه بالمسلمين جاء فيها: «إني قد بعثت إليك جنداً من وخش . أراذل . أهل فارس، إنما هم أهل الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلا بهم»، فردّ المثنّى برسالة قال فيها: « الحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير»(3).

فقد حاول قائد الفرس إحباط معنويات جيش المسلمين بأنهم سيقاتلون أراذل أهل فارس وسيتغلبون عليهم، لكن فقه قائد جيش المسلمين وإدراكه بأنها حرب نفسية جعله يرد عليه ردا مفحما.

ثم التقى الجيشان قرب بابل، شرق نهر الفرات، وتمكن المسلمون من التغلب على الفرس، بعدما تمكن المثنى من القضاء على الفيل الذي هو مصدر قوة الفرس الذي أرهب المسلمين، وهذا الانهزام كان أثره سيء على البلاط الكسروي، وعادت أزمة الملك من جديد للفرس، فاستغل المثنى الفرصة وتوجه إلى المدينة لطلب العون بالمدد من الخليفة(4).

---

(1)**الفاروق القائد، قادة الفتح الإسلامي**، محمود شيت خطاب، بغداد، مطبعة العاني،ط1، 1965م،ص:10.

(2) **حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي**، عماد الدين خليل، بيروت، دار ابن كثير، ط1، 2005، ص: 96.

(3) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير،262/2.

(4) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير ، 263/2.

فللقيادة الرشيدة دور بارز في التمكن من هزيمة العدو، فها هو المثنى بن حارثة ﷺ يثبت ذلك من خلال رده على استخفاف قائد الفرس ولم يعبأ لكلامه، وأيضا علمه بمصدر قوة الفرس المتمثلة في الفيل ومحاولة القضاء عليه ليتمكن من الانتصار عليهم وهو ما حدث فعلا.

وفي معركة أُليس الصغرى شعبان (13هـ/ تشرين أول 634م) اضطر بهمن جاذويه بعد حدوث فتنة في البلاط الفارسي أن يغادر في تجريدة فرسان إلى المدائن حاملا معه انتصارا غالياً، ولما سمع بذلك المثنى بن حارثة الشيباني أراد استغلال الفرصة لرفع معنويات جيشه بعد معركة الجسر التي هزم فيها، فسلم القيادة لعاصم بن عمرو، وبادر بشن غارة سريعة على الفرس وأسر من خلالها جابان، أحد قادة الفرس مع عدد من جيشه فقطع أعناقهم جميعا[1].

يتبن من هذا الموقف فطنة القائد المثنى في استغلال الفرصة المواتية للثأرلهزيمة موقعة الجسر، واستغلال الفرص من سنن الله في النصر، لأن العدو يكون في حالة غفلة وغير مستعد للمواجهة؛ ما يتيح فرصة أكبر للنصر، وهذا ما فعله المثنى بن حارثة الشيباني.

ولنا مثال آخر في معركة السقاطية[2] بقيادة أبي عبيدة مسعود الثقفي، فقد أراد الفرس أن ينتقموا لهزيمة النمارق، فتوجه من نجا منهم إلى كسكر، بين دجلة والفرات، لينضم إلى جيش نرسي قائد الفرس، لكن خيالة المسلمين بقيادة المثنى لم تمهلهم، فأغارت عليهم، فأخرج رستم مددا جديدا لنرسي بقيادة جالينوس، وكان نرسي يناور ويتمهل حتى يصل المدد له، ولكن أبا عبيد زحف بسرعة نحو المنطقة، وعاجله والتقى بنرسي في السقاطية، فهزمهم بعد هزيمتهم في كسكر عبر المثنى، وانتصر عليهم.

توجه أبو عُبيد بعد النمارق إلى نرسيبكسكر، والمثنى بن حارثة في تعبئته التي قاتل فيها جابان، وقد أتى خبر هزيمة جابان، فأرسل له المدد، إلا أن أبا عبيد باغتهم، والتقوا في السقاطية، فاقتتلوا في صحارى مُلسْ، فهُزمت الفرس[3]. وبهذا يظهر لنا تخطيط واستغلال الفرص من القائد بطريقة ذكية ما جعلهم ينتصرون على الفرس.

وفي معارك وفتوح الطريق إلى المدائن: (صفر16هـ/آذار637)جهز سعد بن أبي وقاص جيشه كله من الفرسان وأعطى قيادته إلى زهرة بن الجوية، فسار نحو بُرس جنوب بابل، ثم أتبعه بباقي الجيش كان سعد في آخرها، وتمت بعد ذلك مواجهة الفرس والتغلب عليهم وتمكن المسلمون من فتح بُرس[4].

---

(1) **ينظر: المصدر نفسه**،288/2. وينظر: **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،355/3.

(2)**السقاطية**: ناحية بكسكر من أرض واسط وقع عندها أبو عبيد الثقفي بالنرسيان صاحب جيوش الفرس فهزمه شر هزيمة، **ينظر: معجم البلدان**، الحموي، 226/3.

(3)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،451/3.

(4)**ينظر: المصدر نفسه** ، 5/4.

ثم استمر المسلمون في تقدمهم نحو بابل وانتظر زُهرة حتى يكتمل الجيش، وبعدها عينه سعد بن أبي وقاص من جديد لقيادة الجيش؛ إلا أن العدو كان أضعف من المواجهة، فانهزمت جموعه بعد مناوشة خفيفة وتفرّقت[1].

وكذلك تمكن جيش المسلمين وبنفس القائد من فتح كوثي جنوب المدائن. ثم تحرك المسلمون نحو بَهُرَسير على نهر دجلة جهة الغرب وفي مدينةساباط[2]. التقى الجيشان وتمكن زُهرة من القضاء عليه، ولما وصل إلى بهُرسير تمت محاصرتها لمدة شهرين وقصفوها بالمنجنيق حتى استسلمت بعدما هرب ملكها ودخلها سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -[3].

وكانت معبر إلى المدائن التي يفصل بينهما نهر دجلة، وكان هذا الحدث في فصل الشتاء مما يعني أن نهر دجلة كان في حالة فيضان، فمنع ذلك عبور جيش المسلمين؛ مما أتاح الفرصة ليزدجرد فأمر بقطع كل الجسور على دجلة وسحب كل السفن وجعلها في الضفة المواجهة للمسلمين.

أشار بعض الفرس على سعد على مخاضة يخوض منها دجلة بيسر[4]، لكنه ظل حذرا.رغم تصريح الفرس بأن هناك معبر آخر يسير؛ إلا أنه لم يأمن كلام الفرس ونصيحتهم خوفا على جيش المسلمين ولم يرد المخاطرة بهم.

فمن مواصفات القائد عدم تصديق كل ما يقال، وخاصة من العدو، حتى وإن أظهر استسلامه، فالحرب خدعة؛ لذا بقي حذرا ولم يسمع كلامهم، وقرر أخذ الطريق الأصعب أأمن له من طريق سهل لا يعرف عاقبة أمره. فالحذر يعتبر من الأخذ بالأسباب التي يجب الالتزام بها في السلم والحرب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾[النساء: ٧١].

فما قام به القائد سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - كان اتباعا لأفعال الرسول ﷺ حيث كان في غزواته يسلك الطريق المعاكس؛ وذلك تفاديا للقاء قبل تجهيز أنفسهم أو الغدر من طرف العدو، لذا فتتبع منهج فعل النبي ﷺ والأخذ بالأسباب سبب من أسباب النصر، إذ الحذر صفة لابد أن يتحلى بها المؤمن.

ثم جعل عبور النهر طوعاً لمن أراد من المسلمين، فانبرى عاصم بن عمرو لتشكيل كتيبة العبور على ظهور الخيل من ستمائة فارس وعرفت بكتيبة الأهوال[5].

---

(1)**ينظر**: **المصدر نفسه**، 10.5/4.

(2)**ساباط كسرى**: بالمدائن موضع معروف، وبالعجمية بلاس أباذ، وقيل : إنما سمي ساباط نسبة الى ساباط بن باطة الذي لقي العرب في جمع من أهل المدائن، **ينظر**: **معجم البلدان**، الحموي، 166/3.

(3) **ينظر**: **المصدر السابق**،10/4.

(4) **ينظر**: **المصدر نفسه**، الطبري 4،/09.

(5) **ينظر**: **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،4/ 9.11.

فنزل الفرس إلى الشاطئ دجلة قبالتهم وخاضوا معركة نهرية مع كتيبة عاصم بالرماح والسيوف، وكان الالتحام شديدا ومتقاربا الأمر الذي عطّل فعالية الرمي بالنشاب. فأذن سعد للجيش باقتحام النهر مثنى، كل مسلم معه رفيق، وأمرهم أن يتحدثوا فيما بينهم حتى لا يخافوا مقدّما كتيبة الخرساء بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي، وهي كتيبة النخبة من أشداء الرجال، وقال لهم:« قولوا نستعين بالله، ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» [1].

وكان يقول كذلك: « حسبنا الله ونعم الوكيل !والله لينصرن الله وليه، وليظهرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات»[2]

فنجح في العبور دون خسائر، وفرّ الفرس إلى المدائن ليجدوا يزدجرد قد غادرها، مختبئا في جراب إلى حلوان، ناحية الشرق من دجلة.

يمكن القول إن قادة الجيش الإسلامي كانوا على وعي تام بسنن النصر والتمكين، وموقف سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ هذا يبرز ذلك في حث جنوده على الاستعانة بالله والتوكل عليه في بداية المعركة.

وتجدر الإشارة أن سعد بن أبي وقاص بقوله أن الله عز وجل سينصر دينه؛ إن لم يكن في الجيش ذنوبا أكثر من الحسنات، فهو بذلك فقيه بوعود الله المطلقة على صفات مخصوصة، أي أن الله جل جلاله وعد المؤمنين الذين يعملون الصالحات ولا يفسدون في الأرض بالنصر والتمكين والاستخلاف قال تعالى:﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[النور: ٥٥]

إن التوكل على الله جالب للنصر مع الأخذ بالأسباب، ومحاولة الابتعاد عن الذنوب وتجنبها، فهذا لا ريب أنه من مقومات النصر والتمكين، فكان كل قائد من قادة الفتح يؤكدون على هذا المبدأ ويلزمون الجنود بالحذر من الوقوع فيها لأنها تؤدي إلى الهلاك الجماعي، فالتخطيط لم يكن في الأمور المادية فقط وإنما حرص كل قائد على تكامل الأمور المعنوية مع الأمور المادية، فلابد من مزجهما مع بعض والالتزام بهما كي تكون النتيجة الحتمية لتتبع السنن والأخذ بها فعالة.

فلما وصل المسلمون إلى المدائن كانت خالية فصالحوا أهلها على الجزية، ثم انطلق سعد إلى إيوان كسرى درّة الديار الفارسية، ودعا الناس للصلاة وهو يقرأ قوله تعالى:﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾[الدخان: ٢٥ – ٢٨]

(1)**المصدر نفسه** ،10/4.

(2)**المصدر نفسه** ،4/ 12.

هذا ما يبرهن على أن قادة الجيش الإسلامي كانوا على وعي تام بالسنن الاجتماعية، وأن سنة التداول لابد من وقوعها لقوله تعالى:﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١٤٠]، وأن العاقبة للمتقين، فكل من يخالف شرع الله لابد من استبداله بقوم آخرين.

ولابد هنا من الإشارة إلى أمر مهم؛ وهو أنه لما دخل المسلمون بهرُسير وذلك في جوف الليل لاح لهم الأبيض، فقال ضرار بن الخطاب:« الله أكبر ! أبيض كسرى، هذا ما وعد الله ورسوله، وتابعوا التكبير حتى أصبحوا»[1].

إنها وعود رسول الله ﷺ، تتحقق، فهي سنة من سنن النصر، فكانت دافعا قويا للمسلمين في أن يخاطروا بأرواحهم وأموالهم وكل ما يملكون بغية تحقيق ما وعدهم به رسول الله ﷺ، فقدبَشَّر النبي ﷺ، بفتح بلاد فارس، كما في حديث جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: « **لتفتحن عصابة من المسلمين، أو من المؤمنين، كنز آل كسرى الذي في الأبيض**»[2].

وقال رسول الله ﷺأيضا: « **إن الله زوى لي الأرض. فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض...**»[3].

فقد كان لبشارة رسول اللهﷺ الأثر الواضح في امتداد الفتوحات الإسلامية، فكانوا لا يخشون من شيء لأن هدفهم كان واضحا ولابد من الوصول إليه.

إن القيادة الواعية من شأنها أن تعمل وفق المخطط الذي يوصل إلى الهدف، وتمثلت قيادة عمر بن الخطاب وعبقريته في اختيار القادة وذلك لمعرفته بالرجال؛ فكان يضع كل رجل في مكانه المناسب بكل ثقة، حيث أمر أن يسرح هاشم بن عتبة[4]. إلى جلولاء في اثني عشر ألفا، وأمره بأن يضع في المقدمة القعقاع بن عمرو التميمي، وفي الميمنة مسعر بن مالك، وفي الميسرة عمرو بن مالك[5].

إن هذا الاهتمام والحرص والتخطيط والمتابعة المستمرة نابعة من الفقه السنني الذي يملكه القائد الأول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ؛ فنرى أنه اهتم بالتفاصيل حتى أنه هو من يقرر مهمة كل جندي رغم بعده عن ساحة المعركة.

---

(1)**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 584/4.

(2)**أخرجه مسلم** ، كتاب (الفتن)، (باب لا تقوم ساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل)، حديث رقم: 3731، ص: 1262.

(3) **أخرجه مسلم** ، باب: (هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض)، حديث رقم: 8258، ص: 1250.

(4)**هاشم بن عتبة** ابن أبي وقاص الزهري، المعروف بالمرقال، ولد في حياة النبي ﷺ، شهد يوم اليرموك، وفتوح دمشق وعرف بالشجاعة والاقدام، من أمراء علي يوم صفين، وتوفي يومئذ. **ينظر: سير أعلام النبلاء**، الذهبي، 486/3.

(5)**ينظر: فتوح البلدان**، البلاذري، 264.

في معركة جلولاء (ذو القعدة 16هـ)، استطاع القائد مهران بدعم من يزدجرد أن يجمع في جلولاء فلول الفرس الهاربة في أرض تحيط بها الجبال، وقد حفروا خندقا كبيرا شرقي النهر ليفصل بينهم وبين المسلمين، وليمنعوا المسلمين بأي طريقة قاموا بنشر الحسك الشائك أمام الخندق، ووضعوا خوازيق الخشب لمنع خيل المسلمين من القفز وعبوره(1).

ترك سعد معه أقل من ثلاثة آلاف مقاتل في المدائن، وأمر بتوجيه هاشم بن عتبة إلى جلولاء في اثني عشر ألفا، وكان القعقاع في مقدمة الجيش، فارد الفرس تعويق زحف المسلمين لاسترجاع قوتهم وبالفعل نجحوا في تأخيرهم سبعة أشهر وقع خلالها ثمانون اشتباكا لصالح المسلمين، وفي أثناء ذلك كان يزدجرد ومهران يحشدان فلول الفرس حتى اجتمع مئة ألف في جلولاء(2).

ولأن القائد الحكيم له أن يكسب المعركة بحكمته وتخطيطه، رغم قلة العدد لذلك اغتنم المسلمون فرصة خروج المجوس في زحف كبير، فأرادوا أن يمنعوهم من العودة، فوقف هاشم في جنده قائلا: « إن هذا المنزل منزل له ما بعده فأروا الله بلاء حسنا، يتّم عليه الأجر والمغنم واعملوا لله»(3).

فاقتتل المسلمون والمجوس وتهافت الفرس نحو خندقهم يريدون العبور، فحجزهم المسلمون واستمر القتال حتى علق الفرس في الأحساك الشائكة التي وضعوها، وحجزت خيولهم في خوازيق الخشب، حتى قتل مهران وانتصر المسلمون رغم قلة العدد(4).وبعدها اندفع القعقاع نحو الشمال الشرقي إلى خانقين وحلوان(5).فتمكن من القضاء على قوة صغيرة هناك، وفتح حلوان التي هرب منها يزدجرد، وهو يحلم بخوض حرب واحدة تكسر شوكة المسلمين وتردهم إلى الصحراء، لكن تم عكس ذلك.

فجيش المسلمين القليل لم تزده المعارك إلا قوة، وكانت أعداده في ازدياد من خلال المدد من المسلمين، زد على ذلك دخول الناس في دين الله عز وجل أفواجا، بعدما رأوا عدالة الإسلام فيما كانت الهزائم تضرب جيش الفرس وتفرق شمله(6).

---

(1) **ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 25/4.

(2) **ينظر: المصدر نفسه**، 25/4 .26.

(3) **المصدر نفسه**، 25/4.

(4) **ينظر: المصدر نفسه**، 25/4.

(5) **حلوان**: بليدة بقوهستان نيسابور، وهي أخر حدود خراسان، مما يلي أصبهان، **ينظر: معجم البلدان**، الحموي،294/2.

(6) **القتال في العهد الراشدي**، فادي الشامة، ص:120.

بعد مكاتبة الخليفة عمر بن الخطاب وجه سعد بن أبي وقاص هاشم بن عتبة إلى سهل ماسبذان(1). لتواجه الفرس بقيادة بن هرمزان، فسار إليهم على رأس قوة خفيفة وتمكن من الانتصار عليهم(2).

وعلى هذا فإننا كل ما نقرأ لفتح جهة من الجهات تتراءى لنا وتتضح العوامل التي جعلت المسلمين في ذلك الوقت يتغلبون على أعظم قوة عدة وعتادا، ذلك أنهم التزموا بالمبادئ الإسلامية بإيمانهم القوي وثقتهم في الله عز وجل ونصرته لهم وعملهم واتباعهم لمنهج رسولهم ﷺ، من تفعيلهم لمبدأ الشورى والطاعة والحذر واغتنام الفرص لتحطيم العدو وغيرها...

وما يوضح معرفة عمر بن الخطاب بالسنن الإلهية وفقهه لها تعيينه للقادة وتوجيهه لهم في كل مرة، فهو من أمر سعد بن أبي وقاص بأن يرسل عبد الله بن معتم(3). لفتح تكريت بقوله : «سرّح إليه عبد الله بن معتم، واستعمل على مقدمته ربعي بن الافكل وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة »(4). وعلى هذا فإن اختياراته كانت في محلها وهذا ما سنبينه من خلال تتبعنا لفتح تكريت(5).(جمادي الأول 16هـ)؛ حيث أرسل سعد بن أبي وقاص جيشا قوامه خمسة آلاف مقاتل نحو تكريت، بقيادة عبد الله بن المعتم فحاصرهم أربعين يوما، تزاحفوا خلالها أربعا وعشرين زحفا، وكانوا أهون شوكة من أهل جلولاء، وكانت الفرس تعتمد على فرق دعم رومية، لتشتيت المسلمين في جبهتين لتفك تجمع قوتهم في الجبهة الشامية، ما دفع القائد سعد بن أبي وقاص لنشر آلاف من المقاتلين المسلمين في المدن المفتوحة، حتى يتجنب أن يؤتى المسلمون من قبلهم. فلما تأكد نصارى العرب من هزيمة الفرس، اتصلوا بالمسلمين على أن يخلوا سبيلهم، واستعانوا بعبد الله بن المعتم ليدعوهم إليه وإلى نصرته على الروم فهم لا يُخفون عليه شيئا(6).

فأرسل إليهم: «إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن مُحَّدا رسول الله، وأقروا بما جاء من عند الله، ثم أعلمونا رأيكم» (7)، ثم ردوا إليه بالإسلام. فطلب منهم عبد الله بن المعتم أن يسهلوا له

---

(1)**ماسبذان**: كان بعد فتح حلوان قد جمع عظيم من عظماء الفرس يقال له آذين جميعا خرج بهم من الجبال إلى السهل وبلغ خبره سعد بن أبي وقاص وهو بالمدائن فأنفذ إليهم جيشا أميرهم ضرار بن الخطاب الفهري في سنة 16هـ، فقتل آذين وملك الناحية. **ينظر**: **المصدر السابق**، 41/5.

(2)**ينظر**: **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 25/4.

(3)**عبد الله بن المعتم**، سيره سعد بن أبي وقاص من العراق إلى تكريت، وفيها جمع من الروم والعرب ففتحها، وأرسل عبد الله بن المعتم ربعي بن الأفكل إلى نينوى والموصل ففتحهما، **ينظر**: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الاثير،394/3.

(4)**الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 202/2.

(5)**تكريت**: بلدة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، ولها قلعة حصينة في طرفها الأعلى راكبة على دجلة وهي غربي دجلة، **ينظر**: **معجم البلدان**، الحموي، 38/2.

(6)**ينظر**:**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 35/4. 36.

(7)**المصدر نفسه** ، 36/4.

عبور الخندق ثم يفتحوا الأسوار عند التكبير، ففعلوا ودخل المسلمون يحصدونهم بسيوفهم فلم يسلم منهم إلا من أسلم من النمر وتغلب وإياد[1].

وهكذا كلما استعرضنا فتحا من الفتوحات إلا ونجد جملة من السنن تُتبع وتطبق بحذافيرها، ففي فتح تكريت يظهر جليا مرة أخرى معرفة القائد الأول عمر ـ رضي الله عنه ـ بالرجال وحين نقول المعرفة فلا نقصد بها المعرفة السطحية؛ وإنما المعرفة التي تخول له أن يضعه في المكان المناسب مع يقينه بأنه سيقوم بالمهمة على أكمل وجه، وفي المقابل تتضح لنا رؤية أخرى وهي التزام القائد سعد بن أبي وقاص بأوامر الخليفة وتطبيقها والالتزام بها، والأكثر من ذلك أن الذي عينه عمر بن الخطاب وهو عبد الله بن معتم لم يتهاون ولم يخذل خليفته إنما أثبت له أن اختياره له كان صائبا، إنها الطاعة ثم الاستجابة النابعة من عقل راشد والمتبعة من عقل رشيد.

وفي عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ برزت أيضا الكفاءة العسكرية في الجبهة الشامية وهذا ما يتضح من الفتوحات الآتية:

ففي فتح أذربيجان وأرمينية (سنة 24 هـ) ، أرسل عثمان بن عفان إلى أمير الشام معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ، يأمره بتوجيه حبيب بن سلمة الفهري[2]. لتحرير أرمينية، ولما وصل حبيب إلى قاليقلا[3]. حاصرها وتمت هزيمتهم، وبذلك طلبوا الصلح فصالحهم[4].

وبعد هذا الانتصار قرر حاكم الروم مواجهة المسلمين والقضاء عليهم فبدأ بالإعداد وجمع أكبر قدر ممكن من الجنود، وفي المقابل لما سمع بذلك حبيب كتب بذلك إلى أمير الشام يطلب الإمداد، فأرسل إليه معاوية رضي الله عنه بألفي مقاتل أسكنهم القائد حبيب في قاليقلا وأقطعهم القطائع وجعلهم مرابطة لحمايتها[5].

يتبين لنا من هذا الموقف الكفاءة العسكرية التي يمتلكها قائد جيش المسلمين حبيب بن سلمة، حيث أنه كان دائم الاتصال بأميره وطلب العون منه، وكذا تخطيطه فقد جعل قاليقلا مربطا لحماية جيشه وسندا لهم.

---

(1)**ينظر: المصدر نفسه**،36/4.

(2)**حبيب بن سلمة بن مالك** القرشي الفهري، كان شريفا، ويقال له حبيب الروم لكثرة دخوله إليهم ونيله منهم، ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعمال الجزيرة بعد عزل عياض بن غنم، وضم إليه أرمينيا وأذربيجان، ولما حصر سيدنا عثمان رضي الله عنه أمده معاوية بجيش واستعمل عليهم حبيب بن سلمة لينصروه، لكنه سمع بخبر قتله قبل الوصول، شارك في الصفين مع معاوية رضي الله عنهم، توفي وهو والي على أرمينية سنة اثنين وأربعين. **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير،681/1. 682.

(3)**قاليقلا**: بأرمينية العظمى من نواحي خلاط ثم من نواحي منازجرد من نواحي أرمينية الرابعة، ينظر: معجم البلدان، الحموي، 300/4.

(4)**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري36/4.

(5)**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 247/4.

وكتب معاوية إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ بما يحدث في أرمينية، ما جعل الخليفة يراسل أمير الكوفة فكتب له:« أما بعد فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلي يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين مجموعة عظيمة، وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلا ممن ترضى بحدته وبأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي، والسلام»[1]..

يلاحظ في هذا الخطاب أن الخليفة لما طلب العون والإمداد من أمير الكوفة، اشترط عليه أن يختار رجلا ذا حدة وبأس وشجاعة وإسلام، لعلمه ﵁ أن المعركة لابد لها من رجل قوي ذي بأس وكفاءة عسكرية.

وبهذا فقد كان الخليفة عثمان ـ ﵁ ـ على اتصال دائم بحركات الفتح بأرمينيا، وأنه كان يشرف عليها بنفسه، حيث أمر القائد سلمان بن ربيعة الباهلي أن يحرر أرمينيا الأولى، وأمر القائد حبيب بن مسلمة الفهري أن يحرر بقية أرمينية، وأراد الخليفة بعمله هذا أن يقسم جيش الأعداء على قسمين لكي تضعف مقاومتهم، وهذا من عبقريته في التخطيط الحربي.

كل هذا من خلال اختيار الرجل الذي يكون قادرا على تطبيق هذه الأوامر مع حمله لصفة الشجاعة والقوة فهي حتمية للتغلب على العدو.

وبالفعل عمل الوليد بطلب سيدنا عثمان بن عفان، وأمد الشام بجيش على رأسه سلمان بن ربيعة الباهلي[2]، قال:« فانتدب الناس، فلم يمض ثالثة حتى خرج ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم، وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة الباهلي، فشنّوا الغارات على أرض الروم، فأصاب الناس ما شاؤوا من سبي وملأوا أيديهم من المغنم، وفتحوا بها حصونا كثيرة»[3].

رغم أن أذربيجان كانت أحد ثلاثة أقطار كبار في وسط أفغانستان، أذربيجان، والري[4]، وأرمينية، آخر حدود الدولة الفارسية، إلا أن الوليد ومع صغر سنه برزت عبقريته في التخطيط الناجح للدخول والاستيلاء على هذه الجبهات بطريقة ذكية مخادعة للعدو. فتحرك هو بنفسه وقام بتنفيذ خطته، ومن خططه

---

(1)**ينظر: المصدر نفسه** ، 249/4.

(2)**سلمان بن ربيعة** بن يزيد بن عمرو الباهلي، أدرك النبيﷺ، وهو أول قاضي بالكوفة، ثم بالمدائن، شهد فتوح الشام، كان يتولى الخيل في عهد عمر بن الخطاب ﵁ غزا أذربيجان ثم بلنجر، وقتل بها في خلافة سيدنا عثمان بن عفان ـ ﵁ ـ ، سنة ثلاثين.. **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، 508/2ـ509.

(3)**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،248/3.

(4)**الري**: وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن الكثيرة الفواكه والخيرات، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا، وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخا ومن قزوين إلى أبهر اثنا عشر فرسخا ومن أبهر إلى زنجان خمسة عشر فرسخا، **ينظر: معجم البلدان**، الحموي، 116/3.

كذلك أنه بعث لواء الصاعقة المدد بالسلاح وأعاظم الرجال ليسبقوه إلى الفتح، كما يقول الطبري: « فمضى في الناس حتى دخل أذربيجان، فبعث عبد الله بن شبيل بن عوف الأحمسي في أربعة آلاف»(1).

فنجد أن الهدف الأخير للوليد هو أرمينية، ومن أجل ذلك جعل لواء المغاوير لواءً كاملا من إثني عشر ألف مقاتل، ولن يُغلب إثنا عشر ألف عن قلة، فمضى سلمان . ﷺ .، قائد مقدمة الوليد نحو الهدف الأخير، وأوغل في أرمينية، ثم انصرف سالما غانما، بجيشه تاركا خلفه جيش الرعب مقيما في صفوف الأرمينيين يحسبون ألف حساب لنقض العهد مرة أخرى(2).

فحرر سلمان بن ربيعة البيلقان(3). وبرذعة(4). صلحا(5).، وكذا العديد من المدن (6)، ثم سار قاصدا مدينة الباب وحررها دون مقاومة، ثم توجه إلى بلنجر(7). واستشهد أثناء المعركة(8).، فأسند الخليفة عثمان بن عفان ﷺ مهمة تحرير أرمينيا إلى حبيب بن مسلمة الفهري، فبدأ بتحرير مربالا(9). ومكسي وجزران صلحا(10)، وبعد تحريره للعديد من المدن صلحا تم تحرير أرمينية(11)..

وبتحرير أرمينية حققت الدولة الإسلامية تأمين حدودها في تلك الجبهة من جهة، وإضعاف الدولة البيزنطية بحرمانها من واردات أرمينية من جهة أخرى.

وهذا ما يثبت أيضا الفقه الواسع للسنن الذي كان يملكه الخليفة الثالث . ﷺ .، فكان على تواصل دائم مع قادته متبعا في ذلك منهج عمر بن الخطاب . ﷺ .، وبذلك استطاع تأمين حدوده وتوسيع فتوحاته.

---

(1)**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 247/3.

(2)**المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة عثمان بن عفان**، منير محمد الغضبان، دار السلام، مصر،ط1، 2010، ص: 46

(3)**البيلقان:** مدينة قرب الدربند الذي يقال له باب الأبواب، تعد في أرمينية الكبرى قريبة من شروان. **ينظر: معجم البلدان**، الحموي، 1/ 533

(4)**برذعة:** بلد في أقصى أذربيجان، وتعني بالفارسي: موضع السبي، ويقال أنها قصبة أذربيجان، وأنها هي مدينة أرّان، وهي آخر حدود أذربيجان، **ينظر: معجم البلدان**، الياقوت الحموي، 379/1.

(5)**ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري138/1.

(6)**من هذه المدن نذكر:** " قبله، سكن، القمييران، خيزان، شروان، الشايران، مسقط".**ينظر: كتاب الفتوح**، ابن الأعثم، 112/2 ـ113.

(7)**بلنجر:** مدينة ببلاد الخزر خلب باب الأبواب، **ينظر: المصدر السابق،**489/1.

(8)**عثمان بن عفان**، المعاضيدي، ص: 105.

(9) **كتاب الفتوح**، ابن الاعثم، 15/2.

(10) **عثمان بن عفان**، المعاضيدي، ص: 105 ـ106.

(11)**تاريخ اليعقوبي**، اليعقوبي، 128/2.

الفرع الثاني: الاستشارة والانضباط

تعتبر الشورى قيمة من قيم الإسلام السياسية، فهي أساس قيام الحكم، وما يؤكد اهتمام الإسلام بالشورى أن الله عز وجل حث على التمسك بها في قولهتعالى:﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[الشورى: ٣٨]

أما ما يدل على أن الشورى مبدأ أساسي من مبادئ النظام الإسلامي، أن النبي ﷺ أُمر بها وهو المعصوم والمؤيد بالوحي، ولذلك كانت في حق غيره من باب أولى، قال الله جل وعلا :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران: ١٥٩]

فهذه الآية جاءت لتضع أسس القائد الصالح في نفسه المصلح لغيره، ولا يكون ذلك إلا باتخاذ سياسة اللين والرحمة حين يقود الناس إلى الخير في دنياهم وأخراهم، مع استبعاده للفظاظة والغلظة المنفرة والمانعة من الالتفاف حول القائد من هذه الأسس العفو والتجاوز عن خطأ المخطأ ومشورته في الأمر المحيط بالموقف المحقق للمصلحة.

قال سيد قطب تعليقا على هذه الآية: « إن مزاولة الشورى في أخطر الشؤون حق للأمة، مهما تكن النتائج ومهما تكن الخسائر، ومن هنا جاء هذا الأمر الإلهي لتربية الأمة الإسلامية الراشدة، ولابد من العفو والرحمة والمغفرة، ولابد من الشورى فهي ركيزة أساسية»(1).

والقرآن الكريم مشحون بتعاليم إماتة الاستبداد وإحياء العدل والتساوي والشورى حتى في القصص منه؛ ومن جملتها قول بلقيس ملكة سبأ من عرب تُبّع تخاطب أشراف قومها قال تعالى:﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾[النمل: ٣٢]، أفتوني في أمري تقول: أشيروا عليّ في أمري ؛ فجعلت المشورة فتيا (2).

فهذه القصة تُعلم كيف ينبغي أن يستشير الملوك الملأ أي أشراف الرعية، وأن لا يقطعوا أمرا إلا برأيهم، وتشير إلى لزوم أن تحفظ القوة والبأس في يد الرعية، وأن يخصص الملوك بالتنفيذ فقط، وأن يكرموا بنسبة الأمر إليهم توقيرا، وتقبح شأن الملوك المستبدين(3).

فقد كان الرسول ﷺ المثلى الأعلى والنموذج الأسمى في تطبيق الشورى، باشرها عمليا في كثير من الأمور حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه:«ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ »(4).

(1)**في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط32، 1423هـ، 2003م، 1/.502.

(2)**جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير الطبري**،،بن جرير الطبري، 176/11.

(3) **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، عبد الرحمن الكواكبي، ص: 27

(4)**سنن الترميذي**، باب ما جاء في المشاورة، 45/5 .

وقد بدا ذلك في العديد من المواقف والأحداث من سيرته؛ فقد استشار أصحابه في غزوتي بدر وأُحد، واستشار نوفل بن معاوية في غزوة حصار الطائف، وغيرها من المواقف التي تبين أن النبي ﷺ أخذ بالرأي الصواب بغض النظر عن صاحب الرأي .

وقد سار الخلفاء الراشدون على هدي النبي ﷺفي تطبيق مبدأ الشورى،فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشير في السلم والحرب، وخاصة الناس وعامتهم، فقد كان يستشير في اختيار الأمراء وطريقة القتال،كما كان يؤكد على الشورى في كل وصاياه وكتبه.

فقد كتب إلى أبي عبيد الثقفي:« اسمع من أصحاب النبي ﷺ وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف» [1].

وأوصى عتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة: « يا عتبة إني قد استعملتك على أرض الهند، وهي حومة من أحومة العدو، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ويعينك عليها؛ وقد كتبت إلى الحضرمي يمدك بعرفجة ابن هرثمة، وهو ذو مجاهدة ومكايدة، فإذا قدم عليك فاستشره»[2].

وقال لأبي عبيدة عندما استشاره في إمكانية دخول الدروب خلف العدو فرد قائلا: « أنت الشاهد، وأنا الغائب، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وأنت بحضرة عدوك، وعيونك يأتوك بالأخبار، فإن رأيت الدخول إلى الدروب صوابا، فابعث إليهم السرايا، وادخل معهم بلادهم، وضيّق عليهم مسالكهم، وإن طلبوا إليك الصلح فصالحهم»[3].

فقد فقه عمر بن الخطاب كما فقه الصديق ـ رضي الله عنهما ـ قبله أن في مداومة الحاكم الاتصال بأهل الشورى وأخذ رأيهم تقوية للعلاقة بينهما، وكلما قويت الصلة بين الحاكم ورعيته تحقق الأمن والاستقرار.

وهذا لا يعني أنه لم يترك المجال لقادته العمل برأيهم ورؤيتهم؛ وإنما كان يستشير في الأمور العامة، أما التفاصيل فكان يتركها للقادة فهم أدرى بالوضع، وهذا ما عبر عنه محمود شيث خطاب بقوله:« إنه يضع الخطط السوقية ـ أي الاستراتيجية العامة الكبرى ـ ويترك لقادته أمر وضع الخطط التعبوية »[4].

واتبع عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ المنهج نفسه، فكان يستشير أهل الاختصاص في تسيير الجيوش وفتح البلدان، وألزم قادته باتباع هذا المنهج وعدم التفرد في أخذ أي قرار أو خطوة خاصة في الفتوحات الكبرى طيلة فترة حكمه.

---

(1) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،445/3

(2) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 188/2.

(3) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 223/3.

(4) **الفاروق القائد**، شيث الخطاب، ص: 90.

ففي (سنة 25هـ) لما ولى عبد الله بن سعد على مصر، ثم وجه عبد الله جيشا إلى افريقية، ثم كتب إلى الخليفة عثمان ﷺ يعلمه أن البيزنطيين كانوا قد استعادوا طرابلس من العرب ويستأذنه لإرسال جيشه إلى إفريقية، فبدأ الخليفة باستشارة كبار الصحابة الذين أيدوا قرار الفتح وبالفعل تم ذلك [1].

فنجد بعد التمحيص أن القرارات والتدابير التي تنبثق عن تشاور وتراض، وتكون على قدر كبير من التوازن والموضوعية، يتلقاها الناس عادة بالحماس والرغبة في تنفيذها. فإذا كان أمر الناس شورى بينهم، وكان ولاة أمورهم يشاورونهم في شؤونهم ويأخذون بعين الاعتبار آراءهم، فهذا من أعظم أسباب الألفة والوحدة والتماسك. لذا كان للشورى دور كبير في نجاح وامتداد الفتوحات الإسلامية.

وبهذا فقد مثلت الشورى أحد عناصر القوة والحيوية والتماسك في المجتمع الإسلامي الأول ودولته الفتية.

يقول أحمد الريسوني: « لقد كانت الشورى مكثفة في هذه المرحلة ـ عهد الخلافة الراشدة ـ وكانت تشمل عظائم الأمور وصغارها، من قضايا الأمة في السلم والحرب، والخلافة والتشريعات العامة، إلى نوازل الأفراد في زواجهم وطلاقهم وميراثهم، ومنازعاتهم حول البئر والنخل والناقة. وأهم شيء في هذه المشاورات المكثفة، هي أنها كانت تحقق جوهرها ومقصودها على أكمل الوجوه، ثم لا يلتفت كثيرا لما سوى ذلك، ويمكن أن نلخص طبيعة مشاوراتهم بعبارةالشورى بمقاصدها لا بشكلياتها »[2].

بعد هذه الوقفة في بيان أهمية الشورى،نحاول أن نبين كيف تجسدتفي الفتوحات الإسلامية، وكيف كانت سببا في توسعها ؟

إننا نلمح سمة الاستشارة في أعظم المعارك وأهمها وهي معركة القادسية.(13 .16 شعبان 15هـ)[3]بقيادة سعد بن أبي وقاص ـ ﷺ ..

فبعد الانتصار الكبير الذي حققه القائد المثنى بن الحارثة الشيباني في معركة البويب، شعر الفرس أن دولتهم شارفت على النهاية، فاستعدوا للمعركة الحاسمة وتوقفوا عن كل النزاعات الداخلية وجعلوا من يزدجر بن شهريار ملكا عليهم.

---

(1) **ينظر: كتاب الفتوح**، ابن الأعثم، 132/2.

(2)**الشورى في معركة البناء**، أحمد الريسوني، مصر، القاهرة، دار الكلمة، ط1،1435هـ، 2014، ص: 115.

(3)**القادسية**: بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا وبينها وبين العذيب أربعة أميال، وجاء في وصف سعد بن أبي وقاص لعمر بن الخطاب القادسية ﷺ قوله: إن القادسية فيما بين الخندق والعتيق وإنما يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين، فأما أحدهما فعلى الظهر وأما الأخرى فعلى شاطئ نهر يسمى الحُضوض يطلع بمن يسلكه على ما بين الحورنق والحيرة، وإنما على يمين القادسية فيض من فيوض مياههم. **ينظر: معجم البلدان**، الياقوت الحموي، 291/4 .292.

ومن جهة المسلمين فقد بعث المثنى يستأذن الخليفة عمر ويخبره بحقيقة الموقف، فانسحب إلى ذي قار، وقام عمر بن الخطاب ﵁، بحشد الجنود لمعركة فاصلة يكسر بها شوكة الفرس نهائيا، فأرسل إلى عماله في بقاع الجزيرة أن يجمعوا ما عندهم من المجاهدين وكان فيما كتبه لهم: «لا تدعُنّ أحدا له سلاح أو فرسُ أو نجدة أو رأيُ إلا انتخبتموه، ثم وجهتموه إليّ، والعجل العجل»[1].

إنه مبدأ الاستجابة السريعة والحشد واختيار الجنود الأقوياء ودعمهم بأهل الرأي لما في ذلك من فائدة ومصلحة عامة تعود على نتائج المعركة الحاسمة، فهذا الاختيار لم يكن اعتباطيا إنما كان عن وعي وعقل راشد.

فقد أدرك الفاروق أنه بهذه المواجهة حاسمة؛فإما ضياع كل ما تم فتحه من قبل وانسياح جيش الفرس إلى المدينة، وإما القضاء على الفرس وانسياح الجيش الإسلامي في كل العراق،ولبَّى الأمراء طلب الخليفة وعلى رأسهم سعد بن أبي وقاص وكتب إلى عمر:« إني قد انتخبت لك ألف فارس مؤد، كلهم له نجدة ورأي وصاحب حيطة يحوط حريم قومه، ويمنع ذمارهم، إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك بهم»[2].

ولم يكن سعد ﵁ هو وحده من استجاب لاستنفار الخليفة؛بل لبىّ كل الولاة في مختلف الأمصار،وقد روعي في اختيار نموذجين من أشراف العرب، العريقين في نسبهم في قبائلهم. أولي الرأي، وأولي النجدة والشجاعة والحرب.

فالحرب ليست حربا مادية فحسب، إنما هي حرب فكرية وسياسية تحتاج إلى دهاة العرب، وشعراء العرب، وفصحاء العرب، وأبطال العرب الذين أصبحوا اليوم جنودا لهذا الدين الجديد[3].

فبدأ الخليفة يوجه الجند إلى ماء صرار وهو المكان الذي تتجمع فيه القوات المسلمة المجاهدة. وعزم على غزو العراق بنفسه، ولكن بعد المشورة أقنعه الصحابة بضرورة البقاءبالمدينة خوفا من أن يهزم جيشه وتضعف شوكة المسلمين بذلك، وأشار عليه عبد الرحمن بن عوف بتولية سعد بن أبي وقاص قيادة الجيش[4].

وبالفعل تم ذلك واستدعاه وأوصاه قائلا:« يا سعدُ سعد بني وُهيب، لايغرنك من الله أن قيل: خالُ رسول الله ﷺ، وصاحب رسول الله ﷺ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيّئ بالسيَئ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويُدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ عليه منذ بُعث إلى أن فارقنا؛ فالزمه فإنه الأمر، هذه عظتي إياك، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين»[5].

---

(1)**ينظر: الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 295/2 . 299.

(2)**المصدر نفسه**، 299/2.

(3) **ينظر: المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة عمر بن الخطاب**، منير مُحَّد الغضبان، ص: 162.

(4)**ينظر:الكامل في التاريخ**، ابن الأثير،299/2، 300.

(5)**المصدر نفسه** ، 300/2.

وأرسل عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ وصية جديدة إلى سعد بن أبي وقاص ـ ﷺ ـ ، وهي من الوصايا التي ظلت محفوظة كأفضل وصية أعطيت لجيش من جيوش المسلمين، وظل الأمراء بعد ذلك يوصون بها جيوشهم، وتحمل الوصيةُ المنظور الصحيح للحرب في الإسلام، كما تحمل الكثير من المعاني العظيمة.

يقول عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنهما ـ في هذه الوصية: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد.. فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العُدَّة على العدو، وأقوى العدة في الحرب.

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، وعدتنا ليست كعدتهم، فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا ولن نغلبهم بقوتنا.

واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله .

ولا تقولوا: إن عدونا شرٌّ منا ولن يُسلط علينا وإن أسأنا، فرُبَّ قوم سُلِّط عليهم شَرٌّ منهم، كما سُلّط على بني اسرائيل -لما عملوا بمساخط الله- كفرةُ المجوس فجاسوا خلال الديار، وكان وعدًا مفعولاً»[(1)].

بدأ عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـالوصية الأولى لسعد بتذكيره بنسبه وأنه إذا اغتر به خسر، وأن المعيار الفاصل عند الله تعالى هو التقوى وطاعته عز وجل لا النسب، وأن يلتزم بفعل النبي ﷺ كما رأه بنفسه، فهذه نصيحة عمر فيها الكثير من التحفيز لسعد بن أبي وقاص على الانتصار لكن بالعمل لا بالفخر. فسنة الله في النصر لا تحابي من كان نسبه شريفا أو ماله كثيرا؛ إنما العمل وفقها وتسخير الأمور لها هو من يحرز النصر.

وفي الوصية الثانية لسعد وجيشه أكد الفاروق ـ ﷺ ـ على العوامل المعنوية للنصر وهي طاعة الله عز وجل، فأمره بالتقوى، وأكد له على أنها أفضل العدة وأقواها في الحرب، ونبهه هو وجنوده إلى ضرورة الابتعاد قدر المستطاع عن الذنوب والمعاصي، وذلك لما لها من أثر كبير على سير المعركة ونتيجتها، فهي أخوف عليهم من العدو، وأكد له على أن نصر المسلمين مرتبط بمعصية عدوهم لله، وأنها مصدر القوة بالنسبة لنا، فنحن نختلف في العدد والعدة فهم أقوى منا في ذلك ونحن أقوى منهم في طاعة الله، فإذا استوينا في المعصية فالغلبة لهم من حيث القوة. كما أكد لهم على أهمية الدعاء وأن يسألوا الله العون والنصر[(2)].

---

(1)**الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 333/2.

(2) **ينظر**: **المصدر نفسه**، 174/2.

ويشير محمود شيث خطاب أن هذه الوصية التي تحث على تقوى الله وطاعته والابتعاد عن المعاصي تمثل أسمى غاية لتطبيق مبدأ إدامة المعنويات[1]، وهذا ما يمكن أطلق عليه تسمية السنن المعنوية الواجب تمثلها في كل نفس أرادت الجهاد في سبيل الله فهي ضمن أقوى المقومات المحفزة التي لا تقبل الانهزام في ظل وجودها كون أن الهدف أو المبتغى المرجو من وراء ذلك إنما هو مرضاة الله عز وجل فهذا كفيل بأن يحرز النصر في نفوسهم ثم يكون النصر الحقيقي على الواقع.

ثم اتجه سعد بن أبي وقاص إلى العراق، وانضم إليه الجيش الذي توجه نحو الشام بقيادة خالد بن الوليد فعاد منه ستة آلاف بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي، ليصبح جيش سعد بن أبي وقاص إثنان وثلاثون ألف مقاتل[2].

وبقي عمر بن الخطاب ـ ﵁ ـ على اتصال دائم بينه وبين قائد الجيش فأرشده إلى اختيار المكان المناسب، بحيث يكون قريبا من الصحراء ويحفظ خط الرجعة للمسلمين، كما جاء في وصية المثنى، وكتب إلى سعد:« إذا جاءك كتابي هذا فعشّر الناس أي اجعلهم اعشارا وعرّف عليهم أي اجعل عليهم عرفاء، وأمّر على أجنادهم عيّن أمراء الجند وعبّهم اجعل على التعبئة ومُر على رؤسائهم فليشهدوا قدرهم وهم شهود» أي عرّفهم مسؤولياتهم[3].

وقبل ذلك فقد أرسل أبا عبيدة بن الجراح أن يصرف جند العراق إلى العراق وهم الجنود الذين شاركوا في معركة اليرموك، فأمرهم بالانضمام إلى سعد بن أبي وقاص، وهذا يدخل ضمن مبدأ التعاون لجمع أكبر عدد ممكن لمواجهة العدو، فكانت النتيجة كما رسمها القائد عمر بن الخطاب ـ ﵁ ـ.

فلما وصل سعد إلى القادسية غربي نهر الفرات، وعسكر رستم بسباط خارج المدائن على طريق الحيرة، وفي بداية المفاوضات مع رسم أراد أخذ عينة من الجيش الإسلامي ليتعرف من خلاله على الجنود كلهم والذين يمثلون قاعدة الجيش الإسلامي، فأمر بخطف جندي وكان له ذلك، فقال له رستم :« ما جاء بكم؟ وماذا تطلبون؟

قال: جئنا نطلب موعود الله.

قال: وما موعود الله؟

قال: أرضكم وأبناؤكم ودماؤكم إن أبيتم أن تسلموا.

قال رستم: فإن قتلتم قبل ذلك؟

قال: في موعود الله أن من قُتل منا قبل ذلك أدخله الله الجنة، وأنجز لمن بقي لنا ما قلت لك فنحن على يقين.

---

(1) **ينظر: الفاروق القائد**، محمود شيث الخطاب، ص: 80.

(2) **ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 484/3.

(3) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 301/2.

فقال رستم: قد وضعنا إذن في أيديكم؟

قال: ويحك يا رستم إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها، ولا يغرنك ما ترى حولك، فإنك لست تحاول الإنس، إنما تحاول القضاء والقدر. فاستشاط غضبا فأمر به فضربت عنقه»[1].

يقول منير الغضبان تعليقا على فعل هذا الجندي:« إنه الوعي العجيب والفقه الخالد لدى كل جيش الإسلام من أدنى جندي فيه وحتى أميره وقائده، لقد أصبح الأعرابي القابع في البادية الذي كان يحلم بأن يرى بلاد الفرس، يقول اليوم لقائد جيش الفرس وأعظم قادة الأرض:« جئنا نطلب موعود الله، أرضكم ودياركم وأبناءكم» [2].

وكوّن الإسلام هذا الجندي بهذه الصياغة الخالدة، فهو يدرك سنن الله تعالى في الأمم، ويدرك لم جعل الله هذه الأرض موعودا للمؤمنين؟ فالذين يقودونها قد بغوا وظلموا واستأثروا؛ ولذلك كان الجواب ليس ذلك الجواب الأعمى الأصم بلا فقه ولا بصيرة بشريعة الله، إنما كان الجواب لأكبر مثقفي الأرض وقادتها: ويحك يا رستم، إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها، فالأعرابي كان يفقه سنن الله وأن أعمال البشر هي من تحدد مصيرهم لا قوتهم وكثرة عددهم.

فأرسل سعد بن أبي وقاص ربعي بن عامر لدعوة الفرس إلى الثلاثية الإسلامية وهي: الإسلام، الجزية، القتال، وقال له مقولته الخالدة:« الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام»[3].

لكن دون جدوى. ثم ذهب المغيرة بن شعبة ولكنه رفض أيضا[4]، ولأن المسلمين أصحاب رسالة، وليسوا أصحاب نزوة طارئة أو طمع قابع في نفوسهم، أو شهوة طاغية، فقد قام القائد الرباني سعد ﷺ في محاولته الأخيرة بكل الوسائل الدبلوماسية الممكنة لتجنب الحرب، ولأول مرة يلتقي رستم مع الوفد الإسلامي العربي الذي يعود ليطرح أمامه العروض الأخيرة بأسلوب بعيد عن التحدي والإثارة واستعمال أسلوب الرغبة الجادة في السلم، والإشفاق على مصير الأمة وهلاك الحرث والنسل بين الفريقين.

إلّا أنه اختار الحرب. وقرر مواجهة المسلمين. وجهز جيشه مائة وعشرين ألفا وعبَّى في القلب ثمانية عشر فيلا عليها الصناديق والرجال[5]. وهو السلاح الفتاك والورقة الرابحة للفرس، وفي المقابل تم الاستعداد من

---

(1)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،508/3.

(2)**المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة عمر بن الخطاب ﷺ، اليرموك والقادسية المعركتان اللتان غيرتا وجه التاريخ**، منير محمد الغضبان، 224/1.

(3) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري ،520/3.

(4)**المصدر نفسه**،523/3.

(5)**المصدر نفسه** ،530/3.

طرف المسلمين على وقع هذا التحفيز « ألا إن الحسد لا يحل على الجهاد في أمر الله، يا أيها الناس فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد» [1].

إلّا أن سعد بن أبي وقاص جعل خالد بن عُرفطة نائبا له واتخذ مكانا مشرفا بسبب مرض ألم به، وقاد المعركة من هناك بأوامر شفهية وخطية، وقد استفاد المسلمون من نظام الكراديس الذي ابتكره خالد بن الوليد. وجراء اختياره لنائبه حصل تمرد اعتراضا على أن النائب ليس من مشاهير الحرب لكن سعد بن أبي وقاص عرف كيف يسيطر على الموقف واستعد للقتال بأربع تكبيرات[2].

« إنه التكبير الذي أعطاه الله لهذه الأمة، ولم يعط لأمة قبلها، وهو الذي يشكل صياغة جديدة لهذه الأمة، فبعد أن كانت الحمية حمية الجاهلية أبدلها الله تعالى بالسكينة والطمأنينة التي تنبثق من أن الله أكبر من كل شيء، ومن كل عدو، ومن كل طاغية ... ومن كل غنيمة، ومن كل قبيلة، ومن كل وطن، فالله أكبر من كل شيء» [3]. قال تعالى:﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[التوبة: ٢٤].

فهذه التكبيرات، وتحديد حركة الجيش كله على إيقاع واحد بعد كل تكبيرة يوضح تكوين هذه الأمة التي غدت على قلب رجل واحد في الانضباط والطاعة لله ولرسوله وللأمير الذي يقود الأمة[4].

استمرت مواجهة الفرس مع المسلمين عدة أيام وقد أطلق على كل يوم اسم:يوم أرماث أي الاختلاط فيه اختلط الجيشان واستمر القتال حتى الليل وأسر هرمز قائد الفرس، حاول المسلمين التخلص من الافيال عبر ضرب وجناتها وفقء عيونها[5].

يوم أغواث أي النجدة: وصل جيش الشام بقيادة القعقاع عمرو التميمي فالتقى مع قائد معركة الجسر بهمن جاذويه وقتله وقائد مؤخرة الفرس وقضى عليه أيضا. وابتكر القعقاع فكرة تلبيس كل عشرة من المشاة برقعا ضخما تطوف به الخيل بهدف اخافة أفيال الفرس، وبالفعل كانت الفيلة تفر إلى الخلف وتدوس بأقدامها على الفرس[6].

---

(1)**المصدر نفسه** ،530/3.

(2)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،531/3 . 535.

(3)**المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة عمر بن الخطاب**، منير مُحَّد الغضبان،291/1.

(4) **المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة عمر بن الخطاب**، منير مُحَّد الغضبان،291/1.

(5)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،529/3 .541.

(6)**ينظر**: **المصدر نفسه**،541/3 .550.

يوم أعماس أي الأسد الشديد: حيث أمر فيه سعد بن أبي وقاص أبطال المسلمين من مثل عمرو بن معدي كرب، والقعقاع بن عمرو التميمي، وأبي محجن الثقفي، وجرير بن عبد الله البلجي، وضرار بن الخطاب، وطليحة بن خويلد الأسدي، أمرهم بضرب وجنات الأفيال وخراطيمها إلى أن تم تحييد الفيلة كليا عن ميدان القتال(1).

ليلة الهرير ويوم القادسية: بما أن الاستطلاع واجب في الحرب أرسل سعد بن أبي وقاص طليحة بن خويلد لرصد أي حركة تطويق يقوم بها الفرس، فلما انتبه له نشب القتال ولكن كان المسلمون مستعدين لذلك. وبقيت الحرب حتى الصباح وتعب المقاتلين فنادى القعقاع بقوله:« إن الهزيمة صبر ساعة، إن النصر مع الصبر، فآثروا الصبر على الجزع»(2). ثم شن هجوما على قلب جيشهم للوصول إلى رستم فبلغوها وتمكن من قتله هلال بن علقمة.

وفي نفس الوقت شن المسلمون هجوما من الميمنة والميسرة، إضافة إلى هبوب ريح عاصفة باتجاه الفرس اقتلعت خيامهم وأعمت عيونهم نصرة للمسلمين؛ فحاول جالينوس قائد المقدمة الانسحاب حيث بدأ الفرس بعبور نهر الفرات لكن المسلمين عاجلوا الجنود المصفّدين بالسلاسل فتمكنوا من قتلهم(3).

وبهذا تم النصر للمسلمين وأقام سعد بن أبي وقاص فيها شهرين ينتظر أوامر الخليفة، في حين كان عمر بن الخطاب يريد وقف الزحف حتى لا يتشتت الجيش الإسلامي في الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة، فتضعف سيطرته على الأقاليم المفتوحة؛ إلّا أن الفرس بدأوا في تحريض أهل العراق على المسلمين، فطلب من سعد التوجه إلى عاصمة الفرس(4).

ويرى محمود شاكر أن سبب انتصار المسلمين في معركة القادسية راجع إلى أن المسلمين لم يكونوا يبغون الفتح لأجل الفتح، بل كانوا يحاربون في سبيل الله، فهم يؤمنون بأن من قتل منهم في سبيل الله دخل الجنة(5).

وبهذا النموذج الفذ في الاستشارة والأخذ برأي الغير والرأي الصواب ولم يكن القرار متوقف على القائد فقط؛ بل كان الفاصل في ذلك هو ما يكون في المصلحة العامة وما يحقق النصر، ومعركة القادسية المثال الأعلى في ذلك فالنصر هنا اعتمد على العديد من المبادئ التي اتبعوها غير أن عامل الشورى كان له الأثر الكبير.

---

(1) **ينظر: المصدر نفسه**، 3/550. 563.

(2) **المصدر نفسه**، 3/563.

(3) **ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري ، 3/563. 566.

(4) **ينظر: المصدر نفسه**، 3/566. 572.

(5) **موسوعة الفتوحات الإسلامية**، محمود شاكر، الأردن، عمان، دار أسامة، ط1، 2003م، ص: 48.

ولنا نموذج آخر هو: فتح هيت[1]. وقرقيساء[2].(جمادي الأول 16هـ) بقيادة عمر بن مالك[3]، لما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى المدائن، وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة فأمدوا هرقل على أهل حمص وبعثوا جندا إلى أهل هيت، فكتب بذلك سعد إلى عمر، فكتب إليه عمر: «أن ابعث إليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل في جند، وكان على مقدمته الحارث بن يزيد، فنزل على من بهيت وخندقوا عليهم، ثم خرج عمر بن مالك لما استطال اعتصامهم، يعارض الطريق حتى يجئ قرقيساء في غِرَّة، فأخذها عنوة ، فأجابوا إلى الجزاء، وفي المقابل استجاب أهل الخندق وانضم الجند إلى عمر والأعاجم إلى أهل بلادهم»[4].

وعلى ضوء ذلك يتبين الدور الرئيسي للمشاورة والاتصال الدائم بين القادة والخليفةفي التغلب على العدو مهما كان.

ولنا مثال أخر بقيادة النعمان بن مقرن[5].

استمر يزدجرد في مقاومة الفتح الإسلامي، وحشد الجيوش في نهاوند من مختلف المقاطعات الفارسية، فلما وصل الخبر إلى أمير المؤمنين قرر القضاء نهائيا على دولة الفرس، خاصة وأن معركة القادسية قللت من خطرهم، وكان على رأس القيادة سعد بن أبي وقاص؛ إلّا أن الخليفة وصلت إليه شكاية ضد القائد فاستدعاه وتأكد من الخبر، وعلى الرغم من أنه مجرد ادعاءات؛ غير أنه فضل تعيين النعمان بن مقرن بعد الاستشارة، قائدا عاما للجبهة الفارسية ليوكل له أمر القضاء النهائي على الدولة الفارسية[6].

كتب عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن: « سلام عليك؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو؛ أمّا بعد، فإنه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند؛ فإذا أتاك كتابي هذا فسر

(1)**هيت**: هي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وهي مجاورة للبرية، وهي في الإقليم الثالث، وسميت هيت لأنها في هوة من الأرض. **ينظر**: **معجم البلدان**، الياقوت الحموي، 420/5 .421.

(2)**قرقيساء**: سميت بقرقيساء ابن طهورث الملك، وهي بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ وعندها مصب الخابور في الفرات، فهي في مثلث بين الخابور والفرات، وهي من الإقليم الرابع، **ينظر**: **المصدر نفسه**، 328/4.

(3)**عمر بن مالك بن** عقبة بن نوفل بن كلاب، أدرك حياة النبيﷺ، وشهد فتح دمشق، و ولى فتوح الجزيرة،، **ينظر**: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، 174/4

(4) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 38/4.

(5) **النعمان بن المقرن**أبو الحكيم وقيل أبو عمرو الأمير صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام، بن النعمان بن المقرن كان من أبطال المسلمين المعروفين، كان امير الجيش الذين فتحوا نهاوند، وقد قاتل في جيش خالد بن الوليد في الشام والعراق، كما أن كان قد كتب إلى عمر بن الخطاب طالبا إعفاءه من منصب جباية الخراج في تستر الذي عيّنه به سعد بن أبي وقاص، مفضلا تسييره للجهاد. **ينظر**: **سير اعلام النبلاء، الذهبي**، 357/2.

(6)**المصدر السابق**،114/4.

بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله، بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعراً، فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفِرهم، ولا تدخلنهم غسْضة، فإن رجلا من المسلمين أحب إليّ من مائة ألف دينار والسلام عليكم»[1].

والملاحظ من رسالة عمر بن الخطاب ﷺ أن أول ما أمر به النعمان التوكل على الله عز وجل بداية، مع الحذر على الجيش والمحافظة عليه قدر المستطاع.

وهنا قد أدرك الفرس أنها أخر منازلة حاسمة لهم ضد الجيش الإسلامي الفاتح. فجمعوا مئة وخمسين ألفا بقيادة فيرزان، وفي المقابل حشد المسلمين ثلاثين ألف مقاتل نصفهم حديثي الإسلام. فأراد الفرس الاستفادة من طبيعة المكان وهزم الجيش الصحراوي ـ إن صح التعبير ـ فحفروا الخنادق ونشروا الحسك الشائك، ثم سلسلوا العديد منهم بالحديد[2].

فشق الأمر على المسلمين ولم يستطيعوا إخراجهم من خنادقهم أو العبور إليهم، فقرر القائد النعمان جمع أركان حربه لإيجاد الحل المناسب. ولابد أن يكون عمرو بن معد يكرب وطليحة ابن خويلد على رأس المستشارين؛ لتنفيذ وصية أمير المؤمنين أن يستشيرهم في أمور الحرب.

وعليه نجد أن في عهد عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ في الفتح لم ينظر في الاستشارة إلى من استشير أو إلى من حضر ومن غاب، وإنما القصد في الاستشارة جلب المنفعة العامة للأمة[3].

وخير مثال على ذلك ما وقع في معركة نهاوند[4] حين طلب القائد النعمان من الجنود المشورة فقال:« فما الرأي الذي به نُجمشهم ونستخرجهم إلى المنابذة، وترك التطويل؟ فأعطى رأيه كل من عمرو بن ثبى[5]، وعمرو بن معد يكرب[6]، إضافة إلى طليحة الذي أخذ القائد برأيه وانتصر المسلمون في نهاوند »[7].

---

(1)**المصدر نفسه،** 114/4ـ115.

(2) **ينظر: المصدر نفسه،** 115/4.

(3)**من أمثلة ذلك ما ذكرناه في المبحث الرابع:** سنن وحدة الجند وطاعتهم للقيادة من هذه البحث ص: 50 ـ52.

(4)**نهاوند:** هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام، سميت نهاوند لأنهم وجدوها كما هي، ويقال إنها من بناء نوح، وأطلق عليها أسم أونذ فخففت وقيل نهاوند،ومعناه الخير المضاعف، وكان فتحها سنة 20، أيام عمر بن الخطاب وأمير المسلمين النعمان بن مقرن المزني. **ينظر: معجم البلدان**، الحموي، 313/5.

(5) **عمرو بن ثبي:** هو أول من أشار على النعمان بن مقرن حين استشار أهل الرأي في مناجزة أهل نهاوند، وكان من أكبر الناس سنا. **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، 191/4.

(6)**عمرو بن معد يكرب:** بن عبد الله بن عمرو الزبيدي، قدم على النبي ﷺ، في وفد مراد لأنه كان قد فارق قومه سعد العشيرة فأسلم معهم سنة تسع للهجرة، بعد وفاة رسول الله ﷺ، ارتد مع الأسود العنسي، ثم عاد إلى الإسلام، ثم سيره الصديق ﷺ إلى الشام وشهد اليرموك، ثم سيره عمر بن الخطاب ﷺ إلى سعد بن أبي وقاص بالعراق، وشهد القادسية وله فيها بلاء حسن، وقتل يومها. **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، 4/ 161 ـ162.

(7) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،131/4.

فأشار عليه طليحة بن خويلد بأن تقوم مجموعة من أقوى الفرسان بمهاجمتهم ومباغتتهم في حصونهم، ثم يتظاهر المسلمون بالهزيمة حتى يظن العدو أنهم انسحبوا خوفا ما يجعلهم يخرجون من خندقهم للحاق بهم، فلما يخرج الفرس من خندقهم ينقض المسلمون ممن لم يشترك في الهجوم على الفرس ويقاتلونهم.

بالفعل لم يتأخر النعمان فأمر قائد سلاح الفرسان القعقاع بن عمرو أن يبدأ بتنفيذ الخطة. فنجحت الخطة وانسحب القعقاع فتبعه الفرس وأثخنوا في المسلمين، والنعمان مع قوته يختبئ ويراقب وهو يقول لهم رويدا رويداً، فقالوا: للنعمان ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ائذن للناس في قتالهم، فقال النعمان: مرارا رويدا رويدا، فجاء المغيرة لنقاش القائد.

... فعبرنا إليهم فصففناهم، فرشقونا حتى أسرعوا فينا. فقال المغيرة للنعمان:« إنه قد أسرع في الناس، قدر خرجوا، قد أسرع فيهم، فلو حملت؟»[1].قال له النعمان: « إنك لذو مناقب، وقد شهدت مع رسول الله ﷺ، ولكن شهدت مع رسول الله ﷺ، فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس، وتهب الرياح، وينزل النصر»[2].فكان حريص على الحرص على تتبع أفعاله لهذا تمهل وانتظر الوقت المناسب للهجوم.

ثم قال المغيرة: « لو أن هذا الأمر لي لعلمت ما أصنع. فقال: رويدا ترى أمرك وكنت تلي الأمر فتحسن، فلا يخذلنا الله ولا اياك، ونحن نرجوا من المكث مثل الذي ترجوا من الحث»[3].

وجعل النعمان ينتظر بالقتال إكمال ساعات كانت أحب إلى رسول الله ﷺ في القتال أن يلقى بها العدو، وذلك عند الزوال وتفيؤ الأفياء ومهب الريح[4].

وكان هناك سبب أخر وهو انتظار وقت صلاة الجمعة ودعاء أمير المؤمنين ليستنصر به فقال النعمان للناس:« لا تواقعوهم، حتى يصعد أمير المؤمنين المنبر يستنصر. ثم واقعناهم»[5].

إنه معنى مخبوء أبرزه القائد العام ـ رضي الله عنه ـ ، وهو أمله وثقته بدعاء أمير المؤمنين له ولجيشه بالنصر، فأي بركة تغمر هذا الجيش؟ وأي توفيق يتنزل عليهم حين يكون خيرة أهل الأرض يدعون لهم بالنصر والتثبيت في يوم الجمعة[6].

ثم دعا قائلا:« اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز للإسلام، وذل يذل به الكفار، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة»[7].

(1)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري ، 131/4.
(2) **المصنف**، أبي بكر عبد الله بن مُحَّد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تح: مُحَّد عوامة، لبنان، بيروت، دار قرطبة، ط1، 1427هـ،2006م، 290/18.
(3) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 131/4.
(4)**المصدر نفسه**، 131/4.
(5) **المصدر السابق**،294/18.
(6) **المسيرة لجيل الخلافة الراشدة، عمر بن الخطاب، الانسياح الإسلامي في الأرض**، منير مُحَّد الغضبان، 982/3.
(7) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 131/4،.119/4.

يصنفه منير الغضبان في هذا الموقف من الثلاثة العظام الربانيين الذين ربطوا الشهادة بالنصر. فهو يرجو أن يرى النصر في الملأ الأعلى بعد استشهاده، إذا لم يره بعينه قبل وفاته[1].

فلما كبر التقى الجيشان فاقتتلوا بالسيوف قتالا شديدا حتى أصبحت أرض المعركة دما، فزلق فرس النعمان في الدماء فصرعه، فحمل الراية نعيم بن مقرن قبل أن تقع[2].

واستمر القتال حتى انهزم المشركون ودخل المسلمون نهاوند، ولم تقم للفرس بعدها قائمة، فكان فتح الفتوح لعظمة ذلك.

مما سبق يتضح أن المشاورة أساس نجاح أي عمل مهما كان، خاصة إذا تعلق الأمر بالحرب التي تحتاج إلى أخذ ورد وتشاور ليكون الرأي السديد هو الذي يؤخذ به.

فهذه معركة صامتة عالمية لم تكن فيها القيادات متميزة على الجنود، ومعركة بهذه الضخامة وهذا الأثر لا تسمع فيها عن بطولات خاصة يستشهد قائدها منذ المراحل الأولى فيها، فجيل الخلافة كله يصنع النصر بتوفيق الله، لم نسمع عن كَرّ وفرّ، إنما هو اشتباك لم ينته إلا بهزيمة جيش العدو، واستمر بضع عشرة ساعة غَيَّرَ مسار التاريخ، وعز الإسلام وأهله؛ ففي معظم الأحيان تنتهي المعركة بانتهاء القائد، ولو سقطت الراية أثناء المعركة لنزل الوهن في القلوب، غير أن هذه الأمة تملك جيلاً قياديا كاملا يعرف التصرف أثناء الأزمات[3].

وخلاصة القول في هذه المعركة أنها لا تحتوي على قائد واحد؛ إنما كل الجنود باستطاعتهم حمل الراية وإنقاذها، فلما أصيب النعمان حملها أخوه نعيم بن مقرن، وحافظ عليها عالية كي يعلم الجنود أن قائدهم لا يزال يقود المعركة، ثم سلمها إلى حذيفة بن اليمان[4].

إتباعا لأوامر الخليفة ـ ﷺ ـ ، والأهم من ذلك فطنة وذكاء المغيرة بن شعبة الدبلوماسي السياسي العسكري المحنك، في كتم أمر استشهاد النعمان، حتى لا يصيب الجيش الوهن والتراجع.

---

(1) **المسيرة لجيل الخلافة الراشدة**، 989/3

(2)**المصدر السابق**، 132/4.

(3) **المسيرة لجيل الخلافة الراشدة،عمر بن الخطاب، الانسياح الإسلامي في الأرض**، منير مُحَّد الغضبان، 990/3 .991.

(4) **حذيفة بن اليمان** بن جابر بن عمرو بن ربيعة العبسي، هاجر إلى النبيﷺ، فخيره بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة وشهد مع النبيﷺ، أحداً وقتل ابوه بها، وهو صاحب سر رسول اللهﷺ ، في المنافقين لم يعلمه أحد غيره، أرسله رسول الله ليلة الأحزاب سرية ليأتيه بخبر الكفار، ولم يشهد بدرا، لأن المشركين أخذوا عليه الميثاق لا يقاتلهم، شهد حذيفة الحرب بنهاوند، فتح همذان والريّ، والدينور، وشهد فتح الجزيرة، توفي بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان ﷺ بأربعين ليلة سنة ست و ثلاثين. **ينظر**: **أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير**، 706.707/1.

وهناك الكثير من القيادات الواعية التي كان لها الفضل في تحقيق الانتصارات؛ نذكرها باختصار: قيادة عتبة بن غزوان[1]، في فتح الاهواز (سنة 16هـ.) وقيادة عياض بن غنم في فتح الجزيرة (سنة 17هـ)، إضافة إلى قيادة العلاء بن الحضرمي[2] في معركة طاووس[3].

الملاحظ في القيادة العسكرية لأمير المؤمنين عمر - ﷺ - هو الترفيع التدريجي للقيادات؛ فالقعقاع حتى حرب المدائن والقادسية هو قائد خاص ضمن رئاسة الأركان الإسلامية، وقد تم ترفيعه لقائد للمقدمة ضمن صلاحيات القائد العام هاشم بن عتبة الذي تكلف بجبهة جلولاء. غير أن البطولة العظيمة له في اقتحام الخندق على العدو، وانزال الخسارة العظمى فيه، أهَّلته ورفعته ليكون قائدا عاما للجبهة الجديدة في حلوان[4].

« إن فتح الله عليكم جلولاء فسرّح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى ينزل بحلوان، فيكون ردءا للمسلمين، ويحرز الله لكم سوادكم»[5].

وبالفعل نفذ أمر أمير المؤمنين، فبقي هاشم في جلولاء وهو نائب القائد العام، وتحرك الجيش الجديد بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي إلى حلوان. وقتل قائدها وتم الفتح وسقطت حلوان بيد المسلمين.

نجد في هذا الصدد منير مُحَمَّد الغضبان وهو يعقد مقارنة في العامل الذي بموجبه تتم ترقية القائد العسكري في زمن الخلفاء مع زمننا هذا فيقول:« إن ترفيع القادة العسكريين في وقتنا مرهون بالزمن، فكلما أمضى زمنا في رتبة، ترفع أعلى، فنجد قائد الجيش، ولم يخض معركة واحدة في حياته، أو خاض معركة ومني بالهزيمة فيُرفع على إثر هزيمته، أما الترفيع في الجيش الإسلامي فلا يكاد يرتفع إلى الرتبة الأعلى إلا من خلال معركة حربية متوجة بالنصر مكلّلة بالفوز»[6].

(1)**ابن جابر بن** وهب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن مازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ، ويكنى أبا عبد الله، وأيضا أبا غزوان، هاجر إلى أرض الحبشة، استعمل على البصرة في عهد عمر بن الخطاب، وبنى مسجد بقصب، توفي بالبصرة سنة 17هـ، **ينظر**:**طبقات الكبرى**، ابن سعد، 92،93/3. **وينظر**: **أسد الغابة** ، ابن الأثير، 565/3.

(2) **العلاء بن الحضرمي**: واسم الحضرمي عبد الله بن عباد بن أكبر بن الخزرج، وهو من حضر موت حليف حرب بني أمية، ولاه النبيﷺ البحرين، ثم أقره الصديق ﷺ في خلافته كلها، ثم أقره عمر بن لخطاب كذلك،كان مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمات قالها ودعا بها ولما قاتل أهل الردة بالبحرين كان له في قتالهم أثر كبير، وتوفي سنة 14هـ، **ينظر**: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير،71/4ـ72.

(3) **ينظر**: **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 377/2، 444/2.

(4) **المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة عمر بن الخطاب،الفتوحات الإسلامية الموسعة**، منير الغضبان،613/2.

(5) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 24/4.

(6)**المرجع السابق**، 613/2.

بمعنى أن الانتقال من رتبة إلى رتبة أعلى في الجيش الإسلامي على عهد عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ كان مرهونا بما يقدمه من نجاح في المعركة بالظفر والنصر أي الكفاءة الحربية والتخطيطية هي التي تحسم الأمر في ترفيع الجندي وترقيته.

وهذا حدث مع الكثير من القيادات أمثال: عبد الله بن المعتم حين تولى قيادة فتح تكريت(1).

كما ذكرنا سابقا، وتم ترفيع ابن الأفكل العنزي وكلف بفتح الحصنين، وأيضا تم اختيار القائد القرشي الشاعر ضرار بن الخطاب الفهري لفتح ماسبذان، وتمت كذلك ترقية عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف إلى القائد العام لفتح قرقيسيا(2).

فنجد أنه لا بد أن يحدث ابداعا أو خطة حربية عالية حتى يتم الترفيع للقيادة العامة.

أما في عهد عثمان بن عفان ـ ﷺ ـ فقد برزت سمة الاستشارة كذلك في فتح جزيرة رودوس(3) بقيادة معاوية بن أبي سفيان فقد كتب إلى عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ يستأذنه في فتح جزيرة أخرى في البحر يقال لها رودوس، قال:« فاستشار عثمان المسلمين في ذلك فقال المسلمون: يا أمير المؤمنين إن المسلمين قد فتحوا جزيرة قبرص وقد اجترؤا عليها وعلى ركوب البحر، فأذن لهم في ذلك فعسى الله أن يغنمهم إياها، قال: فكتب عثمان إلى معاوية أني قد أذنت لك فيما سألت فاتق الله ولا تضيع الحزم، وإن خوفت من البحر شيئا فلا تركبنه فإن هوله عظيم»(4).

ولنا أمثلة أخرى تبين مدى التزام القادة بالشورى ومنها موقف ابن أبي سرح في فتح افريقية حين أرسل إلى الخليفة عثمان ـ ﷺ ـ يستأذنه، وبعد استشارة الصحابة ومجلس الشورى أرسل له بالقبول وأرسل جيشا بقيادة الحارث بن الحكم إلى مصر(5).

وقد حرص عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ على تنفيذ أوامره واتباعها والالتزام بها وكل من يخالفه في ذلك يتم عزله، وهذا فعلا ما حدث مع العلاء بن الحضرمي حين عبر إلى فارس بغير إذن عمر ﷺ، ما جعل المسلمين محاصرين من قبل الفرس ولم يستطيعوا الرجوع إلى سفنهم، ولما سمع بذلك عمر ـ ﷺ ـ أمر عتبة بن غزوان بإرسال جيش لإنقاذه حتى لا يهلك المسلمون، ثم عزل العلاء بن الحضرمي عن البحرين(6).

---

(1)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 35/4.

(2)**المصدر نفسه**،38/4 37.

(3)**رودس**: جزيرة ببلاد الروم وهي في الإقليم الرابع، وهي جزيرة مقابل الإسكندرية على ليلة منها ي البحر، وهي أول بلاد افرنجة، وفي سنة 332هـ، كانت عبارة عن دار صناعة الروم بها تبنى المراكب البحرية، وفيها خلق من الروم، ومراكبهم تقارب بلاد الإسكندرية وغيرها من بلاد مصر، فتغير وتسبي وتأخذ، **ينظر**: **معجم البلدان**، الحموي، 78/3.

(4)**كتاب الفتوح**، بن أعثم الكوفي، 352/3

(5)**فتوح مصر**، ابن الحكم، ص:210

(6) **ينظر**: **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 209/2.

وذلك لأنه خالف المنهج الذي سطره عمر بن الخطاب لقادته وهو منهج الاستشارة وأخذ رأيه في كل خطوة من شانها أن تهلك الجيش وتكون فرصة للعدو، هذا المنهج الذي أصر على تنفيذه، والمتمثل في الطاعة والاستشارة هو الذي جعل الفتوحات في عهده ـ ﷺ ـ تمتد وتتوسع لتشمل أرض العراق والشام وحتى إفريقية، إنه الفقه الاستشرافي الذي تميز به عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ؛ فيعلم علم اليقين أنه لو تسامح مع فعل العلاء لفتح بذلك باب للابتعاد عن مبدأ الشورى؛ الذي هو من الأسس التي لا يمكن الاستغناء عنها في حالة السلم، فكيف يتم تعطيلها في حالة الحرب التي من الممكن أن تهلك الدولة كلها !!!.

وهكذا تجلت سنة الاستشارة من خلال التعامل مع القائد من طرف الخليفة، بأن يخبره بكل التفاصيل وذلك بالتواصل المستمر بينهم، ومن خلال التشاور بين القائد وجنده وجعل هذا الأخير عنصرا فعالا في المعركة وتحفيزه بأخذ رأيه ومشورته، والأمثلة كثيرة؛ إلا أن المقام لا يسمح بذكرها.

خلاصة المبحث

يمكن القول بعد هذا الطرح إن الخليفة عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ كان على فقه واسع بعلم السنن الإلهية، وأن حكمة الله اقتضت أن يقيم صلاح الأرض على قانون الدفع أي (الجهاد) ، وأن الشعائر التعبدية ودور العبادة محمية بهذا القانون، فسنة التدافع لابد من وقوعها لإبعاد الباطل وإظهار الحق، ولن يتم ذلك؛ إلا بالاستعداد وتجهيز القوة والتحضيرات في جميع الميادين، خاصة بذل المال لأنه العصب الأساسي للجهاد ومواجهة العدو والتمكن منه.

فكلما تقدمت الأمم كان داعيتها وحاجتها إلى المال أكثر، لما يتوقف على ذلك من الإعداد لعدوها، وتنوع آلات الحرب لديه وقد أمرنا سبحانه وتعالى بأن نعد لعدونا ما استطعنا من قوة، والمال قوة لا بد منها. فلا تستطيع الأمة أن تنهض وأن تقف أمام أعدائها بدون مال، فهو أمر ضروري للذي يريد أن يقاتل للدفاع عن الحق أو لحماية ونشر الدين، وهذا ما كان له الأثر الواضح في توسع الفتوحات حينما فقه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ أهمية المال ودوره في توسع وامتداد الفتوحات.

وكانوا أكثر فقها بأن الدعوة لله عز وجل تستلزم اختيار الكفاءة العسكرية والتي من موجباتهاالخبرة والتخطيط الاستراتيجي، إضافة إلى أهم عنصر وهو الاستشارة والانضباط.

المبحث الخامس:

أسباب متعلقة بالتخطيط والتنظيم الاستراتيجي وفقه المرحلية

التخطيط الاستراتيجي والتعاون هما أول عاملين أساسيين في الحروب، لذا لابد على كل من يخوض غمار الحرب أن يكون لديه هذا المنهج، وعلى هذا سأتطرق في هذا المبحث إلى ذكر التخطيط الذي كان في الجبهة الشامية والمصرية؛ لما له من أهمية وحضور فعال في هذه الجبهة، وهذا لا يعني أن الجبهات الأخرى لم يكن فيهما هذين العاملين، وإنما آثرت إيرادها هنا تماشيا مع مقتضيات البحث.

المطلب الأول: التخطيط الاستراتيجي

ظهر التخطيط الاستراتيجي في الكثير من المعارك التي خاضها الفاتحون في كل الجبهات خاصة في الجبهة الشامية، ما أدى إلى القضاء على الروم نهائيا، وفيما يلي الخطوط العريضة لهذا التخطيط العبقري نرصده في الكثير من المعارك بداية بمعركة اليرموك.

ولابد أن أنبه إلى أن التخطيط لم يكن فقط في الجبهة الشامية، وإنّما كان منذ بداية الفتوحات وقد آثرت أن أضعه في السنن المتعلقة بأهم المعارك الفاصلة في تاريخ الفتوحات، وكان بالفعل له أثره الواضح ونتيجة إيجابية على توسع الفتوحات.

الفرع الأول: اختيار المعسكر الملائم

إن اختيار المعسكر الملائم ومركز القيادة من أهم عوامل النصر في الفتوحات، إذ قد يكون سببا في النصر وقد يكون سببا في الهزيمة، ولذلك جعل عمر بن الخطاب ﷺ . الاستشارة بينه وبين القادة وبينه وبين الخبراء العسكريين وحتى بينه وبين الجند.

ففي معركة اليرموك استطاع هرقل أن يحشد أكثر من مائتي ألف مقاتل، وألحق لهم مددا بقيادة باهان، وقيد ثمانين ألفا منهم بالسلاسل، ثم بعث إلى قادته وأمرهم بأن ينزلوا بالروم منزلا واسع الطعن، واسع المطرد، ضيق الهرب فوقع اختيار قادة الروم على اليرموك فتمركزوا فيها شهرا ونصف، ولما لم يكن المسلمون قادرين على الدفاع عن أهل حمص وفق عقد الأمان، فقد ردوا خراجهم، علما أن خالد بن الوليد ﷺ لم يرد الانسحاب نحو الجنوب، وفضّل جرّ الروم إلى حمص وقتالهم هناك، إلا أن أبا عبيدة خاف أن يؤتى المسلمون من خلفهم[1].

---

(1) **ينظر: فتوح الشام**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي، تح: عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت، دار الكتب العلمية، د،ط،ت،151/1، 153.

وقد رأى عمرو بن العاص ﷺ أن الروم قد أخطأوا بتمركزهم في اليرموك[1]، وأن طبيعة الأرض ستمكن المسلمين من الانتصار فقال:« أبشروا لقد حُصرت الروم وقلّما جاء محصور بخير»[2].

أما المسلمون فقد عبروا النهر إلى الجهة اليمنى، وضربوا معسكرهم هناك في واد منبطح يقع في الطريق المفتوح لجيش الروم، وبذلك أغلقوا الطريق أمام الجيش المزهو بعدده وعدته، فلم يعد للروم طريق يسلكونه أو يفرون إذا اضطروا للفرار، لأن جيش المسلمين أخذ عليهم مسلكهم الوحيد.

فكان لاختيار المعسكر الملائم أثره في سير المعركة وتحكم المسلمين فيها، مما كان سببا في دحر كل تلك الحشود من الروم والانتصار عليها.

أشار قادة المسلمين على أبي عبيدة بن الجراح - ﷺ - بترك الشام وعودة الجيش إلى الصحراء حتى تنتهي معارك العراق كليا، ولكن خالد بن الوليد - ﷺ - رفض ذلك وطلب من القائد تسليمه القيادة وهو واثق من تحقيق النصر قائلا: «خلّني والناس، ودعني والأمر، وولّني ما وراء بابك، فأنا أكفيك بإذن الله أمر هذا العدو»[3].

فوافق أبو عبيدة بن الجراح - ﷺ - مراعاة للمصلحة العامة، فقد كان على علم بمهارة وقدرة خالد على التخطيط والقيادة وهذه المعركة حاسمة فتركها له.

وعليه فإن في أخذ أبي عبيدة بالمشورة العسكرية فيه تحقيق لمصلحة المسلمين، فقد استشار خبيرا عسكري اذا حنكة في الأمور الحربية.

الفرع الثاني: التداول على قيادة المعركة

سمع الروم بزحف المسلمين، فكتبوا إلى هرقل، فخرج حتى نزل بحمص، فأعد الجنود وعبى العسكر، حتى بلغ من أرسلهم لقتال جيش عمرو تسعين ألفا، وإلى جيش أبي عبيدة في ستين ألف، ومثلها إلى بقية الأماكن، فأدرك القادة المسلمون ألاَّ قِبَلَ لهم بملاقاة كل تلك الجحافل متفرقين، ففزعوا بالكتب والرسل إلى عمرو يسألونه الرأي، فرد عليهم: إن الرأي الاجتماع...فاتَّعَدوا اليرموكَ ليجتمعوا به، وكتب ابن العاص إلى الخليفة يطلعه الخبر، فجاءهم كتابه بمثل رأي عمرو، وفيه: « ان اجتمعوا فتكونوا عسكرا واحدا، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين، فإنكم أعوان الله، والله ناصرٌ من نصره، وخاذلٌ من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة من عشرة آلاف إذا أوتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا

---

(1)**كان جيش الروم ثقيلا**، مكبلا جنده بالأغلال، والمكان محصور من جهته الغربية والجنوبية بمنحدرات حادة كوادي الرقاد الذي يتصل بنهر اليرموك عند الواقوصة من الغرب، وبوادي اليرموك الذي يلتقي بعد حوالي 230كلم بوادي الرقاد عند الواقوصة من الغرب، ينظر: **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 232/4

(2)**المصدر نفسه**، 393/3.

(3)**فتوح الشام**، الواقدي، 158/1.

باليرموك متساندين، وليُصَلِّ كل رجل منكم بأصحابه»[1].

لما اجتمع الجيوش الأربعة في معركة اليرموك[2]. طلب خالد بن الوليد منهم التعاور في الإمارة فقال:« فهلموا فلنتعاور الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غدا، والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم، ودعوني أليكم اليوم»[3]. فوافقوا على ذلك؛ فبدأ خالد بن الوليد بالتخطيط الاستراتيجي النابع من ذكائه، فابتكر أسلوب القتال في الكراديس، وهي وحدات عسكرية متكاملة ومستقلّة ومتباعدة عن بعضها البعض، كل منها يضم حوالي ألف مقاتل، وقد جمع كراديسه. وكان عددها (38 كردوسا،) وزعت بشكل شطرنجي .، ثم صفها على ميمنة وميسرة وقلب، واستشار أبا عبيدة في تعيين القادة، وجعل في كل كردوس جيشا متناسقا على أساس القبيلة أو التشكيل العسكري السابق، وعلى كل كردوس قائدا من قادة المسلمين[4].

ثم أبلغ خالد أبا عبيدة خطة المعركة قائلا:« قد رأيت أن أفرق خيلي فأكون في إحدى الخيلين، وقيس بن هبيرة في الخيل الأخرى، ثم تقف خيالنا وراء الميمنة والميسرة، فإذا حملوا على الناس، فإن ثبت المسلمون فالله ثبتهم وثبّت أقدامهم، وإن كانت الأخرى حملنا عليهم بخيولنا»[5].

وبالفعل هاجم الروم ميمنة المسلمين ثم أتبعوها بهجوم على الميسرة، فحدث اختراق لصفوف المسلمين من الميمنة والميسرة، وبلغت هجمة الروم فسطاط خالد ومخيم النساء، بعيدا عن مشاة الروم، فيما خالد وقيس يراقبان انفصال فرسان الروم عن مشاتها، ولما حان الوقت انقض هو وقيس على فرسان الروم المتعبين، فأعمل السيف في الفرسان وضيق عليهم، إلا أنه ترك لهم ممرات مفتوحة ليهربوا، وارتد الروم إلى الخلف هلعين وصاروا يسقطون في الواقوصة بفعل السلاسل التي تربطهم، وانتهت المعركة بمقتل نصف جيش الروم تقريبا[6].

وكانت الغلبة للمسلمينبفضل معية الله عز وجل لهم، لأنهم قاتلوا الروم طلبا للشهادة، ثم بفضل عبقريتهم في التخطيط رغم قلة عددهم مقارنة بالعدو.

يقول صاحب كتاب: معارك خالد بن الوليد، مبرزا عبقريته في التخطيط لإنجاح المعركة:« وكأن الروم يئسوا من إزالة المسلمين عن مواضعهم... أوكأنهم أرهقوا من منازلتهم قوما جمعت بين قلوبهم عقيدة أن الموت في سبيل الله أفضل من الحياة وأن الاستشهاد مجد وانتصار، فتوقف مدّهم وهدأت حماستهم، وهذا ما كان خالدبن الوليد يرومهويبغيه واستجمع خالد قواه وعبأ احتياطيه، وأعطى إشارة البدء بالقتال من جديد، ونهد

(1)**الكامل في التاريخ**، ابن الأثير،255/2، **وينظر: البداية والنهاية**، ابن كثير،87/4.

(2)**كانت الجيوش الأربعة** تحت قيادة؛ أبي عبيدة بن الجراح، عمرو بن العاص، شرحبيل بن حسنة، يزيد بن أبي سفيان. **ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 395/3.

(3)**المصدر نفسه**، 396/3.

(4)**ينظر: فتوح الشام**،الأزدي، ص: 187 .191. **ينظر: المصدر السابق**، 396/3.

(5)**المصدر السابق** ص: 187. **وينظر: الفتوح**، الأعثم، 180/2 .185.

(6)**ينظر: الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 261/2.

من القلب على قلب الروم، بينما نهدت ميسرته على ميمنتهم، أما ميمنته فسدت المنافذ في وجوههم فحصرهم بين وادي اليرموك ونهر الرقاد، وهو المنفذ الوحيد لهم»[1].

ويؤكد(ول ديورانت) قوة ومهارة المسلمين رغم الظروف التي مر بها الجيش في طريقه إلى دمشق، بقوله:« ولما أن وصل خالد بن الوليد وجنوده من العراق إلى الجيش العربي الرئيسي المعسكِر على ضِفاف اليرموك على بُعد ستين ميلا إلى الجنوب الشرقي من دمشق، كانت تلك المؤن التي اصطحبها عبر صحراء السماوة من العراق قد نفذت، وهناك هزم أربعون ألفا من العرب مائتين وأربعين ألفا من الروم في المعارك الفاصلة التي لا حصر لها في التاريخ، وهكذا قامر الإمبراطور هرقل ببلاد الشام في معركة واحدة، فلما خسرها أصبحت البلاد قاعدة الدولة العربية الآخذة في الاتساع، وكان العرب فرسانا مهرة لا يضارعهم في مهارتهم خيالة الفرس والروم»[2].

ومن ثمة يمكن القول؛إن التخطيط الذي قام به خالد بن الوليد ـ ﷺ ـ كان له الفضل الكبير في الانتصار وهزيمة الروم على الرغم من كثرة العدد والعتاد، وخبرتهم في الحرب، عكس المسلمين، إلاّ أن الفارق في الذكاء ومعرفة سبل النجاح التي تمحورت في فكرة الكراديس كانت نصف الانتصار.

فهذا ما يؤكد أن الحرب خطط واستراتيجيات وليست عبثا وصدفا والغلبة للمؤمنين وللخير فقط، وإنما الغلبة للمجتهد العامل الفطن المسير الجيد للحروب. فهي سنة من سنن الله عز وجل فلم يأمر الله سبحانه وتعالى بالتوكل عليه فحسب؛وإنما أمر باتخاذ الأسباب، واستفراغ الجهد والعزم، فتلك حقيقة التوكل على الله،كما جاء في قوله تعالى:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران: ١٥٩]

فبعد ما استشار خالد بن الوليد القائد الأول أبا عبيدة بن الجراح وطرح فكرته، وموافقته عليها بدأ في تنفيذها رغم صعوبة الموقف، فهذا أنموذج من نماذج القادة الفاتحين في تعاونهم وفكرهم وتخطيطهم والثقة في بعضهم البعض،وهذا ما ميز جهادهم ومكنهم من الانتصار في معركة حاسمة كمعركة اليرموك.

الفرع الثالث: منع العدو من التحشد

وهذا أيضا من الاستراتيجيات والتخطيطات العسكرية التي طبقها قادة الفتح وكانت من أسباب انتصارهم، وفيها يعمد القائد إلى تشتيت صفوف العدو ومنعهم من التكتل والتجمع، ليسهل عليهم قتالهم في أعداد صغيرة غير منتظمة وبمعزل عن قياداتهم، وقد تجلى هذا التخطيط الذكي في معارك كثيرة منها: وقعة فحل وبيسان وكذا معركة مرج الروم وفتح دمشق. وسأذكر بإيجاز ما حدث في تلك المعارك.

---

(1)**معارك خالد بن الوليد**، ياسين سويد، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1975،24/1.

(2)**قصة الحضارة**، ول وايرلديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، بيروت،دار الجيل، (د،ط) 1988م، 74/13. 76.

أولا: وقعة فِحل[1]. وبيسان[2].

من بين الخطط الاستراتيجية ما وقع في معركة فحل، فبعد هزيمة الروم في مرج الصُّفر، أصبح الطريق خاليا إلى دمشق، فحاصرها المسلمون بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، فتحرك الداركس في أربعين ألف مقاتل نحو الجنوب للالتفاف على المسلمين، إلا أن خطط الجيش الإسلامي أملت عليهم أن يتركوا قوة خفيفة بقيادة يزيد بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ حول دمشق[3]، وقطعوا خطوط الإمداد والتطويق المحتملة، عبر قوة من خيالة المسلمين بين دمشق وحمص، وقوة أخرى بين دمشق وفلسطين، لمنع العدو من التحشد، ثم انسحبوا لملاقاة جيش الروم في بيسان أي شمال شرق فلسطين، وقد عسكروا في فحل القريبة منها، وكان بينهم وبين الروم نهر اليرموك، وضربوا حصارا على طبرية[4]، حتى لا تمد باقي الروم[5].

وتحركت قوة من المسلمين لقطع التواصل العسكري بين الأردن وفلسطين. لما تجمع الروم في بيسان، وبادر المسلمون بالهجوم بالفرسان ودارت فيها معركة شديدة، وفي فجر اليوم الثاني التقى الطرفان في المكان الذي كان الروم قد عدّلوا فيه مجاري الأنهار لتصبح الأرض سبخة حتى يعلق بها خيل المسلمين[6].

إلاّ أن خطة المسلمين كان عكس ذلك، فباغتوا العدو حينما صف الفرسان في المقدمة ووراءهم المشاة، وعندما اندفع الروم نحو المسلمين، تراجع الفرسان، وانحازوا يمنة ويسرة، ثم حاصروا فرسان الروم المندفعين نحو مشاة المسلمين، وبذلك فصل خالد بن الوليد ﷺ ـ قائد خيالة المسلمين ومقدمتهم، فرسان الروم عن مشاتها. قائلا: « الله أكبر، أخرجهم الله لكم من رجّالتهم، شدّو عليهم»[7]، فشدوا عليهم وأوقعوهم في الأرض التي أعدوها بأنفسهم، وبذلك تم القضاء عليهم.

هنا تظهر عبقرية القيادة في التخطيط لمنع احتشاد جيوش الروم، وفي جعل خطة العدو تنقلب عليهم.

ثانيا: معركة مرج الروم وفتح دمشق رجب 14هـ

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة– رضي الله عنهما– يأمره بأن يبدأ بدمشق[فانهدوا لها] فإنها حصن الشام، وبيت ملكهم، وأن يشغل أهل فحل، بخيل تكون بإزائهم، ثم يقدموا عل فحل، فأرسل أبو

---

(1)**فحل**: اسم موضع بالشام كانت فيه وقعة المسلمين مع الروم، ينظر: **معجم البلدان**، الحموي،237/4.

(2).**بيسان**: مدينة بالأردن بالغور الشامي، يقال هي لسان الأرض وهي بين حوران وفلسطين. **ينظر**: **معجم البلدان**، الحموي، 527/1.

(3)**ينظر**: **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 439/3.

(4)**طبرية** في الإقليم الثالث طولها من جهة المغرب سبع وخمسون درجة وخمس واربعون دقيقة، عرضها اثنتا وثلاثون درجة، وهي بليدة مطلة على البحيرة، وهي في طرف جبل وجبل الطور مطل عليها وهي من أعمال الأردن في طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت القدس فتحت علي يد شرحبيل بن حسنة سنة 13هـ، صلحا، **ينظر**: **معجم البلدان**، الحموي، 16/4ـ17.

(5) **ينظر**: **المصدر السابق**، 439/3. 444.

(6) **ينظر**:**المصدر نفسه**، 438/3. 435.

(7) **المصدر نفسه**، 434/3.

عبيدة إلى فحل طائفة من المسلمين فنزلوا قريبا منها، وبثق الروم الماء حول فحل، فوحلت الأرض، فنزل عليهم المسلمون فكان أول محصور بالشام أهل فحل، ثم دمشق[1].

وقد أرسل أبو عبيدة جندا فنزلوا بين حمص ودمشق، وجندا بين دمشق وفلسطين، وسار أبو عبيدة، وخالد فقدموا على دمشق، وعليها نِسطاس فنزل أبو عبيدة على ناحية، وخالد على ناحية، وعمرو على ناحية، وكان هرقل قريب من حمص فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصارا شديدا وقاتلوهم بالزحف، والمجانيق[2].

وجاءت خيول هرقل مغيثة دمشق فمنعتها خيول المسلمين التي عند حمص فخُذل أهل دمشق، وطمع فيهم المسلمون، ووُلد للبطريق الذي على أهلها مولود، فصنع طعاما فأكل القوم وشربوا وتركوا مواقفهم، ولا يعلم بذلك أحدٌ من المسلمين إلاَّ ما كان من خالد فإنه كان لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه من أمورهم شيء، وقد اتخذ حبالا كهيئة السلاليم، وأوهاقا[3]، ثم تقدم عليهم، وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو، ومذعور بن عديّ[4]. وأمثاله، وقالوا: « إذا سمعتم تكبيرا على السور فأرقوا إلينا، واقصدوا الباب»[5].

فلما وصل ألقوا الحبال فعلق بالشرف منها حبلان، فصعد فيهما القعقاع ومذعور وأثبتا الحبل بالشرف، وكان ذلك المكان أحصن موضع بدمشق، وأكثره ماء وأشده مدخلا فصعد المسلمون، ثم انحدر خالد وأصحابه، وأمرهم بالتكبير فكبروا، فأتاهم المسلمون إلى الباب وإلى الحبال، وانتهى خالد إلى من يليه فقتلهم، فما كان عليهم إلا أن أقروا بالصلح ، وتم ذلك وبُعث بخبر الفتح إلى الخليفة[6].

إن الأخذ بالأسباب سنة من سنن الله عز وجل، فالسبب طريق السنن يتوصل به إليها ولا طريق إلى السنن إلا به، وقد جعل الله تعالى لكل سنة سبيلها الذي يتوصل به إليها وطريقها الذي يستدل به عليها.

من خلال دراسة التخطيط الاستراتيجي الذي قام به القادة في جبهة الروم، نلاحظ أنهم أخذوا بالأسباب، وكان لديهم الوعي التام بأن الأسباب مقدمة السنن، والسنن ثمرة الأسباب، فمن أخذ بسبب سنة من السنن كانت له، ومن غفل عنها كانت عليه. فعمل أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وغيرهما من القادة على الأخذ بالأسباب والاستعداد وتجهيز قوتهم والعمل المستمر وإيجاد كل الحلول المناسبة، وذلك اتخاذا للأسباب كي تكون الثمرة، وبالتالي تتحقق سنة من سنن الله عز وجل في هذا الفتح.

---

(1)**ينظر: المصدر نفسه.** 438/3.

(2) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري. 438/3.

(3)**الأوهاق:** جمه وهق، بالتحريك: الحبل في طرفيه أنشوطة يطرح في عنق الدابة أو الانسان حتى يؤخذ، **ينظر: المصدر نفسه** 439/3.

(4)**ينظر: المصدر نفسه**، 440/3.

(5)**المصدر نفسه**، 440/3.

(6)**ينظر:الكامل في التاريخ**، ابن الأثير،278/2-279.

المطلب الثاني: التعاون وفقه المرحلية

وسنتناول في هذا المطلب التعاون وفقهه المرحلية في الفتوحات الإسلامية

الفرع الأول: التعاون الحربي

إن أعظم مهمة تناولها منهج القرآن الكريم مهمة الدعوة إلى الله تعالى ونصرة دينه، فمسؤولية تبليغ الدعوة مسؤولية عظيمة، ولذا فإن النبي ﷺ رغم أنه كان مؤيدا من الله عز وجل؛ إلا أنه واجه عنتا شديدا، وعلى الرغم من تأييد الله تبارك وتعالى له وقدرته على نصرته بجنود من عنده؛ إلا أن الله تعالى يسر سبل النصرة والمعاونة من قبلالصحابة من المهاجرين والأنصار.فقال عز من قائل:﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ ﴾[الأنفال: ٦٢ – ٦٣].

قال الطبري في تفسير الآيتين: «وإن يرد، يا محمد، هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ إليهم على سواء إن خفت منهم خيانة، وبمسالمتهم إن جنحوا للسلم، خداعك والمكر بك﴿ فإن حسبك الله ﴾، يقول: فإن الله كافيكهم وكافيك خداعهم إياك؛ لأنه متكفل بإظهار دينك على الأديان، ومتضمن أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى﴿ هو الذي أيدك بنصره ﴾، يقول: الله الذي قواك بنصره إياك على أعدائه ﴿وبالمؤمنين﴾، يعني بالأنصار[1].» .

وقال ابن كثير: «ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقووا ويستعدوا ، (فإن حسبك الله) أي: كافيك وحده ثم ذكر نعمته عليه بما أيده به من المؤمنين المهاجرين والأنصار ؛ فقال:(هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم) أي : جمعها على الإيمان بك ، وعلى طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك»[2].

لذلك ربطت سنة التعاون بالتوسع في الفتوحات لما لها من أثر معنوي ومادي على الامتداد في الفتح وتحقيق النصر؛ وهذا ما سأبينه في دراستنا للفتوحات البحرية خاصة في فتح افريقية وقبرص ومعركة ذات الصواري.

بعد فتح مصر على يد عمرو بن العاص ـ ﷺ ـ اتُخذ قرار فتح افريقية لتحصين مصر من جهة واستكمال الفتوحات من جهة أخرى، فأرسل عبد الله بن أبي سرح بعد المشاورة مع عثمان بن عفان ـ ﷺ ـ فجهز معه جيشا بقيادة عبد الله بن نافع بن عبد القيس، وجيش بقيادة عبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين، فخرجوا جميعا متعاونين على العدو حتى أوغلوا في سواحل افريقية؛ ففتحها الله لهم[3].

(1)**ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، 48/14.

(2)**ينظر: تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، 84/4.

(3)**ينظر: فتح مصر**، ابن الحكم، ص:203 .218. **وتاريخ خليفة**، ابن خياط، ص: 108.

إن الإنسان إذا أحب شيئا أصر على الوصول إليه ولو على حساب نفسه، فما بالك بالإنسان المؤمن الذي يقوم بشيء من أجل دينه ويكون المصدر الذي يحفزه إيمانه بالله عز وجل، فالجيل الذي يحمل راية الهدى في الأرض لا يمكن أن يقف البحر عائقا دون تبليغ هذه الرسالة، وهو الذي يحتك بشكل دائم ومستمر مع قوى البغي والطغيان في الأرض. وقبلها نجد قول سعد بن معاذ[1]. ﷺ . للنبي ﷺ:« فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلّف منا رجل واحد» [2].

هذا بالفعل ما حدث في ركوب البحر لفتح جزيرة قبرصبقيادة معاوية بن أبي سفيان.[3] وتجدر الإشارة إلى أن النبي ﷺ بشر بركوب البحر والغزو فيه، ولعل معاوية بن أبي سفيان كان متحمسا بسبب هذه البشارة، عن أنس بن مالك قال: «**كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺيَدْخُلُ علَى أُمِّ حَرامٍ بنْتِ مِلْحانَ وكانَتْ تَحْتَ عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عليها يَوْمًا فأطْعَمَتْهُ، وجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ، فَنامَ رَسولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وهو يَضْحَكُ، قالَتْ: فَقُلتُ: ما يُضْحِكُكَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ناسٌ مِن أُمَّتي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزاةً في سَبيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هذا البَحْرِ، مُلُوكًا علَى الأسِرَّةِ، أوْ: مِثْلَ المُلُوكِ علَى الأسِرَّةِ – شَكَّ إسْحاقُ – قالَتْ: فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، فَدَعا لها رَسولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وهو يَضْحَكُ، فَقُلتُ: ما يُضْحِكُكَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ناسٌ مِن أُمَّتي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزاةً في سَبيلِ اللَّهِ كما قالَ في الأُولَى، قالَتْ: فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، قالَ: أنْتِ مِنَ الأوَّلِينَ فَرَكِبَتِ البَحْرَ في زَمانِ مُعاوِيَةَ بنِ أبِي سُفْيانَ، فَصُرِعَتْ عن دابَّتِها حِينَ خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ، فَهَلَكَتْ.**» [4].

وفي رواية أنه قال: « **أَوَّلُ جَيْشٍ مِن أُمَّتي يَغْزُونَ البَحْرَ (قدْ أوْجَبُوا)**»[5].

---

(1)**سعد بن معاذ بن النعمان** بن امرئ القيس الانصاري الأوسي، أسلم على يد مصعب لما أرسله النبي ﷺ، إلى المدينة يعلم المسلمين شهد بدرا واحد والخندق، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن جده، قال: كنا جلوسا عند رسول اللهﷺ، فجاء سعد بن معاذ، فقال: "هذا سيدكم"، وقال عنه رسول الله ﷺ: " اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ". **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الاثير، 464/2.

(2)**أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، 464/2.

(3)**معاوية بن أبي سفيان** ويكنى أبا عبد الرحمن أسلم في الفتح، وقال : لقد دخل الإسلام قلبي ولكن أبويّ كانا يقولان لئن أسلمت لنمنعنك القوت، وولاه عمر ﷺ الشام بعد أخيه يزيد، وولاه عثمان ﷺ الشام في خلافته، ولما قتل عثمان ﷺ أظهر الطلب بدمه. **ينظر: أنساب الأشراف**، البلاذري1/ 13.

(4) **أخرجه البخاري** ، كتاب (الاستأذان،) باب (من زار قوما فقال عندهم)، حديث رقم 6282، 63/8.

(5)**أخرجه البخاري** ، كتاب (الجهاد والسير)، باب (ما قيل في قتال الروم) ،حديث رقم: 2924، 42/4،

فقد أرسل معاوية بن أبي سفيان كتابا يستأذن من الخليفة عثمان ـ ﷺ ـ أن يسمح له بركوب البحر إلى جزيرة قبرص ويخبره في كتابه بقرب المسير إليهم، وأن البحر قد ذل بعد صعوبته، قال:«فكتب إليه عثمان: إني لست بفاعل ذلك ولا آذن لك في ركوب البحر وقد نهاك عنه عمر بن الخطاب، فإن أبيت ذلك ولم يكن لك بد من ركوب الخيل فاحمل معك أهلك وولدك حتى أعلم أن البحر هيّن كما تقول ولا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم، فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه»(1).

من خلال كتاب الخليفة عثمان ـ ﷺ ـ هذا نجد أنه لم يقر بركوب البحر، وكذلك لم يرفض ذلك فجعل ضوابط يجب على معاوية اتباعها لخوض هذه المغامرة وهي:

1: أن يأخذ معاوية أهله في مركبه الوعر هذا، فإن تردد خوفاً، على أهله، فالخليفة في المقابل أحق بأن يحفظ أرواح المسلمين.

2: لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، فلا يجوز لهذا المركب الوعر الصعب أن يُفرض على المجاهدين المسلمين، وقيام الوالي بانتخاب المطلوبين لركوب البحر دون رغبتهم هو ظلم، وتقع دماؤهم في عنق الخليفة، فالانتخاب فرض، ولن يركب هذا البحر أحدا إلا باختياره.

3: خيِّرهم فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه(2).

ففعل معاوية ذلك، وسار إلى قبرص، وكان عمرو بن العاص كذلك قد جهز قوة بحرية بقيادة عبد الله بن أبي سرح، فتحركت القوتان نحو قبرص لفتحها، ولما التقت القوتان في سواحل قبرص فضّل أهلها الصلح ودفع الجزية، وترك معاوية قوة بقيادة عبد الله بن قيس الذي أغار على الروم نحو خمسين إغارة(3).

فتح المسلمون جزيرة قبرص صلحا على سبعة آلاف دينار كل سنة، يؤدون إلى الروم مثلها لا يمنعهم المسلمون من ذلك، وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم من ورائهم، وعليهم أن يُعلموا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم، ويكون طريق المسلمين إلى العدو عليهم(4).

فلما سأل عثمان عن كيفية فتح قبرص وتمكنهم منها قال معاوية: « والله يا أمير المؤمنين ما هو إلا أن وفيناهم ونظروا إلى مراكبنا قد أرسيت إلى ساحلهم حتى خضعوا وذلوا وأعطوا بأيديهم صاغرين؛ فقال عثمان: ذلك من فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين»(5)..

---

(1)**كتاب الفتوح**، بن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء،لبنان، بيروت، ط1، 1991م، 348/2.

(2)**المصدر نفسه**،348/2.

(3) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 600/3.

(4)**كتاب الفتوح**، بن أعثم الكوفي، 349/2.

(5) **المصدر نفسه**، 352/3.

نلمح من فتح قبرص تخطيطا استراتيجيا مفاده القتال كالبنيان المرصوص وتمثل في التعاون، وذلك بتوجيه قوتين في نفس الوقت للمواجهة البحرية، فقد استغل الروم عدم خبرة المسلمين في المواجهة البحرية، فكانوا يغيرون على شواطئ المدن الخاضعة للمسلمين فيقتلون ويحرقون ثم ينسحبون عبر البحر، وقد ذكرنا سابقا أن عمر بن الخطاب ﷺ رفض الخوض في المعارك البحرية خوفا على الجنود لعدم خبرتهم في المعارك البحرية، إلا أنه في عهد سيدنا عثمان ﷺ سمح بذلك لتغير الوضع فقد ازداد خطر الغارات البحرية؛ مما توجب على المسلمين مواجهة ذلك[1].

نستشف من هذه الحادثة أنه على الرغم من عدم خبرة المسلمين في الحرب البحرية، إلاّ أنهم عرفوا كيف يتحايلون على الروم بتجهيز قوتين وفي جهتين مختلفتين؛ مما أرعب أهل قبرص وجعلهم يسارعون إلى طلب الصلح.

فبرزت بذلك سمة من السمات القرآنية والتي حث عليها وهي سنة التعاون لما لها من نتيجة واضحة في التغلب على العدو جاء في قوله تعالى:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾[المائدة: ٢].

فنجد أن حكمة الله عز وجل في خلقه اقتضت أن يكون النوع الإنساني قائما بعضه ببعض معينا بعضه لبعضه، فالإنسان ضعيف بوصفه فردا، قوي باجتماعه مع الآخرين، وشعور الإنسان بهذا الضعف يدفعه حتما إلى التعاون مع غيره في أي مجال، حيث أمر الله تعالى عباده أن يجعلوا تعاونهم على البر والتقوى، وبما أن المجال الحربي يتطلب بالضرورة المساندة والتعاون، فكان أولى أن يكون في الدفاع عن الإسلام والجهاد في سبيل الله خاصة ما شهدناه في المجال البحري لصعوبة الأمر على المسلمين؛ لأنهم خاضوا غماره بالرغم من عدم الخبرة في ذلك، فكان من الواجب التعاون بينهم لتحقيق النصر.

والنتيجة؛أن التعاون واجب ديني وضرورة اجتماعية لابد من تفعيلها في كل المجتمعات، والمجتمع الإسلامي بصفة خاصة فهو مأمور بها في جميع مناحي الحياة.

وعمل الخليفة الثالث بهذا المبدأ في فتوحاته، فحينما فتح حبيب بن مسلمة قال يقلا وعلم أن العدو قد جمعوا له جمعا عظيما، فبعث إلى عثمان ﷺ يسأله المدد والعون، فلم يتأخر الخليفة وأرسل إلى معاوية بان يمده بجيش الشام والجزيرة، وكتب إلى والي الكوفة سعيد بن العاص بان يرسل جيشا بقيادة سلمان بن ربيعة الباهلي[2].

وظهر مبدأ التعاون أيضا في معركة ذات الصواري (سنة32)هـ، عندما قرر ملك الروم قسطنطين الثاني أن يهاجم المسلمين في البحر المتوسط؛ وذلك لاسترداد السيادة والتفوق البيزنطي على البحر،

---

(1) **ينظر: كتاب الفتوح**، بن الأعثم الكوفي، 350/3.

(2) **ينظر: فتوح البلدان**، البلاذري، ص: 188.

فلما وصل الخبر إلى الخليفة عثمان بن عفان ـ ﷺ ـ كتب مباشرة إلى معاوية يأمره بمواجهة ملك الروم، وفي الوقت ذاته كتب إلى أمير مصر آنذاك عبد الله ابن أبي سرح يأمره بأن يساعد الأسطولُ الذي في مصر الأسطولَ الشامي[1].

ولما التقى الجيشان كل في أسطوله دارت معركة حادة استعمل فيها الجيش الإسلامي السهام والرماح والحراب، وربطوا سفنهم بسفن البيزنطيين؛ ما أدى إلى هزيمتهم، وحقق بذلك المسلمون انتصارا حاسما[2].

ولابد من الإشارة في هذا الصدد إلى تطبيق المسلمين كذلك للدعوة قبل القتال والاحتياط وذلك لما قام الأحباش بالإغارة على سواحل المسلمين؛ فبينما عثمان كذلك، وقد فتح من البلاد ما فتح إذ بلغه أن قومًا من الحبشة أغاروا على بعض سواحل المسلمين، أصابوا منهم أموالاً وسبوا سبياً كثيراً، قال: «فاغتنم عثمان لذلك غمًّا شديدا، ثم أرسل إلى جماعة من الصحابة، وغيرهم من المسلمين فدعاهم واستشارهم في غزوة الحبشة، فأشار عليه المسلمون أن لا يغزوهم في بلادهم، وأن لا يعجل عليهم حتى يبعث إلى ملكهم فيسأله عن ذلك، فإن كان الذي فعله أصحابه عن أمره ورأيه، هيأ له المراكب، وأرسل إليه بالجند والمقاتلة، وإن كان ذلك من سفهاء أغاروا على سواحل المسلمين عن غير أمر ملكهم ورأيه، فعليه أن يشحن السواحل بالخيل والرجال حتى يكونوا على حذر»[3].

فقد بدأ الخليفة الثالث بموقف يشهد له ولدولة الإسلام على العدالة والالتزام بمبادئ الحرب وقوانينها، فلم يباغت أو يهاجم العدو، إلا بعد التأكد من الأمر إن كان للملك علم بذلك أم أنهم مجرد سفهاء، وبذلك أرسل إلى ملكهم يستشير قبل إعلان حربه: « فعمل عثمان على ذلك ثم دعا مُحَمَّد بن مسلمة الأنصاري فوجه به إلى ملك الحبشة في عشرة نفر من المسلمين يسأله عما فعل أصحابه، وكتب إليه عثمان بن عفان ﷺ كتابا»[4].

فلما قدم مُحَمَّد بن مسلمة بكتاب عثمان بن عفان وقرأه أنكر ذلك أشد الإنكار وقال: « ما لي بذلك من علم، قال: ثم إنه أرسل إلى قرى الحبشة في طلب السبي فجمعهم بأجمعهم ودفعهم إلى مُحَمَّد بن مسلمة، فأقبل بهم إلى عثمان وخبره بما كان من إنكار ملك الحبشة وطلب السبي؛ قال: فشحن عثمان السواحل بعد ذلك بالرجال وقواهم بالسلاح والأموال، فكانوا ممتنعين من الحبشة وغيرهم»[5].

---

(1) **كتاب الفتوح**، ابن الأعثم، 128/2.

(2) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 290/4.

(3)**كتاب الفتوح، ابن الأعثم، 347/3/3.**

(4) **المصدر نفسه**، 347/3.

(5)**المصدر نفسه**، 347/3.

الفرع الثاني: فقه المرحلية

إن لهذا الدين حركة احترمت المرحلية عند نشأته، كما احترم الواقعية وقانون السببية، وأخذ بعين الاعتبار الرؤية المستقبلية، والذي دعم ذلك كله وحي السماء، وجل النصوص القرآنية هي نصوص مرحلية لواقع معين، وهذا الواقع قد يتكرر وقوعه مرة أخرى، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولابد لنا عند دراستنا للنصوص الشرعية التي تناولت القتال، من معرفة طبيعة المراحل التي مر بها هذا الدين(1).

ويفسر هذا سيد قطب بقوله:« إن تلك الأحكام المرحلية ليست منسوخة بحيث لا يجوز العمل بها في أي ظرف من ظروف الأمة المسلمة بعد نزول الأحكام الأخيرة في سورة التوبة، ذلك أن الحركة والواقع الذي تواجهه في شتى الظروف والأمكنة والأزمنة هي التي تحدد عن طريق الاجتهاد المطلق؛ أي الأحكام هو أنسب للأخذ به في ظرف من الظروف في زمان من الأزمنة في مكان من الأمكنة مع عدم نسيان المرحلة الأخيرة، التي يجب أن يصار إليها متى أصبحت الأمة المسلمة في الحال التي تمكنها من تنفيذ هذه الأحكام، كما كان حالها عند نزول سورة التوبة»(2).

وبهذا فالأمة المسلمة لا بد لها أن تحسن ظروفها، ما يساعدها على تطبيق الأحكام النهائية للقتال، فلا خلاف أن العمل بأحكام الجهاد؛ إنما هو على حسب القدرة والاستطاعة(3).

والرسول ﷺ وهو النموذج في ذلك أمر في المرحلة المكية بكف اليد، وترك قتال الكفار قريش، وتحمل في سبيل ذلك مع أصحابه . رضي الله عنهم . من الأذى أصنافا كثيرة، وذلك لغايات عظيمة منها، أنه عند ضعف المسلمين علّمنا النبي ﷺ عدم وأد الدعوة في بدايتها، وتهيئ المناخ والمكان الذي يأمن فيه المسلمون.

فالصحابة . رضي الله عنهم . فقهوا الوقت المناسب للحرب والوقت غير المناسب له، فيدفع بالمجاهدين حسب قوتهم وضعفهم ولم يخاطروا بالجيش الإسلامي، وهذا ما حصل في تقديرهم لخطورة التجربة البحرية وفتح افريقية أيضا.

وفي الفتوحات الإسلامية على الجبهة الشامية كانت سنة فقه المرحلية بارزة بشكل جلي وذلك من خلال:

فتح مصر: لما انتهى فتح المسلمين لبلاد الشام وانتهى عمرو بن العاص من فتح فلسطين، أرسل الخليفة عمر بن الخطاب عمرو بن العاص إلى مصر(4)، بعدما طلب منه عمرو ذلك لأن خصمه الأرطبون فرّ إلى

---

(1)(**أحكام القتال في سورة التوبة بين الرواية والدراية وحكم الاستعانة بغير المسلمين**)،ضروف فريد، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إشراف: السيد سيد أحمد مُحَمَّد نجم، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 1432هـ، 2011م)، ص:73.

(2)**في ظلال القرآن**، سيد قطب،1580/3.

(3)**ينظر:أحكام القتال في سورة التوبة بين الرواية والدراية وحكم الاستعانة بغير المسلمين**، ضروف فريد، ص:73 .74.

(4)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 106/4.

مصر، وما لم تفتح مصر فستبقى الشام كلها في خطر؛ لأن البحر سوف يحمل لجنوده المؤن والأسلحة والإمداد من القسطنطينية لاستعادة أرض الشام ـ درة الامبرطورية البيزنطية ـ لكنه يعلم أن مثل هذا الأمر ليس قرارا شخصياً بمقدار ما هو قرار الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

ويذكر المؤرخ ابن عبد الحكم استشارة عمرو بن العاص للخليفة الثاني في أمر مصر فيقول:« فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية، قام إليه عمرو، فخلا به، وقال: يا أمير المؤمنين، أئذن لي أن أسير إلى مصر، وحرّضه عليها، وقال: إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين، وعونا لهم، وهي أكثر الأرض أموالاً، وأعجزها عن القتال والحرب. فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين، وكره ذلك، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها، ويهوّن عليه فتحها حتى ركن لذلك عمر» (1).

وتذكر بعض المصادر(2)- تختلف رواياتها حول هذا الأمر- أن عمرو بن العاص خرج إلى مصر دون استئذان من الخليفة، وهذا مستبعد، إذ ليس من المعقول أن يمضي عمرو لفتح مصر من تلقاء نفسه دون استشارة عمر بن الخطاب وأخذ رأيه وموافقته على هذا الفتح، ولا أن يقدم عمرو على هذه المغامرة خلافا لرغبة الخليفة، فعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أقوى وأصلب من أن يفسح المجال لعامل من عماله أن يخالف رغباته ويتحدى أوامره ويخرج عن طاعته بصريح العبارة، لذا فلا بد أن عمرو بن العاص أقنع عمر بن الخطاب على فتح مصر، فكانت موافقته ـ رضي الله عنه ـ موافقة صريحة لا غموض فيها (3).

وعليه يتبين أن فتح مصر أو التفكير في التوجه إليها كان نابعا من عقل يفقه سنن المرحلية، وأنه حان وقت فتح مصر لما لها من أهمية ومكانة كبيرة، للمساهمة في قطع الإمدادات من جهة القسطنطينية لدعم أرطبون؛ ومنه تفسح الطريق لبيزنطة لاستعادة الشام. فأراد بذلك حماية الأراضي الإسلامية وتأمينها من كل الجهات.

فلما وصل عمرو بن العاص إلى مصر استطاع مواجهة الروم في موقع يقال له الفرما(4)ورغم قلة جيشه.ودار قتال شديداً بينهم دام شهرا كاملا، وتم فيه النصر والفتح، ثم توجه عمرو لا يدافع إلا بالأمر

(1) **فتوح مصر والمغرب،** لابن عبد الحكم، تح: عبد المنعم عامر، مصر، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ط.ت، 80 .1/81.

(2)**هذه المصادر هي: فتوح البلدان، البلاذري ص: 214، تاريخ ولاة وقضاة مصر،** مُحَمَّد بن يوسف بن يعقوب الكندي، ص: 7.

(3)**سفراء النبي ﷺ،محمود شيت خطاب،** جدة،دار الأندلس الخضراء، ط1، 1992، 300/2.

(4)**الفرما:** مدينة على الساحل من ناحية مصر، وهي مدينة قديمة بين العريش والفسطاط قرب قطية وشرقي تنيس على ساحل البحر على يمين القاصد لمصر، وبينها وبين بحر القلزم المتصل ببحر الهند أربعة أيام، وهي كثيرة العجائب غريبة الآثار، **ينظر: معجم البلدان،** الحموي، 255/4 .256

الخفيف حتى نزل القواصر[1]. ثم بلبيس حتى وصل إلى أم دنين فقاتل من بها قتالاً شديداً وأبطأ عليه الفتح حتى استمده عمر بن الخطاب فقاتلهم[2]. فتم فتحها رغم صعوبة الحرب في بدايتها بسبب الفارق العددي الواضح بين الجيشين.

وحاصر المسلمون عين شمس، فلما أحس السكان بعدم جدوى الحرب وأنهم يواجهون جيشا لا يستسلم، وله دافع قوي متمثل في العقيدة الإسلامية وهدف يجب الوصول إليه وهو نشر هذه العقيدة وإزالة كل العقبات التي تقف في طريقها. وبذلك سارعوا إلى طلب الصلح من عمرو بن العاص.

يقول الطبري : « لما نزل عمرو على القوم بعين شمس، وكان الملك بين القِبط والنّوب، ونزل معه الزبير عليها، قال أهل مصر لملكهم: ما تريد إلى قوم فلُّوا كسرى وقيصر، وغلبوهم على بلادهم، صالح القوم واعتقد منهم، ولا تعرض لهم، ولا تعرضنا لهم ـ وذلك في اليوم الرابع ـ فأبى وناهدهم فقاتلهم، وارتقى الزبير سورها، فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو، وخرجوا إليه مصالحين، فقبل منهم، ونزل الزّبير عليهم عنوة، حتى خرج على عمرو من الباب معهم فاعتقدوا بعد ما أشرفوا على الهلكة، فأجروا ما أخذ عنوة مجرى ما صالح عليه، فصاروا ذمة» [3].

وفيما يخص فتح الإسكندرية ظهرت أيضا سنة المرحلية في موقف عمرو بن العاص الذي تمثل في تعجيل السير إلى الإسكندرية، وذلك قبل أن يعود فيضان النيل ويغرق الأرض وقد بقى على موسمه أشهر قليلة.

فيعلم القائد أن هذا الوقت المناسب للبدء في القتال والقضاء على العدو، وأن فيضان النيل سيكون عقبة بالنسبة له وبذلك تفطن وأخذ هذا القرار الذي مكنه فيما بعد من تحقيق ما كان يهدف إليه.

فسار شمالا فسيطر على نقيوس[4]، ثم استولى على كريون، ثم دمنهور، فعبر النيل إلى الدلتا فوصل إلى سخا، فسار جنوبا إلى طوخ، ثم إلى دمسيس أي الجانب الشرقي لدمياط، ومن ثم عاد إلى حصن بابليون[5].

ثم أرسل عمرو جيشا لمواجهة المقوقس، فحاصروه في بابليون فقاتلوهم بها شهرا، حتى أرسل له المقوقس رجلا للتفاوض، فقال له عمرو بن العاص:« إما أن تدخلوا في الإسلام أو الجزية أو القتال وأمهلهم ثلاثة أيام؛ فطلبوا منه أن يزيدهم المدة فزادها لهم، فأبى أرطبون أن يجيبهما ثم نشب القتال، وعلموا أن النصر

---

(1)**القواصر**: جمع قوصرة التمر، موضع بين الفرما والفسطاط نزله عمرو بن العاص في طريقه إلى فتح مصر. **ينظر**: **المصدر نفسه**، 411/4.

(2)**فتوح مصر وأخبارها**، لابن عبد الحكم، ص: 85 ـ 87.

(3)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 108/4 ـ 109.

(4)**نقيوس**: قرية بين الفسطاط والاسكندرية كانت بها وقعة لعمرو بن العاص والروم لما نقضوا. **ينظر**: **معجم البلدان**، الياقوت الحموي، 303/5.

(5)**أطلس الفتوحات الإسلامية**، أحمد عادل كمال، ص: 152 ـ153.

حليف المسلمين، فبادر المقوقس إلى اختيار دفع الجزية بدلا من مواجهتهم التي باتت قريبة من الهزيمة الحتمية لهم، فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص وعرض عليه الصلح وهذا ما تم بالفعل»[1].

وطلب الخليفة عمر بن الخطاب من عمرو بن العاص أن يرسل جيشا إلى الصعيد فتم ذلك وفتحت، وكذلك استمرت الفتوحات إلى أن وصلت إلى الفيوم ودمياط وتنيس فتمت مصالحة أهلها على الجزية.

ولم تتوقف الفتوحات فبادر عمرو بن العاص بالاتجاه نحو برقة فصالح أهلها، ثم طرابلس ففتحها بعد حصارها لمدة شهر، إلى أن وصل إلى صبراتة وشهروس[2].

إن القيادة التي مثلها عمر بن الخطاب أفرزت عن الوعي التام لتقديره الوقت المناسب للخوض في الفتوحات سواء على الجبهة الشامية أو الجبهة العراقية، فكان ﷺ دقيق في اختياراته مراعيا بذلك كل الظروف التي تتعلق بجيشه ومدى قدرته على المواصلة، والتي تتعلق بالعدو واستغلال الفرص التي من شأنها أن تطيح بالعدو بأقل خسائر في جيشه، وهذا ما يعبر عنه في الحقل السنني بفقه المرحلية ولا يخفى على أحد أن الإسلام جاء بهذا المبدأ في أحكامه وتشريعاته، وبما أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ويتميز بالمرونة؛ فكان جديرا بالخليفة تطبيق هذا المبدأ والعمل به في الفتوحات الإسلامية، ويعطينا بذلك درسا في الفقه الاستشرافي والتحرك الاستباقي لوقاية الجيش من الأزمات حيث عرف الوقت المناسب للاندفاع نحو الفتح.

ونجد هذه السنة في فتح مصر والإسكندرية وغيرها، وقد ذكرنا سابقا أنّ عمرو بن العاص فاتح مصر هو من أشار على الخليفة أن يقدم على التوجه إلى مصر؛ وهذا دليل على أن القادة كان لهم هذا الفقه السنني المتمثل في التخطيط الناجح والمناسب لفتح مكان ما، فيراعى في ذلك كل الأسباب التي تجعل الانتصار ممكنا، وبسبب هذا الفقه نجد أن هناك عنصرين تحققا من خلال ذلك وهما:

أولا: نجد أن عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ أمر بالتوجه نحو مصر كان بعد الانتهاء من فتح الشام وتأمينها بالكامل، وبالتالي لم يجعل جيشه يواجه خطرا من ورائه، فتأمينه لخط الرجعة كان له الأثر في التوجه بروح معنوية عالية لدى القائد والجيش.

ثانيا: أن فتح مصر والإسكندرية وغيرها من المدن التابعة لهذه الجهة لم يحدث فيه معارك وحروب ومواجهات قاسية مثلما حدث في الشام والعراق، ولعل ذلك يرجع إلى استعداد وقوة المسلمين التي اكتسبها بعد تجربة طويلة في القضاء على الدولة الرومية والفارسية من جهة، وخوف العدو الذي يعلم أن الذي

(1)**فتوح مصر والمغرب**، ابن الحكم، 1/ 100 .103.

(2)**المصدر نفسه**،1/ 231 .232.

سيواجهه قد استطاع القضاء على أكبر قوتين في ذلك الوقت، فأصابه حالة من اليأس في التفوق على هذا الجيش العظيم.

وبهذا كانت معظم الفتوحات في الجبهة المصرية صلحا وقبل أهلها دفع الجزية، وهناك من أسلم كذلك.

وللتأكيد على فقه سيدنا عمر بن الخطاب ـ ﵁ ـ لفقه المرحلية ومتى يجب أن يأمر باستمرار الفتح ومتى يجب التوقف، فقد أمر عمرو بن العاص على أنّ لا يخاطر بالجيش وأن لا يتقدم أكثر من جهة الغرب. انه الفقه الاستشرافي الذي كان يتمتع به عمر بن الخطاب ـ ﵁ ـ ، فكان يمتلك فقه المآلات ما جعل كل قراراته تتجه في الاتجاه الصحيح ولم تكن لها عواقب وخيمة.

فلما تم فتح مصر على يد عمرو بن العاصفي خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ أمره أن يتوقف ولا يسير بجيشه أكثر خوفا عليه من افريقية، حيث بعث له عمرو بن العاص يستأذنه في فتحها فقال: « إنّ الله قد فتح علينا طرابلس، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل»[(1)]..فرد عليه عمر بن الخطاب ﵁ بقوله:« لا إنها ليست بإفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة، مغدور بها، لا يغزوها أحد»[(2)].

وعليه فإن هذا المنع له من الحكمة والفقه الواسع لأمير المؤمنين حيث إن في غزوها خطر على الجيش الإسلامي لبعدها، وقد اتخذ الخليفة من اسمها وصفا لما سيقع لجيشه، لهذا أمر بالتوقف وعدم الحوض في هذا الأمر، وهذا يدل على فقهه بالسنن المرحلية؛ فالوقت الذي كان فيه عمر بن الخطاب ـ ﵁ ـ كانت بداية الفتح لمصر فوجب الحذر والتريث وعدم المخاطرة بفتح بلاد وهم ليسوا على أتم الاستعداد.

وفي خلافة سيدنا عثمان بن عفان ﵁ عزل عمرو بن العاص عن مصر وأقر عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح[(3)].. وكان عبد الله بن أبي سرح يبعث المسلمين في جرائد الخيل فيصيبون من أطراف افريقية ويغتنمون، فكتب يستأذن عثمان بن عفان وأخبره بقربهم من حرز المسلمين ويستأذنه في غزوها، وبعد الاستشارة أمره بفتحها، وتم له ذلك بعد مقتل جرجير.[(4)].«فلما وغلوا في أرض إفريقية فأمنعوا انتهوا إلى الأجل، ومعه الأفناء، فاقتتلوا، فقُتل الأجل، قتله عبد الله بن سعد وفتح افريقية سهلها وجبلها، ثم اجتمعوا على الإسلام وحسنت طاعتهم»[(5)].

(1)**فتوح مصر والمغرب**، ابن الحكم، 1/ 100 .103.

(2)**المصدر نفسه**،232/1.

(3)**المصدر نفسه**،232/1.

(4)**المصدر نفسه**،232/1.

(5)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 254/4..

يتبين لنا من فتح افريقية في عهد عثمان بعد معارضة عمر بن الخطاب، وذلك لأن الأمر كان صعبا في عهده؛ إلا أن الوضع تغير على عهد سيدنا عثمان بن عفان ـ ﷺ ـ ، فلما أرسل عبد الله بن أبي سرح يستأذنه في فتحها كانت المسافة قريبة أكثر مما كانت عليه سابقا، فقد وصلوا إلى أطرافها فسهل الأمر عليهم، لذا أمرهم بفتحها، فقد آن الآوان لدخولها والتمكن منها، وهذا يدخل ضمن فقه المرحلية التي وجب على كل قائد أن يعرف الوقت المناسب والمكان المناسب.

خلاصة المبحث:

وخلاصة هذا المبحث هي أن:

ـ التخطيط الاستراتيجي الذي قام به قادة الفتح كان له دور كبير في صناعة النصر ونجاح الفتوحات؛ وذلك من خلال اختيار المعسكر الملائم، والتداول على القيادة، وكذا منع العدو من التحشد.

ـ يعتبر التعاون الحربي المنهج القويم الذي كان له أثر معنوي ومادي في الامتداد الفتوحات وتحقيق النصر؛وهذا ما لمحناه في فتح افريقية وقبرص ومعركة ذات الصواري.

ـ فتح افريقية ومصر كان بعد تريث وتفكير عميق حيث احترمت فيه المرحلية، فعرفوا متى يندفعون ويبادرون لفتح هذه المناطق، مما جعل الأمر أكثر سهولة ففقه المرحلية كان له أثر كبير في نجاح هذه الفتوحات وتوسعها.

ـ إن توسع الفتوحات وانتشارها حمل دلالات كثيرة أهمها اليقظة المنهجية في استثمار السنن وتفعيلها، وهو ما يشكل في مجموعه خاصية الرشد التي جاءت وصفا للخلفاء؛ فهذا الرشد هو الذي جعل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ يتمثلان الفتوحات تمثلا صحيحا ناجحا.

خلاصة الفصل:

في نهاية هذا الفصل يمكننا أن نقول:

إن أهم السنن الإلهية في توسع وامتداد الفتوحات الإسلامية إبان خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان – رضي الله عنهما – تمحورت حول:

أولا: أسباب ربانية؛ وهي وعود الله بنصر المؤمنين إذا ما تحقق شرط النصر وذلك ما كان من مبشرات من القرآن الكريم ومبشرات من السنة النبوية.

ثانيا: أن سيدنا عمر اتبع منهج النبي ﷺوالصديق ـ رضي الله عنهما ـ في الالتزام بشروط تعيين الولاة ووجوب توفرها وهي القوة والأمانة، البصر بالعمل، الرحمة والشفقة على الرعية، مبدأ العلم، لا يولي أحدا من أقاربه، إحصاء ثروة العمال عند تعينهم، المشورة في اختيار الولاة، جعل الوالي من القوم.

ثالثا: الاهتمام بصفات القادة العسكريين:أن يكون القائد تقيا ورعا عالما بأحكام الشريعة وشروط القتال والعهود، أن يحمل صفة التأني والتروي، وعدم العجلة في الإقدام على القتال، الدهاء والفطنة والحنكة في مواجهة العدو ومفاوضته، رغبة القائد في العمل ليكون أدعى لاستجابته واستفراغ طاقاته.

رابعا: الالتزام بحقوق القائد والجند: حقوق القائد وهي حق الطاعة حق التفويض، المسارعة إلى امتثال أمر القائد، عدم منازعة القائد في شيء من قسمة الغنائم، إضافة إلى حقوق القواد المادية.

وحقوق الجنود وهي الاهتمام بهم وتفقد أحوالهم، الرفق بالجند في السير والحرص على سلامتهم، أن يتصفحهم عند مسيرهم، عدم التعرض لمن خالفه عند لقاء العدو لئلا يحصل افتراق الكلمة والتنازع، حراستهم من غرة يظفر بها العدو في مقامهم ومسيرهم،الأخذ برأي الجند، وحدة الجند.

خامسا: أن امتداد الفتوحات كان لابد له من الاعداد وتجهيز القوة والكفاءة العسكرية وذلك يتطلب إعداد القوةوالإنفاق في سبيل الله.

سادسا: أن هناك أسباب متعلقة بالتخطيط والتنظيم الاستراتيجي وفقه المرحلية؛ وكان ذلك وفق اختيار المعسكر الملائموالتداول على قيادة المعركة، ومنع العدو من التحشد.

الفصل الثالث:

السنن الإلهية في انحسار الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي

المبحث الأول:

السنن الإلهية في التغيير

المبحث الثاني:

السنن الإلهية في التدافع

المبحث الثالث:

السنن الإلهية في الاختلاف والتفرق

تمهيد:

لقد فقه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ القرآن الكريم، فكانوا – بحق– أمة فاقهة لدينها ودنياها، جمعت في فقهها وتطبيقاتها بين السنن الكونية[1] البانية، والسنن الشرعية[2] الهادية، وأقامت على أساسها الحياة الطيبة، وفي ظلها حققوا أمانة الاستخلاف.

وكان لمنهجهم هذا الذي سلكوه وجمعوا فيه بين الفقه التشريعي والفقه الحضاري، أثر عميق في نشأة الحضارة الإسلامية الراشدة، وأثر في نموها واستمرارها وتميزها عن سائر الحضارات، بنشر الإسلام في ربوع الأرض عن طريق امتداد الفتوحات الإسلامية؛ وهذا ما توصلنا إليه في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

غير أن عوامل الإعاقة والهدم واختلاط الأجناس.. عملت على تبديل معاني القرآن الأصيلة، وحملت آياته على التحريف وأبعدت الناس عن الانفعال بروحه وأحكامه، وأبعدتهم عن فقه السنن، فَفَقَدَ هذا الفقه فاعليته في أذهان بعض المسلمين مما أثر على واقعهم.

وأهم شيء تأثر بذلك هو فقه الجهاد، فتوقفت الفتوحات بسبب الفتن والبعد عن فقه السنن، وحين يعطل جهد الدعوة وسنة الجهاد، تفقد الأمة دورها ومهمتها ورسالتها، فتصبح كالغثاء، وتتعطل السنن والشرائع، ويسيطر أهل الظلم والبغي، وأهل الأهواء والإفساد في الأرض.

وهذا بالفعل ما حدث في النصف الثاني من الخلافة الراشدة ، فقد ولي عثمان الخلافة اثنتي عشرة سنة، مضت السنوات الست الأولى منها على خير ما كان يُرجى لها أن تمضي، ثم بدأت تتغير الأحوال، وبخاصة في أواخر عهده، فقد أطلت الفتنة برأسها، وظهرت نزعات المنحرفين، واشتد التآمر في الخفاء، ثم نشب الخلاف قويّاً حادًّا، إلى أن كانت البلية الكبرى بمحاصرة الغوغاء عثمان ـ ﷺ ـ وقتله شهيدا، مما فتح باب الفتنة والاقتتال على مصراعيه في خلافة أمير المؤمنين على ـ ﷺ ـ انتهى باستشهاده أيضا، ومبايعة ابنه الحسن ثم تنازله لمعاوية، وبذلك يكون الانتقال من العهد الراشدي إلى الملك الأموي.

بمعنى أنه بدء من النصف الثاني من خلافة عثمان بن عفان، إلى نهاية خلافة علي بن أبي طالب ـرضي الله عنهما ـ انتقلت الأمة إلى مرحلة يمكن تسميتها بمرحلة التفرق؛ وهو انتقال كان من أسبابه ضعف

([1]) **السنن الكونية** وهي ما تعلق منها بعالم الجماد أو ما تعلق بعالم السلوك الإنساني سواء الفردي أو الجماعي أو حتى الأممي والحضاري، بمعنى الشاملة لجميع الموجودات وهي تعبير عن طبيعة خلق الله وأمره وفطرته التي فطر عليها الخلق،والتي يعبر عنها بالإرادة القدرية الخلقية الكونية، ينظر: **مجموع الفتاوى**، لابن تيمية، 187/8.

([2])ونقصد **بالسنن الشرعية** الأوامر والنواهي المذكورة في القرآن الكريم، التي تبين حقيقة الخلق.والتي يعبر عنها بالإرادة الدينية الأمرية الشرعية. ينظر: **السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم جمعا ودراسة**، أيمن بن نبيه بن غانم المغربي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، المملكة العربية السعودية، 2007/2006م. ص:33.

التبصر بسنن الله وقوانينه وهداياته والتنكب عنها قليلا؛فكان التحول من سنن الوحدة إلى الاختلاف، ومن سنن الاعتصام بكتاب الله إلى التفرق فيه، ومن سنن العمل إلى الجدل.

وعليه يمكن أن نتساءل في هذا الإطار عن أسباب تراجع فقه السنن وتفعيلها والابتعاد عنها في هذه المرحلة الثانية من الخلافة الراشدة ؟ وما آثار ذلك على الفتوحات الإسلامية؟

هذا ما سأحاول بمشيئة الله تعالى بيانه من خلال أربعة مباحث سيأتي ذكرها تباعا.

المبحث الأول:

السنن الإلهية في التغيير

إن سنن الله تعالى في التغيير هي القوانين الكونية التي وضعها الله سبحانه وتعالى في تبدل أحوال الناس إلى الأحسن أو الأسوأ بحسب ما يصدر منهم من أفعال وأعمال.

وتتميز السنن الإلهية بأنها سنن شرطية، فتربط بين حادثتين أو مجموعتين من الحوادث، لتؤكد العلاقة الموضوعة بين الشرط والجزاء، وأنه متى ما تحقق الشرط تحقق الجزاء، وهذا الشكل من أشكال أو صيغ السنن يَلعب دورا كبيرًا في توجيه الإنسان، فهي تتيح له المجال ليتعرف على هذه القوانين، فيستطيع وفقا لذلك أن يتصرف حسب الجزاء.

وهذا ما أكدت عليه الكثير من الآيات القرآنية مثل قول الله سبحانه وتعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴿١١﴾﴾[الرعد: ١١].

توضح هذه الآية بالصيغة الشرطية أن هناك علاقة بين تغييرين: بين تغيير المحتوى الداخلي للإنسان، وتغيير الوضع الظاهري الخارجي للبشرية. بمعنى أنه متى ما توفر هذا الشرط وهو التغيير الداخلي ـ الأنفس ـ تغير الوضع الخارجي لهذه الأنفس.

وتتجلى هذه السنة في تغيير المجتمع والنفس، وهذا التغير سواء أكان من خير إلى شر أو من شر إلى خير؛ وفي عهد سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ بدأ تحول المجتمعمن مجتمع مسلم متماسك كثرت فيه الإنجازات خاصة انتشار الفتوحات بعد التأسيس الذي كان في عهد سيدنا أبي بكر ثم التوسع في عهد عمر بن الخطاب والسنوات الأولى من حكم سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ إلى أنْ كانت سنة 34هـ،حيث بدأ التراجع شيئا فشيا وذلك يعود إلى عدة أسباب من بينها أسباب فرضتها ظروف الدولة وطبيعة التحول الاجتماعي وغيرها.

ويمكن التأكيد على أنّ الإنسان عامل رئيس في سياق منظومة عملية التغيير، وذلك لأنّه المسؤول الأول عن شروط التغيير، « فمحتواه الداخلي المكون من فكر وإرادة هو الأساس لحركة التاريخ والمجتمع»[1]، لذا يجب علينا أن ننظر إلى المجتمع على أنّه كائن له كيانه وذكاؤه الخاص به، وله اجتهاده، «لأنّ مصيره

(1) **دور السنن الإلهية في وعي الإنسان وتكامله الفكري**، عامر عبد الأميرحاتم، مجلة الآداب، العدد، 124، 2018، جامعة بغداد، كلية التربية، للعلوم الإنسانية، تخصص فكر إسلامي، ص: 530.

ومستقبله كمجتمع في هذه الحياة، متعلق بمقدار تهيئة نفسه للقيام بهذه المهمة، مهمة تغيير ما بالأنفس»[1]، بمعنى أن التغير سواء أكان من شر إلى خير أو العكس منطلقه النفس؛ فالنفس لها القدرة على التغيير؛ وبالتالي هي جهاز التحكم والعنصر الفعال في ذلك.

ويؤكد سعيد جودت أن التغيير المذكور في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ۝١١﴾[الرعد: ١١] هو التغيير الذي يبدأ من النفس، ثم يأتي تغيير الله نتيجة للتغير الحاصل من طرف المجتمع أو الأمة، ففي الآية تغيران الأول يكون من طرف المجتمع، ونتيجة لذلك يأتي التغيير الثاني الذي خصه الله عز وجل به[2].

إذاً فالمجتمع ـ الإنسان ـ هو المسؤول عن الأحداث وصناعتها؛ لذا لابد له من تحمل نتيجة فعله. وتدخل الإنسان في حركة التاريخ هو سنة من السنن الإلهية، «إنّ الإنسان بما هو جزء من مجتمع، تُطبق عليه سنن وقوانين إلهية تتحكم بحركته وبمصيره ـ شقاء أو سعادة ـ وهي تشكل نسبة كبيرة من آيات القرآن الكريم»[3].

وتجدر الإشارة إلى أنّ التغيير لا يختص بنعمة معينة، بل هو شامل لكل النعم مهما كانت، ويذكر الألوسي في تفسيره لقوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٥٣﴾[الأنفال: ٥٣]

« أي لم ينبغ سبحانه له ولم يصح في حكمته أن يكون بحيث يغير نعمة أي نعمة كانت جلت أو هانت أنعم بها ﴿عَلَىٰ قَوۡمٍ﴾ من الأقوام ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾، أي ذواتهم من الأعمال والأحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم للنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت أحوالهم السابقة مرضية صالحة أو أهون من الحالة الحادثة»[4]. ولفظة قوم تؤكد على أن هذا التغيير يمس كل الأقوام سواء مؤمنين أم كافرين، لأن المدلول العام للفظة قوم هو عبارة عن الجماعة من الناس[5]، بمعنى أنها مطلقة لم تختص بقوم معينين.

([1]) **حتى يغيروا ما بأنفسهم**، جودت سعيد، ط8، 1989م، د.م، ص:45.

([2]) **ينظر:حتى يغيروا ما بأنفسهم**، جودت سعيد، ص: 46.

([3]) **دور السنن الإلهية في وعي الإنسان وتكامله الفكري**، عامر عبد الأميرحاتم، ص: 529.

([4]) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ضبط: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1994م، 216/5.

([5]) **ينظر: مختار الصحاح، مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي**، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م، 232/1.

ويمكن أن نتساءل إذا ما ربطنا سنة التغيير هذه بالمجتمع الإسلامي في عهد الخليفة الثالث، كيف تكون فيهم هذه السنة وفيهم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ؟ وهم الجيل الذي تربى على يد النبي ﷺوهو المتشبع بالقيم والتربية الجهادية النبوية !.

فنقول إنّ سنة التغيير تمس الكثير من المجتمع، وهذا لا يعني أنه لا يكون أناس صالحون في هذا المجتمع؛ وإنّما يكفي أن يكون في المجتمع فئة من المفسدين ليبدأ فسادهم في الانتشار ما لم يجد من يتصدى له ويوقفه؛ لذا يطرأ التغيير السلبي على المجتمع، فتأخذ سنة الله تعالى مجراها. ولذلك لما غير المجتمع ما بأنفسهم غير الله وضعهم وحالهم فبدأت الفتنة والحروب والقتل بينهم، رغم أن المكون الأساسي للمجتمع من الصحابة ﷺ، « إنّ التغيير الذي يحدثه الله ... إنّما يعود إلى القوم بمجموعهم لا إلى فرد محدد»[1]، فقد يحدث أن يكون القوم في ترف ويكون هناك أفراد فقراء، فليس معنى هذا أن يكون كل القوم أغنياء والعكس. وجاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ۝١١﴾[الرعد: ١١] « أخبر سبحانه في هذه الآية أنه لا يغير ما بقوم حتى يقع منهم تغيير إما منهم أو من الناظر لهم أو ممن هو منهم بسبب»[2]... فقد تتنزل المصائب بذنوب الغير كما قال ﷺوقد سئل أنهلك وفينا الصالحون قال:« نعم إذا كثر الخبث»[3].

فمتى ما حقق الناس أسباب وجود السنة الإلهية وقعت ما لم يمنعها مانع، مهما كان دينهم أو انتماؤهم، فهذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي والطاعة والمعصية والايمان والكفر والتوحيد والشرك؛ فالإنسان إذا أتى الأمر واجتنب النهي ووقف عند حدود الله أصاب خير السنة الربانية، وإذا أهمل الأمر وخالفه وارتكب المنهي عنه ووقع في حدود الله أصاب شر السنة الربانية[4]. قال السعدي في تفسير هذه الآية : «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ من النعمة والإحسان ورغد العيش، ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها فيسلبهم الله إياها عند ذلك، وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية فانتقلوا إلى الطاعة الله غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة»[5].

([1]) **حتى يغيروا ما بأنفسهم،** جودت سعيد، ص:48

([2]) **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان،** أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي،تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006م، 294/9.

([3]) **أخرجه البخاري،** صحيح البخاري،كتاب احاديث الأنبياء صلوات الله عليهم، باب قوله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين، حديث رقم: 138/33464.

([4]).**أهمية العلم بالسنن الربانية،** محمد أمحزون، مجلة البيان، العدد: 115، مصر، ص: 51.

([5]) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** السعدي، 414/1.

إنّ المجتمع الجاهلي هو نقيض المجتمع الإيماني، أو مجتمع الروحية الإنسانية، فإذا تخلى عن المجتمع الإيماني يُعتبر ذلك ارتداد للمجتمع الجاهلي... والتحول من المجتمع الجاهلي إلى المجتمع الإيماني... هو تحول إلى المجتمع الإنساني الذي من أجله جاءت الرسالة العالمية ـ الإسلام ـ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[آل عمران: ١٤٩]

فالمجتمع الإسلامي منذ عهد الرسول ﷺإلى غاية بداية الفتن في عهد عثمان رضي الله عنه، وهو مجتمع إيماني بحت، فتخلى عن جاهليته ليصل بذلك إلى أن أصبح مجتمعا إنسانيا متميزا ارتقى بإيمانه إلى أرقى الدرجات المطلوبة، إلاّ أن الثبات والاستمرارية لم يكن من نصيبه، فانحدر وتراجع عن ذلك المستوى المتألق، بسبب النزاع والفتنة والاختلاف والتغيرات الحاصلة أنذاك.

فحينما أراد أن يتحدث القرآن الكريم عن انكسار المسلمين في غزوة أحد بعد أن أحرزوا ذلك الانتصار الحاسم في غزوة بدر، صرح أن رسالة السماء فوق مقاييس النصر والهزيمة بالمعنى المادي، وأنّها لم تُهزم ولن تُهزم أبدًا، ولكن الذي يُهزم هو الإنسان حتى ولو كان مجسدا لرسالة السماء، لأنّ هذا الإنسان تتحكم فيه سنن التاريخ[1]؛ لهذا حذر الله سبحانه وتعالى المسلمين من التغافل عن هذه السنن بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ﴿٣﴾﴾[المائدة: ٣]

اخشوني بمعنى اخشوا سنني والقوانين التي يجب أن تسايروها ولا تخالفوها، أي: «خافون إن أنتم خالفتم أمري واجترأتم على معصيتي وتعديتم حدودي، أن أحل بكم عقابي وأنزل بكم عذابي»[2].

فسنة التغيير هي بيد الإنسان فهو الذي يُغير مصيره وعلى هذا الأساس يأتي التغيير من الله عز وجل، لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم من نعمة ويزيلها عنهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من انحرافات وفساد وأكد هذا في قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[الأنفال: ٥٣]

ونشير هنا إلى أن هناك أمور وأسباب أخذها الناس على عثمان وطريقة حكمه أيضا فجعلوها تبريرا لموقفهم منه وحجة عليه، وذريعة للتغيير، فأصابهم ما أصابهم من فتن واضطرابات وانحرافات.

وتكملة لهذا لابد من الإشارة إلى أن العرب بطبيعتهم أكثر من غيرهم ميلا إلى الأشخاص، لذلك هم يطلبون من القائد أكثر من غيرهم، بل وربما أكثر مما يستطيع الإنسان، بالإضافة إلى اندفاعهم أحيانا كثيرة

(1) **ينظر: المدرسة القرآنية**، مُحَمَّد باقر الصدر، ص:51.

(2) **جامع البيان عن تأويل أي القران**، الطبري، 495/6

وراء عواطفهم بعيدا عن التعمق بالدراسة وتحكيم العقل. والعواطف تعطي إذا أحسن استثمارها، ولكن ما أسهل استغلالها أيضا ...

وقد شاءت إرادة الله عز وجل أن يكون عثمان ﷺ خليفة لرجلين لم تعرف البشرية لهما مثيلا، وبعد أن اعتاد المسلمون على حكم عمر وشخصيته ومن قبله أبي بكر ... جاء عثمان[1].فإنّه مهما كان رؤساء الأمة مخلصين، فقلما يجد مريد السوء سببا للفتن والثورات حتى ينقلبوا عليهم، وتبدأ الفتن والاضطرابات ويتغير الحال من حب إلى كره ومن أمن إلى فوضى وحرب، ومن ثمة نذكر الأسباب التي استجدت في عهد سيدنا عثمان ﷺ، فتغير المجتمع ووجد ضالته ليتغيّر على الخليفة وتمحورت في:

المطلب الأول: التغيير الديني والسياسي

سنتناول في هذا المطلب أهم التغيرات الحاصلة في المجال الديني والسياسي لما لهما من أهمية كبيرة في التأثير على مجرى الحياة الاجتماعية

الفرع الأول: التغيير في المجال الديني

ونقصد بذلك ما قام به سيدنا عثمان ﷺ بجمع الناس على مصحف واحد. وقد أجاب ـ ﷺ ـ عن ذلك: القرآن من عند الله، إنّما نهيتكم عن الاختلاف فيه، والحقيقة أن ذلك حسنة من حسناته.

فقد خشي بعض الصحابة أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته بعد معركة اليمامة [2]. فعن زيد بن ثابت قال: « أرسل إليّ أبو بكر ـ ﷺ ـ فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر: إنّ عمر أتانا فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تجمع القرآن، قلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر» [3].

وقد تم جمع القرآن في زمن أبي بكر ﷺ وبقيت الصحف عنده حتى توفاه الله، ثم عند عمر، ثم عند ابنته حفصة ﷺ. ولما قدم حذيفة ابن اليمان على عثمان – رضي الله عنهما– من مناطق القتال في العراق والشام قال لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف

([1]) **ينظر:الفتنة ووقعة الجمل، رواية سيف بن عمر الضبي الأسدي،** جمع وتصنيف: أحمد راتب عرموش، دار النفائس،ط6، بيروت، 1986م، ص:9.

([2]) **ينظر:شرح السنة**، البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، زهير الشاويش،ط1، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، والإرشاد، الرياض، 1980.، 521/4.

([3]) **أخرجه البخاري،**كتاب التفسير سورة براءة، باب قوله : لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، حديث رقم: 4679. 71/6.

اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة يطلب منها أن ترسل الصحف فيتم نسخها في المصاحف ثم ترد إليها، فلما أرسلتها له أمر مجموعة من الصحابة ـ ﷺ ـ[1]. فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان ﷺ للرهط القريشيين الثلاثة : «اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنّما نزل بلسانهم، ثم أرسل إلى كل المناطق الإسلامية بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه أن يحرق»[2].

وأخرج ابن أبي داود من طريق أبي قلابة أنه قال: «لما كانت خلافة عثمان، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يتلقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قال أيوب: لا أعلمه إلا قال: حتى كفَّر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيبًا فقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافًا وأشد لحنًا، اجتمعوا يا أصحاب مُحَّد فاكتبوه للناس إمامًا» [3].

وقد قام عثمان ـ ﷺ ـ بهذا الإنجاز بعد أن جمع وجوه الصحابة من المهاجرين والأنصار، وشاورهم في الأمر، وفيهم أعيان الأمَّة، وأعلام الأئمَّة، وعلماء الصَّحابة، وفي طليعتهم عليّ وطلحة والزبير وغيرهم ﷺ، وعرض عثمان ـ ﷺ ـ هذه المعضلة على صفوة الأمَّة، وقادتها الهادين المهديِّين، ودارسهم أمرها، ودارسوه، وناقشهم فيها، وناقشوه، حتَّى عرف رأيهم، وعرفوا رأيه؛ فأجابوه إلى رأيه في صراحةٍ لا تجعل للرَّيب إلى قلوب المؤمنين سبيلاً، وظهر للنَّاس في أرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يُعرف قطُّ يومئذٍ لهم مخالفٌ، ولا عرف عند أحدٍ نكيرٌ.

فكان الدافع وراء جمع القرآن الكريم هو تفرق القراء في الأمصار، وبداية ظهور الاختلاف بين حديثي العهد بالإسلام من أهل البلاد المفتوحة، وبهذا وضع الخليفة حدا لتلك الفتنة.

فالاختلاف الذي حدث في قراءة القرآن كان سيؤدي إلى فتنة أعظم لو أن الخليفة لم يسارع إلى جمع الناس على مصحف واحد، إلاّ أن بوادر الفتنة بدأت تظهر وتبحث عن كل ما يفسح لها الطريق ويغذيها، فكان جمع القرآن في مصحف واحد وعلى حرف واحد بمثابة العنصر المحفز لإشعالها من قبل أصحاب الفتن والمصائب.

ونرجع إلى ربط هذه الحادثة بسنة التغيير وتطبيقها عليها من الجانب السنني نقول: إنّ الكون قائم على الحركة والتغيير، فلابد من أن تكون هناك نتائج تابعة لهذا التغيير أكان هذا في مضامينه سيء أو حسن يتبعه ويطرأ عليه بالضرورة تغييرا، وجمع القرآن الكريم أمر مستجد على المجتمع الإسلامي، فالظروف هي التي

([1])كانوا أربعة وهم: زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام.

([2])**أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب (فضائل القرآن)، باب (جمع القرآن)، رقم الحديث: 4988.

([3]) **المصاحف**، ابن أبي داود السجستاني، دار الباز، مكة المكرمة، 1985م، ط1، ص:16ـ17.

أجبرت الخليفة الثالث على القيام بهذا العمل، ولو أن هذا الأمر حدث في عهد الشيخين ـ رضي الله عنهما ـ لفعلا مثل ما فعل سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ.

وقد أكد هذا الأمر علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في معرض الدفاع عن قرار عثمان ـ رضي الله عنه ـ بجمع الناس على مصحف واحد، فقال فيما أخرج ابن أبي داود من طريق سويد بن غفلة الجعفي : «يا أيها الناس: لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرًا، فو الله ما فعل الذي فعل المصاحف إلا من ملأ منا جميعًا، فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرًا، قلنا: فما ترى؟ قال: نرى أن يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا: فنِعم ما رأيت. قال: قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل» ([1]).

وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي في الانتصار لسبب جمع القرآن في عهد سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ: «وجمعُ عثمان كان لما كثُر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدّى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجّا بأنه نزل بلغتهم »([2]) .

وقد وافقه كل الصحابة في عمله هذا كما أسلفت، لما له من أهمية في توحيد الصفوف والقضاء على كل الاختلافات بينالناس، فعن مصعب بن سعد قال: « أدركت الناس متوافرين حين حرّق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك وقال: لم يُنكر ذلك منهم أحد»([3]).

لكن الأمر الذي جعل من جمع القرآن الكريم وتوحيد الأمة على مصحف واحد(وهو منقبة من مناقب عثمان ـ رضي الله عنه ـ)سببا من الأسباب التي أشعلت نار الفتنة؛ هو وجود عناصر كانت تخطط للانقلاب وتبحث على أبسط الأسباب لتنفيذ خططها وجعلها تبريرا تدعم به آراءها ضد الخليفة. وأنه استحدث أمورا مخالفة لسنة رسول الله ﷺ ومن سبقه من الخلفاء، فكان لضعفاء الإيمان ممن لم يدرك رسول الله ﷺ، أن ساندوا هؤلاء ووقفوا معهم ضد أمير المؤمنين.

فالمقصد من جمع القرآن على حرف واحد هو الابتعاد عن الوقوع في الاختلاف، إلاّ أنّ المرجفين من أصحاب الأهواء، وضعاف الإيمان وجدوه سببا للنقمة على الخليفة واتخاذه ذريعة للثورة عليه. ولسخطهم عليه حاولوا أن يتصيدوا له كل التغيرات والمستجدات التي يقوم بها، فعابوا عليه الكثير بغير حق، حتى إنهم عابوا

([1])المصاحف، ابن أبي داود السجستاني،، ص:18

([2])**الاتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي،1924م، المطبعة الأزهرية، مصر ، ط2، 60/59/1.

([3])**المصاحف**، ابن أبي داود السجستاني، ص:19.

عليه ما كان فيه مصلحة لهم ولدينهم، وقد عدد ابن العربي مجموع تلك المآخذ في كتابه: العواصم من القواصم فأوصلها إلى ثمانية عشر مأخذا ([1])، ثم فندها بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة.

فلا شك أن جمع القرآن وغيره من اجتهادات الخليفة عثمان ـ ﷺ ـ كانت في مصلحة الإسلام والمسلمين بإقرار جموع الصحابة لها، إلاّ أن أحلاس الفتنة حولوها إلى عيوب ومآخذ وراحوا يشيعونها في مختلف الأمصار خاصة تلك التي كانت تربة خصبة لتقبلها كالعراق ومصر، فكان ذلك أحد عوامل التغير الاجتماعي بظهور جيل جديد لم يأخذ حظه من التربية التي حظي بها جيل الصحابة، فكان لا بد أن تمضي سنة الله في التغيير، فانشغال الناس بتخطئة بعضهم البعض في القرءاة، ثم في تخطئة الخليفة في جمعه للمصحف، كان له أثره على بداية انخفاض التوتر في حركة الجهاد، وبالتالي تراجع الفتوحات الإسلامية.

الفرع الثاني: التغيير في المجال السياسي

من أخطر ما تبتلى به الأممالتنازع على السلطة والملك، فقدأخبرنا الله عز وجل عن أهل الكتاب واختلافهم، وكشف لنا سبحانه عن سبب تفرقهم مع ما عندهم من العلم الذي كان يجب أن يجمعهم، ويحسم الخلاف الذي وقعوا فيه، ولكنهم اختلفوا عن علم، وتفرقوا عن عمد، وما ذاك إلا لبغي بعضهم على بعض، يقول الله جل ذكره:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩ ﴾[آل عمران: ١٩]

وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤ ﴾[الشورى: ١٤]

قال الطبري في معنى الآية: « أنهم أتوا ما أتوا من الباطل، وقالوا من القول الذي هو كفر بالله، على علم منهم بخطأ ما قالوه، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلا منهم، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه تعديا من بعضهم على بعض، وطلب الرياسات والملك والسلطان » ([2]) .

ونقل عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾: «بغيا على الدنيا، وطلب ملكها وسلطانها، فقتل بعضهم بعضا على الدنيا من بعد ما كانوا علماء الناس»[3].

([1]) **ينظر: العواصم من القواصم**، أبو بكر بن العربي،50.

([2]) **جامع البيان**، الطبري، 442/14

([3])**المصدر نفسه**، 443/14

فالذي فرق أهل الكتاب هو تنازعهم على السلطة والملك، وحب الرئاسة والظهور والسعي لحصول ذلك ولو بظلم الناس وأخذ أموالهم بل وقتلهم.

ولم تُستثنَ هذه الأمة من هذه السنة الإلهية حين بدأ الناس ينشغلون بالسياسة ويتصيدون أخطاء الخليفة، خاصة ما تعلقبالتغييرات التي حصلت بعزل بعض الولاة، فقد عزل عثمان ـ ﷺ ـعمرو بن العاص عن خراج مصر، واستعمل عليه عبد الله بن سعد بن أبي سرح[1]. وكان أخ عثمان من الرضاعة[2]. وعزل سعد بن أبي وقاص واستعمل مكانه الوليد بن عقبة[3]. على الكوفة وهو أخو عثمان بن عفان لأمه[4]. ولذا كان تعيينه لأقاربه ذريعة ومدخلا للطعن فيه والإنكار عليه، فقال الناقمون عليه إنّه اتخذ بطانة سوء من أقاربه[5]، و قسّم بينهم الولايات، وكانفيهم من لا يصلح للولاية!

ويمكن الرد على هذه الشبهةبأن تعيين عثمانـ ﷺ ـ لبعض أقاربه ولاة لا يخالف نصا شرعيا، فالشريعة الإسلامية لا تقول بمنع هذا الأمر، أو بعدم جوازه، إذا توفر في المعيَّن شرطا الولاية؛ الأمانة والعلم، إضافة إلى أن تولية الخليفة لأقاربه أمر لم يسلكه عثمان بن عفان وحده، إنّما فعله من تولى الخلافة بعده[6]. وننوه لأمر آخر وهو أن تولية رجال من بني أمية كان على عهد النبي ﷺ وعهد الشيخين ـ رضي الله عنهما ـ كذلك[7].

ولم يكن هدف الثوار والخارجين على عثمان ـ ﷺ ـ إحقاق الحق أو النصيحة، بل كان طموحهم الحكم والملك، ودليل ذلك **أنه** لما بويع علي بن أبي طالب ـ ﷺ ـ ، واستقر له الأمر بعد وقعة الجمل، استعمل ـ ﷺ ـ عبد الله بن عباس على البصرة وبلغ ذلك مالكا الأشتر– وهو من

(1) **عبد الله بن سعد بن أبي السرح** بن الحارث بن حبيب بن حذاقة بن مالك، أبو يحي القرشي العامري، (ت37هـ)،كان من الذين أسلموا قبل الفتح وهاجر، ومن كتاب الوحي، ثم ارتد، وفي يوم الفتح لما أمر رسول الله ﷺ بقتله، فر إلى عثمان بن عفان، فأستأمنه له، وأسلم أيام الفتح وحسن إسلامه. **ينظر**: **الإصابة في معرفة الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، 5/2.

(2)**ينظر**:**الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 2/ 483.**

(3)**الوليد بن عقبة** بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو، القرشي الأموي، أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس، كان شجاعا شاعراً كريما، أسلم يوم الفتح، بعد مقتل عثمان اعتزل الفتنة. ينظر: **أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير**، تحقيق: علي مُحَّد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، 421/420/5.

(4) **ينظر**:**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 252/4، **ينظر**: **الردة والفتوح**، سيف بن عمر التميمي، ص:26.

(5)**ينظر**:**تاريخ دمشق**، ابن عساكر، 314/1.

(6) ولى علي ﷺ بعض أقاربه، وفيهم من هو مطعون فيه مثل: مُحَّد بن أبي حذيفة على مصر، والأشتر النخعي على الجزيرة ومصر. ينظر: **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 2/ 163.

(7) **ينظر**:**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 463/3.

الخارجين على عثمان – فغضب وقال: « علام قتلنا الشيخ؟ إذ اليمن لعبيد الله، والحجاز لقثم، والبصرة لعبد الله، والكوفة لعلي»([1]) .

إنّ تولية الأقارب والاعتماد عليهم فطرة في الإنسان، وسنة من سنن الله في الخلق، فهي سنة اجتماعية؛ فالإنسان يشعر بالطمأنينة والأمان وعدم الغدر والخيانة مع أقاربه، ويشهد لهذا أحداث تاريخية كثيرة.

ففي قصص الأنبياء خير مثال ودليل على ذلك، كما في قصة موسى عليه السلام، حينما طلب أن يكون سنده وعونه أخاه هارون عليه السلام، كما في قوله تعالى:﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾[طه: ٢٩ – ٣٢]

ونلمح هذا أيضا في قصة يوسف عليه السلام حين آوى إليه أخاه وألحقه بديوان الملك، قال تعالى:﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[يوسف: ٦٩].

وقد أشار ابن تيمية أنه لابد للإمام من بطانة تساعده و تدافع عنه، فكان -أي عثمان – يرى ذلك في أقاربه [2].

يضاف إلى ذلك أن عدد من ولأّهم عثمان ـ ﷺ ـ من أقاربه لم يزيدوا عن خمسة من أصل عشرين والٍ[3]، فهذا عدد قليل لا يدعو للثورة والنقمة على الخليفة، والقول بأنه يُحابي أقاربه وعشيرته.

وعلى هذا فإنّ التغييرات التي قام بها عثمان بن عفان ـ ﷺ ـ هي نتيجة اجتهاده وما تقتضيه المصلحة العامة للرعية وظروف الأمصار، فكان لابد من القيام بها، إلاّ أنّ أصحاب النفوس السيئة اتخذتها سببا من أسباب الخروج عنه ومحاربته إلى أن وصلوا بذلك لقتله. ولاشك أنهم يعلمون علم اليقين أنّ تلك التغييرات أمر طبيعي؛ فصعب عليهم الرخاء والأمن والطمأنينة، فاختاروا الظلم والبغي ومراقبة الخليفة في كل تحركاته، بدل التفكير في فتوحات أوسع.

وهكذا كان للانشغال بأمور السياسة والحكم، وتتبع أخطاء الحاكم، وإشاعة ذلك في أوساط العامة ممن لم يكن حظ من التربية النبوية أو مخالطة الصحابة في الأمصار المفتوحة، والذين يرابطون على الثغور، ويقومون بواجب الدفاع عن بيضة الإسلام، فتمكن المتآمرون على الإسلام من استدراجهم واستخدامهم في إثارة الفتن، ليكونوا وقودا لها، فيتخلون بذلك عن واجبهم في نصرة الدين والنصح للخليفة.

([1]) **تاريخ الرسل والملوك، الطبري،**، 465/3.

([2]) **ينظر:منهاج السنة،** ابن تيمية، 191/190/3.

([3])**ينظر:سير أعلام النبلاء،** الذهبي، 482/3.

فكان لهذه التغيرات أثرها في بداية انخفاض درجة الحماسة في الدفاع عن الدين والسعي لنشره عبر حركة الجهاد، وهو ما أحدث فتورا في حركة الفتوحات.

المطلب الثاني: التغيير الاجتماعي والاقتصادي

سنتطرق في هذا المطلب إلى المجال الاجتماعي والاقتصادي وأثرهما في توقف الفتوحات وانحسارها

الفرع الأول: التغيير في المجال الاجتماعي

ونقصد بذلك توسع الدولة واختلاط الأجناس وظهور جيل جديد، فقد بدأت الدولة الإسلامية في زمن النبي ﷺ بمجموعة محدودة في مكة والمدينة أو ما يعرف بأرض الحجاز وأجزاء من اليمن، وبدأت تتسع شيئا فشيئا في عهد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ، وذلك في بدايات التأسيس للفتح ونشر الإسلام، وعلى عهد سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ توسعت وفتحت البلدان شرقا وغربا، ولما حكم سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ كانت الدولة في وقته دولة عالمية يمتد سلطانها ليشمل إلى ذلك ممالك العراق والشام ومصر وإفريقية وأرمينية وبلاد فارس وغيرها(1).

ومن الطبيعي أن يحدث تغير في المجتمع وفي سياسة الحكم، وهذا تماشيا مع القوانين التي تحكم حركة التاريخ وتطوره، فأنْ تكونَ حاكما على منطقة محدودة وشعب معين، ليس كأن تحكم عدة مناطق وشعوب مختلفة وأجناس متنوعة بتنوع العادات والطبائع إلى غير ذلك من الاختلاف، فقد ظهر نتيجة هذا التحول في طبيعة الدولة والأجناس الخاضعين لها والمنتمين إلى دينها جيل جديد من المسلمين يُعتبر في مجموعه أقل من الجيل الأول الذي حمل على كتفيه عبء بناء الدولة، فقد تميز الجيل الأول من المسلمين بقوة الإيمان والفهم السليم لجوهر العقيدة الإسلامية والاستعداد التام لإخضاع النفس لنظام الإسلام(2).

فعلى الرغم من النتائج الإيجابية لكثرة وتوسع الفتوحات وانتشار الإسلام، إلاّ أن هناك نتائج سلبية جراء هذا التوسع، فالذين دخلوا الإسلام لم ينشأوا ولم ينالوا التربية الإسلامية والعقيدة الصحيحة؛ مثلما نالها الجيل القريب من عهد النبي ﷺ،هذامايفرضتغيّرا في الوضع،وتلك سنة الله في الخلق.

ونتيجة هذا الاتساع بدأ الناس في التغير وعدم الطاعة والولاء للخليفة، فتغيرت الأحوال بظهور هذا الجيل الجديد حتى قال الخليفة عثمان رضي الله عنه:« والله إني مظلوم منعيٌّ عليَّ لقد أسلمت وصحبت رسول الله ﷺ،فماخالفتهولاغششته،ثم صحبت أبا بكر ثم عمر ـ رضي الله عنهما ـ فما خالفتهما وما غششتهما حتى ماتا، أفما ترون لي مثل ما رأيت لمن قبلي»(3).

---

(1) **ينظر: تاريخ خليفة**، خليفة بن خياط، ص: 157 ـ 167.

(2)**ينظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة**، من روايات الطبري والمحدثين، مُحَمَّد أمحزون، ط3، دار طيبة،1999، الرياض، 355/1.

(3)**المصنف**، ابن أبي شيبة، 3/ 971.

ويمكن القول إن ذلك راجع في بعض جزئياته إلى سياسة الفتح التي اعتمدت على الفتح التوسعي للأراضي، وأهملت في بعض الأحيان وفي فترات محدودة الفتح القلبي والحرص على تثبيت مبادئ الإسلام في قلوب الموالي والأعراب حديثي العهد بالإسلام، ومحاولة نزع العصبية القبلية التي لها أثر كبير في إثارة الفتن، إضافة إلى ذلك محاولة تعزيز قيم الإسلام في نفوسهم وتحبيبهم في الآخرة، هذا ما أشار إليه مُحَمَّد أمحزون حينما أكد على أن ذلك يرجع إلى عدم التوازن بين حركة التوسع الأفقي في فتح البلدان وبين التوسع الرأسي في تعليم الناس وتفقيههم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ[1].

ولو انتهجت سياسة واضحة المعالم تعمل على الفتح والتوسع العقلاني للبلدان، فتفتح البلاد وتقام فيها مراكز لتعليم وتفهيم وتحفيظ كتاب الله وتدريس السنة النبوية وترسيخ قيمها، ـ وهذا يستغرق زمنا طويلاـ لأصبح الأمر على غير ما حدث من فتن وحروب داخلية.

فمن بين أسباب التغيير؛ التمرد على أوامر الوحي وعدم فهم القرآن الكريم ومبادئ الإسلام؛ فالمجتمع الإسلامي ولكثرة الفتوحات واختلاط الشعوب التي ليس لها باع كبير في الإسلام ولم تعاصر النبيﷺ ولا الخلفاء والجيل الذهبي للإسلام؛ فكان من السهل عليها التمرد وعدم الالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى....

فهذا التغيير الاجتماعي الذي طرأ على المجتمع الإسلامي ساهم بشكل كبير في توقف الفتوحات وانحسارها لانشغالهم بما هو داخلي.

الفرع الثاني: التغيير في المجال الاقتصادي

شاع بأن سبب الثورة على الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ كان منطلقها الظلم الاقتصادي الذي عانى منه عامة الناس؛ إلّا أنّ معظم الروايات التاريخية تقر عكس ذلك تماما، فالمجتمع في عهد عثمان كثرت فيه الأموال، واتخذ لها خزائن، وتم تقسيمها على الناس، حتى وصل الأمر بأن يأمر للرجل الواحد بمائة ألف [2] بسبب كثرة الغنائم من الفتوحات. فما من يوم إلا وهم يقسمون فيه خيرا كثيرا، يقول المنادي: « أيها النّاس أغدوا على أعطياتكم فيغدون فيأخذونها وافرة، ثم يقال أيها الناس أغدوا على كسوتكم في جاء بالحلل فتقسم بينهم» [3].

ويُصوِّر الحسن البصري كثرة الخيرات التي تُعطى للمحتاجين في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ فيقول:« إِنِّي شهدت منادي عثمان يُنادي: «يا أيُّها الناس، اغدوا على أعطياتكم». فيغدون فيأخذونها وافرة، «يا

([1]) **ينظر:تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، من روايات الطبري والمحدثين، مُحَمَّد أمحزون،** ، 1/ 358.

([2]) **ينظر: البداية والنهاية،** ابن كثير، 337 ـ357. ينظر: **شذرات الذهب،** ابن العماد الحنبلي، 191/1.

([3]) **ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، (د، ت)، 94/9.

أيُّها الناس اغدوا على رزقكم». فيغدون فيأخذونها وافية، حتى والله لقد سمعته أذناي يقول: «اغدوا على كسوتكم». فيأخذون الحلل، «واغدوا على السمن والعسل» [1].

فلم يكن المجتمع يشكو من ظلم اقتصادي، بل العكس؛ فقد كثر المال وبدأ شيوع الترف؛ فأصبحت الأموال الشغل الشاغل لكثير من الناس ، وبدأوا في مراقبة ومحاسبة الخليفة على الصغيرة والكبيرة وفي تقسيمه للأموال على أقربائه، وأنه لم يسو بين المسلمين في العطاء، بل اتبع طريقة عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ حسب مراتبهم في الإسلام، وتلك مسألة فقهية اختلفت فيها اجتهادات الفقهاء كما ذكر ابن تيمية[2]. اتخذها المناوئون ذريعة للفتنة والخروج على الخليفة.

والسبب الآخر هو تغييره في مسألة خمس الغنائم بعد وفاة الرسول ﷺ، ورأى أن يكون لذوي قربى الإمام ـأي يقسمه على أقربائهـ، وكان هذا رأي أكثر السلف أن يقسمها لإمام بنفسه في طاعة الله ورسوله[3]. وبما أن قبيلة بني أمية عددها كبير رأى أنه لابد من زيادة العطاء لها [4]. وهذا أمر طبيعي من حق الإمام أن يتصرف فيه[5].

نستشف من كل هذه الروايات أن سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ لم يقم بأمر مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن كل الروايات التي تتهمه بالمحاباة لأقربائه وظلمه للرعية هي تأويلات أرادوا أن يضعوا لها مفهوما لظلم الاقتصادي في عهده، غير أن هناك روايات كما ذكرنا سابقا تقر وتؤكد أن المجتمع في عهد عثمان ـ ﷺ ـ كان على أعلى مستوى من الرفاهية والعدل الاقتصادي.

وعليه فإن السبب الحقيقي للتغير الاقتصادي هو بداية ظهور الترف الذي كان سببه توسع الفتوحات وكثرة الغنائم، والترف من أخطر الأمراض الاقتصادية التي تبتلى بها المجتمعات وتقوض بنيانها، فقد جرت سنة الله عز وجل في المجتمع؛ أنه إذا كثر المال وأصبح همّ الأمة وشغلها الشاغل وتنافس الناس فيه وتهافتوا عليه، أن يكون ذلك سببا في هلاكها.

وقد حذر النبي ﷺأمته من التنافس على الدنيا ومتاعها، وعدَّ ذلك سببا في هلاكها، ففي الصحيحين لما سمعت الأنصار بقدوم مال من البحرين تعرضوا لرسول الله ﷺبعد صلاة الفجر، فتبسم عليه الصلاة والسلام ثم قال : «**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟ فقالوا: أجل يا رسول الله. قال: فأبشروا وأمِّلوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما**

([1]) **البداية والنهاية**، ابن كثير،7/239.

([2]) **ينظر: منهاج السنة**، ابن تيمية، 153/3.

([3])**ينظر:المصدر نفسه**، 154/3..

([4]) **ينظر: تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 650/2.

([5])**ينظر: منهاج السنة**، ابن تيمية، 190/3، 204/4.

بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم »وفي رواية: «**وتلهيكم كما ألهتهم**»[1]، وأخبر ﷺبوقوع ذلك التنافس في هذه الأمة في حديث آخر **فقال**: « **إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله. قال رسول الله** ﷺ: « **أو غير ذلك؟ تنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون – أو نحو ذلك – ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض**» [2].

وعن عقبة بن عامر أن النبي ﷺخرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «**إني فرطٌ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها**»[3].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺقال: « **أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا**»، **قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال**" :«**بركات الأرض...**»[4].

وقد حذر عثمان بن عفان ـ ﷺ ـ من ذلك، فقال في آخر خطبة له في جماعة بعد كثرة الفتوحات قال للناس: « لا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله، واتقوا الله، واحذروا من الله الغير، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزابا »[5].

لذا يعتبر الترف ظاهرة اجتماعية تهدد كيان المجتمع وتقوض أركانه، وأيما أمة ابتليت بهذا المرض الاجتماعي فقد تأذن بهلاكها[6].

ويرى الدكتور حسين شرفة: أن الترف ليس قدرا محتوما على الأمة؛ وإنّما هو مرض اجتماعي ينتج عن فساد أمرين هما: الاقتصاد والمجتمع، ويوضح أن الفساد الاقتصاد يسببه أن يكون المال دُولة بين الأغنياء، ينفقونه على شهواتهم، ويطلقون فيه العنان لغرائزهم، ويعيشون حياة الميوعة والترهل، فيبطرون النعمة، ويغمطون الحق، ويسعون في الأرض فسادا، فيكون ذلك أعظم بلاء يحيق بالأمة، وأخطر معول يقوض أركان المجتمع.

---

(1) **أخرجه البخاري**، كتاب (المغازي)، باب (شهود الملائكة بدرا)، حديث رقم:4015 ،545/1.

(2) **أخرجه مسلم** ، كتاب (الزهد والرقائق) باب(الفتن) حديث رقم: 2962. 232/1.

(3) **أخرجه البخاري**، كتاب (المغازي)، باب (أحد يحبنا)،حديث رقم : 4085، 556/1.

(4)**أخرجه البخاري** ، كتاب(الرقاق)، باب (العمل الذي يبتغى فيه وجه الله فيه سعد)، ... رقم: 6427، 891/1

(5) **البداية والنهاية**، ابن كثير، 7/ 215

(6) **ينظر**: **سنة الله في الترف والمترفين من خلال القرآن الكريم**، حسين شرفة، معلمة السنن الإلهية في القرآن الكريم، دار الكلمة، مصر، 2015،ص: 21.

أما السبب الآخر للترف فهو فساد المجتمع؛ وينشأ ذلك حين تختل موازين العدالة الاجتماعية، ويبرز النظام الطبقي الذي يقسم أفراد المجتمع إلى أقلية ثرية مترفة وغالبية فقيرة، وهنا يبدأ داء الترف في التفشي في الطبقة المتخمة، فتنغمس في النعيم، فإذا بقي المستضعفون ساكتين، ولا يسعون إلى تغيير ذلك المنكر، تفاقم الداء وسرى في مفاصل المجتمع، وكان سببا في هلاكه[1].

وتلك سنة الله جل وعلا في إهلاك الأمم دل عليها قوله تعالى:﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَافَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾[الإسراء: ١٦]

يقول سيد قطب:« الآية تقرر سنة الله هذه، فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك، فكثر فيها المترفون فلم تدافعهم ولو تضرب على أيديهم، سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فعم فيها الفسق، فتحللت وترهلت، فحقت عليها سنة الله، وأصابها الدمار والهلاك، وهي المسؤولة عما يحل بها لأنها لم تضرب على أيدي المترفين، ولم تصلح في نظامها الذي يسمح بوجود المترفين، فوجود المترفين ذاته هو السبب الذي من أجله سلط الله عليها من يفسق فيها، ويفسد فيسوقها إلى الهلاك»[2].

هذا عن سنة الله في الترف عموما، فإذا ربطنا هذا الأمر بما حصل في عهد الخليفة الثالث، فنقول إنه لم يصل إلى حد الخطورة، ولكن بدأت بوادر هذا المرض الاجتماعي في الظهور، خاصة لدى فئة من الناس ممن اتخذوا من الفتوحات وسيلة للإثراء، فكان ذلك إيذانا ببداية التمايز الطبقي، فراح كل من له حقد على الإسلام والخليفة يقول إن المال أصبح حكرا على هذه الطبقة دون غيرها، وقام عامة الناس وخاصة الأعراب منهم بالطعن في الخليفة ومنه إلى الفتنة وما تبعها من أحداث مؤلمة، كان لها أثرها السلبي على حركة الفتح الإسلامي.

المطلب الثالث: الأعراب وانبعاث العصبية مجددا

كان الناس يقبلون من عمر ـ ﷺ ـأفعالا ما كانوا يقبلونها من عثمان ـ ﷺ ـ، والسبب يرجع إلى توقف الفتوحات، قبل أن تستأنف؛ وبهذا ظهرت طبقة جديدة وهي طبقة الأعراب المرتدين، فأبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ كانا بعيدا النظر حينما رفضا إرسال الأعراب المرتدة للمشاركة في الفتوحات، أما سيدنا عثمان ـ ﷺ ـفقد اضطر إلى إرسال القبائل البدوية إلى الفتوح، وكان همهم الغنيمة والوصول إلى المال، وبعد أن توقفت الفتوحات وظهرت طبقة الأعراب من أهل الردة وتوقفت الغنائم، تساءلوا : أين ذهبت الغنائم القديمة ؟ وأين ذهبت الأراضي المفتوحة ؟ إنها تذهب إلى بيت المال، وإن عثمان يوزعها على أصحابه في المدينة، وهذا الجو من الحديث والفكر هو جو ناري مضطرب عند أفراد تعودوا الغزو، ولم يفقهوا من الدين شيئا[3].

([1])**سنة الله في الترف والمترفين من خلال القرآن الكريم**، ص:23 بتصرف يسير.

([2])**في ظلال القرآن**، سيد قطب، 2218/4.

([3]) **ينظر: الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان**، يوسف العش، دار الفكر، دمشق،ط2، 1985م، ص: 78

ويظهر دور الأعراب في الفتنة من قول سيدنا عثمان ـ ﷺ ـفي كتاب له إلى الأمصار:« أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمه وأرض الهجرة وثابت إليهم الأعراب »[1].

ويؤكد ذلك قول علي ـ ﷺ ـ: « يا أيها الناس أخرجوا الأعراب عنكم. وقال يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم فأبت السبئية الطاعة وأطاعهم الأعراب »[2].

وهؤلاء الأعراب يستثيرهم المال والطمع، ويبلغ منهم الحقد ويأخذ منهم القول والتهييج[3]. وما حفز الأعراب على إثارة الفتنة عبد الله ابن سبأ بالكتب المزورة على لسان الصحابة رضوان الله عليهم؛ لذا فإن الأعراب كان لهم دور كبير في مقتل سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ.

أما في عهد عليّ ـ ﷺ ـ فإنّ الظروف الاجتماعية والتغيرات الحاصلة بسبب الفتنة كانت ضده تماما لاستكمال الفتوحات الإسلامية، فالواقع لم يكن يسمح له بمواجهة العدو الخارجي والفتن الداخلية تحيط بجميع أقطار دولته.

ونشير هنا إلى أن هناك تحول كبير طرأ على القاعدة السياسية التي ارتكزت عليها الخلافة الإسلامية الراشدة، فبعد الفتوحات والتوسعات التي شهدناها والتمكين الذي وصلوا إليه في هذا المجال، ساءت الأحوال بسبب تدفق رجال القبائل من الأعراب بسبب العصبية القبلية الجاهلية[4]، فتمكن هؤلاء الأعراب الذين لم تخضع نفوسهم لما خضع له الأصحاب الأوائل من تربية وتوعية وإيمان[5].

فتغيرت القيم والمقاصد التي كانت في المجتمع النبوي ثم المجتمع الصديقي والمجتمع العمري، حيث نشبت الفتنة بسبب القبلية والعصبية، ولم يكن بوسع أمير المؤمنين علي ـ ﷺ ـ أن يستمر ويعيد سياسة فتح البلدان ونشر الدين، فالمجتمع الجديد بعقليته المختلفة عن الفاتحين السابقين المعاصرين لزمن النبي ﷺ وزمن الشيخين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ يحول دون ذلك.

لم تكن هذه الفئة من المجتمع مستعدة للالتزام بالحكم الراشدي، فكان نتيجة ذلك أن تتغير طريقة الحكم وفق عقلية وأسلوب يتماشى مع عقليته واتجاهاته، وعلى هذا فإنّ أصعب تغيير في الإنسان هو تغيير النفس بما تشمل من فكر وعقل وما ينتج عنه من عمل، فالعصبية الجاهلية كانت في تفكيرهم فطغت على سلوكهم ببث الفساد والخراب.

---

(1) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 4/ 280.

(2) **المصدر نفسه**،4/.459.

(3) **ينظر:الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان**، يوسف العش، ص: 79.

(4) **ينظر:أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية**، جميل عبد الله المصري، ، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط1، 1989م، ص:245.

(5) **ينظر:أزمة العقل المسلم**، عبد الحميد أحمد أبو سليمان، دار القارئ العربي، القاهرة، ط1، 1991م، ص:46.

ففي عهد الشيخين انشغل المسلمون بحركة الفتوحات الإسلامية التي دلّت على تغلب التيار الإسلامي على التيار القبلي، فتوحدت جهود المسلمين من أجل نشر الإسلام، فكانت عناصر الجيوش الإسلامية المشاركة في الفتح تمثل معظم قبائل شبه الجزيرة العربية، وكان اشتراكها في الفتح عاملا في امتزاجها وتوحيد مشاعر عدائها للفرس والروم(1).

وهناك عامل آخر وهو انبعاث العصبية القبلية من جديد بعد انتصار المسلمين على الروم والفرس، وبعد أن خضعت لهم الأراضي الجديدة المفتوحة التي استقروا فيها، وعليه نلاحظ أن هذه العصبية زالت مع وجود الخطر الخارجي، لكن حالما انتهى هذا الخطر عادت وبنفس الصورة التي كانت عليها من قبل، وهو ما جعل الفتوحات تنحسر وتتوقف؛ لأنها تسببت في إحداث الفتن الداخلية، فكان لها دور محوري في تحريكها.

ومن أهم العوامل التي أدت إلى تأجيج العصبية من جديد السياسة المالية وطريقة توزيع العطاء على أساس السابقة في الإسلام والجهاد والقرابة من الرسول ﷺ،فكان تدافعا قويا لعودة العصبية القبلية وظهورها من جديد(2). فصاروا إلى الغض من قريش والأنفة والتحريض في طاعتهم، والتعلل في ذلك بالتظلم منهم والاستعداد عليهم والطعن فيهم بالعجز في السوية والعدل في القسم(3).

وهذا ما حذر منه النبي ﷺوأكد على أن الإسلام حارب هذه العادة السيئة في المجتمع الجاهلي، وأنّها مؤذنة بالخراب للفرد قبل الأمة فقال:«**ليس منا من قاتَلَ على عَصَبِيّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ**»(4).

فالعصبية مفرقة وهي منافية للوحدة والاعتصام بحبل الله عز وجل لقوله تعالى:﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ١٠٣﴾[آل عمران: ١٠٣]

فالمنهج الذي يطلبه القرآن الكريم ويقره هو الوحدة والتمسك والترابط؛ وينبذ كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الاختلاف والعصبيات التي تغرق صاحبها في الفساد والانحرافات ومنه إلى التفريق بين مكونات المجتمع.

وبعد أن كانت العصبية القبلية في عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ محصورة بين قريش والقبائل الأخرى، أصبحت في خلافة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بين فرعي قريش الكبيرين؛ بني هاشم وبني أمية خاصة بعد بداية الصراع بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ، فانقسمت تلك القبائل بين مؤيد ومعارض لأحد هذين الطرفين، وقد كانت وقعة صفين النموذج المعبر عن ذلك في أرض الواقع(5).

---

(1) **ينظر:العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته**، محمد عابد الجابري، ص: 156.

(2) **ينظر:المرجع نفست2هـ**،ص:158.

(3) **ينظر:مقدمة**، ابن خلدون، ص:215.

(4) **سنن أبي داود أول كتاب الأدب**، باب في العصبية، رقم الحديث: 5121، 215/5.

(5) **ينظر:الإسلام وفلسفة الحكم**، محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة ،ط1، 1989، ص:104.

وقد ظن الناس أنّه بعد القبول بالتحكيم سينتهي شبح العصبية القبلية والاختلاف؛ لما في ذلك من دعوة للصلح والمحبة والسلام بين المؤمنين، إلاّ أنّ الأمر لم يكن بهذه السهولة فعادت النزعة القبلية للظهور، لكنها في ثوب جديد وهو الخوارج الذين انفصلوا عن أمير المؤمنين علي ـ ﷺ ـ رافضين بذلك الخضوع له ولسلطته[1]. فهذه الطبيعة الإنسانية ليست قوية وليست معصومة من الخطأ[2]؛ إنّما هي ضعيفة ومن السهل أن تتغلب عليها العادة والاتجاهات الخاطئة، إذا خالفت الإيمان بالله والتمسك بمبادئ الإسلام وما يقتضيه من أعمال وتطبيقات.

ومن جانب آخر فقد عرف أهل الكوفة بسرعة التحولات السياسية لجهة الولاء[3]، فهم لم يثبتوا على رأي أو قرار، فقد جبلوا على التمرد وعدم الطاعة للنظام؛ لتعودهم على حياة الصحراء التي تساعد على التخريب وحب الثأر والانتقام وعدم الاستقرار[4]، فنجدهم لم يستقر لهم رأي على والٍ واحد، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ حتى قال فيهم:« وأي نائب أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير، ولا يرضى عنهم أمير»[5]. وعليه فإنّ العامل الذي لعب الدور الحاسم في الأحداث السياسية، التي عرفها الإسلام في طور نشأة دولته، خاصة حرب صفين وانتقال السلطة إلى معاوية، هي قوة العصبية[6]... واستمرارها. بمعنى أن الصراعات السياسية التي حدثت عقب فترة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ كانت من بين أسبابها الصراع القبلي[7].

إن الذي كان ينقص أصحاب العصبية القبلية في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الخلافة الراشدة، عدم إدراكهم لخطورة هذه الآفة وما ينجر عنها من تداعيات، فكان لتغيير ما بأنفسهم تغيير لوضعهم من حسن إلى سوء، ومن أمن إلى حرب، وتلك نتيجة طبيعية للعصبية القبلية ـ السلبية ـ التي لا ينتج عنها إلا الفساد والخراب.

---

(1) **ينظر:الطبقات الكبرى**، ابن سعد، 33/3.

(2) **ينظر:إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها**، ماجد عرسان الكيلان، المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط1،1426هـ، ص: 36

(3) **ينظر:التطورات السياسية للدولة العربية الإسلامية خلال المرحلة الانتقالية من عهد الراشدين وإلى عهد الأمويين**، خليل شاكر حسين، مجلة المؤرخ العربي، العدد47، 1993م، ص: 183.

(4) **ينظر:السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل الخلافة الأموية**، ترجمة : إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1996م، ص:11.

(5)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 166/4.

(6) **ينظر:فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، مُحَمَّد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط6، 1994م، ص:245.

(7) **ينظر: المقدمة**، ابن خلدون، 556/2.

خلاصة المبحث:

رصدتُ من خلال هذه المبحث جملة من التغيرات التي حدثت وأثرت على الفتح وهي التغيير الديني، والسياسي، والاجتماعي والاقتصادي، إضافة إلى انبعاث العصبية القبلية من جديد ودورها في انحسار الفتوحات وذلك بسبب الصراعات الداخلية الناتجة عن هذا التغيير.

وهكذا يتبين لنا أن من سار على سنن الله ومنهجه الكوني والشرعي، وعمل وفق سنن التغيير، كانت حياته طيبة، كما كان الحال في خلافة أبي بكر وعمر والفترة الأولى من خلافة عثمان ـ ﷺ ـ، عكس من أدار ظهره للسنن ولم يأخذ بها، مثلما حدث في أواخر عهد عثمان وطوال فترة حكم علي،حين غير المجتمع ما بنفسه فتغير حاله وتحول من أمن واستقرار إلى فوضى وحرب، مما أثر على سير الفتوحات الإسلامية وقلص في اتجاهاتها وطريقها الذي كان في خط مستقيم كاد يصل إلى كل أهل الأرض. وتلك سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول.

المبحث الثاني:

السنن الإلهية في التدافع

(نشاط الحركات المعادية)

مما لا شك فيه أن الإسلام منذ ظهوره بدأ يترصد له الأعداء من المشركين واليهود والمنافقين وقد واجههم رسول الله ﷺ ، إلا أن بغضهم وكرههم للإسلام والمسلمين سنة باقية إلى يوم الدين ، وهذه العداوة كان لها أثر واضح في الفتنة التي حدثت في عهد الخليفة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ.

وقبل الشروع في الحديث عن الحركات المعادية ونشاطها وأثرها على سير الفتوحات وانحسارها لابد لنا من ذكر بعض الآيات التي دلت على العداوة للإسلام من الكفار واليهود والمنافقين.

الكافرون هم أعداءِ المؤمنين، ولقد أخبرَ الله عز وجل عن ذلك، كي يَحذرون، فقال تبارك وتعالى:﴿ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١ ﴾[النساء: ١٠١]

ومعلومٌ أنَّ العدو يسعى في إيذاءِ عدوهِ ما استطاعَ إلى ذلك سبيلاً، فمن مظاهرِ عداوتهم أنَّهم﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠ ﴾[التوبة: ١٠]

أي لا يحفظون في مؤمنٍ، عهدًا ولا أمانة، قال تعالى:﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨ ﴾[التوبة: ٨]

وبيَّن الله جل ذكره أن الكافرين يسعون جهدهم لصد المؤمنين عن دينهم، فقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ ﴾[آل عمران: ١٠٠]

وقال أيضا: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ٨٩ ﴾[النساء: ٨٩]

وأخبر الله تعالى ذكره أن عداوة اليهود والنصارى للمؤمنين متأصلة إلى أن يتخلوا عن دينهم الحق، ويتبعوا ملتهم المحرفة والباطلة، فقال تعالى:﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠ ﴾[البقرة: ١٢٠]

وقريبا من هذا المعنى جاء قوله جل ثناؤه:

﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ١٠٩ ﴾[البقرة: ١٠٩]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾[البقرة: ٢١٧]

وبيَّن الله عز وجل ما يضمر الأعداء للمؤمنين من بغض وحقد كبيرين، فقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾[آل عمران: ١١٨ ــ ١١٩]

مبدأ المفاصلة بين أهل الإيمان وأهل الكفر مبدأ مهم في عقيدة الإسلام، نبه إليه سبحانه في أكثر من موضع من كتابه الكريم، من ذلك قوله تعالى:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾[المجادلة: ٢٢]

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾[النساء: ١٤٤]

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴿١﴾ ﴾[الممتحنة: ١]

ويحذر الله جل وعلا المؤمنين من الولاء للكافرين واليهود والمنافقين؛فقال سبحانه وتعالى في النهي عن موالاة الكافرين: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾[آل عمران: ٢٨]

وقال عز من قائل محذرا من موالاة اليهود والنصارى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[المائدة: ٥١]

وقال جل ثناؤه في بيان موالاة المنافقين للكفار: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾[النساء: ١٣٨ ــ ١٣٩]

وأخبر سبحانه وتعالى أن المنافقين يوالي بعضهم بعضا: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[التوبة: ٦٧]

وقال عز وجل – مخاطبا نبيه ﷺ ومن خلاله المؤمنين– ناهيا عن طاعة الكافرين والمنافقين:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾[الأحزاب: ١]
والآيات في ذلك كثيرة.

وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة تؤكد عداوة الكفار واليهود والمنافقين للمؤمنين، سأذكر نماذج منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

عن أبي سعيد الخذري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال فمن؟**»[(1)].

وقال ﷺ: « **أوثق عرى الإيمان: الموالاة والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله**»[(2)].

المطلب الأول: دور الحركة اليهودية في تراجع الفتوحات

ونقصد بذلك الحركة التي قادها عبد الله بن سبأ والتي كانت سببا في الفتنة وتطورها، وذلك بتتبع الارهاصات الأولى وبداية الفتنة من الجذور.

الفرع الأول: إرهاصات الفتنة

بدأت الفتنة في عهد الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ بظهور الفئات السرية المعادية بقيادة عبد الله بن سبأ[(3)]، وهو يهودي أظهر الإيمان وأبطن الكفر،وبدأ بنشر أفكاره الهدامة، بهدف زعزعة الوحدة الإسلامية، واستطاع أن ينال تأييد ضعفاء النفوس خاصة المتطلعين إلى السلطة والنفوذ والذين كان همهم الحياة الدنيا.

([1]) **أخرجه البخاري** ،كتاب (أحاديث الأنبياء)، باب (ما ذكر عن بني إسرائيل)، حديث رقم: 3456، 169/4

([2])**صحيح الجامع الصغير** 343/2 ح 2536،الألباني، وقال حديث حسن، وعزاه إلى الطبراني في المعجم الكبير والطيالسي ومسند الإمام أحمد. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة 4/ 306 ح 1728، المكتب الإسلامي ط:2، 1399هـ 1979م.

([3])**عبد الله بن سبا** يهودي من صنعاء لقب بابن السوداء، وقد أظهر إسلامه على عهد عثمان بن عفان، وبدأ برسم خطط ليلفت المسلمين عن دينهم وعن طاعة خليفتهم ويوقع الفرقة والخلاف بينهم، وذلك في كل من الشام والعراق وخاصة مصر. ينظر: **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 340/3. وينظر: **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، 328/9.

إنّ اليهود وغيرهم من المناوئين للإسلام في عداوة دائمة وكيد مستمر للحق وأهله، وهذه سنة إلهية ماضية فيهم إلى يوم القيامة، فهذه العداوة للذين آمنوا مستمرة، وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ ﴿٢١٧﴾﴾[البقرة: ٢١٧]

قال الطنطاوي في تفسيره الوسيط:« أي: ولا يزال المشركون يقاتلونكم أيها المؤمنون ويضمرون لكم السوء ويداومون على إيذائكم لكي يرجعوكم عن دين الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا ذلك وقدروا عليه. والتعبير بقوله «ولا يزالون» المفيد للدوام والاستمرار للإشعار بأن عداوة المشركين للمسلمين لا تنقطع، وأنهم لن يكفوا عن الإعداد لقتالهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فعلى المؤمنين ألا يغفلوا عن الدفاع عن أنفسهم.

وحَتَّى للتعليل أي: لا يزالون يقاتلونكم لكي يردوكم عن دينكم أو بمعنى إلى، أي: إلى أن يردوكم عن دينكم. والرد: الصرف عن الشيء والإرجاع إلى ما كان عليه قبل ذلك: فغاية المشركين أن يردوا المسلمين بعد إيمانهم كافرين.

وقوله: إِنِ اسْتَطاعُوا يدل- كما يقول الزمخشري- على استبعاد استطاعتهم رد المسلمين عن دينهم، وذلك كقول الرجل لعدوه: إن ظفرت بي فلا تبق على. وهو واثق من أنه لن يظفر به. ويشهد لذلك التعبير بإن المفيدة للشك.

وفائدة التقييد بالشرط «إن» التنبيه على سخافة عقول المشركين، وكون دوام عداوتهم للمؤمنين لن تؤدى إلى النتيجة التي يتمنونها وهي رد المسلمين عن دينهم، لأن لهذا الدين ربا يحميه، وأتباعه يفضلون الموت على الرجوع عنه».[1]

وقال السعدي في تفسير هذه الآية: «أخبر تعالى أنهم لن يزالوا يقاتلون المؤمنين، وليس غرضهم في أموالهم وقتلهم, وإنما غرضهم أن يرجعوهم عن دينهم, ويكونوا كفارا بعد إيمانهم حتى يكونوا من أصحاب السعير، فهم باذلون قدرتهم في ذلك, ساعون بما أمكنهم، ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾وهذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون يقاتلون غيرهم، حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصا، أهل الكتاب، من اليهود والنصارى،الذين بذلوا الجمعيات، ونشروا الدعاة، وبثوا الأطباء، وبنوا المدارس، لجذب الأمم إلى دينهم، وتدخيلهم عليهم،كل ما يمكنهم من الشبه، التي تشككهم في دينهم. ولكن المرجو من الله تعالى، الذي مَنّ على المؤمنين بالإسلام، واختار لهم دينه القيم، وأكمل لهم دينه، أن يتم عليهم نعمته بالقيام به أتم القيام، وأن يخذل كل من أراد أن يطفئ نوره، ويجعل كيدهم في نحورهم، وينصر دينه، ويعلي كلمته. وتكون هذه الآية صادقة على هؤلاء الموجودين من الكفار، كما صدقت على من قبلهم:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾».[2]

([1])**التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر ، القاهرة، ط1، 1997م، 474/1.

([2])**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار الحديث، القاهرة ، 2005م،ص: 89.

فالمسلمون سوف يتعرضون لهذه السنة في كل مراحل تاريخهم؛ لذا لابد لهم من الانتباه والإعداد والاستعداد لمواجهتهم؛ وذلك بأخذ العبرة مما سبقهم من أنبياء وخلفاء وحضارات بصفة عامة، وأخذ الاحتياط اللازم.

فرأس الفتنة رجل يهودي من اليمن يُدعى عبد الله بن سبأ، أسلم أو تظاهر بالإسلام ، ليخفي حقده وكفره، ثم بدأ يتنقل في بلاد المسلمين، ويبث دعوته بتدرج وخبث ودهاء، محاولاً إضلال المسلمين وتغيير عقائدهم وإيقاع الفتنة بينهم، كان يبث دعوته في البصرة انتصارا لابن الزبير رضي الله عنهما، وفي الكوفة لطلحة ـ ﷺ ـ ، غير أن عبد الله بن عامر قضى على الفتنة في البصرة، ولم يستطع سعيد بن العاص أن يقضي عليها في الكوفة؛ لأنّ النقمة أشد، أما الشام حيث معاوية فلم يقدر على فعل ما يريد فيها، بل أخرجوه منها فذهب إلى مصر، وجعل يدعو إلى علي ـ ﷺ ـ.

وقد حاول بعض المستشرقين(1) وبعض الشيعة المعاصرين(2) التشكيك في وجود شخصية عبد الله بن سبأ التي كان مصدرا للفتنة في عهد الخليفة الثالث، بغرض اتهام الصحابة رضوان الله عليهم، وبخاصة سيدنا عثمان ﷺ، وبالتالي تحميلهم مسؤولية الاضطرابات والفتن التي حدثت. فالهدف من إنكار وجود السبئية ومؤسسها هو: الادعاء بأن الفتن إنّما هي من عمل الصحابة أنفسهم، وأن نسبتها إلى اليهود أو الزنادقة نوع من الدفاع عن الصحابة لجأ إليها الإخباريون والمؤرخون المسلمون ليعلّقوا أخطاء هؤلاء الصحابة على عبد الله بن سبأ. يريدون بذلك التوصل إلى نتيجة تقول: لا حاجة لمحرّضٍ يمشي بين الصحابة، فقد كانت نوازع الطمع وحب الدنيا والسلطة مستحوذة عليهم، فراحوا يقاتلون بعضهم بعضا عن قصد وتصميم(3).

والحقيقة التي يؤكدها كثير من العلماء والمؤرخين المحققين أن ابن سبأ شخصية حقيقية؛ منهم: الذهبي الذي ترجم له بقوله: « عبد الله بن سبأ من غُلاة الزنادقة، ضالّ مضل»(4).وجاء في كتاب المعارف لابن قتيبة:« السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ»(5). وقال عنه الشهرستاني في كتاب الملل والنحل: «هو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي، ومنه انشعبت أصناف الغلاة» (6).

---

(1) **مثل: كيتاني، في كتاب: حوليات الإسلام**، ، 32/8. ينظر: **مذاهب الإسلاميين**، عبد الرحمن بدوي، 30/2، **وبرنارد لويس،في كتاب: الأصولالإسماعيلية**، ، ص: 86.

(2)**وأبرزهم: علي الوردي في كتابه: وعاظ السلاطين**، ص273، وكامل مصطفى الشيبي في كتابه:**الصلة بين التصوف والتشيع**، ص: 41. 43.

(3) **ينظر:تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة**، محمّد أمحزون، 314/1.

(4) **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**،الامام الحاظ شمس الدين محمّد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمّد علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت، 426/2

(5)**المعارف**، أبي محمّد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة ،ط4، 1981م،ص: 267.

(6)**الملل والنحل**، أبي الفتح محمّد بن عبد الكريم الشهر ستاني، تحقيق: خيري سعيد، دار التوفيقية للتراث،2014م، 124/1.

يقول ابن عساكر:« وطاف (يقصد ابن سبأ) بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر، وقد دخل دمشق لذلك في زمن عثمان بن عفان»[1]. وفي رواية لسليمان الأعمش كان يقول عن السبئية: «اتقوا هذه السبئية، فإني أدركتُ الناس وإنما يسمونهم الكذابين»[2].

ويؤكد ابن كثير أن من أسباب تألب الأحزاب على عثمان، ظهور ابن سبأ وذهابه إلى مصر وإذاعته بين الناس كلاما اخترعه من نفسه... فافتتن به بشر كثير من أهل مصر[3].

وكان قتادة بن دعامة السدوسي[4] إذا قرأ هذه الآية:﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾[آل عمران: ٧]قال: « إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري»[5].

ويقول ابن حبان:« وكان الكلبي ويقصد به ـ محمد بن سائب الكلبي ـ سبئيًا من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إنّ عليا لم يمت، وأنه راجع إلى الدنيا، يملؤها عدلا كما ملئت جوراً، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها »[6].

نستشف من هذه الروايات المختلفة أن وجود السبئية ودورها في الفتنة أمر حقيقي وواقعي لا جدال فيه. وهو ما اتفق عليه جمع غفير من المؤرخين والمحدثين وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب، وما يؤكد هذا أن بعض الشيعة صرحوابأنه شخصية تاريخية حقيقية[7].

وقد تكاثر ذكر أخبار فتنته وشذوذه وسعيه في التآمر هو وطائفته في كتب الفرق والرجال والتاريخ وغيرها من مصادر السنة والشيعة جميعًا ([8])، ما يعني وجود شخصية ابن سبأ، وأنه المتسبب الرئيس في إشعال نار الفتنة بين المسلمين.

([1])**تاريخ دمشق**، ابن عساكر، 328/8.

([2]) **الكامل في ضعفاء الرجال** ، ابن عدي، حققه مختار غزاوي، بيروت ، دار الفكر، ط3، 1988هـ ، 116/6

([3]) **ينظر:البداية والنهاية**، ابن كثير، 167/7 .168. وينظر: **العبر**، ابن خلدون 2/ 1027، وينظر: **المواعظ والاعتبار بذكر الخططوالآثار**، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمد زينهم ومديحة شرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997م، 290/2.

([4])**قتادة بن دعامة السدوسي البصري**: مفسر من ثقات التابعين وحفاظهم، وقال ابن سعد ثقة مأمون حجة في الحديث، ووثقه ابن معين، توفي عام 117هـ، ينظر: الطبقات الكبرى ، ابن سعد، 229/7.

([5])**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، 119/3.

([6]) **المجروحين من المحدثين**، لإبن حبان، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000م، ط1، 262/2.

([7]) **ينظر:تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة**، محمد أمحزون، ، 285/1.

([8]) **انظر في ذلك:** البغدادي/ الفرق بين الفرق ص233، الشهرستاني/ الملل والنحل: 174/1، الإسفراييني/ التبصير في الدين ص71-72، الرازي/ اعتقادات فرق المسلمين ص86، ابن حجر/ لسان الميزان: 289/3، ابن عساكر/ تهذيب == تاريخ دمشق: 431/7، السمعاني/ الأنساب: 46/7، **تاريخ الطبري**: 340/4، ابن الأثير/ الكامل: 77/3، ابن كثير/ البداية والنهاية: 167/7، ابن خلدون/ العبر: 160/2،161.

ومن مصادر الشيعة: القمي/ المقالات والفرق ص20، النوبختي/ فرق الشيعة ص22، ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة: 308/2.

وبالرجوع إلى سنن الله عز وجل التي أودعها في هذا الكون، وتحديدا سنة ابتلاء المؤمنين بتربص الأعداء بهم؛ نجد أن اليهودي عبد الله بن سبأ– ومن معه –هم من تولى كبر إثارة الفتنة في عهد سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ؛ حيث كان له أيدٍ خفية في كل ما حدث في هذه الفترة. وهذا لا يعني أنه السبب الوحيد لتلك الفتنة، فلا يُعقل أن يكون لفئة من اليهود – مهما كان مكرها– كل ذلك الأثر على المسلمين، بل هناك عوامل أخرى كان لها الأثر الواضح في وقوع الفتنة وتوقف الفتوحات،وهو ما سأتطرق له لاحقا بمشيئة الله.ولكن القصد أن السبئية هي أول من بدأ بإشعال نار الفتنة وتحريض الناس على الخليفة والولاة، وغيرها من المؤامرات التي غيرت مجرى الأحداث وأثرت في مسار والفتوحات خصوصا والخلافة الراشدة عموما.

الفرع الثاني: بداية الفتنة

إنّ عداء اليهود للمسلمين لم يكن وليد فترة الخلافة الراشدة، بل كان منذ بداية الإسلام، وقد بين الله عز وجل في كتابه العزيز أن اليهود والمشركين هم العدو الأول للمؤمنين فقال تعالى:﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾[المائدة: ٨٢].

فالمكر والتآمر على المسلمين حقيقة تاريخية ثابتة، منذ بداية الدعوة الإسلامية إلى يومنا هذا، فقد سجل القرآن الكريمفي آيات كثيرة –كما ذكرت آنفا– تآمر المشركين واليهود على المسلمين، وفي تاريخنا شواهد كثيرة تثبت ذلك بالأدلة القاطعة، كحركة الردة وغيرها من الحوادث.

ففي الفترة الأولى من عهد الخلفاء الراشدين؛أي خلافة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، لم يكن لهم تأثير كبير، ولم يستطيعوا إشعال نار الفتنة،خاصة وعمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ على رأس الخلافة، إذ يعلم أنهم خطر على الإسلام، وبذلك عمل على تنفيذ أوامر الرسول ﷺبإخراجهم من الجزيرة العربية فقد قال ﷺ:« **لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلما**»[1].

والرسول ﷺلا ينطق عن الهوى، فقد كان يدرك مدى خطورتهم، وكل الجوانب السلبية التي من شأنها أن تؤثر على المسلمين بوجود اليهود في أراضي المسلمين، فكرهُهم وبغضُهم للإسلام يجعلهم يسعون للعمل على الإطاحة به؛ لذا أكد رسولنا الكريم على التخلص منهم وذلك بإخراجهم حيث قال:« **أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**»[2].

ويؤكد ابن حجر أن المقصود بالجزيرة مكة والمدينة واليمامة حيث يقول:« لكن الذي يُمنع المشركون من سكناه، منها الحجاز خاصة وهو مكة، والمدينة واليمامة وما والاها، لا فيها سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب، لاتفاق الجميع على أن اليمن لا يمنعون منها مع أنها من جملة جزيرة العرب، هذا ما ذهب إليه الجمهور»[3].

([1]) **أخرجه مسلم** ، كتاب (الايمان) باب (أدنى أهل الجنة منزلة فيها) حديث رقم:193، 125/1.

([2]) **أخرجه البخاري** ، كتاب (الجهاد والسير) باب (هل يستشفع أهل الذمة)، حديث رقم:31/30534.

([3])**الفتح**، ابن حجر، 171/6.

وعليه نجد أنه لما سمح لليهودي عبد الله بن سبأ دخول المدينة بدأ فيإشعال نار الفتنة، حيث كان يتنقل من الشام إلى العراق ثم إلى مصر وعمل على تحريض الناس على الخليفة، فكان هو رأس الفتنة، وهذا بالفعل ما حدث وسأذكر ذلك مفصلا.

وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومعتقدات ادعاها واخترعها من قبل نفسه وافتعلها من يهوديته الحاقدة الناقمة على الإسلام، وبدأ في نشرها، لكنه لم ينسبها إلى رسول الله ﷺ،وإنّما جاء بها بقصد الدس في المجتمع الإسلامي بغية تفكيكه، وإذكاء نار الفتنة والنيل من وحدته وقوته، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه [1].

وبذلك جعل الأمة الإسلامية متفرقة إلى طوائف وفرق وأحزاب، مما كان أثر واضح على الفتوحات و سيرها، فقد انحسرت ولم تكن كما كانت في السنين الأولى من خلافة سيدنا عثمان ﷺ.

لذا قام ابن سبأ بإثارة الفتنة لما رآه من نعم على المسلمين من خيرات وأمن واستقرار وتوسع في الفتوحات ونشر لدين لله، فأراد أن يوقف هذا الخير حسدا وبغضا للمسلمين على نعمهم.

ومن الأسس التي تبين حقد اليهود وهي سنة ثابتة، أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويخرجونه عن معناه ومقصوده، ويفسرونه بغير مراد الله سبحانه وتعالى، ويكذبون على الله وعلى الناس، وقد بين الله عز وجل ذلك، فقال تعالى:﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ٤٦﴾[النساء: ٤٦]

وقال جل ذكره: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٧٨﴾[آل عمران: ٧٨].

وهذا فعلا ما حدث حيث نجد أن من بين أهم الأفكار الخطيرة التي ابتدعها ابن سبأ هو ادعاؤه رجعة الرسولﷺ ؛ والرجعة تعني عند السبئية: « رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة وعودتهم إلى الحياة بعد الموت في صورهم التي كانوا عليها »[2].

يقول ابن سبأ: « لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن مُحَمّدا يرجع، وقد قال الله عز وجل :﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٨٥﴾[القصص: ٨٥]،فمحمد أحق بالرجوع من عيسى قال فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها». [3]

(1) **ينظر:تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الامام الطبري**، مُحَّد أمحزون، 327/1

(2)**أوائلالمقالات في المذاهب المختارات**، مُحَّد بن مُحَّد المفيد، مكتبة حقيقي، التبريز، ايران، 1951م ، 46.

(3)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 340/4.

وبهذا يكون" ابن سبأ " أول من أحدث القول برجعة علي ـ ﷺ ـ، وقد كان يعتمد في بث هذه العقيدة ونشرها بين المسلمين على الحوار الهادئ لكي يصل به ومن خلاله إلى تثبيتها في أصحاب النفوس الضعيفة، ولهذا قال عندما بلغه نعي أمير المؤمنين علي ـ ﷺ ـ:«كذبت لو جئنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً. لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض»(1)

وفي استدلال ابن سبأ بالقرآن تدليس وكذب واضح، وتأويل باطل؛ فإن قوله تعالى:﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾لا تعني عودة النبيﷺإلى الحياة الدنيا، بل هي عند جموع المفسرين بشارة له بأن يعود إلى مكة فاتحا بعد أن أخرج منها مكرها (2)

ومن بين أفكار ابن سبأ الخبيثة أيضا قوله بالوصية،وهو أول من قال بوصية رسول الله ﷺ لعلي، وأنه خليفته على أمته من بعده بالنص. وقد انتهج طريقة القياس الفاسد فقال:« إنّه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي مُحَّد ثم قال: مُحَّد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء»(3)، فنجد أن رأيه هذا كان الخيط الذي يوصله إلى الإطاحة بالخليفة ومن ثم زعزعة استقرار المسلمين ونشوب الثورات، وذلك بأن يوقع بينهم الفرقة والاختلاف، ومنه إلى تشتيت وبث الحقد بين المسلمين.

ففكرة أن سيدنا عليّ هو الوصي تؤول إلى أن سيدنا عثمان لم يتبع أوامر النبي ﷺ،وبالتالي يجبزحزحته من منصبه بدعو بعدم الطاعة والولاء. ولا بدلكم يا معشر المسلمين من التزام مبدأ النهي عن المنكر ففعل سيدنا عثمان هذا يدخل ضمن المنكرات التي يجب أن لا تكون فقال :« إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ، فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر»(4).

فأراد بذلك أن يوهم الناس أن الصراع كان بين اثنين من كبار الصحابة؛ وذلك بالطعن في عثمان وأنه ظلم عليا-رضي الله عنهما-، وهو الأحق بالخلافة لامتلاكه حق الوصية.

يقول ابن العربي:« إن الرحمة التي جبل عليها سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ وامتلأ بها قلبه أطمعت الكثير فيه، وأرادوا أن يتخذوا من رحمته مطية لأهوائهم»(5).

---

(1) **فرق الشيعة**، النوبختي، ص: 20

(2)**ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، السعدي 38/6ينظر: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير**، ابن كثير، تحقيق: أحمد شاكر،ط2، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 2005م، 785/2.

(3)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 340/4.

(4) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 33/3، **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، ، 341/4.

(5)**العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي**، القاضي ابن بكر ابن العربي، ص: 58.

فاستغل المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ اليهودي الذي دخل الإسلام وهو يضمر له العداوة، تلك الظروف، فألب على عثمان ـ ﷺ ـ ضعفاء النفوس، والحاقدين عليه وعلى الإسلام، وقوته النامية التي استطاعت في وقت قصير أن تزلزل عروش الفرس والروم، مما جعل بعض الموالي يحنقون على المسلمين لأنهم قضوا على ملكهم وملك آبائهم، فساعدوا في إشعال الفتنة، والانقلاب على سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ وقتله.

والسؤال الملحّ: كيف لجيل نشأ وتلقى التربية قولا وعملا على يدي النبي ﷺ،ثم سار على ذلك الشيخان أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، أن يتأثر بفتنة ابن سبأ، وكيف له أن يدخل بين كبار الصحابة بهذه الأفكار الخبيثة ؟

والجواب:أن ابن سبأ عرف كيف يصل إلى ضعاف الإيمان والنفوس، ويبث آراءه وأفكاره الفاسدة، وذلك بتأويل وتحريف نصوص من القرآن،والتي من شأنها أن تؤكد على كلامه وتضع الناس في موضع الشك وإعادة الحسابات، فقد صبغ آراءه وأفكاره بصبغة شرعية وبثها في إطار شرعي؛ وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(1).

وقد بث ابن سبأ دعاته، وكاتب من كان جنَّد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السرّ إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرّون غير ما يبدون، فيقول: أهل كل مَصر« إنّا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس»(2).

وقد كان من مكر ابن سبأ أن تفطن للكثير من الأمور التي من شأنها أن تساعده على الوصول إلى هدفه، من ذلك أنه جعل أهل الكوفة يثورون لأصغر الحوادث على ولاتهم، علما أنه ركز في حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة، وذلك بقبول كل ما يقوله وتصديقه، فالقراء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ذكرنا سابقا، وأصحاب المطامع منهم هيج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على الخليفة عثمانـ ﷺ ـ ، مثل تحيزه لأقاربه وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمى الحمى لنفسه، إلى غير ذلك من التهم والمطاعن التي حرّك بها نفوس الغوغاء ضد سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ(3).

---

(1) **ينظر:تاريخ الخلفاء**، السيوطي، 157، **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 341/4.**تاريخ المذاهب الإسلامية**، 224/2، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن الأثير،139/2.

(2)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 341/4.

(3) **ينظر:تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الامام الطبري والمحدثين**، مُحَّد أمحزون، 329/1 .330.

كل هذا جعل الناس ينقمون على الخليفة، وبدأ ابن سبأ يبث فكرة أن كل من الأمصار ناقمة على الولاة، وذلك بإرسال كتب مزورة تخبر بأن تلك الأمصار في حالة من الفوضى والاضطراب، حتى شاع بين الناس أن جميع الأمصار طالتها الفتنة، فصدقوا ذلك؛ مما أشعل شرارة الفتنة في المجتمع الإسلامي وفي أمصاره.

وهنا بدأ سيدنا عثمانـ ﷺ ـ يشعر باقتراب نار الفتنة فقال:« والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها»[1].

في هذا الجو المشحون بدأت السبئية بتنفيذ خطتها المحكمة فقدموا إلى المدينة وذكروا لعثمان أخطاء له يقرّونه بها، ويزعمون بعد ذلك للناس أنه لم يخرج عنها، وأنه لم يتب، فيحل لهم بذلك دمه[2].

كان ذلك(سنة 35هـ)، وتواعدوا أن يعودوا في شوال من نفس السنة لتنفيذ مؤامرتهم،يقول الطبري :« لما كان شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء المقلّل يقول ستمائة والمكثر يقول ألف... ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب، وإنّما خرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء... وخرج أهل الكوفة في عدد كعدد أهل مصر، وكذا أهل البصرة، ولما اقتربوا من المدينة شرعوا في تنفيذ مرحلة أخرى من خطتهم، فقد اتفق أمرهم أن يبعثوا اثنين منهم ليطلعا على أخبار المدينة ويعرفا أحوال أهلها. فذهب الرجلان فلقيا أزواج النبي ﷺوعلياً وطلحة والزبير، وقالا: إنما جئنا نستعفي عثمان من بعض عمالنا، واستأذنا لرفاقهم بالدخول، فأبى الصحابة، وقال علي ـ ﷺ ـ:لا آمركم بالإقدام على عثمان، فإن أبيتم فبيض سيفرخ»[3].

وبهذا يكون سيدنا عليّ ـ ﷺ ـ قد تفطن لغرضهم الخبيث، وعلم أنهم جاؤوا بشرهم للمدينة، وأن حدوث الابتلاء قد اقترب فعمل على صده وإيقافه.

ولما باءت محاولتهم الأولى لعزل الخليفة بالفشل احتاج الأمر منهم إلى أسلوب آخر[4]، فكان أن اجتمع من أهل مصر نفر فأتوا عليّا، ومن أهل البصرة فأتوا طلحة، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير، فكلّموهم لكنهم ردّوهم على أعقابهم وهم يقولون:« لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خشب ملعونون على لسان مُحَّد ﷺفارجعوا لا صبحكم الله»[5]. ويقصد بجيش المروة هنا كما جاء في تاريخ دمشق قتلة عثمان[6].

([1])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 343/4.

([2]) **ينظر**: **المصدر نفسه**، 346/4.

([3])**أنساب الأشراف**، البلاذري، 560/1.

([4]) **ينظر**:**تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين**، مُحَّد أمحزون، 332/1.

([5])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري ، 350/4

([6]) **ينظر**:**تاريخ دمشق**، ابن عساكر، ص:454.

ورغم معارضة الصحابة لهم؛ إلاّ أنهم أصروا على بلوغ هدفهم بانتهاج خطة ثالثة وهي تزوير كتاب على لسان عثمان ﷺ، وبذلك يكون حجة وذريعة ضد الخليفة كي يستباح دمه.

فقد جاء في الروايات أن وفد أهل مصر عندما قفلوا راجعين من المدينة « فبينما هم في الطريق إذا راكب يتعرض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم ويسبقهم. قالوا له:« مالك؟ إنّ لك لأمرا! ما شأنك؟ فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه، فإذا هم بكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه إلى عامله بمصر: أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، فأقبلوا حتى قدموا المدينة»[1].

فأتوا عليا، فقالوا: « ألم تر إلى عدو الله؟ إنه كتب فينا بكذا وكذا، وأنّ الله أحل دمه، قم معنا إليه، قال علي: والله لا أقوم معكم، فقالوا: فلم كتبت إلينا؟ فقال: والله ما كتبت إليكم كتابا قط، فنظر بعضهم إلى بعض ثم قال بعضهم لبعض: ألهذا تقاتلون، أو لهذا تغضبون؟ فانطلق علي فخرج من المدينة إلى قرية، فانطلقوا حتى دخلوا على عثمان فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا. فقال: إنهما اثنتان: أن يقيموا رجلين من المسلمين أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمليت ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم، قالوا: قد أحل الله دمك ونقضت العهد والميثاق، وحصروه في القصر . الدار . ﷺ»[2].

نستنتج مما ذكر العديد من الألغاز في هذا الكتاب، منها؛ أن حامل الكتاب –حسب الرواية–كان يتعرض للقوم ويفارقهم وهذا ليلفت انتباههم ويسألوه ما بيده، وثانيا: قوله بأنه رسول الخليفة إلى والي مصر، وقد كان خروج الوفد من عند عثمان في نفس التوقيت، وقد تكلم معهم، فما كان غرضه من إرسال هذا الكتاب إلى عامله بمصر؟

والأمر الأكثر حسما للموضوع هو أنهم سألوا الخليفة وأجاب وأكد أنه لم يقم بإرسال الكتاب[3]، ولا حتى ختمه، فلماذا لم يصدقوا الخليفة وهو أهل لذلك؟

جاء في البداية والنهاية لابن كثير أن عثمان هو البر الصادق، يؤكد أن الكتاب مكتوب على لسانه، وأن الخاتم قد ينقش على خاتمه، فيصدقه الصادقون، ويكذبه الكاذبون[4]، فهنا أكد لهم الخليفة أنه مجرد تزوير على لسانه؛ فلماذا أصروا على أنه هو من فعله ؟

([1])**تاريخ خليفة بن خياط**، أبي عمر بن خياط، ص:169.

([2])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 354/4.

([3])**تجدر الإشارة أن كتاب عثمان بن عفان ﷺ لم** يكن الوحيد الذي زور ولكن هناك تزوير لكتاب باسم عائشة ﷺ، حيث اتهمت بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان، وكذلك اتهم علي بأنه كتب اليهم أن يقدموا عليه المدينة. ينظر: **البداية والنهاية**، ابن كثير، 195/7.

([4]) **ينظر:البداية والنهاية**، ابن كثير، 7/.191.

وبذلك يتبين أن الأمر كان مدبرا ومحسوما وأنهم متفقون على تلفيق الاتهامات، ومهما يكن تبرير الخليفة لهم فلن يصدقوه، فهم يعلمون أنه صادق ويريدون أن يكذبوه ليثبتوا عليه التهم، ومنها تعم الفوضى في المجتمع الإسلامي ويحققون ما كانوا يصبون إليه.

وكان من كيدهم أيضا أن زوروا كتبا بأسماء كبار الصحابة كعلي وطلحة والزبير ﷺ ونسبوها إليهم، وفيها يستنجدون بسكان الأمصار ويأمرونهم بالقدوم إلى المدينة المنورة، فدين مُحَّد قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة[1]، وقد استنكر هذا الفعل كل الصحابة المتهمون بذلك [2].

كل هذه المكائد وغيرها، هيجت الناس وسهلت تجنيدهم، فخرجوا من مختلف الأمصار،وعلى رأسهم المدبر للفتنة والقائد العام لها "عبد الله بن سبأ"الذي اندس ضمن الوفد الذي جاء إلى المدينة محمَّلا بالاتهامات على سيدنا عثمان ﷺ كذبا وزورا. ووجوده ضمن الوفد يؤكده الطبري بقوله: « أن معهم ابن السوداء»[3].

نستشف من مجموع الروايات أن عبد الله بن سبأ قصد ضرب الإسلام، وذلك بطعنه في كل الخلفاء، فلو كان هناك فعلا خطأ من سيدنا عثمان وأراد تقويمه كما يزعم فله حق ذلك، لكن أن نجده يطعن في الشيخين، فهذا ما يفسر أنه يقصد الإسلام بذلك ويريد الإطاحة به، من خلال الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة رضوان الله عليهم.

كانت تلك فتنة ابن سبأ وما بث من أفكار هدامة وجدت لها صدى لدى طوائف من المنافقين سرعان ما انتشرت كالنار في الهشيم

كان من نتائج هذه الفتنة تراجع الفتوحات بعدما كانت في أوج تطورها خاصة بوصول الفاتحين للمناطق البحرية وخوض المعارك فيها والانتصار فيها. فلم يثبت الناس على منهج النبوة أكثر من جيل، وبخاصة بعد توسع رقعة الخلافة، فكان لتلك الانتصارات الواسعة والفتوح العظيمة، وما نتج عنها من رخاء أثر على نفوس الناس، فبدأ التنافس على الدنيا ومتاعها، فدب فيهم علل الأمم التي كانت قبلهم، فتحققت فيهم سنة الله عز وجل في كل أمة بطرت معيشتها، واستشرى فيها الترف وحب الدنيا.

الفرع الثالث: تحقق سنة عداء اليهود للمؤمنين في معركة الجمل

بعد استشهاد سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ جمع الثوار أهل المدينة وقالوا لهم: « انظروا رجلا تولونه، ونحن لكم تبع، فقالوا: لا يصلح لها إلا علي ونحن به راضون، إلا أن سيدنا علي لم يرض في البداية

([1]) **ينظر:تاريخ الرسل والملوك**، الطبري355/4.

([2]) **ينظر:تاريخ خليفة بن خياط**، خليفة بن خياط، ص: 169.ينظر: **البداية والنهاية**، ابن كثير، 175/7.

([3])**المصدر السابق**، 349/4

وقال: دعوني والتمسوا غيري. وفي رواية عمر بن شيبة أنه لما قتل عثمان ـ ﷺ ـ أتى الناس عليّا وهو في سوق المدينة فقالوا: ابسط يدك نبايعك فقال: حتى يتشاور الناس، فقال بعضهم لبعض: لئن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان ﷺ ولم يقم بعده قائم لم يؤمن الاختلاف وفساد الأمة، فأخذ الأشتر بيده فبايعوه»[1].

وفي رواية أخرى أن عليا ـ ﷺ ـ خرج بعد استشهاد عثمان ﷺ وهو غضبان حتى أتى منزله، وجاء الناس يُهرعون إليه فقالوا:« نبايعك، فمد يدك، فلا بد من أمير، فقال علي ـ ﷺ ـ ليس ذلك إليكم، إنما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر إلاّ أتى عليا ـ ﷺ ـ فقالوا له: ما نرى أحدا أحق بها منك، مد يدك نبايعك، فبايعوه»[2].

وهناك العديد من الروايات التي تقر بأن بيعة علي كانت من قبل الأنصار والمهاجرين وأنهم هم من أصروا على تعيينه كخليفة لهم: عن مُحَّد بن الحنفية:« كنت مع أبي حين قتل عثمان ـ ﷺ ـ ، فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ،فقالوا: إن هذا الرجل قتل،ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسولﷺ،فقال: لا تفعلوا، فإني أكون وزيرا خير من أن أكون أميرا، فقالوا: لاوالله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففي المسجد، فإنّ بيعتي لا تكون خفيا، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، قال سالم بن أبي الجعد: فقال عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، فلقد كرهت أن يأتي المسجد، مخافة أن يشغب عليه، وأبى هو إلاّ المسجد، فلما دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ثم بايعه الناس»[3].

وعليه فقد كانت بيعة علي ـ ﷺ ـشرعية تولاها أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار في المدينة [4]. ولم يكن هناك من اعترض على بيعته ﷺ، فكانت أمام الملأ في المسجد؛ أي أنه سار على منهج السابقين له، فتمت بأركانها بمعنى كانت عامة وشورى بينهم.

إلا أن هناك من يخلط بين بيعة علي ـ ﷺ ـ وهي بيعة شرعية لا يمكن نكثها، وبين قتال أهل الفتنة الذي كان الخلاف حوله اجتهاديا مصلحيا تضاربت فيه الآراء بين الصحابة ـ ﷺ ـ وكان الإمساك عنه أولى وأحوط[5].

([1])**الفتح**، عمر بن شيبة، ص: 223.

([2])**تاريخ الإسلام**، الذهبي، 254/2.

([3])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 427/4.

([4])**وهذا ما جاء في رواية ابن سعد في الطبقات، 31/2، التاريخ، ابن خياط**، ص: 199.

([5]) **ينظر**: **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الامام الطبري والمحدثين**، مُحَّد أمحزون، 64/2.

تمت البيعة لسيدنا علي ـ ﷺ ـ في اليوم الثاني من استشهاد سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ، وكانت في فترة من أكثر الفترات تعقيدا، ولذلك لمتكن الظروف مواتية ليعلن الخليفة استئناف الفتوحات من جديد بعد انحسارها بسبب الفتنة، فقد كان من أُولى مهامه تهدئة الوضع ومحاولة السيطرة عليه، والقضاء على أسباب الثورة، ولكنه لم يكن يعلم أن في مرحلة حكمه ستسوء الأمور أكثر،وتتسع دائرة الصراع، ويزداد الوضع تعقيدا و تأزما.

لم يكن علي ـ ﷺ ـقادراً على تنفيذ القصاص في قتلة عثمان ـ ﷺ ـلعدم علمه بأعيانهم، ولاختلاط هؤلاء الخوارج بجيشه، مع كثرتهم واستعدادهم للقتال، وقد بلغ عددهم ألفي مقاتل كما في بعض الروايات، كما أن بعضهم ترك المدينة إلى الأمصار عقب بيعة علي.

وقد كان كثير من الصحابة خارج المدينة في ذلك الوقت، ومنهم أمهات المؤمنين ـ ﷺ ـ، لانشغال الجميع بالحج، وقد كان مقتل عثمان ـ ﷺ ـ يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة، سنة خمسة وثلاثين على المشهور.

فما إنّ تمت البيعة لعلي ـ ﷺ ـ في المدينة حتى جاء الناس وفودا يطالبون بالقصاص من قتلة عثمان والأخذ بدمه، فكان رد الخليفة بأن أهل الفتنة لازالوا في المدينة، ولهم شوكة ومدد وأعوان، ولذا كان يرى صعوبة تحقيق ذلك المطلب في ظل تلك الأوضاع. فإذا آلت زمام الأمور إليه، واستتب له الوضع، فإنه سيعمل جاهدا على قتل كل من له علاقة بإثارة الفتنة وقتل سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ ، فاشترط عليه طلحة والزبير أن يقيم الحد على القتلة وأن يأتياه بمدد، إلا أنه اختار التريث وقال حتى أنظر في أمري.

إن الذي دفع الخليفة علي ـ ﷺ ـ إلى ذلك أمران:

أولا: أنه خشي أن ينتشر خبر طلب المدد بين الناس، فيعيث أهل الفتنة في المدينة فساداً قبل أن يصل المدد من الآفاق.

ثانيا: أن الملوثين بقتل سيدنا عثمان، لم يكونوا مشخصين يؤخذون بالمشاهدة أو الشهادة التي يصوغ فيها القصاص.

لا ريب أن عليا ـ ﷺ ـ كان على حق، ولم يحد عنه قيد أنملة، فقد بايعه من بايع أبا بكر وعمر وعثمان ـ ﷺ ـ، وهم أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار، فوجب على غيرهم مبايعته وطاعته، وفي المقابل كانت حجة عائشة وطلحة والزبير ـ ﷺ ـ ومن معهم هي المطالبة بدم عثمان ـ ﷺ ـ،وكان سبب خروجهم إلى البصرة الاقتصاص من القتلة، وخروجهم لم يكن بقصد الحرب والفتنة، وكانوا يعتقدون أنهم لو تركوا القتلة سيكون ذلك تركا للقرآن، وإن فعلوا فسيكون إحياءً للقرآن[1].

---

(1) **ينظر:تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،488/4

وكان هدفهم من ذلك إبطال تلك السنة السيئة؛ وهي قتل الخليفة، فرأوا أنه بمحاربة القتلة والانتقام منهم سيكون ذلك عبرة لمن بعدهم، ومن ثمة يحفظ مكانة الإمام والخليفة، وليس للعوام أن يعزلوه متى شأوا وكيفما شاءوا، وذلك لحماية الدولة الإسلامية مستقبلا من هذه الفتنة. وذلك ما يبرر موقف الزبير لما سئل عن سبب خروجهم للبصرة، فرد قائلا:« ننهض الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يبطل، فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبداً، إذ لم يفطم الناس عن أمثاله، لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب»[1].

وما يؤكد أن خروج الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ، وعلى رأسهم أم المؤمنين ـ ﵂ ـ كان بقصد الإصلاح هو ردها على عثمان بن حُنيف وهو والي البصرة آنذاك حين راسلها يستفسر عن سبب خروجها فردت بقولها:« إنّ الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ،وأحدثوا فيها لأحداث وآووا فيه المحدثين واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله، معما نالوه من قتل أمير المؤمنين بلا ترة ولا عذر... فخرجتُ في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم، وما فيه الناس وراءنا وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت قوله تعالى:﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ١١٤]» [2].

وجاء في شذرات الذهب حين وصل علي ـ ﵁ ـإلى البصرة جاء إلى عائشة ـ ﵂ـ فقال لها: «غفر الله لك، قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح»[3].

إن المعارضة التي قامت في وجه علي ـ ﵁ ـ لها ظروف سياسية معروفة، فهي لم تكن معارضة تطعن في إمامته بقدر ما كانت تطالب بالقصاص من قتلة عثمان ـ ﵁ ـ[4].

قال ابن العربي مؤكدا ذلك :« وأما خروجها إلى حرب الجمل، فما خرجت لحرب، ولكن تعلق الناس بها، وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة، وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت إلى الخلق، وظنت هي ذلك فخرجت ... عاملة بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[الحجرات: ٩] »[5].

([1]) **المصدر نفسه،** 461/4.

([2])**المصدر نفسه،** 462/4.

([3])**شذرات الذهب،** ابن العماد الحنبلي، ،42/1.

([4])**تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الامام الطبري والمحدثين،** مُحَمَّد أمحزون، 89/2

([5])**أحكام القرآن،** ابن العربي، 1536/3

فقد كان هدف أم المؤمنين والزبير وطلحة - ﷺ - من خروجهم الأمر بالمعروف والنهي عن منكر والإصلاح، والمطالبة بدم عثمان الذي قتل بغير حق، والسعي لجمع كلمة المسلمين وإنهاء الفتن الداخلية بالقضاء على السبئية، ولم يكونوايريدون الحرب،فالفتن أوشكت على أن تحد من قوة الدولة، والخوف من العدو الخارجي أن يستغل هذا الموقف وبذلك تؤول الأمور إلى ما لا تحمد عقباه.

وفي المقابل سعى الخليفة أمير المؤمنين علي - ﷺ -بدوره للصلح وتوحيد الكلمة، وهذا ما أجاب به حين سأله رفاعة بن رافع - ﷺ -قائلا: « يا أمير المؤمنين أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب؟ بنا؟ فقال علي: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه»[1].

فعلى الرغم من أن عليا- ﷺ - انضم إليه الكثير من المقاتلين، وكان بإمكانه القضاء على كل من يخالف أمره، إلاّ أنه آثر الصلح على الحرب، يقول الطبري: «فقد عرضت عليه طيء وأسد وبكر بن وائل أن يكونوا معه فردهم»[2].

وعليه فأن معظم الروايات التاريخية[3]. تؤكد على أن هدف كلا الفريقين كان الإصلاح، ولم ينويا القتال لما له من أثر سلبي على الوضع العام للدولة، فهو قتال فتنة ولن ينتصر فيه أي طرف، بل سيخدم المجرمين المندسين وسط الجيش من الطرفين.

إن ما حدث من حرب وقتال بين المسلمين في وقعة الجمل، مكيدة دبرها السبئية وأعوانهم من الغوغاء، لأن أي صلح بين الطائفتين سيكشف تآمرهم ويسهل القضاء عليهم، فكان لا بد من الإمعان في خلط الأمور والاستماتة في دفع الناس إلى الاقتتال.

تؤكد الروايات التاريخية تلك المكيدة بقولها: لما نزل الناس منازلهم واطمأنّوا خرج عليّ وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمرا هو أمثل من الصلح وترك الحرب ورجع كل منهما إلى معسكرهما«فبات الناس على نية الصلح ... وبات الذين أثاروا الفتنة بشرّ ليلة باتوها قط، إذ أشرفوا على الهلاك وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السر... وقال قائلهم أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما وأما عليّ فلم نعرف أمره حتى كان اليوم - وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء - ورأي الناس فينا والله واحد، وإن يصطلحوا مع عليّ فعلى دمائنا»[4].فهلموا فلنتواثب على علي فلنلحقه بعثمان، فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون[5].

([1])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 471/4.

([2]) **المصدر نفسه**، 478/4 - 481

([3])وردت تلك الروايات في: **المصنف**، ابن أبي شيبة،279/15، **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري ،483/4، **التمهيد في الرد على الملحدة**، الباقلاني، ص:237،**البداية والنهاية**، ابن كثير، 258/7.

([4])**تاريخ الرسل والملوك**،الطبري ،493/4 - 506.

([5]) **ينظر**:**الفتنة ووقعة الجمل**، سيف بن عمر الضبي الأسدي، جمع وتصنيف: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط6، 1986م، ص: 148.

وجاء في رواية ابن عساكر أن السبئية كانوا في مقدمة العسكر ويأبون إلا إقداما، وإنشابا، خوفا من أن يجري الصلح[1]. وأكد الذهبي أن الذين سارعوا إلى إشعال نار الفتنة والقتال هم الغوغاء، وأن الأمر خرج عن علي وطلحة والزبير - ﷺ - [2].

وقال الباقلاني:« وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم، والاحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فرقتين، ويبدئوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر عليّ، فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم دافعا لمكروه عن نفسه ومانعا من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة الله إذ وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور»[3].

وبدأ ابن سبأ في الكيد وحث جماعته على زرع القتال بين الطائفتين فقال: « يا قوم إن عزّكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بدّاً من أن يمتنع، ويشغل الله عليّا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون» [4].

فغدوا مع الغلس، وما يشعر بهم جيرانهم، انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالا، وعليهم ظلمة، فخرج مضريهم إلى مضريهم وربعيهم إلى ربعيهم، ويمانيهم إلى يمانيهم، فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم وكذبوهم، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر، فبعثا إلى الميمنة، والميسرة، وثبتا في القلب، وقالا : «ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلا، فقالا: ما علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدّماء ويستحّل الحرمة، وإنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردّوهم إلى عسكرهم، وفي المقابل لما سمع علي الصوت ـ وقد وضع السبئية رجلا قريبا من عليّ ليخبره بما يتلاءم مع مصلحتهم ويزيد الفتنة اشتعالا ـ فلما قال ما هذا؟ رد ذلك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيّتونا فرددناهم، وقال علي لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، ولصاحب الميسرة كذلك ثم قال: لقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ويستحّلا الحرمة، وأنهما لن يطاوعانا، والسبئية لا تفتر إنشابا»[5].

---

(1) **ينظر:تاريخ دمشق**، ابن عساكر، 88/7.

(2) **ينظر:دول الإسلام**، الذهبي، تحقيق: حيدر آباد، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، 1944م، 15/1

(3)**تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، أبو بكر الباقلاني، ص:233.

(4)**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 494/4.

(5)**الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 242/3.

وأكد الإمام الطحاوي أن فتنة الجمل فُجّرت على غير اختيار من عليّ ولا من طلحة، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين وبذلك لم تكن لهما أي دخل في إثارة هذه الفتنة(1).

وما يؤكد أن للسبئية دور كبير في هذه المعركة والتحريض عليها « أن عائشة ﵂ طلبت من كعب بن سور(2)، أن يتقدم بكتاب الله ويدعوهم إليه، فدفعت إليه مصحفا، وأقبل القوم ـ الذين في عسكر علي ـ وأمامهم السبئية يخافون أن يجري الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف، وعليّ ـ ﵁ ـ من خلفهم يزعهم وينهاهم ويأبون إلا إقداما، فرشقوه ـ أي كعب ـ بالنبال فسقط صريعاً»(3). فنادى علي ـ ﵁ ـ في الناس: «أيها الناس، كفوا فلا شيء، فكان من رأيهم جميعا في تلك الفتنة ألاّ يقتتلوا حتى يبدؤوا، يطلبون بذلك الحجة، ويستحقون أي يطلبون الحق، على الآخرين، ولا يقتلوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا، فكان مما اجتمع عليه الفريقان ونادوا فيما بينهما(4).

وأثناء هذه المعركة قال علي ـ ﵁ ـ « وددت أني كنت متّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة»(5).

وقد نادى كل من الفريقين للتوقف عن القتال وإراقة الدماء لهول المنظر، فكيف يحدث هذا بين طائفتين مؤمنتين على عهد الخلفاء الراشدين، إنها سنة الله لا تحابي أحدا فلما سمح للكفار والمنافقين بالتدخل في شؤون غير شؤونهم برزت لهم مكانة استطاعوا من خلالها بث أفكارهم الشنيعة وجعل المسلمين يخوضون مع بعضهم البعض معركة وقتال حتى وصفت المعركة بأنه يمكن أن تمشي على الرماح من كثرتها، «وشجرنا بالرماح حتى لو شاء الرجل أن يمشي عليها لمشى»(6).

وفي وسط المعركة تبين أن كل من قائد جيش البصرة وقائد جيش الكوفة نادوا بأن لا تقتلوا مدبرا، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تلحقوا خارجا من المعركة تاركا لها، ولا يفتح باب، ولا يُستحّل فرج ولا مال (7)

وقد دعا أمير المؤمنين عليّ الزبير، فكلمه فخرج الزبير من المعركة، ما يؤكد أن هدفه الإصلاح، فلم يقاتل غير أن ابن جرموز قتله، إنّها مبادئ الإسلام الحربية تطبق وهم في أوج اشتعال الحرب، ما يدل على أنه

---

(1) **ينظر**:**شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الحنفي، ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1391هـ، ص:482.

(2)**كعب بن سور الأسدي**، كان من نبلاء الرجال، كان قاضيا على أهل البصرة على عهد عمر ـ ﵁ ـ وأقرّه عثمان أيضا، خرج في موقعة الجمل بين الفريقين يدعوهم إلى السلام، فرمي بسهم فقتل. ينظر: **أخبار القضاة**، أبي مُحَمَّد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي "وكيع"، 274/1.وينظر: **الطبقات**، لابن سعد، 91/7.

(3)**تاريخ دمشق**، ابن عساكر، 88/7.

(4)**الفتنة ووقعة الجمل**، سيف بن عمر الضبي الأسدي، ص: 157.

(5) **المصنف**، ابن ابي شيبة، 263/14

(6) **المصنف**،، 245/14.

(7) **ينظر**: **المصنف**، ابن ابي شيبة، 248/14.

لم يكن في يد كل من الفريقين المؤمنين من حل لإيقافها والتحكم فيها فليسوا من بدأها وهم يقاتلون مكرهين، ولأن الموقف فرض عليهم الدفاع عن نفسه، إنّها السبئية وعداوة الكفار للمؤمنين،وتلك سنة دائمة ومستمرة إلى يوم القيامة.

وبينما الحرب تدور رحاها؛ كانت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ في هودج على جملها، وقد استمرت هذه الوقعة سبعة أيام متتالية كان القتال فيها شديدا، فقُتل طلحة والزبير، وانتصر عليّ ـ رضي الله عنه ـ بعد عقر جمل عائشة، ودخل عليّ البصرة وكان ذلك سنة 36هـ.

وعليه فالقتال الذي وقع بين فريق علي ـ رضي الله عنه ـ وفريق طلحة والزبير وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ لم يكن بتدبير منهم ولم يكن مقصودا، وإنما كان بتخطيط وتدبير من أصحاب الفتنة الأولى وهم قتلة سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ وقد احتموا بعشائرهم في عسكر علي ـ رضي الله عنه ـ ، فقد غلب على ظنهم من مراسلات علي رضي الله عنه لعائشة ـ رضي الله عنها ـ، وخلواته بطلحة والزبير ـ رضي الله عنهما ـ، أنه سيسلمهم إلى أولياء عثمان، فمكروا في الليل، وأوقعوا القتال عند الفجر، وكلا الفريقين معذور[1].

لقد لعبت السبئية دورا كبيرا في إذكاء الحرب بموقعة الجمل، وبالتالي ما يمنع من وجود صلة مباشرة بين أولئك الغوغاء والسبئية، وإن لم تكن لهم أهداف كأهدافهم، حيث شكلوا أرضية استغلتها السبئية لإثارة الاضطرابات وإضرام نار الحرب[2].

وقد وضح حقيقة هذه المؤامرة ابن حزم فقال: «وأما أهل الجمل فما قصدوا قط قتال علي ولا قصد علي ـ رضوان الله عليه ـ قتالهم، وإنما اجتمعوا بالبصرة للنظر في قتلة عثمان ـ رضوان الله عليه ـ وإقامة حق الله تعالى فيهم، فتسرع الخائفون على أنفسهم أخذ حد الله تعالى منهم، وكانوا أعداداً عظيمة يقربون من الألوف فأثاروا القتال خفية حتى اضطر كل واحد من الفريقين إلى الدفاع عن أنفسهم إذ رأوا السيف قد خالطهم»[3].. وقال ابن تيمية: « ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم، فإنه لما تراسل علي وطلحة والزبير وقصدوا الاتفاق على المصلحة وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة، وكان علي غير راض بقتل عثمان ولا معيناً عليه، كما كان يحلف فيقول: والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله، وهو الصادق البار في يمينه، فخشي القتلة أن يتفق علي معهم على إمساك القتلة فحملوا دفعاً عن أنفسهم، فظن علي أنهم حملوا عليه، فحمل دفعاً عن نفسه، فوقعت الفتنة بغير اختيارهم»[4].

([1]) **ينظر: الحسن بن علي وعام الجماعة**، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، ط1، 2009م، دار السلام، مصر، ص:108.

([2]) **ينظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين**، مُحَّد أمحزون،129/2.

([3])**الإحكام في أصول الأحكام**،ابن حزم،85/2.

([4]) **منهاج السنة النبوية**، ابن تيمية: 185/2.

وخلاصة القول؛إن بداية الفتنة وسبب القتال منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان إلى موقعة الجمل؛ إنّما هو صراع إسلامي يهودي، وتلك سنة أكدها الله سبحانه وتعالى وحذر منها؛ ولئن كان الظاهر في هذا الصراع أنها كانت بين طائفتين من المؤمنين، فإنها في الحقيقة ليست سوى حربا أوقدتها اليهودية ممثلة في السبئية، ولأن اليهود جبلوا على الجبن، فإنهم لا يعلنون عداوتهم صراحة ولا يقاتلون المسلمين علانية، بل يعمدون إلى الكيد والتآمر.

وهذا فعلا ما تحقق في الفتنة، فهم لم يظهروا أنفسهم كعدو للمؤمنين، إنّما استعملوا الحيل والمكر والخداع وتظاهروا بالإسلام واندسوا في صفوف المسلمين، وتنقلوا إلى الأمصار الإسلامية، لينشروا دعوتهم بصبغة شرعية ظاهرها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لأمرين:

أولا: لأنهم جبناء ولم تكن لهم الشجاعة لإظهار معارضتهم وحقدهم على الإسلام. قال تعالى في وصفهم: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾[الحشر: ١٣ – ١٤].

ثانيا: لعلمهم بقوة المسلمين وإيمانهم وأنهم يحبون الموت كما يحبون هم الحياة. قال تعالى:﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[البقرة: ٩٣ – ٩٦].

وهناك سنة أخرى تحققت في الفتنة التي عمل السبئية على إشعالها، وبدأ يدس الدسائس في المجتمع الإسلامي، فلم يكن عمل بن سبأ لوحده؛ إنما هناك من سانده واتفق معه في خططه؛ وهنا تظهر سنة الله عز وجل المتمثلة في الصلات الحميمية بين المنافقين واليهود لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي

﴿صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣﴾[الحشر: ١١ – ١٣].وهذه السنة عامة تكون في كل زمان ومكان.

إلاّ أنّ كيد اليهود والمنافقين للقضاء على المسلمين يظل مجرد محاولات يائسة؛ فمهما تربصوا ومهما نوعوا في أساليبهم وخططهم للقضاء على المسلمين فلن يستطيعوا تحقيق ذلك، فكل ما يلحق المؤمنين من أذى أعدائهم لا يعدو أن يكون سطحيا وظاهريا، لا يفت من عضدهم ولا ينال من عزائهم، فالعاقبة لهم والنصر حليفهم، وعدا من الله الذي لا يخلف الميعاد، قال تعالى:﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[آل عمران: ١١١]

قال القرطبي في تفسيره: « فالآية وعد من الله لرسوله ﷺوللمؤمنين، أن أهل الكتاب لا يغلبونهم وأنهم منصورون عليهم لا ينالهم منهم اصطلام (استئصال) إلا إيذاء بالبهت والتحريف، وأما العاقبة فتكون للمؤمنين». ([1])

وهذا بالفعل ما تحقق بسبب تلك الفتنة، فقد آذت المؤمنين، وشغلتهم عن مهمتهم الأولى؛ وهي الجهاد في سبيل الله لتبليغ دعوته، فكانت سببا في توقف الفتوحات وانحسارها لمدة لا تقل عن تسع سنوات، وكانت تلك نكسة سرعان ما خرج منها المسلمون، واستعادوا عافيتهم باجتماع كلمتهم من جديد في عام الجماعة، لتعود الفتوحات إلى سابق عهدها، بل وأكثر توسعا منذ خلافة معاوية ـ رضي الله عنه ـ.

وكل ذلك تمّ بمقتضى سنن الله تعالى في الامتداد والانحسار، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ۝٤٣﴾**[فاطر: ٤٣]**

([1]) –**الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ص: 343

المطلب الثاني: دور المنافقين والأعراب في تراجع الفتوحات

بين الله عز وجل عداوة المنافقين للمؤمنين، على أنها سنة من سننه وهي سنة ثابتة لا تتغير، وتأتي في كل زمان ومكان حيث يكثر المنافقون من يظهرون إيمانهم وتمسكهم بدينهم؛ إلاّ أنّ قلوبهم تقول غير ذلك، ويعرفهم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل على أنهم :«يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر»[1].

ولا جرم أن المنافقين هم أخطر أعداء الدعوة الإسلامية، وأشد المعوقات لسيرها وتقدمها، فهم يكيدون للإسلام ويتآمرون ضده، فيظهرون للمؤمنين أنهم معهم ليدفعوا عن أنفسهم ما يستحقون من الجزاء والعقاب، من غير أن ينكشف أمرهم، ليضمنوا بذلك مبتغاهم بمحاربتهم للدعوة الإسلامية، وهذا أشد أثرا في نخر كيان المجتمع الإسلامي وتخريبه من ضرب الكفار[2]، وذلك أنهم مستعدون لهم ويحسبون حسابهم، ويعرفون كيف يواجهونهم.

وظهر النفاق في فترة الخلافة الراشدة بداية من المرتدين؛ فبعد وفاة رسول الله ﷺ،ارتد الكثير من العرب؛ إلّا أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ عرف كيف يقضي على بوادر هذه الفتنة ومحاربتهم، حتى أنه بعد التخلص منهم، ورجوعهم للإسلام لم يقبل مشاركتهم في الفتوحات بسبب ارتدادهم وأن من دخل قلبه الشك لن يكون أهلا للدفاع عن المسلمين وشوكتهم، ولا يمكن أن يكون مجاهدا في سبيل الله؛ فالجهاد من مبادئه الأولى الإخلاص والايمان الثابت. فقد كان أبو بكر حكيما في رفضه إرسال الأعراب والمرتدين للمشاركة في الفتوحات فقال :« لا تستعينوا بمرتد في جهاد عدو»[3].

لكن في عهد سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سمح لهم بالمشاركة، ولكن مع الحذر والاحتياط ، ووضع لذلك شروطا لا يمكن التعدي عليها وتمثلت في: أن أهل الردة لا يولوّن على مائة، وكذا عندما لا يجد من الصحابة من يجزئه في حربه، وبعد أن يتعذر عليه سواهم من التابعين لهم بإحسان[4].

وقد حذر سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: «يهدم الإسلام ثلاث، زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون»[5].

ولما كان عهد سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ تغير الوضع وسمح لهم بالانضمام إلى الجيش الفاتح وذلك ظنا منه أنهم قد ثبتوا على الإسلام وأن عامل الزمن كفيل بذلك، إلاّ أنهم لم يكونوا عند حسن ظنه بهم. وكذلك توسع الفتوحات وكثرتها أجبرته على الاستعانة بهم وإعطائهم مكانة مرموقة في الجيش « وهكذا يجتهد

([1])**الفصل في الملل والنحل**، الشهر ستاني،19/1.

([2]) **السنن الإلهية في السيرة النبوية**، أبو اليسر رشيد كهوس، ص: 421.

([3]) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 341/3

([4]) **المصدر نفسه**، 25/4

([5])**حلية الأولياء**، رواه أبو نعيم، 196/4، مسند الفاروق، ابن كثير، 661/2.

عثمان فيستعمل أهل الردة استصلاحا لهم، فلم يصلحهم ذلك بل زادهم فسادا وإغراء بالخليفة، حيث كان في أسماء المتهمين في دم الخليفة والذين حاصروه في المدينة رجالا ينتسبون إلى قبائل كانت في عداد المرتدين كقبيلة السكون والنخع: بطن من بطون مذحج»[1]، من أمثال: سودان بن حمران السكوني ومالك بن الحارث النخعي[2]. وغيرهما الكثير لا يتسع المجال لذكرهم.

فقد انضم إلى السبئية في أحداث الفتنة عنصر الأعراب الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم ويغلب عليهم الجفاء، وهم من قبائل مختلطة من مضر وربيعة واليمن، عاشت في الجاهلية عيشة البادية والخصام والنزاع[3]، ومع انتشار الإسلام دخلوا فيه.

فتبين أن المنافقين – الذين يظهرون الإيمانويبطنون الكفر–، هم أكبر بلاء على المسلمين، وخطرهم أشد من الكفار؛ وذلك لأنّ الكفار معلوم أمرهم، وبالتالي يكون الاحتراز منهم والحذر على قدر العلم بذلك، فيسهل مواجهته والتخلص منه،عكس المنافقين الذين يصعب كشف مؤامراتهم.

وكذلك فإن المنافقون هم أعوان كل عدو للمسلمين، لذا حذرنا الله عز وجل منهم فقال:﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤﴾[المنافقون: ٤]

فهذه الفئة لم تدخل الإسلام حبا فيه واقتناعا به ولكن دخولها كان لتحقيق مصالحهم، أو حتى خوفا من قوة المسلمين خاصة في عهد أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ. وهم الذين يمكن أن نطلق عليهم صفة النفاق فدخلوا طمعا في الغنائم وقد قال فيهم الله عز و جلّ :﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧﴾[التوبة: ٩٧].

ومع بدايات الفتنة بدأت الفتوحات تتوقف وبدأ المال ينقص؛ ولأن الأعراب كانوا يساهمون في الفتح فكان كل همهم الغنائم على عكس المؤمنون الذين كان جهادهم في سبيل الله لا يبغون مالا ولا أرضا، وبالتالي فهؤلاء وعند توقف الفتوحات توفر لديهم عامل الفراغ مما أدى إلى تمكينهم من الدخول في قضايا الحكم فحاولوا أن يتصيدوا الأخطاء للخليفة، خاصة الأمور المتعلقة بالدين والسياسة لحساسية الموضوع ؛ فكانت أبرزها أمور الخراج، حتى وصل بهم الأمر إلى اتهام الخليفة بشأن الغنائم وطريقة توزيعها وتوزيع الأراضي[4] حيث كانوا يعتبرونها حقا من حقوقهم ولا دخل للخليفة فيها.

---

(1) **البداية والنهاية**، ابن كثير، 352/6

(2) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 348/4

(3) **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين**، محمّد امحزون، 340/1

(4) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 348/4.

وبالرغم من أن المصادر التاريخية تؤكد على أن سيدنا عثمان انتهج نفس منهج عمر ـ رضي الله عنهما ـ في تقسيم أراضي الخراج، إلا أنهم أثاروا فتنة بداعي أنه كان يقطع للناس من السواد، وهنا يؤكد ابن القاسم بن سلام البغدادي عكس ذلك بقوله:« أما إقطاع عثمان من أقطع من الصحابة وقبولهم إياه، فإن قوما قد تأوّلوا أن هذا من السواد، وقد سألت قبيصة[1]، هل كان فيه ذكر السواد؟ فقال: لا»[2].

ونرى هنا أن سنة عداء المنافقين للمؤمنين وخاصة الدس والوقيعة وإضرام نيران الفتنة بين المسلمين بدأت عملها في هذا الوقت قال تعالى:﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾[المنافقون: ٧ – ٨]

وهكذا يتأكد أن الشائعات التي تتهم عثمان ـ رضي الله عنه ـ بأنه تصرف في الأراضي الموقوفة على المسلمين وفق هواه،وأقطع منها لمن شاء من الناس غير صحيحة، ومع ذلك فقد كان لها أثر ووقع على الأعراب، خاصة وأن معظمهم بقى بدون عمل يقضون شطرا من وقتهم في الطعام والنوم، والشطر الآخر بالخوض في سياسة الدولة[3]، والحديث عن تصرفات سيدنا عثمان ونقدها والاعتراض عليها وخاصة التي كانت تهوّلها السبئية كما ذكرنا سابقا.

وعليه فقد كان للأعراب – خاصة المنافقين منهم – دور كبير في إثارة الفتنة واندلاعها، وذلك طمعا في المال، ولو أنهم آمنوا بالله واستقرالإيمان في قلوبهم، لما فعلوا ذلك بخليفتهم وهم يعلمون أنه على حق. ومما يؤكد أن الأعراب كانت لهم يد في الفتنة قول سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ حين كتب إلى الأمصار:« أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺوحرمه وأرض الهجرة، وثابت إليهم الأعراب»[4].

ويؤكد ذلك الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ لما سئل عن مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ فقال: «عُدي على أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ فقتل بلا ترة ولا عذر، قيل: ومن؟ قال: الغوغاء من الأمصار ونزّاع القبائل وظاهرهم الأعراب والعبيد» [5].

([1]) **قبيصة بن عقبة** بن مُحَّد السوائي الكوفي أبو عامر (ت213)، روى عنه البخاري وأحمد بن حنبل والدوري وابن سلام وغيرهم، كان رجلا صالحا ثقة لا بأس به، وقال النووي: كان ثقة صدوقا كثير الحديث عن سفيان الثوري، ترجم له ابن معين " التاريخ" 2484/2، والخطيب البغدادي في كتابه **تاريخ البغدادي**، 474/12.

([2]) **الأموال**، ابن سلام، ص:359

([3]) **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين**، مُحَّد امحزون، 1/ 353.

([4]) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 362/4

([5]) **المصدر نفسه**، 361/4.

والرأس المدبر أو رئيس حزب المنافقين الذي أراد خلع عثمان هو يزيد بن قيس، فخرج وهو يريد خلع عثمان، فدخل المسجد بالكوفة وجلس فيه، وثاب إليه الذين كان ابن السوداء يكاتبهم، وقد صنف منير الغضبان هذا التآمر بأنه صبغة جديدة لمسجد ضرار، فأصبح المسجد الذي يعبد فيه الله يخطط فيه للانقلاب على دين الله، قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾[التوبة: ١٠٧]، فقد اتخذ هذا الحزب المسجد العام في الكوفة مقرّا لاجتماعاته وتخطيطاته ضد الخليفة.(1).

وتلك صفة من صفات المنافقين ملازمة لهم، وهي اتخاذ مساجد الضّرار والتفريق بين المؤمنين وتشتيت صفوفهم، وصرفهم عن مسجد التقوى.

فانقض عليه القعقاع بن عمرو، فأخذ يزيد بن قيس فقال: إنما نستعفي من سعيد. قال: هذا ما لا يعرض لكم فيه، لا تجلس لهذا ولا يجتمعن إليك، واطلب حاجتك فلعمري لتعطينها. فأكد له أنك إذا كنت تريد شيئا فاطلبه أمام الناس، خاصة أن الخليفة لا يرفض من يريده أو يلجأ إليه في أي أمر.

فرجع يزيد إلى بيته، فاستأجر رجلاً، وأعطاه دراهم وبغلاً على أن يأتي المسيّرين وكتب إليهم: لا تضعوا كتابي من أيديكم حتى تجيئوا، فإن أهل المصر قد جامعونا فانطلق الرجل، وقد رجع الأشتر، فدفع إليهم الكتاب، فقالوا ما اسمك؟ قال: بُغثر، قالوا: ممن؟ قال: من كلب، قالوا: سبع قليل يبغثر النفوس، لا حاجة لنا بك، وخالفهم الأشتورجع عاصيا، فلما خرج قال أصحابه: أخرجنا أخرجه الله (2).

لا نجد بدا مما صنع، إن علم بنا عبد الرحمن فلم يصدقنا ولم يستقلها. فاتبعوه فلم يلحقوه وبلغ عبد الرحمن أنهم رحلوا، فطلبهم في السواد، فسار الأشتر(3). سبعا والقوم عشرا فلم يفجأ الناس في يوم جمعة إلا والأشتر على باب المسجد يقول: «أيها الناس إني قد جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان، وتركت سعيدا يريده على نقصان نسائكم إلى مائة درهم، ورد أهل البلاء منكم إلى ألفين، ويقول: ما بال أشراف النساء وهذه العلاوة بين هذين العدلين، ويزعم أن فيئكم بستان قريش، وقد سايرته مرحلة فما زال يرجز بذلك حتى فارقته يقول: ويل لأشراف النساء منّي صَمَحْمَح كأنّي من جنّ»(4).

---

(1) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري،644/2.

(2) **المصدر نفسه**، 644/2.

(3) **مالك بن حارث النخعي**، كان ذا فصاحة وبلاغة، ألب على عثمان وقاتله، شهد صفين مع علي ﷺ، وبعدها جهزه ليكون واليا على مصر؛ إلا أنه توفي في الطريق مسموما. **ينظر**: **سير اعلام النبلاء**، الذهبي، 34/4. **ينظر**: **أنساب الأشراف**، البلاذري، 167/3 ـ168.

(4) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 644/2.

وهذا منافٍ لأفعال الخليفة فهو الذي زاد العلاوة للناس، ولم ينقص خلال أحد عشر عاماً من حكمه عطاء أحد. لكن هذه خطة الحزب وهي إطلاق الإشاعات والافتراءات على الأمراء؛ ليصلوا من وراء ذلك للنيل من أمير المؤمنين، وأرادوا تأكيد الاتهامات السابقة من أن قريشا تستأثر بالسلطة، فالذي قاد إلى جريمة ضرب عبد الرحمن بن خنيس أنه تمنى لسعيد من فيء أهل الكوفة، والحوارات مع معاوية ـ ﷺ ـ ، قامت على أساس اختراق لجنة قريش لتصل إلى الأعراب وقبائلهم، ومعظم الأعراب حين تمسهم بمصلحتهم يثورون، ويعتبرون الزكاة مغرما، ويقاتل بحياته من أجل المالقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾[التوبة: ٩٨]

واستخّف الناس، وجعل أهل الحجى ينهونه فلا يسمع منهم، وكانت نفجة، فخرج يزيد وأمر مناديا ينادي: من شاء أن يلحق بيزيد بن قيس لرد سعيد، وطلب أمير غيره فليفعل، وبقى حلماء الناس وأشرافهم ووجوههم في المسجد، وذهب من سواهم، وعمرو بن حريث[1].فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا بعد أن كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، فلا تعودوا في شرّ قد استنقذكم الله منه، أَبَعْدَ الإسلام وهديه وسنته لا تعرفون حقًا ولا تصيبون بابه؟!![2].

وقال القعقاع بن عمرو: أترد السيل عن عبابه، فأردد الفرات عن أدراجه، هيهات لا والله لا تُسكن الغوغاء إلا المشرفية، ويوشك أن تنتضي[3]، ثم يعجون عجيج العتدان [4]، ويتمنون ما هم فيه فلا يرده الله عليهم أبدا، فاصبر، قال: أصبر، وتحول إلى منزله. إشارة من القعقاع أن الفتنة بدأت وأن التحكم فيها صعب، خاصة بعد انتشارها مثلما يصعب التحكم في الفرات، وأكد أن بعد هذه الفتنة لن تقوم لهم دولة مثل التي يعيشون في أكنافها. وأن الحل الوحيد هو مواجهتهم بالقوة فهم أصبحوا في مرحلة لا يسمعون المواعظ والنصائح لأن قلوبهم مليئة بالغل والحقد اتجاه الإسلام والمسلمين.

والأشتر يريد أن يبرر عصيانه وعدم وفائه بالعهد، وعودته لحزب المنافقين فاستهوى الناس واستغواهم بحرصه على أموالهم، وكشف الظلم المبيّت لهم، وتبعه الغوغاء من الناس. حتى زاد عدد هذا الحزب واتفقوا على مكان معين للاعتصام فيه من قبل يزيد بن قيس والأشتر النخعي. وكان في مواجهتهم القعقاع بن عمرو

([1]) **ابن عمرو بن عثمان** بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، أخو سعيد بن حريث، ولد قبل الهجرة، وهو غلام دعا له الرسول ﷺبالبركة ومسح رأسه، وخط له دار بالمدينة بقوس، ونزل بالكوفة، وقد قال : أمرني عمر بن الخطاب ﷺ أن أؤم النساء في رمضان. **ينظر**: **سير أعلام النبلاء، الذهبي**، 417/3 ـ 419.

([2]) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري644/2.

([3]) **المشرفية ويقصد بها** : ضرب من السيوف، تنتضي: بمعنى تخرج.

([4]) **العتدان**:جمع عتود وهو الجدي الذي استكرش.

التميمي. فأقبل إليهم فقال: «ما تريد؟ قال: ألك علينا في أن نستعفي سبيل؟ قال: لا. قال: فهل إلا ذلك؟، قال: لا. قال: فاستعف. واستجلب يزيد أصحابه من حيث كانوا، فردوا سعيدا، وطلبوا أبا موسى»[1].

فاجتمع في الجرعة ألف رجل لرد ومنع سعيد من الدخول إلى الكوفة، فطلع عليهم سعيد فقال لهم: إنما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلا وتضعوا إلي رجلا ؟ «وهل يخرج الألف لهم عقول إلى رجل واحد»[2].

يتبين أن الأشتر النخعي حين كان يُحرض الناس على الخروج معه لرد سعيد بن العاص، لم يخرج معه حلماء الناس وأشرافهم ووجوههم، وخرج معه عوامهم؛ وكان عقلاء البلد قد نهوه – أي الأشتر – فلم يسمع منهم وخرج مع أعوانه إلى سعيد ومنعوه من دخول الكوفة. وذلك أنهم يريدون أن يفصحوا على أن لهم قوة وشوكة وباستطاعتهم مواجهة كل من يقف في طريقهم.

فيتبين من هذه الرواية أن الذين وافقوا وأقروا بضرورة تنحي سعيد بن العاص عن منصبه، كانوا من الذين لهم حقد على المسلمين، فكانوا من العوام، وليس فيهم رجل له با ع في الإسلام أو صحابي يحتذى به. فيؤكد هذا على أن عداوة المنافقين للمسلمين أمر تجسد في فترة خلافة سيدنا عثمان ﷺ، وكان سببا في وقوع الفتنة وسببا في تراجع الفتوحات الإسلامية، وبالتالي فأثر المنافقين والأعراب كان واضح في تراجع الفتح وامتداده.

ولما علم عثمان بطلبهم وافق على الفور لإخماد ثورتهم وفتنتهم. فقال: «والله لا نجعل لأحد عذرا، ولا نترك لهم حجة، ولنصبرن كما أمرنا حتى نبلغ ما يريدون»[3].

لا شك أن سيدنا عثمان علم أن الأعراب رجعوا إلى أصلهم في ابتداع المشاكل من أجل الفتنة، فحاول قدر المستطاع تلبية كل رغباتهم فها هو ينزع الإمارة من سعيد ويعطيها لأبي موسى تلبية لرغبتهم وتفاديا لوقوع مشكلة بسبب ذلك. وعلى هذا نجد أن سيدنا عثمان ﷺ وفي أصعب أوقاته والفتنة بدأت تحيط به ورغم ذلك، إلاّ أنّه تنبه للمنافقين وأنّ عداوتهم للإسلام والمسلمين لابد من وقوعها ولابد من مواجهتها بكل الطرق التي من شأنها أن تنقذ المسلمين من شبح الوقوع فيها، فهي أصعب من مواجهة العدو الخارجي وذلك أن معرفته سهلة وممكنة على عكس العدو الداخلي الذي من شأنه تحطيمها لصعوبة تحديده.

وكتب إليهم عثمان ـ ﷺ ـ : «فقد أمَّرتُ عليكم من اخترتم، وأعفيتكم من سعيد بن العاص، والله لأفرشنكم عرضي، ولأبذلن لكم صبري، ولأستصلحنكم بجهدي، فلا تدعوا شيئا أحببتموه لا

(1) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 644/2

(2)**الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 40/3.

(3) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 642/2.

يُعصي الله فيه إلا سألتوه، ولا شيئا كرهتموه لا يعصي الله فيه إلا استعفيتم منه، أنزل فيه عند ما أحببتم، حتى لا يكون لكم علي حجة»[1]. وبهذا القبول أكد الخليفة أنه لو يأتي بعد هذا الأمر، اعتراض آخر فهذا يؤكد على أنهم يخططون للفتنة وهذا دافعه.

وتتضح لنا هنا سنة أخرى تُميز المنافقين عن غيرهم، وهي موالاة أهل الكفر وتأليبهم على المسلمين والتودد إليهم وطلب العزة عندهم[2]، لقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾[الحشر: ١١ – ١٢].

ولقوله عز وجل كذلك:﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾[النساء: ١٣٩].

ويؤكد ابن تيمية على أن إخراج أهل الكوفة لسعيد بن العاص لا يدل على «ذنب يوجب ذاك، فإن القوم كانوا يقومون على كل وال، و قد قاموا على سعد بن أبي وقاص، و هو الذي فتح البلاد وكسر جنود كسرى، و هو أحد أهل الشورى، ولم يتول عليهم نائب مثله، وقد شكوا غيره – أي سعيد بن العاص – مثل عمار بن ياسر، وسعد بن أبي وقاص، والمغيرة بن شعبة وغيرهم، ودعا عليهم عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– فقال : اللهم قد لبّسوا عليّ، فلبّس عليهم»[3].

فلم تكن الكوفة تضم نسيجا بشريا متجانسا، بل كان يسكنها المحاربون الأوائل من أهل اليمن ومضريون ممن تمردوا على أبي بكر، كما كانت تضم مؤمنين طليعيين وطلقاء ممن أسلم كرها .. .كانت الكوفة تضم عمليا أشخاصا مؤثرين في هذا الجانب أو ذاك بعكس البصرة التي كانت مصرا فقيرا يضم محاربين من شرق الجزيرة ممن لا يملكون مجدا حقيقيا، وعليها فإنها كانت مركزا ثانويا، ولكن مساعدا للكوفة في فتح إيران، ولم تصبح البصرة مركزا منافسا للكوفة إلا في عهد عثمان رضي الله عنه عندما تم فتح كرمان وسجستان وخرسان سنة 31هـ، لقد سمح ذلك بالاستيلاء على غنائم هائلة، وأصبح لها مجال خاص.

([1]) **تاريخ الرسل والملوك**، 644/2.

([2]) **السنن الإلهية في النفس البشرية**،عمر أحمد عمر، ص: 60.وينظر: **السنن الإلهية في السيرة النبوية**، أبو اليسر رشيد كهوس، ص: 422.

([3])**منهاج السنة النبوية**،ابن تيمية، 243/6

نخلص من كل ما سبق أن الأعراب كانت لهم أهداف مختلفة، ففيهم الذين غلب عليهم الغلو في الدين، فأكبروا الهنات، وارتكبوا في إنكارها الموبقات [1]، وعلى رأسهم الأشتر النخعي الذي كانت نواياه متجهة صوب الرياسة والجاه[2]؛ وما يؤكد ذلك أنه لما قدم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ مع جماعة من الناس، جعل ينظر إليه ويصرف بصره، ثم قال عمر لهم:« أمنكم هذا ؟ قالوا : نعم ، فقال عمر: ما له قاتله الله، كفى الله أمة مُحَّد شره، والله أني لأحسب أن للناس منه يوما عصيبا»[3].

وفيهم الذين ينزعون إلى عصبية يمنية على شيوخ الصحابة من قريش، ولم تكن لهم في الإسلام سابقة، فحسدوا أهل السابقة من قريش على ما أصابوا من مغانم شرعية جزاء جهادهم وفتوحهم، فأرادوا أن يكون لهم مثلهم بلا سابقة ولا جهاد، وفيهم الموتورون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذويهم، فاضطغنوا في قلوبهم الإحنة والغل لأجلها، ومن بينهم كعب بن الحبكة النهدي، كان يلعب بالنرجيات، فلما بلغ ذلك عثمان، كتب إلى الوليد أن يوجعه ضربا، فعزره، وأخبر الناس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان، وفيه أنه قد جد بكم فجدوا وإياكم والهزل، فغضب كعب وكان من الذين خرجوا عليه[4].

وفيهم الحمقى الذين استغل السبئيون ضعف قلوبهم فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة، مثل الذين كتبوا باسم الصحابة فزوروا على لسانهم أنهم يدعون لقتال سيدنا عثمان ونصرة الدين وأن هذا هو الجهاد الصحيح[5]، وفيهم من أثقل كاهله خير عثمان ومعروفه نحوه، فكفر معروف عثمان عندما طمع منه بما لا يستحقه من الرئاسة والتقدم بسبب نشأته في أحضانه، وفيهم من أصابهم من عثمان شيء من التعزير لبوادر بدرت منهم تخالف أدب الإسلام، فأغضبهم التعزير الشرعي من عثمان، وفيهم المتعجلون بالرياسة قبل أن يتأهلوا لها اغترارا بما لهم من ذكاء خلاب أو فصاحة لا تغذيها الحكمة، فثاروا متعجلين بالأمر قبل إبانة[6].

وما يؤكد على أن هذه الطائفة لها أغراض دنيوية قول ابن العربي: « إن الخارجين على عثمان حساد طلاب دنيا، فقد تألب عليه قوم لأحقاد اعتقدوها: ممن طلب أمرا فلم يصل إليه، وحسد حسادة أظهر وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين وإيثار العاجلة على الآجلة»[7].

بمثل هذهالأوصاف وصفهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ ﷺ ـ في الخطبة التي ألقاها في معسكره بالكوفة، فذكر إنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ثم الذي يليه، ثم الذي يليه

([1])**العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي،** القاضي أبو بكربن العربي، ص: 52.

([2]) **المصدر نفسه، ص:** 58.

([3])**السنة،** أبو بكر الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، بيروت، 1990م، 517/3.

([4]) **الكامل في التاريخ،** ابن الأثير، 187/3.

([5]) **البداية والنهاية،** ابن كثير، 123/7.

([6]) **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي،** القاضي أبو بكربن العربي، 52.

([7]) **المصدر نفسه،** ص: 87

وقال: «على مسمع من قتلة عثمان: ثم حدث هذا الحادث الذي جره على الأمة أقوام طلبوا الدنيا، حسدوا من أفاء الله عليه على الفضيلة، وأرادوا رد الأشياء على أدبارها»[1].

فكانت المواجهة ببعث الخوارج الذين خرجوا على الخليفة عثمان بن عفان مجموعة متكونة من زياد بن النضر وعبد الله بن الأصم إلى المدينة، فدخلا المدينة، فلقيا أزواج النبي ﷺوعليا وطلحة والزبير، فقالا إنما نريد هذا البيت يقصد الحج[2]ونستعفي من بعض عمالنا ، واستأذنا في الدخول، فكلهم أبى، فنهاهما فرجعا إلى أصحابهما[3].

يقول ابن الأثير: «فاجتمع نفر من أهل الكوفة فأتوا عليا، ونفر من أهل البصرة فأتوا طلحة، ونفر من أهل الكوفة فأتوا الزبير، وقال كل فريق منهم: إن بايعنا صاحبنا وإلا كثر كذبناهم وفرقنا جماعتهم ثم رجعنا عليهم حتى نبغتهم»[4].

وهذا يدل على أن هدفهم ليس إصلاح أحوال الأمة؛ وإنما هدفهم الفرقة والفتنة، وأظهروا أنفسهم بأنهم إنما جاءوا لنصرة كل فريق لصاحبه، وأن هدفهم الحق، كيف يتفقون على موعد واحد، ولا يتفقون على صاحبهم، وهذا بعيد كل البعد عن هدفهم الحقيقي؛ لأن هدفهم من ذلك الفرقة والفتنة لا الجماعة والصلح.

فجاءت طائفة من المصريين إلى عليٍّ وعرضوا عليه رأيهم فصاح عليهم وطردهم وقال:« لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وجيش ذي خشب والأعواص، ملعونون على لسان مُحَمَّد ﷺ»[5]. فانصرفوا عنه، وهكذا فعل طلحة مع البصريين، والزبير مع الكوفيين.

وهكذا تصدى على بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لهم، وبين لهم أن في اعتدائهم على الخليفة إضعاف للإسلام وتفريق للمسلمين وهلاك للدولة[6]. وبعد المفاوضات معهم اشترطوا عليه أن المنفي يعاد، والمحروم يعطى ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، فكتبوا ذلك وأخذ عليهم أن لا يشقوا عصا، ولا يفرقوا جماعة، فرجعوا راضين[7].

---

(1) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 194/5.

(2) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 159/3.

(3)**المصدر السابق**، 349/4. 350

(4) **المصدر نفسه**، 159/4.

(5) **المصدر نفسه**، 160/4.

(6)**العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي**، القاضي أبي بكر ابن العربي، 125

(7)**موسوعة التاريخ الإسلامي**، أحمد شلبي، 608/1

إلاّ أنّ المدبر للفتنة عرف أنه بعودة الثوار قد يفشل مخططه الذي عمل له منذ سنوات، فأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم [1]، لكي يفرق أهل المدينة، وبالفعل افترق أهل المدينة لخروجهم[2]، فساروا أياما راجعين، ثم كروا عائدين إلى المدينة، فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير، وإذا لقوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها، وجمهورهم عند دار أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وقالوا للناس: بمن كف يده فهو آمن فكف الناس ولزموا بيوتهم[3].

وكانت حجتهم كما ذكرنا سابقا أنهم وجدوا كتابا من سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ يأمر بقتلهم، ولكن نقول: إنّ هذا مكر مكره المنافقون قبل أن يغادروا المدينة، فالكتاب وجه إلى مصر لماذا رجع ثوار الكوفة والبصرة مع أهل مصر؟ لولا أنهم فعلا عملوا وخططوا للرجوع واتفقوا على هذه الذريعة.

وهذا ما قاله لهم علي بن أبي طالب: «كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة، بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل حتى رجعتم علينا؟ هذا والله أمر أبرم بليل»[4]، وأتاهم طلحة فقال: البصريون مثل ذلك، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك، وقال الكوفيون والبصريون: فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعا كأنما كانوا على ميعاد[5].

فجعلوا قصة الكتاب هي السبب والدافع وراء رجوعهم ونقمهم على الخليفة، ولكن الواقع يقول أنه لو افترضنا فعلا أن الخليفة أرسل هذا الكتاب لأمر غلامه بالحيطة والحذر ولأمره أن يسلك طريقا مخالفا لطريق الثوار، وذلك أن بعض الكتب تشير أنه اعترض طريقهم، وقالوا له مالك، كأنّ الغلام يريد أن يعرفوه وهذا لا يعقل، وإنما كان هدفهم أنهم يريدون أن يبينوا إلى الذين انضموا إليهم من ضعفاء النفوس، والمخدوعين بآرائهم أنهم أصحاب حق، وأن أمير المؤمنين هو المفتري عليهم، غير أن هذا الكتاب زور، كما زوروا من قبل كتبا على لسان الصحابة مفادها أنهم دعوهم إلى الثورة ضد عثمان ـ ﷺ ـ .

نشير في هذا الموقف إلى صفات تجلت وظهرت في المنافقين؛ وهي الكذب والخيانة والاستهزاء بالمؤمنين وهم الذين حذر منهم القرآن الكريم وبين أن عقابهم شديد قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩﴾[التوبة: ٧٩]

([1]) **البداية والنهاية**، ابن كثير، 214/7

([2])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 351/4.

([3]) **المصدر السابق**، 164/7.

([4])**الكامل في التاريخ**، ابن الاثير، 162/3.

([5])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 351/4.

ومن صفات المنافقين كذلك التي تجسدت في موقفهم هذا صفة التخذيل والارجاف لقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[التوبة: ٤٧]

ويزعم الكثير بأن الصحابة هم من انقلبوا على الخليفة وأرادوا خلعه من منصبه، وأنهم لم يكونوا راضين عن حكمه، فقد جاء في الرواية المنسوبة إلى سعيد بن المسيب أن الصحابة بمجملهم نقموا على عثمان مع من نقم، وحنقوا عليه، وخاصة أبو ذر وابن مسعود وعمار بن ياسر[1]. وفي هذه الرواية تدليس حيث أسقط منها راو متهم بالكذب أي متروك، وهو إسماعيل بن يحي بن عبيد الله، وعليه جاء تضعيف علماء الحديث لهذه الرواية[2].

فلا يعقل أن يكون الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من الذين شاركوا في هذه الفتنة، وقد عرفنا منذالبداية أن من تولى كبر هذه الفتنة هم المنافقون، وربطنا هذا الوصف بسنة الله المتعلقة بعداء المنافقين للمسلمين والإسلام، وحاشا أن يكون صحابة رسول الله ﷺأعداء الإسلام وهم جنده وحملته.

فقد دلت مواقف الصحابة ـرضي الله عنهم ـ أنهم وقفوا في وجوه المروجين للفتنة وكشفوا مؤامراتهم، ودافعوا عن الخليفة،فهذه أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ لم تدخر جهدا في تبرئة الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ، فقد روي ابن عساكر بإسناده إلى علي ـ رضي الله عنه ـ قال: « لقد علمت عائشة أن جيش المروة وأهل النهر . النهروان . ملعونون على لسان مُحَّد ﷺ، ويقصد بجيش المروة قتلة عثمان»[3]. فلا يمكن أن تكون أم المؤمنين على دراية بالجيش الملعون ثم تنضم إليه، بل على العكس فقد كانت من المطالبين بالقصاص من قتلة عثمان ـ رضي الله عنه ـ وقد قالت :« ليتني كنت نسيا منسيا قبل أمر عثمان، فوالله ما أحببت له شيئا إلا منيت بمثله حتى لو أحببت أن يقتل لقتلت»[4].

ولم يكن موقف علي ـ رضي الله عنه ـ أقل من موقف عائشة ـ رضي الله عنها ـ؛ فقد دافع عن الخليفة بلسانه وسيفه وجند ولديه الحسن والحسين لصد المعتدين لو لا أن الخليفة ناشده أن لا يسل سيفا ولا يريق دما، وحين بلغه خبر مقتل عثمان، قال: «رحم الله عثمان وخلف علينا بخير، وقيل: ندم القوم، فقرأقوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦] »[5].

([1])**أنساب الأشراف**، أحمد بن يحي بن جابر البلاذري،512/1.

([2]) **التاريخ الكبير**،البخاري، 203/1.

([3])**تاريخ دمشق**، ابن عساكر، ص:454.

([4])**أنساب الأشراف**، البلاذري، 596/1.

([5])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 392/4

وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: « سمعت عليّا يقول حين قتل عثمان: والله ما قتلت ولا أمرت بقتله، ولكن غُلبت، يقول ذلك ثلاث مرات»[1].

ويذكر الطبري أن الزبير بن العوام - ﷺ - كان خارج المدينة فلما سمع بمقتل عثمان - ﷺ - قال: « إنا لله وإنا إليه راجعون، رحم الله عثمان، وانتصر له؛ وقيل: إن القوم نادمون، فقال: دبّروا دبّروا، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾[سبأ: ٥٤] أما طلحة بن عبيد الله - ﷺ - فلما سمع الخبر قال: «يرحم الله عثمان وانتصر له وللإسلام، وقيل له : القوم نادمون، فقال : تبًّا لهم وقرأقوله تعالى:﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾[يس: ٥٠][2].

وبهذا يتأكد أنّ الصحابة - رضوان الله عليهم - وعلى رأسهم عليوعائشة وطلحة والزبير وعمرو بن العاص، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري وعبد الله بن مسعود، - ﷺ جميعا -، كانوا بعيدين كل البعد عن مقتل عثمان، بل أرادوا الدفاع عنه، ولو أمرهم بالقتال لأجابوا بالنفس والنفيس، فالمنافقون هم الذين أضرموا نار الفتنة وأرادوا تشويه صحابة رسول الله بادعاء أنهم شاركوا في قتل عثمان ليكسبوا عملهم الشنيع صبغة شرعية، فكثرت الروايات الكاذبة[3]، إلاّ أن هناك روايات مخالفة[4]تؤكد أنهم كانوا كالبنيان المرصوص في صف الخليفة، وحاولوا الدفاع عنه قبل قتله بتهدئة الوضع، وإرسال أبنائهم للدفاع عنه فقد أرسل علي ابنه الحسين والحسن ومولاه قنبر إلى باب عثمان، وأمرهم أن يمنعوا عنه، وبعث طلحة ابنه مُحَّد، وأرسل الزبير ابنه عبد الله كذلك، وأرسل أكثر الصحابة أبناءهم[5]وبعد قتله طالبوا بالقصاص ومعاقبة القتلى.

([1])**الطبقات**، ابن سعد، 82/3

([2])**تاريخ دمشق**، ابن عساكر، ص:447.

([3])**هناك روايات تذكر** نقمة أبي ذر وابن مسعود وعمار بن ياسر على الخليفة. ينظر: **أنساب الاشراف**،512/1. وهناك رواية تذكر بأن طلحة هو حامل الثائرين. ينظر: **تاريخ الرسل والملوك**،، 356/4. 379. وفي رواية أخرى أن عليا كانت له اليد في القضاء على الخليفة، ينظر: **المصدر نفسه**، 365/4.

([4])**من بين الروايات** التي تؤكد ذلك: ينظر: **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، ص: 447، 476، 460،475.،وينظر: **فضائل الصحابة**، أحمد، 452/1، وينظر: **المصنف**، ابن أبي شيبة، 209/15.**أنساب الأشراف**، البلاذري ، 593/1 . وينظر: **الطبقات**، 82/3.

([5])**ينظر:تاريخ الإسلام**، الذهبي، 203/2. 241. وينظر: **تاريخ الخلفاء**، السيوطي، ص: 160.159.

ومن ثم يتبين لنا أنه لم يشترك أحد من خيار المسلمين في دم عثمان ـ ﷺ ـ بممالأة أو تحريض أو حتى الاعتراض على سياسته وطريقة حكمه، وإنما فعل ذلك أهل البلاء والفتن، المخادعين منهم والمخدوعين.

إن من خصائص السنن الإلهية الثبات وأنها لا تحابي أي إنسان مسلما كان أو كافرا، وقد وجد تحقق سنة من سننه وهي عداوة المنافقين للمؤمنين ومحاولة تشتيت صفوفهم وتفريق وحدتهم وإحداث الفتن، ولعل ما وقع في عهد عثمان ـ ﷺ ـ كما ذكرنا سابقا وقد صنفنا هذه الفتنة في خانة سنة عداء المنافقين للمؤمنين، فرغم أن سيدنا عثمان كان على حق؛ إلاّ أنهم تربصوا به واتهموه بالكثير من التهم التي من شأنها أن تزعزع المجتمع، وقد أخبر الرسول ﷺأن سيدنا عثمان سيواجه فتنة عاتية وسيكون فيها مظلوما، فقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: « **يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر يوما فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه الله** »[1].

وقد وصف رسول الله ﷺالذين أرادوا خلعه بالنفاق، فعلم بالضرورة أن كل ما ورد عنه مما يوجب الطعن عليه دائر بين مفترى عليه ومختلق، وبين محمول ـ على تقدير صحته ـ على أحسن التأويلات ليكون معه على حق تصديقا لخبر النبوة المقطوع بصدقه[2].

عن أبي موسى الأشعري ـ ﷺ ـ أن النبي ﷺدخل حائطا، فجاء رجل يستأذن فقال: « **ائذن له وبشره بالجنة، فإذا أبو بكر، ثم جاء أخر يستأذن فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنية ثم قال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا عثمان بن عفان**»[3].

يقول ابن حجر: « إنما خص عثمان بذكر البلاء مع أن عمر قتل أيضا، لكون عمر لم يمتحن بمثل ما امتحن عثمان من تسلط القوم الذين أرادوا منه أن ينخلع من الإمامة بسبب ما نسبوه إليه من الجور والظلم مع تنصله من ذلك، ورغم اعتذاره وتوضيحه لكل التهم وتبريرها إلا أنه تم الهجوم عليه في داره وهتكوا ستر أهله، ثم قتله»[4].

وعن عبد الرحمن بن جبير ـ ﷺ ـ قال : قال رسول الله ﷺلعثمان:« **إن كساك الله يوما سربالاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه**»[5].

([1]) **صححه الالباني**، صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، الألباني، 1/ 184.

([2])**تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من مرويات الإمام الطبري والمحدثين**، محمد امحزون،5/2.

([3])**أخرجه البخاري**، كتاب (أصحاب النبيﷺ)، باب(قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]) فإذا أذن له واحد جاز؛ حديث رقم: 7262، 202/4.

([4])**فتح الباري**، ابن حجر،51/13

([5])**السلسلة الصحيحة**،الالباني، 345/4.

ويربط ابن عباس في تفسيره هذه الآية الكريمة في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١﴾[آل عمران: ٢١]

الذين يأمرون بالقسط بعثمان وأصحابه - ﷺ - فقال: الذين يأمرون بالقسط من الناس: ولاة العدل، عثمان وضَرْبه[1].

يتضح للناظر في الثائرين على عثمان، أنهم كانوا على ثلاثة أصناف، أولها عوام مخدوعون، وثانيها رؤساء طماعون حسادون مخادعون، وثالثها منافقون زنادقة مكارون، والعوام المخدوعون هيجهم ما كان يُروّجه الرؤساء و المنافقون من أكاذيب على الخليفة وولاته[2].

وسبب هذه الفتنة أن المنافقين من طباعهم حب الفساد في الأرض وعدم الإصلاح وهو أمر يميزهم ومتجذر فيهم قال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾[البقرة: ١١ – ١٢]

أما فيما يخص دعاة الفتنة في الشام فقد: كتب عثمان إلى معاوية : «إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرا خلقوا للفتنة فرُعهم وقم عليهم، فإن آنست منهم رشدا فاقبل منهم، وإن أعيوك فارددهم عليهم»[3].

فلما قدموا على معاوية رحب بهم، وأنزلهم كنيسة تسمى مريم، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق، وجعل لا يزال يتغذى ويتعشى معهم، فقال لهم يوما:« إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفا، وغلبتم الأمم وحزتم مراتبهم ومواريثهم، وقد بلغني أنكم نقمتم قريشا، وأن قريشا لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم، إنّ أئمتكم لكم إلى اليوم جُنة، فلا تشذوا عن جُنتكم، وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور، ويحتملون منكم المؤونة، والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم، ثم لا يحمدكم على الصبر، ثم تكونون شركاء لهم فيما جررتم على الرعية»[4].

فقال رجل من القوم: «أما ما ذكرت من قريش، فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتُخوفنا، وأما ما ذكرت من الجُنة، فإن الجنة إذا اخترقت خلص إلينا، فقال معاوية: عرفتكم الآن، علمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول، وأنت خطيب القوم ولا أرى لك عقلاً؛ أُعظم عليك أمر الإسلام وأذكرك

---

(1) **المصدر السابق**، ص:210.

(2)**رؤوس الفتنة في الثورة على الخليفة الشهيد سيدنا عثمان ﷺ دراسة نقدية تمحيصية وفق منهج علم الجرح والتعديل**،خالد كبير علال، دار المحتسب، االرياض،2008م، 43- 44.

(3) **تاريخ الرسل والملوك**،الطبري، 318/4 -319.

(4) **ينظر:المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

به، وتذكرني الجاهلية وقد وعظتك؟ وتزعم لما يجنك أنه يخترق، ولا ينسب ما يخترق إلى الجنة؟ أخزى الله أقواما أعظموا أمركم ورفعوا إلى خليفتكم»[1].

يتبين من هذا الحوار أن المنافقين سفهاء فعلا لا يفقهون ولا يعلمون، وهي سنة من سنن الله فيهم وقد حذرنا من سفاهتهم وقلة علمهم فقال عز وجل:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾[البقرة: ١٣] وقوله أيضا:﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾[المنافقون: ٧ – ٨]،وقوله سبحانه وتعالى:﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المنافقون: ٧ – ٨].

فقال لهم معاوية ـ ﷺ ـ «افقهوا ـ وما أظنكم تفقهون ـ أن قريشا لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلاّ بالله عز وجل، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم، ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا، وأمحضهم أنساباً، وأعظمهم أخطارا، وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية ـ والناس يأكل بعضهم بعضاً ـ إلا بالله الذي لا يُستذل من أعز، ولا يوضع من رفع، فبوّأهم حرما آمنا يُتخطف الناس من حولهم»[2].

وكتب معاوية إلى عثمان:«إنه قدم علي أقوام ليست لهم عقول ولا أديان، أثقلهم الإسلام، وأضجرهم العدل ولا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجة، إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة، والله مبتليهم ومختبرهم، ثم فاضحهم ومخزيهم ... فإنهم ليسوا الأكثر من شغب ولا نكير ...»[3].

فقد تبينلمعاوية ـ ﷺ ـ بعد أن حاججهم بأنهم دعاة فتنةيسعونلزعزعة الدولة الإسلامية،وقدأزعجهم العدل الذي كان سائدا في المجتمع، فلماَّ لم يجدوا خلافات ومشاكل يتذرعون بها، اصطنعواالمشاكل وأذاعوها في محاولةلإشاعة الفوضى، وهو ما عبر عنه معاوية بقوله: «أثقلهم الإسلام وأضجرهم العدل»؛ فأرادوا بذلك العودة إلى الجاهلية بما فيها من ظلم وجور واعتداء.

وقد بين القرآن الكريم أن من صفاتهم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وتجسد هذه في موقفهم وإصرارهم على إحداث الخلل في المجتمع الإسلامي. ومن صفاتهم كذلك حسد المسلمين إذا أصابهم الخير فلما انتشر العدل والأمن والاستقرار ضاق بهم الأمر قال تعالى:﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[آل عمران: ١٢٠].

(1) **تاريخ الرسل والملوك**،الطبري، 318/4ـ319.

(2) **المصدر نفسه** ، 318/4ـ319.

(3) **المصدر نفسه**،321/4.

وخرج القوم من دمشق فقالوا: «لا ترجعوا إلى الكوفة، لأنهم يشتمون بكم، وميلوا بنا إلى الجزيرة، ودعوا العراق والشام، فأووا إلى الجزيرة، وسمع بهم عبد الرحمن بن خالد. وكان خالد قد ولاه حمص، وولى عامل الجزيرة حران والرقة. فدعا بهم فقال: يا آلة الشيطان لا مرحبا بكم ولا أهلا، قد رجع الشيطان محسورا وأنتم بعد نشاط، خسر الله عبد الرحمن بن خالد إن لم يؤدبكم حتى يحسركم، يا معشر من لا أدري أعرب أم عجم، لكي لا تقولوا لي ما يبلغني أنكم تقولون لمعاوية»[1].

فأقامهم أشهرا كلما ركب أمشاهم، فإذا مر به صعصعة قال: «يا ابن الخطيئة أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر، ما لك لا تقول كما يبلغني أنك تقول لسعيد ومعاوية، فيقول ويقولون: نتوب إلى الله أقلنا أقالك الله، فما زالوا به حتى قال: تاب الله عليكم»[2].

وسرح الأشتر إلى عثمان، وقال لهم: ما شئتم، إن شئتم فاخرجوا، أو شئتم فأقيموا وخرج الأشتر فأتى عثمان بالتوبة والنزوع عنه وعن أصحابه فقال: سلمكم الله وقدم سعيد بن العاص، فقال عثمان للأشتر: أهلل حيث شئت فقال: مع عبد الرحمن بن خالد؟ وذكر من فضله، فقال: ذاك اليكم، فرجع إلى عبد الرحم[3]. أظهر الأشتر توبته وندمه على فعله، غير أن ذلك كان كذبا وزورا، وعاد إلى الكوفة لإكمال مشروعه مع ابن سبأ والذي نفذوه ونجحوا في ذلك باختراعهم للأكاذيب والافتراءات وبثها في صفوف الأعراب والمنافقين أمثالهم.

لذا فإن الصراعات الداخلية هي التي تنهك كاهل الأمة وتسهل تحطيمها، والمنافقون هم العناصر الداخلية التي ساهمت بشكل قوي في بث الفتنة التي نتج عنها تراجع الفتوحات بعدما وصلت إلى القمة حتى أنها دخلت المجال البحري.

خلاصة المبحث:

وفي نهاية هذا المبحث نخلص إلى أن أعمال ابن سبأ (نشاط الحركات المعادية)كان لها أثر واضح في تعطيل حركة الفتوحات، حيث تغيرت الوجهة من الجهاد في سبيل الله والسعي لنشر دعوته خارج الجزيرة العربية، إلى التحقق من ادعاءات السبئية حول خليفة رسول ﷺ،ومحاولةالقضاءعليهاإنصحت. وبذلكخلقتوتر فكيف لجندي أن يجاهد في سبيل الله وقلبه متذمر من خليفته وهو بين أن يصدق هذا الكلام المنافي لأخلاق عثمان بن عفان، فقد كان من أهل التربية النبوية، وبين أن يكذب كل الاشاعات ويستمر في جهاده ويكمل مسيرة الفتوحات. ولأن أمر الجهاد يحتاج لاستقرار نفسي قبل الاستقرار المادي، تمكن ابن سبأ من ادخال الشك والتوتر في عقولهم قبل قلوبهم.

(1) **تاريخ الرسل والملوك**،الطبري،،321/4.
(2) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، 3/ 30 40.
(3)**المصنف**، ابن أبي شيبة، 184/14.

وعليه نؤكد أن سنة ابتلاء الله للمؤمنين بنقم الكافرين قد تحققت في عهد سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ، مما أثر ذلك على سير الفتوحات الإسلامية؛ فظهور الفتنة جعل الخليفة والرعية يصرفون عن التفكير في اكمال الفتح، خاصة أن الأمر داخلي فلا يمكن أن تستمر الفتوحات الإسلامية والاتجاه نحو الفتح الخارجي وهم لم يسطروا على الوضع الداخلي؛ ولأن الأمن والاستقرار لهما أثر واضح في التوسع في الفتح، كان لابد من التراجع ومحاربة الفتن الداخلية التي تكاد تنخر المجتمع الإسلامي والاطاحة بالدولة الإسلامية.

وكذلك نخلص إلى أن سنة عداء المنافقين للمؤمنين، سنة اجتماعية ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه، وجعلها سنة ماضية إلى يوم القيامة، وكانت بداياتها مع الفتنة التي حدثت في أواخر خلافة سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ ، فالمنافقون كثر ولم يهدأ لهم بال حتى حققوا ما شرعوا فيه بمعاونة اليهودي ابن سبأ.

فالمنافقون هم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، وهم الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وهم من يضيق صدرهم من الحسد إذا ما أصاب المؤمنين خير، ومن صفاتهم أيضا الكذب والخداع، وهذا كله تجسد في أصحاب الفتنة التي بسببها توقف الفتح وانحسر وكاد العدو الخارجي أن يطمع في بلاد المسلمين.

المبحث الثالث:

السنن الإلهية في الاختلاف والتفرق

سأتناول في هذا المبحث أسباب الاختلاف والتفرق التي كانت أهم عامل في انحسار الفتوحات انحسارا تاما في فترة حكم الخليفة الرابع، أما السبب الأول فهو: عدم طاعة ولي الأمر؛ في موقعة صفين وأقصد بذلك مخالفة معاوية بن أبي سفيان لأمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنهما ـ وما نتج عنه من صراع وصل إلى حد الاقتتال، أما السبب الثاني فهو: بداية التصدع في معسكر الخليفة، وظهور فرقة الخوارج وما نتج عنه من فتنة عظيمة، وسأخصص لكل سبب مطلبا فيما يلي:

المطلب الأول: موقعة صفين

من سنن الله عز وجل في النصر طاعة الله ورسوله وأولي الأمر، وقد نص القرآن الكريم على ذلك، حين ربطالله تعالبين طاعته وطاعة نبيه ﷺ وطاعة أولي الأمر، فقال عز من قائل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩].

ففي الآية الكريمة أمرٌ بوجوب السمع والطاعة لأولي الأمر، أي: المسؤولين والحكام في الأمة، لأنه لا يستقيم للناس، أمر دينهم ودنياهم، إلاّ بالطاعة والانقياد لهم، طاعةً لله، فقد ذكرت الآية أن طاعة الله ورسوله مقرونة بطاعة الولي، لكن بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[1]. ولذلك كانت طاعة ولي الأمر العادل أصل من أصول العقيدة الصحيحة.

وقد ورد في السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي تحث على السمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية منها قوله ﷺ:«**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية؛ فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[2].

وقوله ﷺ: « **ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة**»[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم**»[4].

([1])**تفسير الطبري**، الطبري، 502/503/8.

([2]) **أخرجه البخاري**،كتاب (الأحكام)، باب (السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية)، حديث رقم: 7144، 122/13.

([3])**أخرجه مسلم**، كتاب(الإمارة)، باب (خيار الأئمة وشرارهم) 1481/3.

([4]) **أخرجه مسلم**، مسلم ،كتاب(الامارة)، باب(في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق)1447/3.

وأكد النبي ﷺأمن خرج عن الحاكم ومات على ذلك، مات ميتة جاهلية، فقالﷺ:«**من كره من أميره شيئا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية**»[1].

يقول ابن تيمية في تفسيره المراد بميتة الجاهلية:« ومما ينبغي أن يُعلم أن أسباب هذه الفتن تكون مشتركة، فيرد على القلوب من الواردات ما يمنع القلوب عن معرفة الحق وقصده، ولهذا تكون بمنزلة الجاهلية، والجاهلية ليست فيها معرفة الحق ولا قصده، والإسلام جاء بالعلم النافع والعمل الصالح، بمعرفة الحق وقصده، فيتفق أن بعض الولاة يلم باستئثار فلا تصبر النفوس على ظلمه ولا يمكنها دفع ظلمه؛ إلاّ بما هو أعظم فسادًا منه، ولكن لأجل محبة الإنسان لأخذ حقه ... لا ينظر في الفساد العام الذي يتولد عن فعله»[2].

وروى الطبري في تفسيره عن علي بن أبي طالب ـ ﷺ ـ قال:« حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك فحقّ على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا، ويجيبوه إذا دعا»[3].

فطاعة ولي الأمر ضرورة من الضرورات الشرعية، وهي أيضا قانون اجتماعي به يصلح أمر الأمة وبه تتوحد، وأي إخلال به يعرضها للتنازع والتفرق، وهو ما حذر الله جل وعلا منه بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[الأنفال: 46].

كان الغرض من هذا العرض؛ محاولة إسقاط هذه السنة وهذا القانون الثابت على موقف معاوية ـ ﷺ ـ وأهل الشام من طاعة أمير المؤمنين علي ـ ﷺ ـ ، فإلى أي حد كانت هذه السنة سببا في الاقتتال الذي حصل بين طائفتين من المؤمنين في معركة صفين، وما نتج عنها من انحسار في الفتوحات بعد أن شغل المسلمون بالاقتتال بينهم ؟

تعود جذور هذه الفتنة إلى الآثار المترتبة عن الثورة على الخليفة عثمان ـ ﷺ ـ وقتله، كما ذكرنا ذلك مفصلا، فقد كان من نتائج تلك المأساة انقسام الناس واختلافهم في القصاص من قتلة عثمان ـ ﷺ ـ بين من يطالب بتعجيله، ويمثل هذا الطرف – إضافة إلى أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ـ ﷺ ـ ومن انحاز إليهم، كما ذكرنا آنفا — أهل الشام وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان ـ ﷺ ـ ، الذي كان يرى نفسه ولي عثمان، وقد منحه الله سلطانا للمطالبة بدمه، يتأول قول الله جل ذكره: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[الإسراء: 33]، فجعل بيعة الخليفة مشروطة بالقصاص من القتلة، والطرف

(1) **أخرجه البخاري**، كتاب (الفتن)، باب (قوله صلىﷺ " سترون بعدي أمور تنكرونها")حديث رقم: 7053. 47/9.
(2)**منهاج السنة**، ابن تيمية، 538/4. 539.
(3)**تفسير الطبري**، الطبري، 145/5.

الآخر يمثله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وجمع غفير من الصحابة - ﷺ - ، وكانوا يرون أن الظروف لا تسمح بفتح جبهة مع الثوار، الذين استباحوا المدينة النبوية، وقتلوا الخليفة، فهم كثرة، ولا يمكن التغلب عليهم إلا باجتماع الكلمة وتوحيد الصف، وانقسم المسلمون إلى طائفتين، وكان لا بد للخليفة الرابع أن يخضع كل الأمصار لسلطانه، ومن هنا نشأ الخلاف.

أرسل علي - ﷺ - بعد وقعة الجمل، جرير بن عبد الله البجليّ إلى معاوية - رضي الله عنهما- يدعوه إلى بيعته، فكتب له كتابا يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ونكث طلحة والزبير، وما كان من حربه إياهما، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته، فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يرسل إلى وجوه الشام، ويُلزم عليّا دم عثمان، وأنه لن يبايعه إلاّ بعد القضاء على قتلة عثمان رضي الله عنه، ورفض أيضا قرار عزله[1]. وحجة معاوية في ذلك أن الخليفة عمل على حماية قتلة عثمان وآواهم، وضمهم إلى جيشه، وكانت الشام آنذاك قوة عسكرية تقف في وجه العدو؛ وها هي الآن ستغير الوجهة لتقف أمام خليفة المسلمين علي بن أبي طالب - ﷺ - ، مما ينذر بحرب داخلية ستبعد المسلمين عن واجبهم المقدس في الجهاد في سبيل الله، وستكون سببا في توقف الفتوحات وانحسارها.

وهنا كان لابد لسنة من سنن الله تعالى أن تتحقق؛ وهي سنة التغيير، فبعد ما كانت الجيوش الإسلامية تواجه الأعداء وتقوم بواجب الدعوة ونشر الدين، أصبح يواجه بعضها بعضا، وعلى عهد قريب من الفترة التي اتسعت فيها الفتوحات وانتشر فيها الإسلام. وهذا ما يثبت أن لله سننا في الأمم لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي أحدا، فهي سنن ثابتة ومطردة، من سلك سبيلها نجح، ومن تنكبها خسر.

ولابد من التأكيد على أن معاوية - ﷺ - لم يكن يعتبر نفسه خليفة، إنّما وضع شرطا لمبايعة علي وهو القصاص من قتلة عثمان بتسليمهم له، قبل المبايعة. يقول القاضي ابن العربي:« إن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تباين المواقف بينهما: فهؤلاء - أي أهل العراق يدعون إلى عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام، وهؤلاء: أي أهل الشام يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يؤوي القتلة»[2].

فسبب الخلاف بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما- مرده إلى امتناع والي الشام معاوية عن تنفيذ أوامر الخليفة، وهو الإمام الواجب طاعته، والمعروف أن معاوية بعدم طاعته للخليفة لا يقصد بذلك أنه أنكر فضل علي واستحقاقه الخلافة، إنما أراد أن يُقتص من القتلة قبل أخذ البيعة، ورأى نفسه الأحق بالمطالبة بدم عثمان والكلام عنه للعلاقة الأسرية التي تجمعه بالخليفة عثمان - ﷺ - ، ولما كان يمتلك من نفوذ في

([1])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 562/4

([2]) **العواصم من القواصم**، القاضي ابن العربي، ص: 162.

الشام، مما منحه قوة على الطلب بذلك، وأصاب في هذا، وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة كما يقول ابن حزم[1].

وذكر ابن كثير أن حقيقة الخلاف بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعلي قبل توقيع القصاص على المجرمين أو بعده[2]، فأصر معاوية على أخذ الثأر ثم مبايعة علي ـ ﷺ ـ.

فلم يكن معاوية مدعيا للخلافة ولا منكرا حق عليّ، وإنما كان ممتنعا عن بيعته وعن تنفيذ أوامره في الشام، حيث كان متغلبا عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون[3]، وخدمه في ذلك طاعة الناس له؛ فقد حكم الشام زهاء عشرين سنة.

وما خالفهم علي ـ ﷺ ـ في القصاص من القتلة، ولا برأهم من دم عثمان ـ ﷺ ـ ، ولكنهم كانوا عددا ضخما لا طاقة له بهم، فقد رفع عن علي ـ ﷺ ـ الحرج فيما لا يستطيعه، كما يرفع عن كل مسلم عجز عن واجب شرعي من قيام بالصلاة أوالزكاة أو غيرهما، إذ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾[البقرة: ٢٨٦].

كان رأي الخليفة علي ـ ﷺ ـ التمهل حتى تستقر أمور الدولة، وتهدأ فتنة مقتل عثمان، فالوضع لا يسمح بأن تقام مواجهات داخلية لا يعرف أصحابها، فهذا سيرهق كاهل الدولة التي خرجت للتو من الفتنة الأولى في موقعة الجمل، فلا بد من التريث حتى تقوى شوكتها وتضعف قوة المتمردين ويتفرقوا في قبائلهم، فحينها يؤخذون ويقتلون، فأدرك علي ـ ﷺ ـ خطورة الصدام معهم وهم في أوج قوتهم.

نستشف من هذا أن الخلاف الواقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما بسبب القصاص من قتلة عثمان، كان محوره الوقت، فمحل النزاع في هذه القضية هو متى نقتص منهم؟ فعلي ـ ﷺ ـ يريد التريث، فالوضع لا يسمح، ومعاوية ﷺ يريد الإسراع، فهم لا يستحقون البقاء على قيد الحياة بعد فعلتهم الشنيعة وجريمتهم المنكرة.

ورأي علي ـ ﷺ ـ فيه المصلحة العامة للمجتمع الإسلامي، وكان لابد لمعاوية ـ ﷺ ـ السمع والطاعة لأمير المؤمنين، فهو الخليفة ويجب طاعته وعدم عصيانه، ونتج عن هذا أن تطور الخطب وتفاقم الأمر حتى وصل إلى حد الاقتتال، فكانت معركة صفين.

([1])**الفصل في الملل والأهواء والنحل**، أبي مُحَمَّد بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، تحقيق: مُحَمَّد إبراهيم نصير، دار الجيل بيروت، ط2، 1996م، 13/5.

([2])**البداية والنهاية**، ابن كثير، 8/ 129.

([3])**تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة**، مُحَمَّد أمحزون، 234/2.

هذا ما أجبر الخليفة على المسير لمواجهة معاوية ـ رضي الله عنهما ـ، فسار من الكوفة في تسعين ألفا لخمس بقين من شوال 37هـ، وسار معاوية من الشام في خمسة وثمانين ألفا، وعسكر الجمعان في سهل صفين، ووقفت الجنود الإسلامية بعضها أمام بعض[1].

وبدأ نشوب القتال، وقد دارت الحرب بين الجيشين عدة أيام، ثم رفعت المصاحف، وتدخل أولو النُهى والمبصرون بحال الأمة، ورأوا أن هذا القتال خطر على أمر المسلمين، وأن له أثر بالغ في التفرق والتشتت وهو في غير مصلحتهم، وما يمكن أن يحل بعد قتال شرس، فكان أولى بذلك حقن الدماء، والرضا بحكمين، وأن يُحكِّم كل واحد منهما رجلا ينبغي أن يُفعل غيره، ثم يتفق هذان الحكمان على ما فيه المصلحة العامة، فوكل علي ـ ﷺ ـ الأمر إلى أبي موسى الأشعري، ووكل معاوية ـ ﷺ ـ الأمر إلى عمرو بن العاص، وهذا ما أزعج قتلة عثمان ـ ﷺ ـ، المنضمين إلى جيش علي فقد حرصوا كل الحرص على متابعة القتال واستمراره وذلك تفاديا لأخذ الثأر منهم أي القصاص، فرفضوا بذلك قضية التحكيم، ولكن أمير المؤمنين رأى أن في ذلك حقن لدماء المسلمين ولم يأخذ برأيهم وتمت قضية التحكيم .

نشب القتال بين طائفتين من المؤمنين، وكانت مأساة غيرت مجرى التاريخ، ورسمت معلما بارزا في تاريخ المسلمين، مما جعل المفكر مالك بن نبي يعُدُّ صفين نقطة فاصلة بين مرحلتين؛ هما مرحلة الروح ومرحلة العقل، وفي ذلك يقول: « ولاشك في أن المرحلة الأولى من مراحل الحضارة الإسلامية التي ابتدأت من غار حراء إلى صفين ــ وهي المرحلة الرئيسية التي تركبت فيها عناصرها الجوهرية ـ إنما كانت دينية بحتة، تسودها الروح، ففي هذه الحقبة ظلت روح المؤمن هي العامل النفسي الرئيسي، من ليلة حراء إلى أن وصلت إلى القمة الروحية للحضارة الإسلامية، وهو ما يوافق واقعة صفين عام 38هـ ...»[2].حيث اعتبر موقعة صفين هي الحدث الذي غيَّر مجرى التاريخ فقال: «ولست أدري لماذا لم ينتبه المؤرخون إلى هذه الواقعة، التي حولت مجرى التاريخ الإسلامي إذ أخرجت الحضارة الإسلامية إلى طور القيصرية الذي يسوده عامل العقل، وتزينه الأبهة والعظمة، في الوقت الذي بدأت تظهر فيه بوادر الفتور الدالة على أفول الروح»[3].

«فمعركة صفين بالنسبة لمالك بن نبي هي منعطف مهم جداً لأنها بالنسبة إليه هي التحول السياسي الكبير من عالم الشورى إلى عالم الاستبداد، ربما هنا نحتاج إلى تركيز بأن مالك بن نبي اعتبر أن تراجع مرحلة الروح أو تراجع عالم الأفكار برهانه الأساسي برهان سياسي، لنفهم التأثير الكبير الذي تمارسه السياسة في نهضة الأمة أو في تراجعها، فالقضية السياسية ليست قضية بسيطة من توافه الأمور أو هوامشها، فمالك بن

(1) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 562/4

(2) **شروط النهضة**، مالك بن نبي، ترجمة: عمر كامل مسقاوي، عبد الصابور شاهين، دارق الفكر، سورية، دمشق،1982م، ص: 52.

(3) المرجع نفسه، ص: 52

نبي يعتبر أن التحول من الخلافة الشورية إلى الحكم الجبري الاستبدادي الذي يعتبر أنه بدأ بمعركة صفين هو يبين الخروج من عالم الأفكار والانخراط في عالم الأشخاص، ربما يقول قائل لماذا ليس مقتل عثمان ـ ﷺ ـ هو الذي يعتبر منعطفاً لحدوث الفتنة الكبرى بين جيل الصحابة، وذلك لأن مالك بن نبي يرى أن الفكرة حتى في حالة الحرب كانت فكرة فاعلة، ويرى أن التراجع الحقيقي عن الفكرة هو الذي كان سببا في التراجع عن الشورى وترسيخ الاستبداد»[1]..

فإذا نزلنا هذه الأحكام على خلافة علي ـ ﷺ ـ، قلنا إنه كان خليفة المسلمين الشرعي الذي تجب طاعته، لذا كان على معاوية ـ ﷺ ـ أن يطيع أمير المؤمنين ولا يخالف أمره، فالخليفة هو من يدبر أمر قتلة عثمانـ ﷺ ـ ويتولى معاقبتهم، فعدم الرضوخ لأمير المؤمنين من قبل معاوية أدى إلى حدوث فتنة عظيمة نتج عنها حرب طاحنة بين طائفتين من المؤمنين.

حدث كل ذلك حين غاب شرط الطاعة لأمير المؤمنين علي ـ ﷺ ـ، فكان الصراع الذي شهدته معركة صفين. قال رسول الله ﷺ:«**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ، دَعْوَاهُما وَاحِدَةٌ**»[2]، فالمراد بالدعوة الإسلام على الراجح وقيل: اعتقاد كل منهما أنه على الحق. والمراد بالفئتين جماعة عليّ ـ ﷺ ـ وجماعة من حاربه أولاً في وقعة الجمل، وهم جماعة عائشة والزبير وطلحة ﷺ، وثانيا في وقعة صفين وهم جماعة معاوية ـ ﷺ ـ ويؤخذ من تسميتهم مسلمين، ومن قوله :" دعواهما أو دعوتهما واحدة" الرد على من كفرَّ بعضهم أو فسق أو سبَّ أو شتم، وقد اتفق أهل السنة على من منع الطعن على أحد من الصحابة ﷺ ؛ بسبب ما وقع منهم ولو عُرف المحق منهم، لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب أو يمسكوا عن القتال إلا عن اجتهاد يظن به كل منهم أنه على صواب[3].

فبموقف معاوية هذا في الامتناع عن بيعة عليّ ـ رضي الله عنهما ـ انتظارا للقصاص، ولعدم إنفاذ أوامره في الشام، أصبح هو ومن تبعه من أهل الشام في نظر علي في موقف الخارجين على الخلافة، فقد انعقدت بيعته برضى المهاجرين والأنصار بالمدينة، وبهذا وجب على بقية المسلمين الإقرار بذلك والرضا. وبرفض معاوية للمبايعة قرر الخليفة مواجهته وعمل على أن يردهم إلى الصواب وطاعته ولو بالقوة.

ولو أن معاوية بايع علياً لقوى به على أخذ الحق والاقتصاص منهم، فصح أن الاختلاف هو الذي أضعف يد الخليفة ومواجهتهم، ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم [4].

(1) **سننية التاريخ في فكر مالك بن نبي من التأصيل النظري إلى البرهان التطبيقي**، حسن بويبدي، الندوة الافتراضية لمالك بن نبي، صفحة مدونات عمران، مؤسسة مالك بن نبي للأبحاث وقناة الأنيس ، 20، أوت، 2020.

(2)**أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب: (استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم)، باب:(قول النبي:" لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان)، حديث رقم: 6935. 17/9.

(3)**فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، 107/13.

(4)**الفصل في الملل والنحل**، ابن حزم، 243/4.

وقد دلت النصوص الشرعية على وجوب الطاعة والالتزام واتباع أوامر الخليفة الذي تمت له البيعة من قبل أهل الحل والعقد، ومنعوا الخروج عليه ولو جار في حكمه، أي ظلم، لما سيترتب على ذلك من مفاسد وحروب وفتن، فالأولى دفع الضرر على جلب المصلحة.

ورأى العلماء في أمراء الجور أنه إذا قدر خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب، وإلا فالواجب الصبر[1]، فقدموا دفع الضرر على جلب المصلحة، في أمر الحاكم الظالم، ولم يجوزوا الخروج عليه، فما بالك في عدم الطاعة للأمير في أمر مختلف فيه، سببه الاختلاف في الوقت.

والعلماء أدرى بمصلحة العباد، وأن عدم الطاعة للخليفة أمر غير مستقيم لما له من أثر سيء على الرعية.

وعلى الرغم من أن معاوية علّل ثورته باتهام عليّ ـ رضي الله عنهما ـ بتقصيره في أخذ الحق من قتلة عثمان ـ ﷺ ـ ومن ساعدهم- ولم يكن في وسع علي ـ ﷺ ـ آنئذ إقامة القصاص؛ لأن القتلة لم يتميزوا وتساندهم الألوف من الغوغاء –، فالحكمة تقتضي إرجاء الأمر إلى أن تستقر الأوضاع، ويتم التحقيق ويطلب ولي الدم، وإلاّ ثارت القبائل، وكانت المفسدة أكبر.

ولا ريب أن عليّا ـ ﷺ ـ كان حصيف الرأي بصيرا بالأمور، وقد اتبع منذ بداية خلافته أحسن السياسات التي كان له أن يتبعها في اجتناب المآزق التي قُدر لها أن تُساق إليه، وما واجهه من حوادث، وآل إليه الأمر لم يكن ناتجا عن عجز في الرأي، أو ضعف في التدبير البتة، فيمكن أن نقول إنه كان رشيدا في عصر مضطرب، وقبائل متذمرة لا تأتمر بأمره، ولا تنقاد له، ورغم ما واجهه من محن فإنّ سياسته هي اللائقة ولا بديل عنها، لأنّ العمل بغير الرأي الذي عمل به لم يكن مضمون النجاح ولا مأمون الخطر[2].

والصحابة ـ ﷺ ـ كلهم بشر غير معصومين، يجتهدون فيخطئون ويصيبون، وقد اجتهدوا إبان الفتنة، فكان لكل طائفة منهم شبهة، اعتقدت بسببها أنّها على صواب، وأنّ غيرها مخطئ، ورأى بعضهم وجوب إبعاد غيره عن خطئه بكل وسيلة، مما أدى إلى التشاجر بينهم لشدة الاشتباه، ويبعد كل البعد أن يعلمهم أحدهم ـ وبخاصة كبارهم ـ أنه على طرف الباطل، ثم يتمادى فيه ليدفع حق غيره، أو يسلبه إياه، فكلهم عدول متأولون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيء مما شجر بينهم أحداً منهم عن العدالة، فضلا عن الإيمان والإسلام، بل كانوا أبعد الناس عن تضخيم الخلافات بينهم، أو تحويلها إلى أمور اعتقادية[3].

قال ابن حزم يعتذر لصنيع معاوية ومن معه في تأخرهم عن بيعة علي ـ ﷺ ـ: «وامتناع معاوية من بيعة علي، كامتناع علي من بيعة أبي بكر، فما حاربه أبو بكر ولا أكرهه، وأبو بكر أقدر على علي

(1) **فتح الباري**، ابن حجر، 97/13

(2) **ينظر:الحسن بن علي وعام الجماعة**، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، ص: 109.

(3) **ينظر:المرجع نفسه**، ص: 119.

من علي على معاوية، ومعاوية في تأخره عن بيعة علي أعذر وأفسح مقالا من علي في تأخره عن بيعة أبي بكر، لأنّ عليا لم يمتنع من بيعة أبي بكر أحد من المسلمين غيره»[1].

ولكنه عاد فأكد أحقية الخليفة في البيعة ولو تأخرت، أسوة بما فعل علي في بيعته لأبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ ، فقال: « وأما تأسي معاوية في امتناعه من بيعة علي بتأخر علي عن بيعة أبي بكر فليس في الخطأ أسوة، وعليّ قد استقال ورجع وبايع بعد يسير، فلو فعل معاوية مثل ذلك لأصاب ولبايع حينئذ بلا شك كل من امتنع من الصحابة من البيعة من أجل الفرقة ... وهو من أهل الاستحقاق للخلافة فهو الإمام الواجبة طاعته فيما أمر به من طاعة الله عز وجل، سواء كان هنالك من هو مثله أو أفضل منه أو لم يكن، كما سبقت بيعة عثمان قبله، فوجبت طاعته وإمامته على علي »[2].

على أن معاوية حين امتنع عن بيعة علي ـ رضي الله عنهما ـ لم يكن يرى نفسه أولى بالخلافة أو طلب مبايعته، ولكنه كان يطالب بدم عثمان أولا كما ذكرنا ذلك، وهذا ما هداه إليه اجتهاده، وقد اتفقت كلمة من يعتد به من العلماء على تبرئة معاوية من المنافسة على الخلافة،

قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل: «ولم ينكر معاوية قط فضل علي، واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان -رضي الله عنه- على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان ... وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط، فله أجر الاجتهاد في ذلك، ولا إثم عليه فيما حُرم من الإصابة كسائر المخطئين في اجتهادهم، الذين أخبر رسول الله ﷺ أن لهم أجرا واحدا، وللمصيب أجرين»[3].

وقال ابن تيمية : « ومعاوية لم يدَّعِ الخلافة؛ ولم يبايع له بها حين قاتل عليا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه، ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدئوا عليا وأصحابه بالقتال، ولا يعلوا. بل لما رأى علي -رضي الله عنه- وأصحابه أنه يجب عليهم طاعته ومبايعته، إذ لا يكون للمسلمين إلا خليفة واحد، وأنهم خارجون عن طاعته يمتنعون عن هذا الواجب، وهم أهل شوكة، رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب، فتحصل الطاعة والجماعة. وهم قالوا: إن ذلك لا يجب عليهم، وأنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان قتل مظلوما باتفاق المسلمين، وقتلته في عسكر علي، وهم غالبون لهم شوكة، فإذا امتنعنا ظلمونا واعتدوا علينا، وعلي لا يمكنه دفعهم، كما لم يمكنه الدفع عن عثمان؛ وإنما علينا أن نبايع خليفة يقدر على أن ينصفنا، ويبذل لنا الإنصاف».[4].

([1])**الفصل في الملل والنحل**، ابن حزم، 235/4.

([2]) **ينظر: المصدر نفسه**، 244/4.

([3])**الفصل في الملل والأهواء والنحل**،ابن حزم، 235/4.

([4]) **جامع المسائل**، ابن تيمية، 146/6، **وينظر كذلك: مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، 72/35ـ73.

وقال الجويني:« إنّ معاوية وإنّ قاتل علياً، فإنّه لا ينكر إمامته ولا يدّعيها لنفسه، وإنّما كان يطلب قتلة عثمان ظناً منه أنه مصيب، وكان مخطئاً»[1].

كان على معاوية ـ ﷺ ـ أن يسلك سلوك أبي ذر ـ ﷺ ـ في وجوب الالتزام بالطاعة للحاكم، فرغم أنه خالف عثمان ـ ﷺ ـ في الرأي إلا أنه لم يخرج عن سلطانه. إذ كان يعلم علم اليقين أن مخالفة الحاكم أمر لا يجوز لما له من أثر سلبي على الأمة، فقد حضر أبو ذر الحج مع سيدنا ـ عثمان رضي الله عنهما ـ ، فأتم عثمان الصلاة أربعا في الحج، فلما قيل له إن عثمان صلى أربعا، فاشتد ذلك عليه وقال قولا شديدا ثم قال: صليت مع رسول الله ﷺفصلى ركعتين، وصليت مع أبي بكر وعمر. ثم قام أبو ذر فصلىّ أربعاً، فقيل له: عبت على أمير المؤمنين شيئا، ثم صنعته. قال: الخلاف أشد. إن رسول الله ﷺخطبنافقال: «**إنه كائن بعدي سلطان فلا تُذلوُه، فمن أراد أن يذله فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وليس بمقبول منه توبة حتى يسد ثُلمته التي ثَلَمَ، وليس بفاعلٍ، ثم يعود فيكون فيمن يُعزّه**»[2]، **أمرنا رسول الله ﷺأن لا يغلبونا على ثلاث: «أن نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونعلم الناس السُنن»**[3].

وعليه فإنّ أمير المؤمنين علي ـ ﷺ ـ بصفته الخليفة وجبت طاعته، فهو صاحب الحق والإمام المفترضة طاعته وغيره، ومعاوية مخطئ مأجور مجتهد وقد يخفي الصواب على الصاحب العالم فيما هو أبين وأوضح من هذا الأمر من أحكام الدين[4].

ويوضح ابن خلدون في مقدمته أن الحرب بين علي ومعاوية ـ ﷺ ـ لم تكن لغرض دنيوي فقال: « ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية وهي مقتضى العصبية، كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي، أو لإيثار باطل، أو لاستشعار حقد، كما قد يتوهمه متوهم وينزع ملحد، وإنّما اختلف اجتهادهم في الحق، وسفه كل واحد منهم صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه، وإنّ كان المصيب عليا، فلم يكن معاوية قائما فيها بقصد الباطل، إنما قصد الحق وأخطأ»[5].

بمعنى لم يكن النزاع على الملك والسلطة، وإنما هو اختلاف في الاجتهاد، وكان الصواب في اتجاه عليّ ﷺ، لذا كان لابد لمعاوية من طاعة أمر الخليفة، وبذلك تتحقق مصلحة عظيمة، وهي اجتماع الكلمة وتقوية الصف وإبعاد شبح الحرب، وهذه أهم أسس استقرار الدولة وقوة شوكتها، مما يتيح لها إمكانية مقارعة الباطل وأهله.

---

(1) **لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة**، الجويني، ص:115.

(2) **أخرجه أحمد**، مسند الأنصار حديث أبي ذر الغفاري، حديث رقم: 21460، 364/35.

(3) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 606/2.

(4)**الفصل في الملل والنحل**، ابن حزم، 244/4.

(5)**المقدمة**، ابن خلدون، ص:200.

كان من النتائج الوخيمة لهذا الاختلاف والتفرق الناشئ عن نزع يد الطاعة عن ولي الأمر، ومطالبته بما لا يستطيع، والتدخل فيما هو من حقه وصلاحياته، أن انقسم المسلمون إلى طائفتين، ثم تطور الأمر إلى فتنة كبيرة سلت فيها السيوف، ووجهت إلى الداخل، بعد أن كانت لمدة طويلة تقارع الطغاة والظالمين ممن يقف في وجه الدعوة ويصد الناس عنها في فتوحات وانتصارات لم يشهد لها التاريخ مثيلا، وكان لا بد لسنن الله تعالى أن تتحقق دون محاباة أو استثناء لمن غفل عنها، ولو كان من خير القرون، كان من آثار تلك الفتنة الداخلية أن توقفت الفتوحات، وخبا وهجها، وفتر الحماس الذي عرفه الفاتحون الأولون، فقصارى ما كان يصبو إليه المسلمون في تلك الفترة المحافظة على ما حققوا من انتصارات، ويحموا حدود الدولة، حتى لا يطمع الأعداء في استرجاع ما فقدوه، أما أن يستمروا في جهادهم ويفتحوا أقاليم جديدة، فذلك أمر بعيد ومتعذر في تلك الظروف، إذ كيف تستمر الفتوحات في مثل تلك الأجواء من الصراع الداخلي؟

المطلب الثاني: فتنة الخوارج

ذكرنا أن العامل الثاني الذي بسببه كانت النزاعات الداخلية والفتن في عهد الخليفة الرابع سيدنا علي - ﷺ - هو ظهور فرقة الخوارج، فمن هم الخوارج وما الآثار المترتبة عن فتنتهم في تعطيل مسيرة الفتوحات الإسلامية؟

يقول الشهرستاني في تعريفه للخوارج[1]:«كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان»[2]. ويقول ابن حزم: « أن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام علي أو شاركهم في آرائهم في أي زمن»[3].

وعرفهم ابن حجر العسقلاني بقوله: « الخوارج الذين أنكروا على علي التحكيم، وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته، وقاتلوهم »[4].

وعليه فإن مصطلح الخوارج يطلق أصالة على من خرج عن الإمام علي بعد حادثة التحكيم، وهذا في التعريف الخاص لهذا المسمى، أما التعريف العام فهو كل من خرج عن الإمام في كل زمان ومكان. وعند ربط هذا التعريف بسنن الاجتماع نجد أنه مؤذن بالخراب والفساد والطغيان والظلم، لذا حرم العلماء الخروج عن الحاكم إذا كان الضرر من ذلك أكبر من المصلحة.

---

(1) **الخوارج ومفردها** خارجي، نسبة لكلمة الخروج، الخوارج جمع خارجة، أي طائفة، وسموا بذلك لخروجهم عن الدين وعن خيار المسلمين وجماعتهم. ينظر: **الفتح**، ابن حجر،355/12. **تاريخ الإسلام**، الذهبي303/2. 332. وينظر: **الطبقات**: ابن سعد 32/3.

(2)**الملل والنحل**، الشهرستاني، 1/ 132.

(3) **المصدر نفسه**، 113/2.

(4) **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، 459/1.

وتعدموقعة صفين الحدث التاريخي لبداية ظهور الفرق وانقسام المسلمين سياسيا منذ نشأت الدولة الإسلامية، فتعددت الآراء واختلفت الأحزاب بعدحادثة التحكيم التي كانت بين علي ومعاوية، فلما اشتد الأمر على أهل الشام، وكانت الحرب في كفة أهل العراق، سارعوا لعرض الصلح برفع المصاحف والاحتكام لله[1]، وقبل فريق علي ـ ﷺ ـ ذلك، واختاروا أبا موسى الأشعري من جهتهم، وعمرو بن العاص من جهة أهل الشام، فحدث بذلك انشقاق سياسي بين الفريقين؛ كان من نتائجه ظهور الخوارج الذين رفضوا فكرة التحكيم، وأعلنوا براءتهم من الخليفة وكفروه.

بدأ انفصال هذه الفرقة عن المسلمين بعد رجوع علي ـ ﷺ ـ من الكوفة بعد صفين، وقد اختلف في العدد الذي انفصل عن جيش أمير المؤمنين ليُكون مجموعة بعد ذلك تدعى الخوارج، لهم صفات ومناهج وفكر مختلف ومناهض لهذا الفكر الذي كانت عليه الأمة منذ عصر النبيﷺ ومرورا بخلافة الراشدين أبي بكر وعمر، وقد قيل أن عددهم ثمانية آلاف، وقيل اثني عشر ألفا، وقيل أربعة آلاف[2]،

فلما ظهرالخوارج كان لابد من ظهور عنصر آخر محايد لتوجهاتهم وآرائهم وأفكارهم، فإنّ من سنن الاجتماع أن أي نزاع يقوم بين طائفتين يفرز فئة ثالثة محايدة، وتمثلت في المرجئة الذين لم يتبعوا أي فريق بزعم صعوبة تحديد من هو على حق.

وحين نعود لتبيان المعارضين والخوارج نجد أنهم من الأعراب وحديثي العهد بالإسلام من أبناء الأمم المفتوحة[3]، فلم تذكر الروايات التاريخية اسما من الصحابة ﷺ انتهج أو اتخذ هذا الموقف، لما فيه من أمر الفرقة والشتات.

وحين أرسل أهل الشام مصحفا لأهل العراق، ووافق علي بن أبي طالب على عرضهم، جاءته الخوارج — وهم القراء – وأنكروا عليه رضوخه لوقف القتال ومباشرة الصلح[4]، وطالبوه بالنهوض لقتال أهل الشام[5]. فقد أنكروا قضية التحكيم وأرادوا مواصلة القتال حتى يهزموهم.

([1])**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 101/3.

([2]) **ينظر**: **تاريخ الخليفة بن خياط**، ص: 193، **ينظر**: **البداية و النهاية**، ابن كثير، 490/10.

([3])**تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة**، مُحَمَّد المخزون،239/2،240.

([4])**نشير هنا إلى تعدد الروايات واختلافها** في أن الخليفة علي ﷺ، لم يقبل الصلح، وأن الخوارج هم من أصروا عليه بالقبول، واختاروا أبا موسى الأشعري، وهددوه بالقتل إن رفض، ولما قبل وهو مكره، رجعوا في أمرهم وطلبوا منه أن يتراجع وأن يتوب وإلا قاتلوه. ينظر: **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 51/5، 72. إلّا أن هذه الأخبار تعتبر فرية تاريخية لا أساس لها من الصحة لا سندا ولا متنا، وفيها من التناقض ما يؤكد ذلك، وهناك من يعتبر أنها روايات مدبرة من قبل الشيعة لاتهام الخوارج بالتناقض. ينظر: **تاريخ الخليفة**، ابن خياط، 191، **والطبقات**، ابن سعد، 32/3. وينظر: **تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة**،مرجع سابق، 215/214/2.

([5])**البداية والنهاية**، ابن كثير، 291/7. وينظر: **المصنف**، ابن أبي شيبة، 15/ 318.

على أن موقف عليّ ـ رضي الله عنه ـ وقبوله بالصلح هو المنطق بعينه ويتماشى مع أحكام الإسلام، فإذا كان الصلح مع الكفار مقبول، وقد عرفنا آنفا أن الصلح ثقافة سننية كان المسلمون يعملون بها في فتوحاتهم مع الكفار، فإنّ طالبوا بالصلح وجب على الفاتحين قبوله وعدم الغدر والخيانة، فالأولى قبول الصلح مع المسلمين الذين طلبوه، فقد كان الطرفين من المؤمنين قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

فهذا أمر رباني، أمر به سبحانه وتعالى، ولا شك أن عليّا ـ رضي الله عنه ـ عمل به دون أي ضغوطات أو حتى تردد في ذلك، طاعة لله عز وجل. والإسلام دين رحمة وعطف وصلح وسلام هذه مبادئه التي وجب أن تعم البلاد والعباد، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]

وعلي أحق من الصحابة رضي الله عنه بأن يعمل بكلام الله ولا يخالفه، ويسعى بذلك للصلح الذي هو خير لكلا الطرفين.

بعد أن اتفق علي ومعاوية ـ رضي الله عنه ـ وكتبوا بذلك كتاباً، رجع علي إلى الكوفة، وإذا بفرقة من جيشه يخرجون عنه ويخالفونه في قبوله التحكيم، فأبوا أن يساكنوه في بلده، ونزلوا قرب الكوفة في مكان يقال له: حروراء وتعاقدوا فيه على قتال أهل العدل ، وكان قائدهم عبد الله بن الكوّاء اليشكري وشَبَب بن ربعي التميمي[1].

ولو أن الخوارج كانوا على دراية وفقه بالسنن لما خرجوا على علي ـ رضي الله عنه ـ؛ففي معرفة السنن ما يعين المسلمين على الخروج من متاهة الاختلاف والنزاع؛ لأن كشف السنة التي تحكم أمرا من الأمور، سيجعل النظرة إلى هذا الأمر نظرة فاقه لها عالم بها، فينتهج الطريق الصحيح الذي يحقق له رضى الله عز وجل وحياة طيبة له، ويبعده عن الضعف والتشتت.

كانت بدايات الخوارج أو ما يطلق عليهم ـ القراء ـ منذ عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ، فقد أنكر بعض أهل العراق سيرة بعض أقارب عثمان ـ رضي الله عنه ـ، فطعنوا عليه ذلك، وكانوا يعرفون بشدة اجتهادهم في العبادة والتلاوة، إلا أنهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم، ويتنطعون في الزهد والخشوع وغير ذلك. وقد حذر رسول الله ﷺ من الاختلاف في فهم القرآن لعلمه بأن ذلك سبب في الفرقة والاختلاف فقال:« اقرأوا القرآن ما اتفقتم عليه، فإذا اختلفتم فقوموا»[2].

([1])**تاريخ الاسلام**،الذهبي303/2. 332. وينظر: **الطبقات**: ابن سعد 32/3.

([2])**رواه النسائي، السنن الكبرى**، 5/34، البهيقي، شعب الإيمان، 212،213/5.

وهذا ما حدث فعلا في قضية الخوارج، فقد فهموا القرآن بفهمهم الضيق وخطأوا الخليفة وتسببوا في العديد من المشاكل والفوضى والحروب.

فلما قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ قاتلوا مع علي ـ رضي الله عنه ـ واعتقدوا كفر عثمان ـ رضي الله عنه ـ ومن تابعه، واعتقدوا إمامة عليّ ـ رضي الله عنه ـ وكفر من قاتله من أهل الجمل، ثم قاتلوا معه في صفين، ولما قبل علي الصلح، ورأوا أن التحكيم جريمة كبيرة، تقول الرواية: « مَرَّ الأشعث بن قيس على طائفة من بني تميم، فقرأ عليهم الكتاب، فقام إليه عروة بن جرير من بني ربيعة فقال: أتُحكمون في دين الله الرجا»[1]، ثم أخذ هذه الكلمة طوائف من أصحاب علي رضي الله عنه ممن يسمون القرَّاء وقالوا: لا حكم إلا لله، فسموا المحكمية« لا حكم إلا لله مقررين أنه لا يجوز العدول عن حكم الله إلى حكم الرجال، والله قد حكم في الفئة الباغية بقتالها حتى تفيء إلى أمر الله»[2].

فكانوا مُصرّين على القتال حتى ترضخ الفئة الباغية وتجيب بالسمع والطاعة للخليفة، وفقا للفهم الذي فهموه وتصوره من للآية الكريمة، فحرصوا كل الحرص على أن يستمر القتال بين المسلمين، وما يدل على هذا أنهم أشاروا على الخليفة فقالوا:« يا أمير المؤمنين، ما ننظر بهؤلاء القوم، ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا؟»[3].

ليتبين أن الحث على القتال واستمراره سبب في تعمق الجراح بين المسلمين، ما نتج عنه التوجه مرة أخرى لقتال الخوارج وانشغال الخليفة بهم، مما عرقل مسيرة الفتوحات الإسلامية ونشر الدين. واحتدم الصراع بين المسلمين فيما بينهم.

فظهور هذه الحركات كان له الأثر في اشتغال الولاة بهم وتأجيل دعم جند الفتح، وهذا ما كان أثره واضحا في تأجيل فتح الكثير من البلدان التي كان الوصول إليها قريبا على عهد سيدنا عثمان–رضي الله عنه ـ، ونجد في رواية ابن أبي شيبة أن عليا ـ رضي الله عنه ـ اعتبر هذا الصلح فتحا؛ لما فيه من وقف إهدار دماء المسلمين، وكذا توقف الصدام بينهم قد يفسح المجال لاستمرار الفتوحات ونشر الدين ومواجهة العدو فقال علي:« أيها الناس إنّ هذا فتح»[4]، غير أن هناك من خرج عليه ولم يقبل برأيه، وكان ذلك أول الخروج الذي قامت عليه طائفة الخوارج، وكانوا يجادلون عليا ـ رضي الله عنه ـ ويقاطعونه في خُطبه.وكانت حجتهم أنهم رأوا أن التحكيم الذي اتفق عليه الطرفان خطأ كبير، لأن حكم الله في الأمر واضح جلي، والتحكيم يتضمن شك كل فريق من المتحاربين في موقفه، أيهما المحق، وزعموا أن عليًّا حكّم الرجال في كتاب الله، وأنكروا عليه أشياء

([1]) **تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 55/5.

([2]) **المصنف**، ابن شيبة، 293/14.

([3]) رواه أحمد،**مسند الإمام أحمد**، 587/8.

([4])**المصنف**، ابن أبي شيبة، 395/15.

رأوا أنه ارتكبها، منها: أنه قاتل ولم يغنم ولم يَسْبِ، وأنه محا عن نفسه صفة إمرة المؤمنين عند كتابة الكتاب بين الحكمين؛ حيث أجابهم إلى كتابة اسمه واسم أبيه بدلاً من أمير المؤمنين، وتمادوا في ذلك حتى كفَّروه، وتبعهم ناس من أعراب البادية، وصار شعارهم:« لا حكم إلا بالله»[1].

وبعد أن اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم خطبة بليغة، وزهدهم في الدنيا، ورغّبهم في الآخرة والجنة، ثم قال لهم: «فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها، فخرجوا عن الكوفة مفارقين الأقارب، يعتقدون أن هذا الأمر يرضي رب السماء، واجتمع جمعهم بمنطقة النهروان، بين بغداد وواسط، وصارت لهم شوكة ومنعة، وتواطؤوا على السير إلى المدائن ليحتلوها، ثم ساروا إليها شيئا فشيئا، فراسلهم علي ـ ﷺ ـ في الرجوع إليه، فأصروا على الامتناع حتى يشهد على نفسه بالكفر، لرضاه بالتحكيم ويتوب . فكان مبدأهم ورأيهم إكفار علي وعثمان، والحكمين، وأصحاب الجمل، وكل من رضي بتحكيم الحكمين ... ووجوب الخروج على الإمام الجائر»[2].

وبناء على فهمهم الخاطئ اجتمعوا على أن من لا يعتقد معتقدهم كافر يباح دمه وماله وأهله، فبدأوا ينزعون إلى القتل وسفك الدماء[3]، ثم انتقلوا إلى الفعل وعاثوا في الأرض فسادا، فقطعوا السبيل، واستعرضوا الناس، وعاملوا غيرهم معاملة الكفار في السلم والحرب، فقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين ممن لا يقر بعقيدتهم، واستحلوا محارمه، واعتبروا أن كل من خالفهم ليس بمسلم، وكل هذا وشعارهم لا حكم إلا لله، الذي قال فيها علي ـ ﷺ ـ «كلمة حق أريد بها باطل»[4].

وقد اعتزلوا صفوفه، فحاول أن يقنعهم بالحجة وقال :« نعم لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله، وإنه لا بد للناس من أمير»[5].فالخوارج بهذه التصرفات أظهروا سنة أخرى وهي الفساد في الأرض لقوله تعالى:﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[الروم: ٤١].

وتظهر سنة أخرى من موقفهم هذا وهي سنة الظلم والصد عن سبيل الله وذلكعندما اختلت المعادلة بانحرافهم عن طريق الله وتمردهم على سيدنا علي ـ ﷺ ـ، وعدم محافظتهم على ما حباهم الله من نعم، واستمرارهم في طغيانهم وعصيانهم، عندها حدث ما حدث انطبقت عليهم السنة الالهية في الظالمين.

([1])**الحسن بن علي وعام الجماعة**، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، ص: 128.

([2])**الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن مُحَمَّد البغدادي، ص:72.

([3])**الخلافة والملك**، أبو الأعلى المودودي، تعريب: أحمد إدريس،ط1، دار القلم، الكويت1978م، ص:143.

([4]) **أخرجه مسلم في صحيحه**،كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج حديث رقم: 1066، 116/3..

([5])**الأحكام السلطانية**، الماوردي، ص:58.

يقول ابن تيمية في هذا الشأن: «فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى أن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة»[1]

بمعنى أنه رغم أن الفترة كانت فترة غير بعيدة عن الوحي وعن الرسول ﷺوالخلفاءالراشدين؛ إلا أن سنن الله لا تحابي أحدا، فهي ثابتة تحقق النصر لمن عمل بها والخسران لمن حاد عنها. فالحكمة من صرامة وثبات السنن الإلهية أن تضبط الموازين، وتستقر معايير الحكم على الأشياء والمواقف والأحداث والرجال[2].

وهذا ما يثبته قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾[فاطر: ٤٣]

لذا لما انتشر الظلم من طرف الخوارج، أثر ذلك على انتشار الإسلام وتوسعه،لذا اعتبر أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ أن مواجهتهم ووقف ادعاءاتهم وافتراءاتهم واجبة، قبل أن ينتشروا في الأرض ويعم الفساد والظلم فيها والاختلاف، فينشغل المسلمون ببعضهم البعض عن الفتوحات ونشر الدين، وهي المهمة التي كان لا بد لها أن تستمر.

أخرج مسلم في صحيحه الرسول ﷺقال: «**تمرق مارقة عند فُرقة من المسلمين يَقتُلُهَا أولى الطائفتين بالحق** »[3].

نستشف من هذا الحديث أنه سيكون القتال بين ثلاثة فرق، اثنتان مسلمتان،والثالثة مارقة ، فالمسلمتان هما أهل العرق وأهل الشام، والمارقة هم الخوارج الذين مرقوا على الإمام علي –رضي الله عنه– وبين هذا الحديث على أن لكل من الطائفتين المسلمتين تعلّق بالحق ، لكن طائفة علي ، أقرب إليه من طائفة معاوية، وذلك لأن طائفة علي هي التي قاتلت الخوارج المارقين[4].

سار علي ـ رضي الله عنه ـ إليهم حتى إذا كان حذاءهم على شط النّهروان أرسل إليهم يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، فلم تزل رسله تختلف إليهم، حتى قتلوا رسوله، فلما بدر منهم هذا العمل الشنيع، علم أنه وجب القضاء عليهم قبل أن يزيد خطرهم، وقبل مواجهتهم عرض عليهم الصلح وأن من رفع الراية فهو آمن، ومن خرج من ساحة القتال فهو آمن، وذلك تفاديا لإراقة دماء المسلمين، فخرج البعض وأصر البعض الآخر على المواجهة[5]، لكن رغم ذلك أمر علي ـ رضي الله عنه ـ جنده فقال: كفوا عنهم حتى يبدأوكم[6]، فحملوا على النّاس، فقاتلهم حتى فرغ منهم[7].

---

(1) **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، 63/28.

(2) **أهمية السنن الربانية**، محمّد أمخزون، مجلة البيان، العدد:115، ص:55.

(3)**أخرجه مسلم**،كتاب (الزكاة)، باب (ذكر الخوارج وصفاتهم)، حديث رقم: 1065، 113/3.

(4) **ينظر**:**البداية والنهاية**، ابن كثير، 279/7، **والعواصم من القواصم**، ابن العربي، ص:123.

(5) **ينظر**:**الكامل في التاريخ**،ابن الأثير، 221/3.

(6) **ينظر**: **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**.

(7) **ينظر**:**تاريخ الرسل والملوك**، الطبري، 92/5.

ما جرى لعلي ـ ﷺ ـ مع الخوارج يؤكد أن المحور الذي تدور عليه سياسته هو: تقديم المبادئ والأسس الإسلامية على المصالح السياسية والإدارية. فهو محافظ على منهج الراشدين بحكمة وثبات، رغم ما واجهه من محن، وسياسته هي اللائقة التي لا بديل عنها، غير أنهم اتهموه بالكفر وطلبوا منه الرجوع إلى الإسلام! فكيف يُقر على نفسه بالكفر ويتوب منه مؤيدًا إياهم في مذهبهم الباطل؟.

إن هذه الانقسامات وكثرة الخلافات والحروب الداخلية، جعلت الدولة الإسلامية تستنفد جهودها في قتال المسلمين، بدلا من الاشتغال بأعمال الجهاد في سبيل الله[1]، وأظهر الخوارج شجاعة وبسالة نادرتين، لكن لم تستعملا في مكانهما المناسب، إذ لم يكن هؤلاء نكاية في الكفار، وإنما كانوا سببا في إهدار دماء المسلمين.

وقد وصف نيكلسون أثر هذه الفتنة فقال:« لقد مزقت الحروب الأهلية التي تلت هذه الفتنة وحدةالإسلام شر ممزق ولم يندمل بعد الجرح الذي أحدثته هذه الحروب»[2].

اتفق العلماء على صحة قتال علي ﷺ ـ للخوارج وفقا للأحاديث الصحيحة عن الرسولﷺوثبتعلىأنأئمةالسنة[3]، «يقولون أن قتاله للخوارج مأمور به، وأما قتاله في الجمل وصفين فهو قتال فتنة»[4].

وعلى مدار السنوات الخمس الأخيرة من خلافة أمير المؤمنين علي ﷺ تميزت كلها بالحروب التي حصدت أرواح المسلمين وفرّقت كلمتهم وأضعفت هيبتهم حتى طمع العدو بهم.

فقد خرج أهل كرمان على المسلمين وحجبوا الخراج وطردوا سهل بن حنيف عامل علي على الإقليم، فلو لم يرسل إليهم زياد بن أبيه على رأس قوة لما لزموا الأمر[5]، ونتيجة هذه الفتن والتدهور الداخلي، جعلت العدو يفكر في ثغور الشام ما أجبر معاوية على دفع المال لهم لتجنب ذلك.

وانعكست الآية فبدل التوسع في الفتوحات والتزام سنن الله عز وجل والعمل بها، أصبحت أرض المسلمين مطمعا لأعدائها وكادت تصبح من الغابرين لولا حفظ الله عز وجل لها.

([1]) **ينظر**:**تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة**، محمد امحزون، 2/ 269.

([2])**الخلفاء الراشدون**، أبو زيد شلبي، مكتبة وهبة، مصر، 1960، ص190.

([3]) ومنهم: مالك بن أنس، أحمد بن حنبل.

([4])**منهاج السنة**، ابن تيمية، 204/4.

([5]) **التاريخ الإسلامي الخلفاء الراشدون**،محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت،،ط7، 1991م،278/3.وينظر: **القتال في العهد الراشدي**، فادي شامية، ص: 224.

خلاصة المبحث:

نستخلص في نهاية هذا المبحث أنه حين اخترُق مبدأ طاعة ولي الأمر كان لا بد أن تتحقق سنة الله في التفرق والاختلاف، فانقسم المسلمون إلى طائفتين تبغي إحداهما على الأخرى وهذا ما حدث لما أصر معاوية رضي الله عنه على الخروج عن الحاكم والمطالبة بأمور كان الأصلح أن يعطي الرأي فيها للخليفة الرابع فهو أدرى بذلك وبالوقت الذي يجب فيه الاقتصاص، وعليه نشبت معركة الصفين(حروب ونزاعات داخلية)، وكان من نتائج ذلك ضعف قوة المسلمين، وتراجع رصيدهم في الجهاد، مما أثر على سير الفتوحات وتوقفها وانحسارها.

وقد جرت سنة الله تعالى في أنّ التنازعمؤذنبالفشل وذهاب الريح، وهو ما تحقق في السنوات الأخيرة من الخلافة الراشدة، وكان سببا في انحسار الفتوحات الإسلامية على عهد الخليفة عليرضي الله عنه.

خلاصة الفصل:

في نهاية هذا الفصل يمكننا أن نقول:

إن السنن الإلهية في انحسار الفتوحات الإسلامية وتوقفها في نهاية الخلافة الراشدة كانت نتيجة لجملة من التغيرات وهي التغيير الديني، والسياسي، والاجتماعي والاقتصادي، إضافة إلى انبعاث العصبية القبلية من جديد ودورها في انحسار الفتوحات وذلك بسبب الصراعات الداخلية الناتجة عن هذا التغيير.

إضافة إلى نشاط الحركات المعادية للإسلام والتي أرادت بذلك انحسار الفتوحات ليتوقف نشر الإسلام واتساعه وتمثلت بداية في فتنة ابن سبأ؛ وعليه فإن سنة ابتلاء الله للمؤمنين بعداوة الكافرين قد تحققت في عهد سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ، مما أثر على سير الفتوحات الإسلامية؛ فظهور الفتنة جعل الخليفة والرعية يصرفون النظر عن التفكير في إكمال الفتح، ففي أجواء الفتنالداخلية فلا يمكن أن تستمر الفتوحات الإسلامية والاتجاه نحو الفتح الخارجي، وهم لم يسيطروا على الوضع الداخلي؛ ولأن الأمن والاستقرار لهما أثر واضح في التوسع في الفتح، كان لابد من التراجع ومحاربة الفتن الداخلية التي تكاد تنخر المجتمع الإسلامي والإطاحة بالدولة الإسلامية.

ثم كان عداء المنافقين للمؤمنين، وكانت بداياتها مع الفتنة التي حدثت في أواخر خلافة سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ، فالمنافقون كثر ولم يهدأ لهم بال حتى حققوا ما شرعوا فيه بمعاونة اليهودي ابن سبأ.

وخلصت أيضا في نهاية هذا الفصل أنّ الاختلاف والفرقة والتنازع كان سببا في انحسار الفتوحات الإسلامية على عهد الخليفة علي ـ رضي الله عنه ـ.

وبالجملة فإنّ تنكب السنن الإلهية والابتعاد عنها موجب بالضرورة للفشل في كل نواحي الحياة، فالسنن تعمل مجتمعة، لذا رأينا أنه عندما توقفت الفتوحات الإسلامية بسبب الفتن والحروب الداخلية لم يتضرر الجهاد فحسب،بل عادت بالضرر على قطاعات كثيرة في الدولة والمجتمع، كان أخطرها انتهاء أفضل فترة للحكم عرفها المسلمون بعد فترة النبوة، وهي الخلافة الراشدة التي مثلت جيلا قرآنيا عز مثله في تاريخ الأمم.

خاتمة

خاتمة:

في نهاية هذا البحث الموسوم بـ: « الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي بين الامتداد والانحسار – دراسة سننية » أحمد الله جل ثناؤه أن وفقني لإتمامه، وأشكره أن يسر إخراجه؛ ؛ وها أنا أخلص إلى أهم النتائج التي توصلت إليها، وألخصها في النقاط الآتية:

1- إن أهم عامل ساعد على توسع الفتوحات وامتدادها هو توفيق الله عز وجل لأولئك الرجال الذين حملوا دينه وعملوا به وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله وابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى.

2- بالتزام الصحابة ﷺ الأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة فتحوا القلوب قبل البلدان، وخضعت لهم رقاب الجبابرة، فكانت أخلاق الفاتحين من أهم العوامل المساعدة على الفتح والتمكين للإسلام.

3- كان لفقه الخلفاء الراشدين للسنن الإلهية وحسن التعامل معها واستثمارها في فتوحاتهم، أعظم الأثر في امتداد تلك الفتوحات وتوسعها.

4- كان لأهم مرحلتين من مراحل الفتح - سواء في فترة التأسيس أو التوسع- سنن خاصة فقهها الصحابة ﷺ وفهموا حقيقتها وتحركوا وِفْقَها، ولولا تفعيلها ما استطاعوا تحقيق تلك الانتصارات الباهرة، ونشر دعوة الإسلام في زمن قياسي.

5- من أهم السنن التي عمل بها الفاتحون وتم استثمارها في بداية الفتوحات وتأسيسها؛ الثقة بنصر الله جل ذكره، والالتزام الكامل بالأوامر النبوية، ثم العلم بحال من توجه إليهم الدعوة، والأخذ بالأسباب وإعداد العدة.

6- من استقراء السنن الإلهية التي تم الكشف عنها في مرحلة التأسيس للفتوحات؛ اتضح لنا أن سنن الكفاءة الحربية لابد من توفرها في القائد، إضافة إلى المحافظة على الصلح والوفاء بالعهود؛ فهما ثقافة سننية، وتبين أن من الأخلاق الحربية التي يجب أن يتحلى بها الجندي المسلم الصبر والثبات والتعاون.

7- توصلت من خلال هذا البحث إلى أن أهم السنن الإلهية في توسع وامتداد الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي، تلك الحوافز النفسية والروحية ممثلة في الوعود القرآنية والمبشرات النبوية التي جعلت الفاتحين على يقين بنصر الله جل وعلا لهم، خاصة أن الخلفاء الراشدين ﷺ اتبعوا منهج النبي ﷺ في تعيين الولاة والشروط الواجب توفرها فيهم وهي: القوة والأمانة، ومبدأ العلم، والبصر بالعمل، والرحمة والشفقة على الرعية، ، وأن لا يولي أحدا من أقاربه، والمشورة في اختيار الولاة، وجعل الوالي من قبيلة القوم.

8- إن امتداد الفتوحات كان لابد له من الإعداد وتجهيز القوة والكفاءة العسكرية، وذلك يتطلب إعداد القوةوالإنفاق في سبيل الله، إضافة إلى التخطيط والتنظيم الاستراتيجي.

هذا عن عوامل الامتداد والتوسع في الفتوحات.

أما عن أسباب الانحسار في الفتح؛ فهناك العديد من العوامل التي جعلت الفتوحات تتراجع لفترة معينة؛ وذلك بسبب الغفلة عن السنن الإلهية في النصر والهزيمة، فكثرت الحروب والفتن الداخلية ما أسهم في انحسار حركة الفتح.

9- إن عدم تفعيل السنن الإلهية في الفترة الأخيرة من الخلافة الراشدة، كان نتيجة لعدم إدراك خطورة التغير في حركة المجتمع، ونشوء جيل جديد لم يحظ بنصيب من التربية النبوية، خاصة في الأقاليم المفتوحة، ما جعلها تربة خصبة لزرع الأفكار الهدامة، فكان ذلك إيذانا ببداية التحول من جيل رباني قرآني، إلى رعية مملكة.

10- إن سنة ابتلاء الله تعالى للمؤمنين بالحركات المعادية من الكافرين والمنافقين، وعلى رأسها السبئية، قد تحققت في النصف الثاني من خلافة سيدنا عثمان ـ ﷺ ـ ، مما أثر على سير الفتوحات؛ فظهور الفتن جعل الخليفة والرعية ينشغلون بالظروف الداخلية،ويصرفون النظر عن التفكير في إكمال الفتح.

11- فتح باب التنازع والاختلاف بسبب عدم اجتماع كلمة المسلمين حول الخليفة الرابع، وعدموضع شروط لبيعته ونصرته، وهذا ما حدث لما أصر معاوية ـ ﷺ ـ ومن معه من أهل الشام على عدم مبايعة الحاكم، والمطالبة بأمور كان الأصل أن يعطى الرأي فيها للخليفة علي ـ ﷺ ـ.

12- كان من نتائج الاختلاف والتفرق الفشل وذهاب الريح كما جرت به سنة الله عز وجل، فقد تسببت في أعظم مأساة في تلك الفترة، حين التقى المسلمون بالسيوف في موقعة صفين، وهو ما كان سببا في انحسار الفتوحات الإسلامية وتوقفها على عهد الخليفة عليرضي الله عنه، بل كانت منعرجا خطيرا، فظهر الخوارج الذين كانوا وبالا على الأمة، فكفروا الحاكم والمحكوم، وسلوا سيوفهم لسفك دماء المسلمين، بل تجرأوا على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ فقتلوه، وكل ذلك عجّل بانتهاء فترة الخلافة الراشدة، وتلك سنة الله في مداولة الأيام بين الناس، ونواميسه في أفول الأمم والحضارات، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا.

وفي الأخير لابد لنا من التأسي بالصحابة ـ ﷺ ـ ولا ينبغي أن نقف عند أفعالهم، بل يجب أن نتعداه إلى التأسي بالمنهج الذي صدر عنه الفعل. وعليه لابد لنا أن نتأسى برشدهم وفقههم السني.

التوصيات:

1ـ ضرورة الاطلاع على تاريخ الخلافة الراشدة من خلال المصادر الأصلية الموثوقة.

2ـ ضرورة الاهتمام بدراسة تاريخ الخلافة الراشدة باعتبارها النموذج الذي يحتذى به.

3ـ وكذا لابد من إعادة النظر في الفتوحات الإسلامية فهي مازالت تحتاج إلى دراسات معمقة خاصة التأصيل التاريخي لها والتوثيق التاريخي.

4ـ ضرورة الاهتمام بالمجال السنني، ومحاولة استنباط الفقه السنني لدى الخلفاء وغيرهم.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس المصطلحات

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية:

الصفحة	رقمها	الآية
		سورة البقرة
277	11-12	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾
278	13	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾
29	15	:﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾
55	22	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾
85	45	﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾
262	93-96	ثانيا﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا﴾
242	109	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ﴿١٠٩﴾ ﴾
242	120	﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾
23	124	﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾
24	186	﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾
173	195	﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

14	216	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾
243 245	217	﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧ ﴾
170	244- 245	﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٤٤ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ ﴾
174	245	﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٤٥ ﴾
131 175	247	﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧ ﴾
161	251	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٥١ ﴾
17	256	﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ ٢٥٦ ﴾
284	286	﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾
		سورة آل عمران
247	7	﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ٧ ﴾
230	19	﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ١٩ ﴾
277	21	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ ﴾

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ ﴾	28	243
﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٨ ﴾	78	249
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ ﴾	100	242
﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ ﴾	103	124 156 239
﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾	105	124
﴿ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾	111	263
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩ ﴾	-118 119	243
﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠ ﴾	120	278
﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	121	14
﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ ﴾	125	29

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾	126	37
﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾	132	41
﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾	139	39
﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴿١٤٠﴾ ﴾	140	181
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾	149	66 226
﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾	152	135
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾	156	30
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾	159	66 136 176 187 206
﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾]	159	118
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾	200	81 88 165
سورة نساء		
:﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴿٤٦﴾ ﴾	46	249
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾	58	111

: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾	59	41 66 121 137 281 292
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾	71	91 167 179
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾	77	172 173
﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ٨٩ ﴾	89	242
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡ ﴾	90	75
: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ ﴾	94	75
﴿ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١ ﴾	101	242
﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾	114	257
﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩ ﴾	-138 139	243
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩﴾	139	270
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ١٤٤ ﴾	144	243

سورة المائدة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾	2	87 138 212
﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ﴿٣﴾﴾	3	226
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾	8	110 111
﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾	42	110
﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ ﴿٤٤﴾﴾	44	113
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾	51	243
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾	54	57
سورة الأعراف		
﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	62	122
﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾	68	122
﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾	79	122

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾	96	116
﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾	128	85
سورة الأنفال		
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾	1	41
:﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾	8-7	153
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾	15 – 16	11
﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾	17 - 18	19 37
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾	19	5 38
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾	-20 21	153
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾	27	113
:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾	39	12 18

147	45	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾
85 155 156 282	46	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾
224 226	53	:﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾
47	-57 60	﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾
67 112 160 168	60	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾
75	61	﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾
209	-62 63	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾
81	66	﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾
80	72	﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾

سورة التوبة		
﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨﴾	8	242
﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠﴾	10	242
﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾	32	101
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾	33	101
: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾	41	170
﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾	79	273
﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣﴾	83	72
﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧﴾	97	265
﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾	103	56
﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾	120	47
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾	123	159

سورة هود		
﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ ﴾	85	68
﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾	112	53
سورة يوسف		
:﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ ﴾	54	112
﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	69	232
﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾	111	100
سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ١١﴾	11	223 224
سورة النحل		
﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾	8	162
:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾	90	110
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾	125	159
﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾	128	65 102
سورة الإسراء		
﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾	16	237
﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴾	33	282

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾	34	23 67
﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾	90-93	54
سورة الكهف		
﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠﴾	50	53
سورة مريم		
﴿كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩﴾	79	29
سورة طه		
﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾	29-32	232
سورة الأنبياء		
﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾	105	67 103
سورة الحج		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾	38	103
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾	39	45
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٤٠﴾	39-40	159
﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾	40-41	39

:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾	40	161
﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾	41	**55**
سورة النور		
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾	55	180 44 58 102 116
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	62	154
سورة القصص		
:﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾	26	112 127
﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾	85	249
سورة الروم		
﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾	5-1	103
:﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾	41	294
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾	47	37 39 103

سورة الأحزاب		
244	1	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١﴾
سورة سبأ		
275	54	﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾
سورة فاطر		
53	6	﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾
31 295	43	﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾
سورة يس		
30	30	قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾
275	50	:﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ٥٠﴾
سورة الصافات		
103	173	﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾
سورة غافر		
103	51	﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾
سورة الشورى		
71 118 187	38	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾
230	14	﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾
سورة الدخان		

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾	25-28	180
سورة محمد		
﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾	4-7	107
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾	7	37 58
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾﴾	7-8	83
﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾	35	103
﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾	38	52
سورة الفتح		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾	10	79
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾	29	70
سورة الحجرات		
﴿هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾	7	24
﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ﴾	9	257 292
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾	12	67

108	13	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
170	15	﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾
	سورة الطور	
29	22	:﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ ﴾
	سورة الواقعة	
102	10-11	﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾
	سورة الحديد	
175	10	﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
161	25	﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
	سورة المجادلة	
243	22	:﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
	سورة الحشر	
154	7	﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
270	11-12	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (13)﴾	11-13	263
﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (13) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (14)﴾	13-14	262
﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16)﴾	16	274
سورة الممتحنة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ (1)﴾	1	243
سورة الصف		
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾	4	15 147
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11)﴾	10-13	170
﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13)﴾	13	37
سورة المنافقون		
﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (4)﴾	4	265
﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (7) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8)﴾	8-7	266

سورة التغابن		
﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧﴾	17	174
سورة الطلاق		
﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق:	2- 3	45
سورة الحاقة		
قَالَ تَعَالَى:﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٥٠﴾[الحاقة:]	50	30
سورة نوح		
﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ۝١٢﴾[نوح:]	12	29

فهرس الأحاديث النبوية:

01	«أتَشفَعُ في حَدٍّ ....»	128
02	«أخرجوا المشركين ...»	292
03	«أخوف ما أخاف عليكم .... »	278
04	«إذا ضُيعت ...»	132
05	«إذا فتحت عليكم ...»	277
06	«إِذَا هَلَكَ كِسْرَى .....»	124
07	«اسمع وأطع للإمام ...»	163
08	«اسمعوا وأطيعوا، ....»	162
09	«أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة ..... »	277
10	«ألا من ظلم معاهدًا...»	134
11	«ألا من ولي ...»	330
12	«الإمام جُنة .... »	145
13	«أُمِرْتُ أن أقاتل الناس ....»	68
14	«إن الله زوى لي الأرض......»	-102 -125 212
15	«إن الله يرضى لكم ثلاثة... »	144
16	«إن المقسطين عند الله ...»	130
17	«إن كساك الله يوما سربالاً...»	325
18	«إنكم ستفتحون مصر....»	134
19	«إنه كائن بعدي ....»	339
20	«إني فرطٌ لكم...»	278
21	«أوثق عرى الإيمان....»	287
22	«أَوَّلُ جَيْشٍ مِن أُمَّتي....»	247
23	«ائذن له وبشره بالجنة....»	324
24	«بم كنتم تغلبون ....»	181

25	«بينما أنا نائم رأيتني ....»	123
26	«تصدقوا، فإني أريد ....»	198
27	«تمرق مارقة عند ....»	347
28	«جاهدوا المشركين بأموالكم ...»	55
29	«الحربُ خُدْعَة»	108
30	«خير الناس قرني....»	121
31	«الخيل معقود في نواصيها الخير ....»	189
32	«الدين النصيحة، قلنا لمن؟ .....»	143
33	«ذاق طعم الإيمان ....»	48
34	«رأيت فيما يرى النائم ...»	124
35	«رباط يوم في سبيل الله .....»	194
36	«سبعة يظلهم الله في ظله ....»	131
37	«على المرء المسلم ...»	330
38	«عليك السمع والطاعة .....»	162
39	«عينان لا تمسهما النار....»	194
40	«كلكم راع .....»	137
41	«لا تزال طائفة من أمتي ....»	123
42	«لا تزال هذه الأمة بخير ....»	138
43	«لا تَقُومُ السَّاعَةُ ....»	336
44	«لأخرجن اليهود والنصارى ...»	292
45	«لتتبعن سنن من كان قبلكم....»	287
46	«لتفتحن عصابة من المسلمين...»	124
47	«ليبلُغَنَّ هذا الأمرُ.....»	125
48	«ليس منا من قاتَلَ .... »	282
49	«ما أبقيت لأهلك....»	200
50	«ما على عثمان ....»	198
51	«ماضر ابن عفان ....»	198

52	«مدينة هرقل ....»	123
53	«من استعمل رجلا على عصابة .....»	131
54	«من أطاعني فقد أطاع ....»	142
55	«من جهز غازيا ....»	199
56	«من خير معاش الناس ....»	189
57	«من رأى من أميره شيئا ....»	146
58	«من قتل معاهداً لم ....»	134
59	«من كره من أميره .....»	163
60	«ناسٌ مِن أُمَّتي عُرِضُوا ...»	247
61	«يا أبا ذر ...»	137
62	«يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكمْ .....»	127
63	«يا عثمان إن ولاك الله ....»	324
64	«يا معشر قريش....»	130

فهرس الأعلام:

	اسم العلم المترجم له	الصفحات
01	ابن جابر بن وهب معاوية بن أبي سفيان	234
02	أبو بكر الصديق	29
03	أسامة بن زيد	45
04	بشير بن يزيد	88
05	حبيب بن سلمة بن مالك	216
06	حذيفة بن اليمان	233
07	خالد بن الوليد	66
08	رافع بن عميرة	101
09	الزبرقان بن بدر	73
10	الزبير بن العوام	67
11	سعد بن أبي وقاص	67
12	سلمان بن ربيعة	217
13	سويد بن مقرن	71
14	شُرحبيل ابن حسنة	92
15	ضرار بن الأزور	82
16	طلحة بن عبيد الله	67
17	عبد الرحمن بن عوف	67
18	عبد الله بن أبي سرح	272
19	عبد الله بن المعتم	214
20	عبد الله بن سبا	287
21	عبد الله بن سعد بن أبي السرح	272
22	عبد الله بن عمر	201
23	عثمان بن عفان	30
24	عدي بن حاتم	73

25	عروة بن الجعد	82
26	العلاء بن الحضرمي	234
27	علي بن أبي طالب	30
28	عمر بن الخطاب	29
29	عمر بن مالك	229
30	عمرو بن العاص	103
31	عمرو بن ثبي	231
32	عمرو بن معد يكرب	231
33	عياض بن غنم	80
34	قتادة بن دعامة السدوسي البصري	290
35	القعقاع بن عمرو التميمي	82
36	كعب بن سور الأسدي	307
37	المثنى بن حارثة	82
38	النعمان بن المقرن	230
39	هاشم بن عتبة	212
40	الوليد بن عقبة	272
41	يزيد بن أبي سفيان	78

فهرس الأماكن:

	اسم المكان	الصفحة
01	الأبلة	86
02	الأكناف	74
03	أليس	109
04	أمغيشيا	110
05	بابل	87
06	باروسما	173
07	بانقيا	90
08	برذعة	218
09	البزاخة	74
10	البصرة	191
11	البطاح	74
12	البلقاء	103
13	بلنجر	218
14	البويب	151
15	البيلقان	218
16	تكريت	215
17	الثني	90
18	الجرف	69
19	الجولان	105
20	الحصيد	102
21	حلوان	213
22	الخنافس	113
23	دومة الجندل	99
24	الربذة	72
25	رودس	235
26	الري	217
27	الزّميل	102

28	ساباط كسرى	209
29	سُبيطلة	178
30	السقاطية	209
31	طميسة	196
32	عين التمر	112
33	الفراض	99
34	الفرما	253
35	القادسية	221
36	قاليقلا	216
37	قُراقر	100
38	قرقيساء	229
39	القواصر	253
40	لأنبار	92
41	ماسبذان	214
42	المذار	109
43	مرج راهط	105
44	المصيخ	101
45	المعرقة	103
46	نقيوس	254
47	النمارق	167
48	نهاوند	231
49	هوزان	75
50	هيت	229
51	الولجة	108

فهرس المصطلحات:

	المصطلح	الصفحة
01	الأربطة	188
02	أوقية	198
03	الأوهاق	245
04	دسكرة	192
05	الدهاقين	91
06	السربة	174
07	السنن الشرعية	261
08	السنن الكونية	261
09	الشرف	100
10	كراديس	193
12	الوسق	199

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولا: الكتب

﴿حرف الألف﴾

1: آداب الحرب في الفقه الإسلامي والقانون الدولي، الطيار علي بن عبد الرحمن، ط1، الرياض، 1424هـ.

2: إحياء علوم الدين، مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي، دار الخير، بيروت، 1994م.

3: أخلاق وأداب الحرب في عصر رسول اللهﷺ، حامد مُحَمَّد الخليفة، دار عمار ،الأردن ، ط1، 2009م،.

4: أخلاقيات الحرب ومبادؤها في القرآن والتوراة دراسة مقارنة، يسرى حازم صالح، دار غيداء، عمان، الأردن، ط1، 2015م ـ 1436هـ،.

5: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب الماوردي، تح: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار قتيبة، الكويت، ط1، 1989م.

6:الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجري، سليمان بن صالح بن سليمان آل كمال، منشورات جامعة أم القرى، 2006.

7: اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، مُحَمَّد الخضري، المكتبة الثقافية، ط1بيروت لبنان، 1982م.

8: أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، ناصر مُحَمَّدي مُحَمَّد جاد، دار الميمان، الرياض ط1، 2011م.

9: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين بن المختار الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 1995م.

10: ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر المحمية،1304هـ.

11: الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية، أحمد بدر، دار القلم، الكويت، ط1، .1974

12: الاستخبارات العسكرية في الإسلام، عبد الله علي السلامة مُحَمَّد مناصرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1412هـ، 1991م.

13: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم لملايين، بيروت ـ لبنان ط15، ،2002م.

14: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر أبو الفضل العسقلاني، تح: عادل أحمد، علي مُحَمَّد عوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1995م.

15: أنساب الاشراف، البلاذري، تحقيق: احسان عباس، دار فرانتس شتاينز بقيسبادن، بيروت، 1979م،
16: أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن مُحَمَّد الجزري، تح: علي مُحَمَّد عوض، عادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
17: والاستيعاب في معرفة الأصحاب، عبد الله ابن عبد البر القرطبي النمري، صححه: عادل مرشد، دار الأعلام، الأردن، ط1. 2000م.
18: أثار الحرب في الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، دار مكتبي، دمشق، ط1، 2000م.
19: الارهاب والغلو دراسة في المصطلحات والمفاهيم، عبد الرحمن بن معلا اللويحق،كلية الشريعة، جامعة مُحَمَّد بن سعود الاسلامية، الرياض، السعودية، د.ت.

20: الإسلام وحركة التاريخ رؤية جديدة في فلسفة تاريخ الإسلام، أنور الجندي، ط1، دار الكتاب اللبناني- دار الكتاب المصري، بيروت- القاهرة، 1980م.
21: أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية، جميل عبد الله المصري، ، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط1، 1989م.
22: أزمة العقل المسلم، عبد الحميد أحمد أبو سليمان، دار القارئ العربي، القاهرة، ط1، 1991م،
23: الإسلام وفلسفة الحكم، مُحَمَّد عمارة، دار الشروق، القاهرة ،ط1، 1989،
24: إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها، ماجد عرسان الكيلان، المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط1 ،1426هـ.
25: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عمر الدميجي، دار طيبة، الرياض، ط2، 1408هـ،
26: أبو بكر الصديق ﷺ شخصيته وعصره، علي الصلابي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2008م.
27: الأوائل، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل، دار الكتب العلمية بيروت، 1987.

28: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين بن المختار الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 1995م،

29: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، إبراهيم بن مُحَمَّد ابن دقمان، المطبعة الأميرية الكبرى، مصر،ط 1، 1893م.

﴿حرف الباء﴾

30:: بلغة السالك لأقرب المسالك على الشرح الصغير للقطب سيد أحمد الدردير، أحمد الصاومي، ضبط: مُحَمَّد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1415هـ، 1995م.

31: البناية في شرح الهداية، أبي محمد محمود بن أحمد العيني، المؤلوى محمد عمر لشهير بناصر الإسلام الرامفوري، دار الفكر، بيروت، لبنان،ط2.

﴿حرف الجيم﴾

32: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي،تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006م،

33:جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تفسير الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر الحرستاني، تصحيح: علي عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، د.ت.

﴿حرف الدال﴾

34: الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، دراسة موضوعية لتاريخ الدعوة في عصر الراشدين والامويين والعباسيين والعثمانيين، خليفة حسين العسال، مكتبة الايمان، القاهرة، ط1 ،1437 هـ-2016م.

35: دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1996م.

36: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني لهجرة، الشريف أحمد إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، 1968م،

﴿حرف الواو﴾

37: الولاية على البلدان، عبد العزيز بن إبراهيم العمري

38: الوعي السنني الإيماني في القرآن الكريم، خالد محجوب، مجلة المقدمة، العدد الأول، نوفمبر 2017م،

﴿حرف الزاي﴾

39: زاد المهاجر، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ط1، مكتبة المدني، جدة، د، ت.

40:زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن القيم الجوزية، تح: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1994م.

﴿حرف الحاء﴾

41: حول القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي، عماد الدين خليل، مكتبة النور، مصر الجديدة، ط1، 1405هـ، 1985م.

42: الحسن بن علي وعام الجماعة، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، ط1، دار السلام، مصر، 2009م،

﴿حرف الطاء﴾

43: الطبقات الكبرى، ابن سعد أبو عبد الله الهاشمي، تح: مُحَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.

44: الطبقات الكبير، مُحَّد ابن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: علي مُحَّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م.

2002م.

45: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي، كلمات عربية للترجمة والنشر، ط1، مصر.

﴿ حرف الكاف ﴾

46: الكامل في التاريخ، أبي الحسن علي بن أبي كرم مُحَّد بن مُحَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب، العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1987م.

47: كتاب العين، لابي عبد الرحمن الخليل احمد بن الفراهيدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

48: كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، الواقدي مُحَّد بن عمر بن واقد، رواية أحمد بن مُحَّد بن أعثم الكوفي، تحقيق: يحيي الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1410هـ، 1990م.

49: كتاب عيون الأخبار، ابن قتيبة أبو مُحَّد عبد الله بن مسلم، دار الكتب المصرية، القاهرة ،1996م.

50:. كتاب الأموال، ابن زنجويه حميد بن مخلد بن قتيبة الخرساني، تح: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1986م .

51: الكليات، معجم في المصطلحات في الفروق اللغوي، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحُسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان،ط1413،2هـ- 1993م.

52: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي الشاذلي الهندي البرهانفوري، تح: بكري حياني، مؤسسة الرسالة، ط5، 1981م.

﴿ حرف اللام ﴾

53: لسان العرب المحيط، ابن منظور، تقديم، عبد الله العلالي، دار الجيل، بيروت، دار السلف العربي، بيروت، د.ت.

﴿ حرف الميم ﴾

54: مبشرات النصر والتمكين، سيد بن حسين العفاني، تقديم: مُحَمَّد صفوت نور الدين، مكتبة معاذ بن جبل، القاهرة مصر، ط2، 1422هـ.

55: مجموع الفتاوى، تقي الدين ابن تيمية، تح: عبد الرحمن بن مُحَمَّد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1995م.

56: المجروحون من المحدثين، لإبن حبان، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000م.

57: الموطأ، الامام مالك بن أنس باب ما جاء في الوفاء بالأمان، تقديم: قسم الدراسات بدار الكتاب العربي، دار الريان لتراث، القاهرة، ط1، 1988م.

58: موسوعة الحضارة الإسلامية، نادية مصطفى، سيف عبد الفتاح، اشراف وتقديم: محمود حمدي زقزوق، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،2005م.

59: موسوعة التاريخ الإسلامي، عصر الخلفاء الراشدين، عبد الحكيم الكعبي، دار أسامة، ط1، الأردن- عمان، 2009م.

60: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مُحَمَّد علي التهانوي، ط1،تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان،1996م.

61: موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيلاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط3، 1995م.

62: موسوعة الحضارة الإسلامية، رجب عبد المنصف، إشراف محمود حمدي زقزوق، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1426هـ - 2005م.

63: موسوعة الفتوحات الإسلامية، محمود شاكر، دار أسامة، الأردن - عمان، ط1، 2003م.

64: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد حجر العسقلاني، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، ط1، 1419،

65: ميزان الاعتدال في نقد الرجال،الامام الحاظ شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مُحَمَّد علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت،

66: المنهج التربوي للسيرة النبوية الجهادية، منير مُحَمَّد الغضبان، مكتبة المنار، دار الوفاء، الزرقاء، 1990.

67: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.

68:المستدرك على مجموع الفتاوى، أحمد ابن تيمية، جمع وضبط: مُحَّد بن عبد الرحمن بن مُحَّد بن قاسم، ط1، 1418هـ.

69: معارك خالد بن الوليد، ياسين سويد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط2، 1975.

70: المعارف، أبي مُحَّد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة ،ط4، 1981م.

71: معاني القرآن، أبو زكرياء يحي بن زياد الفراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ،2002م.

72: معجم مقاييس اللغة، لابي الحسن احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام مُحَّد هارون، دار الجيل بيروت، ط1، 1991م.

73:المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات واحياء التراث، إشراف شوقي ضيف، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ، 2004م.

74:معجم التعريفات، علي بن مُحَّد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: مُحَّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ط1، د.س.ن.

75: معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت، د، ت، د، ط.

76:المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، وزارة التربية والتعليم، مصر، 1994م.

77: مُعجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مصطفى عبد الكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992م.

78: معلمة السنن الإلهية في القرآن الكريم، مجموعة من الباحثين، إعداد: رشيد كهوس، مقالة بعنوان: سنة الله في الرخاء، الأمين قريوار،228 دار الكتاب المغربي، دار الكلمة، مصر، القاهرة، 1437هـ،2016م.

79:مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق، صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط3، 2002م، مادة " ف.ت.ح".

80: المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة، أبو بكر الصديق ﷺ، منير مُحَّد الغضبان، دار السلام، القاهرة ـ مصر، ط1، 1436ـ2015م.

81:المصنف، أبي بكر عبد الله بن مُحَّد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تحقيق: مُحَّد عوامة، دار قرطبة، بيروت ـ لبنان، ط1، 1427هـ،2006م

82: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، تقديم: عمر مسقاوي، دار الفكر والفكر المعاصر، دمشق، بيروت، ط1، 1988م.

83: مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر تح: محمد مطيع الحافظ، نزار أباظة، دار الفكر، دمشق، ط1، 1984م.

84: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م.

85: الملل والنحل، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهر ستاني، تحقيق: خيري سعيد، دار التوفيفية للتراث،2014م.

86: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب،أبي القرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دار ابن خلدون، د.ت، د.ط،

87: موسوعة الفتوحات الإسلامية، محمود شاكر، دار أسامة، الأردن ـ عمان، ط1، 2003م.

88: المصنف، أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تحقيق: محمد عوامة، دار قرطبة، بيروت ـ لبنان، ط1، 1427هـ،2006م.

89: منهج الخلفاء الراشدين في إدارة الدولة الإسلامية، عبد الملك ناظم عبد الله، دار السلام، القاهرة، ط1، 2016م.

﴿حرف النون﴾

90: نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، مطبعة كوتساتوماسي، القاهرة، د،ت.

91: النظم القرآني في آيات الجهاد، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الحنين، مكتبة التوبة الرياض، ط1، 1416هـ-1996م.

92: النظم العسكرية" نشأة الجيش النظامي في الإسلام "،فاروق عمر فوزي.

93: النظام السياسي في الإسلام، عبد العزيز خياط، دار السلام، القاهرة، ط1، 1999م.

94: نظام الإسلام في الدعوة إلى الله تعالى، أحمد علوش، مكتبة الإيمان، القاهرة ـ مصر ط1، 1439هـ، 2017م.

95: النظم القرآني في آيات الجهاد، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الحنين، مكتبة التوبة الرياض، ط1، 1416هـ-1996م.

﴿حرف السين﴾

96: سير أعلام النبلاء الخلفاء الراشدون، شمس الدين مُحَّد بن أحمد الذهبي، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

97: السيرة النبوية، ابن هشام، تعليق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1410هـ،1990م.

98: السيرة النبوية " سيرة ابن هشام"، أبو مُحَّد عبد الملك بن هشام المعافري ابن هشام، تح: جمال ثابت وأخرون، دار الحديث، القاهرة، 2004م.

99:سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م .

100: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، وأثر الايمان بها في العقيدة والسلوك، شريف الخطيب، مكتبة دار الرشد، الدار العثمانية، الأردن، ط1، 2004م.

101: السنن الكونية وأثرها في نهضة الأمة الإسلامية، إسماعيل مُحَّد حنفي الحاج، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الثالث، القاهرة،1424هـ،2004م.

102:سنة الله في جهاد رسول الله نحو قراءة جديدة، أبو اليسر رشيد كهوس، دار الحكمة، القاهرة، مصر، ط1، 2012م.

103:سنة الله في إهلاك الأمم وموقف المسلمين منها بين الاعمال والإهمال قراءة في تفسير المنار، رمضان خميس زكي غريب، دار المقاصد، ط1، القاهرة ـ مصر، 1432هـ،2015م.

104:سفراء النبي ﷺ،محمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، لبنان، دار الأندلس الخضراء، جدة،ط1، 1992.

105: السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل الخلافة الأموية، ترجمة : إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1996م.

﴿حرف العين﴾

106: عبقرية الصديق، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

107: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، أبو الفتح مُحَّد بن مُحَّد بن السيد اليعموري، تح: مُحَّد العيد الخطراوي ومحي الدين متو، دار التراث، المدينة المنورة، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1992م.

108:عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي العظيم والامام العادل الرحيم، عبد الستار الشيخ، دار القلم، دمشق، ط1، 1433هـ،2012م.

109: على مشارف القرن الخامس عشر الهجري، دراسة للسنن والمسلم المعاصر، إبراهيم بن علي الوزير، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1409 هـ، 1989م.
110: علم النفس في الميزان العسكري، الزبيدي كامل، الدار العربية للموسوعات، ط1/ 1988م.
111:عُمدة التفسير مختصر تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، تح: أحمد شاكر، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط2، 2005م.

﴿حرف الفاء﴾

112: في المصطلح الإسلامي، ابراهيم السامرائي، دار الحداثة، بيروت- لبنان، ط1، 1990م.
113: في التربية الجهادية والبناء، عبد الله عزام، مكتب الخدمات، باكستان، بيشاور، 1992م.
114: في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط32، 1423هـ، 2003م، القاهرة، مصر.
115: في ضلال القرآن، سيد قطب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1961م،
116: الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبي مُحَمَّد بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، تحقيق: مُحَمَّد إبراهيم نصير، دار الجيل بيروت، ط2، 1996م.
117:فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب أمير المؤمنين شخصيته وعصره، علي مُحَمَّد مُحَمَّد الصلابي، مكتبة الصحابة الشارقة الامارات، 2009م.
118: فقه الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال، أحمد قطران، مجلة الكلية العليا للقرآن الكريم، العدد 3، 2005م.
119: فقه السنن الربانية ومدى افادة المسلمين منها قراءة في فكر الامام مُحَمَّد عبده، رمضان خميس زكي الغريب،دار المقاصد ،القاهرة.،1، 1436هـ -2015م.
120: فتوح البلدان، أبي العباس بن أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، عمر انيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت،ط1، 1987م.
121: فتوح مصر والمغرب، لابن عبد الحكم، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، القاهرة، د.س.ن،
122: فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، "د.ط" 1410هـ، 1989م.
123:الفتوح الإسلامية كيف غير انتشار الإسلام العالم الذي نعيش فيه، هيو كينيدي، ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، ط1، 1434هـ،2013م.

124: الفتوح الإسلامية عبر العصور، عبد العزيز بن إبراهيم العمري، ط3، دار اشبيليا، الرياض،2011 م.
125:الفتنة ووقعة الجمل، سيف بن عمر الضبي الأسدي، جمع وتصنيف: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط6، 1986م.

126: فتوح الشام، أبي عبد الله محمد بن عمر واقد الواقدي، ضبطه وصححه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م.
127: الفتوح، أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق علي الشيري، دار الأضواء، بيروت- لبنان، ط1، 1411هـ-1991م.
128: فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط6، 1994م.
129: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد عثمان الخشب، مكتبة ابن سينا، مصر، ط1، 2000م.

﴿حرف الصاد﴾

130: صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، خرج أحاديثه: محمد بن عيادي ابن عبد الحكيم، وأحمد بن شعبان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2003م.

131: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا، حديث رقم: 34.

132: صحيح البخاري، البخاري،. تحقيق محمد زهير بن ناصر ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
133: الصحاح في اللغة والعلوم، تجديد صحاح الجوهري، تقديم: عبد الله العلايلي، دار الحضارة العربية، بيروت لبنان، د.ت.
134: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ،2009م.
135: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ابي اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق اميل بديع يعقوب، ومحمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.

﴿حرف القاف﴾

136: قصة الحضارة، ول وايرل ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت،1988م.

137: القاموس المحيط، للفيروز ابادي، مكتبة النواري، دمشق، د.س.ن.

﴿حرف الراء ﴾

138: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ضبط: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1994م.

139: الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، صفي الرحمن المباركفوري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2007م.

140: رجال أنزل الله فيهم قرآنا، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط2، 1990م.

141: رؤوس الفتنة في الثورة على الخليفة الشهيد سيدنا عثمان ﷺ دراسة نقدية تمحيصية وفق منهج علم الجرح والتعديل، خالد كبير علال، دار المحتسب، االرياض، 2008م

142: الرشد السياسي وأسسه المعيارية من الحكم الراشد إلى الحوكمة الرشيدة، بحث في جدلية القيم والمؤسسات والسياسات، لؤي صافي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2015م.

﴿حرف الشين. ﴾

142: الشورى في معركة البناء، أحمد الريسوني، 1ط، دار الكلمة، مصر ـ القاهرة، 1435هـ، .2014

143: شرح النووي على صحيح مسلم، يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط.

144: شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة: عمر كامل مسقاوي، عبد الصابور شاهين، دارق الفكر، سورية، دمشق،1982،.

145: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1391هـ.

146: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن مُحَّد المدائني، تح: مُحَّد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م

﴿حرف التاء ﴾

147: التطورات السياسية للدولة العربية الإسلامية خلال المرحلة الانتقالية من عهد الراشدين وإلى عهد الأمويين، خليل شاكر حسين، مجلة المؤرخ العربي، العدد47، 1993م.

148: التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، مُحَّد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر ، القاهرة، ط1، 1997م.

149: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار الحديث، القاهرة ، 2005م.

150: التاريخ الإسلامي الخلفاء الراشدون،محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت،،ط7، 1991م.

151: التاريخ الإسلامي مفاهيم حول الحكم، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط4، 1421هـ، 2000 م.

152: التربية الجماعية، المنهج التربوي للسيرة النبوية، منير مُحَمَّد الغضبان، دار الوفاء، المنصورة. 2005

154:تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن علا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الرياض، ط1، 1421هـ، 2000م.

155:التوقيف على مهمات التعاريف، معجم لغوي مصطلحي، مُحَمَّد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق مُحَمَّد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، 1990م.

156: تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السيد مُحَمَّد وأخرون، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة القاهرة، ط1412،1هـ، 2000م.

157:تحفة الأحوذي بشرح جامع الترميذي، مباركفوري، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، 1924م.

158: تفسير التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس" د.ط" "د.ت".

159: تدبر السنن الالهية عند السلف الصالح، أبو اليسر رشيد كهوس، دار الكتاب المغربي، المغرب، دار الكلمة، مصر، ط1، 2015م

160: تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، ،3/.223.

161: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، بيروت: مكتبة النهضة، القاهرة، ط14، 1412هـ،1992م.

162: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آى القرآن لأبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود مُحَمَّد شاكر، مكتبة ابت تيمية، القاهرة، د.ط، د.س.ن.

163: تاريخ خليفة بن خياط، ابن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط2، 1405هـ، 1985م.

164: تفسير الطبري، الطبري مُحَمَّد بن جرير، دار الفكر، بيروت، 1405هـ

165: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، الخلفاء الراشدون، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، دار الدعوة، حدة، ط1،د.ت.

166: تاريخ فتوح الشام، مُحَمَّد بن عبد الله الأزدي، تحقيق: عبد المنعم عبد الله عامر، مؤسسة سجل العرب.

167: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، من روايات الطبري والمحدثين، مُحَمَّد أمخزون، ط3، دار طيبة،الرياض. ،1999.

168: توجيهات في العدل والاهتمام بالمسؤولية، عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة، ط1، 2004.

169: تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج بن علي القرشي، تح: أحمد شوحان، مكتبة التراث، دير الزور، 1993م.

﴿حرف الخاء﴾

170: خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه، مُحَمَّد عاشور، دار الاعتصام، ط1، مصر، 1984م.
الخراج، يعقوب بن ابراهيم أبو يوسف، دار المعرفة، بيروت، 1979م.
171: خلفاء الرسول ﷺخالد مُحَمَّد خالد، دار المقطم، القاهرة، ط1424،1هـ-2003م.
172:الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ط، د.ت.ن.

173: الخلافة والملك، أبو الأعلى المودودي، تعريب: أحمد إدريس،ط1، دار القلم، الكويت1978م،
الخلفاء الراشدون، أبو زيد شلبي، مكتبة وهبة، مصر، 1960.

ثانيا: الرسائل الجامعية

174: أخلاق الحرب الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشهري، ملتقى بعنوان: العسكرية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، المصاحب لجائزة الأمير سلطان الدولية الرابعة في حفظ القرآن الكريم للعسكريين، السعودية، 1428هـ.

175: اختيار الخلفاء في العهد الراشدي ـ دراسة تحليلية نقدية للروايات التاريخية ـ ، علي غنام، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الطور الثالث (ل.م.د)، تخصص: اللغة العربية والحضارة الإسلامية، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة ـ 1 ـ، 2019م

166: أحكام القتال في سورة التوبة بين الرواية والدراية وحكم الاستعانة بغير المسلمين، ضروف فريد، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إشراف: السيد سيد أحمد مُحَمَّد نجم، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 1432هـ، 2011م.
177: الانفاق ونظائره في القرآن الكريم دراسة موضوعية، عبد الله سليمان مصطفى أبو تيلخ، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2006م.
178: الجهاد في سبيل الله بين الاستمرار والتوقف كما يوضحه القرآن الكريم ، اسماعيل اسماعيل، رسالة ماجستير، اشراف ابراهيم عبد الحميد سلامة و شكري ثقيف الأخضر، جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية، بطنطا، مصر، قسم التفسير وعلوم القران الكريم، 1413هـ، 1992م.

179: معالم التربية الجهادية في ضوء كتابات الشيخ عبد الله عزام، إياد عبد الحميد عقل، متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في أصول التربية، تخصص: تربية إسلامية، الجامعة الإسلامية، غزة، قسم الدراسات العليا، كلية التربية، أصول التربية " التربية الإسلامية" 2008م.

180: منهج التربية الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاته من خلال البيئة المدرسية، بلغيث بن أحمد بن عبد الله الغانمي، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، كلية التربية بمكة المكرمة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، 1429هـ.

181: ملامح التربية الجهادية في السنة النبوية وتطبيقاتها التربوية، أحمد ضيف الله عمر أبو سمهدانة، أشراف: فايز كمال شلران، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول التربية تخصص تربية إسلامية، كلية التربية، قسم أصول التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1431هـ،2010م.

182: عوامل حماية المجتمع من الصراعات في ضوء الكتاب والسنة، حياة صديق حمزة عبد الواحد، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين قسم الدراسات العليا، المملكة العربية السعودية، 1410هـ.

183: القيم الإنسانية في الحروب بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي الإنساني، مزعاش رياض، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الشريعة والقانون، كلية العلوم الإسلامية، قسم الشريعة، جامعة باتنة 1.، الجزائر، 2017م،2018م.

184: التربية الجهادية في الإسلام من خلال سورة الانفال، أحمد تالي ادريس، رسالة مكملة لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، اشراف: عنتر لطفي مُحَمَّد، كلية التربية، جامعة ام القرى، 1410هـ.

ثالثا: الملتقيات والندوات

185: أهمية العلم بالسنن الربانية، مُحَمَّد أمخزون، مجلة البيان، العدد: 115، مصر.

186:دور السنن الإلهية في وعي الإنسان وتكامله الفكري، عامر عبد الأمير حاتم، مجلة الآداب، العدد، 124، جامعة بغداد، كلية التربية، للعلوم الإنسانية، تخصص فكر إسلامي، 2018.

187: دول الإسلام، الذهبي، تحقيق: حيدر آباد، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، 1944م.

188: وصف أرباب القتال من نفحات سورة الأنفال، أحمد بن فهد بن مزيد الخطاف، ملتقى العسكرية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، جائزة الأمير سلطان الدولية، في حفظ القرآن الكريم، السعودية.

189: مظاهر الصديقية في إنجازات أبي بكر الصديق ﷺ في خلافته، حسين شرفة، ندوة بعنوان: أبو بكر الصديق ﷺ معالم هادية وآثار سامية، مركز عقبة بن نافع الفهري للدراسات والأبحاث حول الصحابة والتابعين، طنجة.

190: سننية التاريخ في فكر مالك بن نبي من التأصيل النظري إلى البرهان التطبيقي، حسن بوبيدي، الندوة الافتراضية لمالك بن نبي، صفحة مدونات عمران، مؤسسة مالك بن نبي للأبحاث وقناة الأنيس ، 20، أوت، 2020.

فهرس المحتويات

مقدمة: .... أ

الفصل التمهيدي: مفاهيم ومصطلحات البحث 1

المبحث الأول: مفهوم الفتوحات في الدلالة اللغوية والاصطلاحية 2

المطلب الأول: مفهوم الفتح لغة 3

المطلب الثاني: الفتح في الاستعمال الاصطلاحي 4

المبحث الثاني: المصطلحات ذات الصلة بالفتح 7

المطلب الأول: مفهوم الجهاد لغة واصطلاحا 7

الفرع الأول: مفهوم الجهاد لغة 7

الفرع الثاني: مفهوم الجهاد في الاصطلاح 8

المطلب الثاني: مفهوم القتال لغة واصطلاحا 12

الفرع الأول: مفهوم القتال لغة 12

الفرع الثاني: مفهوم القتال اصطلاحا 13

المطلب الثالث: مفهوم الغزو لغة واصطلاحا 14

الفرع الأول: مفهوم الغزو لغة 14

الفرع الثاني: مفهوم الغزو اصطلاحا 15

المطلب الرابع: مفهوم الحرب لغة واصطلاحا 17

الفرع الأول: مفهوم الحرب لغة 17

الفرع الثاني: مفهوم الحرب اصطلاحا 17

المبحث الثالث: مفهوم العهد الراشدي 21

المطلب الأول: مفهوم العهد لغة واصطلاحا 21

الفرع الأول: مفهوم العهد لغة 21

الفرع الثاني: مفهوم العهد اصطلاحا 22

المطلب الثاني: مفهوم الراشد لغة واصطلاحا 22

الفرع الأول: مفهوم الرشد في اللغة 23

الفرع الثاني: مفهوم الرشد اصطلاحا 23

المبحث الرابع: مفهوم الامتداد والانحسار 27
المطلب الأول: مفهوم الامتداد لغة واصطلاحا 27
الفرع الأول: مفهوم الامتداد لغة 27
الفرع الثاني: مفهوم الامتداد اصطلاحا 28
المطلب الثاني: مفهوم الانحسار لغة واصطلاحا 28
الفرع الأول: المفهوم الانحسار لغة 28
الفرع الثاني: مفهوم الانحسار اصطلاحا 29
الفصل الأول: سنن طلائع الامتداد للفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي 31
المبحث الأول: 36
فقه السنن الإلهية في إنفاذ جيش أسامة 36
المطلب الأول: الثقة في نصر الله 36
المطلب الثاني: الالتزام الكامل بالأوامر النبوية 39
المطلب الثالث: إظهار القوة 44
المبحث الثاني 49
فقه السنن الإلهية في حروب الردة 49
المطلب الأول: العلم بحال مَنْ تُوجَّه إليهم الدعوة 49
المطلب الثاني: الدعوة إلى الله قبل القتال 52
المطلب الثالث: سُنَن الأخذ بالأسباب 54
المبحث الثالث: فقه السنن الإلهية في طلائع فتوحات العراق والشام 64
المطلب الأول: القيادة الواعية 64
الفرع الأول: الدعوة إلى الجهاد والتذكير بمبادئه 64
الفرع الثاني: وجوب طاعة القائد 67
الفرع الثالث: عدم الاستعانة بمن دخل قلبه الشك 71
المطلب الثاني: الصلح والوفاء بالعهود 73
الفرع الأول: الصلح ثقافة سُنَنية 73
الفرع الثاني: الوفاء بالعهود 77
المطلب الثالث: الصبر والثبات والتعاون 80

الفرع الأول: الصبر والثبات.. 80

الفرع الثاني: التعاون:... 84

المطلب الرابع: العلم بفنون الحرب 89

الفرع الأول: فن التمويه والمباغتة والمبادرة 89

الفرع الثاني: فن أمن الحركة 95

الفصل الثاني:سنن توسع وامتداد الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين 98

المبحث الأول:السنن الربانية وعود الله بنصر المؤمنين.. 99

المطلب الأول: مبشرات من القرآن الكريم 99

المطلب الثاني: مبشرات النصر من السنة النبوية 102

المبحث الثاني:السنن المتعلقة بالاستقرار الاجتماعي والسياسي 107

المطلب الأول: استقرار المجتمع 107

الفرع الأول: تحقيق المساواة... 107

الفرع الثاني: تحقيق العدل.. 109

المطلب الثاني: الاستقرار السياسي.. 116

الفرع الأول: التزام الحاكم بالمسؤولية.. 116

الفرع الثاني: التزام الرعية بطاعة الحاكم 120

المبحث الثالث:السنن المتعلقة بالولاة وقادة الجيش والجنود.. 125

المطلب الأول: شروط تعيين الولاة.. 125

الفرع الأول: القوة والأمانة... 126

الفرع الثاني: البصر بالعمل.. 127

الفرع الثالث: الرحمة والشفقة على الرعية 129

الفرع الرابع: مبدأ العلم 130

الفرع الخامس: لا يولي أحدا من أقاربه 130

الفرع السادس: إحصاء ثروة العمال عند تعينهم 131

الفرع السابع: المشورة في اختيار الولاة.. 131

المطلب الثاني: صفات القادة العسكريين 132

الفرع الأول: أن يكون القائد تقيا ورعا عالما بأحكام الشريعة وشروط القتال والعهود............ 132

الفرع الثاني: أن يحمل صفة التأني والتروي وعدم العجلة في الإقدام على القتال 133

الفرع الثالث: الدهاء والفطنة والحنكة في مواجهة العدو ومفاوضته 135
الفرع الرابع: رغبة القائد في العمل ليكون أدعى لاستجابته واستفراغ طاقاته.................... 136
المطلب الثالث: حقوق القائد وحقوق الجنود 136
الفرع الأول: حقوق القائد.. 136
الفرع الثاني: حقوق الجند.. 144
المبحث الرابع:السنن المتعلقة بالإعداد وتجهيز القوة والكفاءة العسكرية.......................... 157
المطلب الأول: الإعداد وتجهيز القوة للجهاد.................................. 157
الفرع الأول: إعداد القوة 158
الفرع الثاني: الإنفاق في سبيل الله... 167
المطلب الثاني: الكفاءة العسكرية.. 174
الفرع الأول: الخبرة والتخطيط الاستراتيجي 175
الفرع الثاني: الاستشارة والانضباط.. 186
المبحث الخامس:السنن المتعلقة بالتخطيط والتنظيم الاستراتيجي وفقه المرحلية 202
المطلب الأول: التخطيط الاستراتيجي 202
الفرع الأول: اختيار المعسكر الملائم.. 202
الفرع الثاني: التداول على قيادة المعركة 203
الفرع الثالث: منع العدو من التحشد 205
المطلب الثاني: التعاون وفقه المرحلية 208
الفرع الأول: التعاون الحربي.. 208
الفرع الثاني: فقه المرحلية.. 213
الفصل الثالث: السنن الإلهية في انحسار الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي.......... 220
المبحث الأول:السنن الإلهية في التغيير 222
المطلب الأول: التغيير الديني والسياسي 226
الفرع الأول: التغيير في المجال الديني... 226
الفرع الثاني: التغيير في المجال السياسي 229
المطلب الثاني: التغيير الاجتماعي والاقتصادي 232
الفرع الأول: التغيير في المجال الاجتماعي...................................... 232
الفرع الثاني: التغيير في المجال الاقتصادي 233

المطلب الثالث: الأعراب وانبعاث العصبية مجددا 236
المبحث الثاني:السنن الإلهية في التدافع 241
المطلب الأول: دور الحركة اليهودية في تراجع الفتوحات 243
الفرع الأول: إرهاصات الفتنة **243**
الفرع الثاني: بداية الفتنة **247**
الفرع الثالث: تحقق سنة عداء اليهود للمؤمنين في معركة الجمل **253**
المطلب الثاني: دور المنافقين والأعراب في تراجع الفتوحات 263
المبحث الثالث:السنن الإلهية في الاختلاف والتفرق 280
المطلب الأول: موقعة صفين 280
المطلب الثاني: فتنة الخوارج 289
الخاتمة: 299
فهرس الآيات القرآنية: 303
فهرس الأحاديث النبوية: 320
فهرس الأعلام: 323
فهرس الأماكن: 325
فهرس المصطلحات: 327
فهرس المصادر والمراجع 328
فهرس المحتويات 343

الملخص باللغة العربية:

يهدف هذا البحث الموسوم بـ : الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي بين الامتداد والانحسار ـ دراسة سننية لإبراز العوامل والأسباب التي أدت إلى توسع الفتوحات وانتشارها وكذا العوامل التي أدت إلى تراجعها وانحسارها وفق قضية السنن الإلهية، حيث نالت هذه الأخيرة حيزا كبيرا من استثمارها في امتداد الفتوحات وتوسعها خاصة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق الذي كانت فترته بداية التأسيس للفتوحات وعهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فترة توسع حتى بداية فترة خلافة عثمان بن عفان، ثم بدأ التراجع والانحسار في الفترة الأخيرة من عهد عثمان بن عفان إلى خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وبناء على ذلك فإن البحث تم تقسيمه إلى مقدمة وأربعة فصول:

وأما فصول البحث فإن أولها كان تمهيديا مخصصا في جزئه الأول لتقديم تعريف دقيق ومضبوط لمصطلحات البحث وهي الفتوحات الإسلامية والعهد الراشدي والامتداد والانحسار.

أما الفصل الأول وتطرقت فيه إلى سنن طلائع الامتداد للفتوحات والتي كانت في عهد أبي بكر الصديق وتمحورت حول فقه السنن في انفاذ جيش أسامة، وخروب الردة، إضافة إلى طلائع الفتوحات بالعراق والشام.

ويأتي بعد ذلك الفصل الثاني الذي تناول سنن توسع وامتداد الفتوحات الإسلامية، فكانت من بين سننها وعود الله بنصر المؤمنين وذلك ما وجدناه في القرآن والسنة من مبشرات، ثم سنن تخص الاستقرار الاجتماعي والسياسي الذي تحقق في هذه الفترة، إضافة إلى السنن المتعلقة بالولاة وقادة الجيش والجنود، وعامل كان له الأثر في توسع الفتوحات وتمثل في الإعداد وتجهيز القوة العسكرية إضافة إلى التخطيط والتنظيم الاستراتيجي.

ثم يأتي الفصل الذي تناول السنن الإلهية في انحسار الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي

وتمثلت هذه السنن في سنن التغيير في المجال الديني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، إضافة إلى الأعراب وانبعاث العصبية مجددا، وسنن التدافع وتضمن دور الحركة اليهودية والمنافقين والأعراب في توقف الفتوحات، وسنن الاختلاف والتفرق والذي تمحور حول موقعة صفين والخوارج وأثر ذلك في انحسار الفتوحات في العد الراشدي.

وفي الأخير تأتي الخاتمة والتي ضمنت بين ثناياها أبرز النتائج التي تمخض عنها البحث وأهم التوصيات ألتي أفضى إليها.

الملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract:

This research entitled: The Islamic Conquests in the Rachidun Era between Extension and Retreat - An alsunanya study to highlight the factors and causes that led to the expansion and spread of the conquests, as well as the factors that led to their decline and decline according to the issue of the divine sunanya, as the latter received a large amount of its investment in the extension and expansion of the conquests Especially during the reign of Caliph Abu Bakr Al-Siddiq, whose period was the beginning of the founding of the conquests and the era of Omar bin Al-Khattab, may God be pleased with them, a period of expansion until the beginning of the period of the succession of Othman bin Affan, then the decline and decline began in the last period from the reign of Othman bin Affan to the succession of Ali bin Abi Talib, may God be pleased with them.

Accordingly, the research was divided into an introduction and four chapters:

As for the research chapters, the first of them was an introductory one dedicated in its first part to provide an accurate and precise definition of the search terms, namely the Islamic conquests, the Rachidun era, extension and decline.

As for the first chapter, it dealt with alsunanya of the pioneers of the expansion of the conquests, which were during the reign of Abu Bakr Al-Siddiq, and focused on the jurisprudence of alsunanyas in the enforcement of Osama's army, the destruction of apostasy, in addition to the pioneers of the conquests in Iraq and the Levant.

Then comes the second chapter, which dealt with alsunanyas of the expansion and extension of the Islamic conquests. Among the reasons were God's promises for the victory of the believers, and that is what we found in the century and alsunanya of good news, and then reasons related to the social and political stability that was achieved in this period, in addition to reasons related to the governors, leaders of the army and soldiers. And a factor that had an impact on the expansion of the conquests and was the preparation and equipping of the military force in addition to strategic planning and organization.

Then comes the chapter that deals with the divine sunanyas in the decline of the Islamic conquests in the Rachidun era, and these sunanyas were represented in alsunanyas of change in the religious, political, economic and social sphere, in addition to the Arabs and the resurgence of nervousness again, the laws of the stampede and included the role of the Jewish movement, the hypocrites and the Bedouins in stopping the conquests, and the laws of difference and separation which It centered around the battle of Siffin and the Kharijites, and its effect on the decline of the conquests in the Rachidun count.

In the end comes the conclusion, which included among the most prominent results that emerged from the research and the most important recommendations that led to it.